مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّـون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 10 / 06 / 2010

القسم الثالث: من الحلقة الحادية والعشرين الى الحلقة الثلاثين

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ والصّلاة عَلىَ رَسولِ الله وآلِهِ آلِ الله

واللَّعْنُ على أعدائِهم وأَعْدَاء شِيعَتِهم أَعْدَاء الله إلى يَومِ لقاءِ الله

الحلقة الحادية والعشرون

معنى السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله وَالمُستَقِرّينَ فِي أَمرِ الله وَالتَّامّينَ فِي مَحَبَّةِ الله

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركات، أحباب عليٍّ وآلَ عليّ، الحلقة الحادية والعشرون من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، فيما تقدمَ من الحلقات العشرين تَمَّ الحديثُ في المقاطع الثلاثة الأول والثاني والثالث.

المقطعُ الأول:

السَّلامُ عَلَيكُم يا أَهلَ بَيتِ النُّبُوَّةِ وَمَوضِعَ الرِّسالَةِ وَمُختَلَفِ المَلائِكَةِ وَمَهبِطَ الوَحي وَمَعدِنَ الرَّحمَةِ وَخُزَّانَ العِلمِ وَمُنتَهى الحِلمِ وَأُصُولَ الكَرَمِ وَقادَةَ الأُمَمِ وَأَولِياءِ النِّعَمِ وَعَناصِرَ الأَبرارِ وَدَعائِمَ الأَخيارِ وَساسَةَ العِبادِ وَأَركانَ البِلادِ وَأَبوابَ الإيمانِ وَأُمَناءَ الرَّحمنِ وَسُلالَةَ النَّبِيِّينَ وَصَفوَةَ المُرسَلِينَ وَعِترَةَ خِيرَةِ رَبِّ العالَمِينَ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ.

المقطعُ الثاني:

السَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الهُدى وَمَصابِيحِ الدُّجى وَأَعلامِ التُّقى وَذَوِي النُّهى وَأُولِي الحِجى وَكَهفِ الوَرى وَوَرَثَةِ الأَنبِياءِ وَالمَثَلِ الأَعلى وَالدَّعوَةِ الحُسنى وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهلِ الدُّنيا وَالآخِرةِ وَالأُولى وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ.

المقطع الثالث:

السَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعرِفَةِ الله وَمَساكِنِ بَرَكَةِ الله وَمَعادِنِ حِكمَةِ الله وَحَفَظَةِ سِرِّ الله وَحَمَلَةِ كِتابِ الله وَأَوصِياء نَبِيِّ الله وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ الله صَلّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ.

المقطع الرابع والذي سأشرع فيه منذُ هذا اليوم:

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله وَالمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله وَالمُخلَصينَ فِي تَوحِيدِ الله والمُظهِرِينَ لأمرِ الله وَنَهيِهِ وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لايَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ.

هذا هو المقطعُ الرابع من المقاطع الخمسة، المقاطع الخمسة التي تَحدّثتُ عن خصوصيتها في هذه الزيارة بل حتى فيما يتعلقُ بالزيارات الأخرى، هذه المقاطع الخمسة التي ابتدأت بها الزيارة الجامعة الكبيرة تُمثِّل الأصول وتُمثّل الأسس التي تعود إليها وتتفرع عنها كل المعاني التي جاءت مذكورة في الزيارة الجامعة الكبيرة أو في بقية الزيارات، لذلك طوّلتُ الوقوف عند هذه المقاطع بعض الشيء، وإن كُنتُ أعتقد بأنني لم أكن قد وفيتها حقها ولكن ما لا يُدركُ كُلُّه لا يُتركُ كُلُّهُ.

نحنُ والمقطع الرابع من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة التي فاضت بها شفاه إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه. في هذا اليوم سأتناول شطراً من المقطع الرابع وفي يوم غدٍ إن شاء الله تعالى والبثُ بثٌ مباشر في نفس الوقت وعلى نفس الشاشة سأُتِمُ الكلام إن شاء الله تعالى في المقطع الرابع.

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله وَالمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله – هذه العناوين تتعانق جميعاً لا يمكننا أن نفهم بعضها دون أن نفهم البعض الآخر، لذلك سترون بأن المعاني متداخلة والمضامين متعانقة ومتزاوجة فيما بينها، ستتضح الصورة شيئاً فشيئاً بعد هذه البيانات التي سأبينها وبعد التفصيل الذي سأُسلِّطُ الضوءَ عليه من خلالِ آيات الكتابِ ومن خلالِ كلمات العترة، نحن دائماً معكم في أجواء الكتاب والعترة، إذا خرج الإنسانُ عن أجواء الكتاب والعترة فإنه سيدخلُ في أجواء الضلالة والجهل والحيرة، الهدى والعلم والحقيقةُ والمعرفةُ والنور هو في أجواء الكتاب والعترة.

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى الله، الدُعاة جمعٌ لداعٍ أو داعية، الداعية أو الداعي إنَّما وُصِفَ بهذا الوصف لأنه قد تلبَّسَ بفعل الدعوة، ونحن مرَّ علينا في المقاطع المتقدمة ونحن نُسَلِّمُ عليهم صلوات الله عليهم والمَثَلِ الأعلى، السَّلامُ على أئمة الهدى ومصابيح الدجى، في المقطع الثاني: والمَثَلِ الأعلى والدَّعوةِ الحُسنى، فهُم الدعوة الحُسنى وهم الدُّعاةُ إلى الله، تقدَّمَ الكلامُ في معنى الدعوة الحُسنى، فهناك الحديث عن مظهرٍ من مظاهرهم ومظاهرهم لا تُعَدُّ ولا تُحصى ﴿**إِن تَعُدُّوا نِعمَةَ اللّهِ لاَ تُحصُوهَا**﴾ نعمة الله الحقيقيةُ هُم صلوات الله عليهم، النعمة الحقيقية مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد ﴿**إِن تَعُدُّوا نِعمَةَ اللّهِ لاَ تُحصُوهَا**﴾ ما المرادُ من عدم إحصائها؟ من عدم إحصاء مظاهرها، والدَّعوةُ الحُسنى، هُم الدعوةُ الحسنى هذا مظهرٌ من مظاهرهم – **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى الله** – هذا مظهرٌ آخر من مظاهرهم صلوات الله وسلامه عليهم، قلتُ الدُّعاةُ جمعٌ لداعية والداعية هو الذي يدعو الآخرين إلى شيء، قد تكون الدعوةُ بالكلامِ وباللفظ وقد تكونُ الدعوةُ بالفعل، كما قال إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه وهو يبين هذه الحقيقة لشيعته: **كونوا لنا دُعاةً صامتين**، الدعوة الصامتة هي الدعوة بالفعل والدعوةُ بالحال، حينما تكون أفعالُ الداعية وأحوالُ الداعية تدفعُ الآخرين للوصول إلى شيءٍ ما إلى هدفٍ ما فتلك هي الدعوةُ الفعلية، أما الدعوة القولية فواضحةٌ، الدعوةُ

أو الدُعاءُ في بعض الأحيان كما يقعُ في كلام العرب وكذا في روايات وأحاديث العترة الطاهرة، الدعاء والدعوة في بعض الأحيان يكونان بمعنىً واحد، والدعاءُ والدعوةُ لفظٌ قولٌ أو فِعلٌ يصدرُ من الداعي أو من الداعية لأجلِ أن يجلِبَ أو أن يُرَغِّبَ أو أن يدفع الآخرين باتجاهٍ مُعَيّن، هذا هو المعنى الإجمالي لمعنى الداعية أو الداعي ومنهُ نعرفُ معنى الدَّعوة ومعنى الدُّعاة إلى الله في الأفق اللغوي – **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله** – هُنا ونحنُ نُجَدِّدُ العهد ونُجَدِّدُ التحيةَ والسَّلامَ على أئمتنا فنَصِفهم بهذا الوصف أنهم دُعاةٌ إلى الله، هل يقتصر المعنى على الدعوة اللفظية أو على الدعوة الفعلية وهم يدعونَ الناس في عالمِ الأرضِ وعلى الأرض إلى التَمَسُّكِ بدينِ الله؟

هذا هو مصداقٌ من مصاديق دعوتهم إلى الله، دعوة مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ إلى الله دعوةٌ لا تقتصرُ على دعوةِ الناس من بني آدم على الأرضِ إلى التَمَسُّكِ بدينِ الله، سواءٌ كانت هذه الدعوة قولية أو فعلية، النبيُ صلى الله عليه وآله إنَّما أُرسِلَ رحمةً للعالمين، يعني أن دعوتهُ لكل العالمين، وستكونُ دعوتهُ تتناسبُ مع كلِّ عالَمٍ بحسب ذلك العالم، دُعاةٌ إلى الله في كُلِّ العالمين، في كلِّ الطبقات، كونهم دُعاةً إلى الله لا ينحصر المعنى في هذا الحد المحدود وفي هذا الحد الضيق من دعوة بني آدم إلى دين الله وإلى عبادة الله وإلى توحيد الله، هذا ضَربٌ من ضروب الدعوة إلى الله، وهذا مصداقٌ من مصاديق الدعوة إلى الله بالنسبة إليهم، قد ينحصرُ هذا الأمر بالنسبة لغيرهم من الأنبياء والأولياء من عباد الله الصالحين، أما بالنسبة لهم فالقضية أوسع وأكبر وأعمق، الدعوةُ على الأرض هذه الدعوة البشرية هي مصداقٌ ضيقٌ بالقياس إلى المصاديق الأوسع.

الأئمة صلوات الله عليهم وحين أقول الأئمة فإمامُ الأئمة مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، حين أتَحَدَّثُ عن الإمامةِ، وحتى الزهراء، الزَّهراءُ حُجَّةٌ على الحُجج وإمامٌ على الأئمة، حين يُقال بأنَّ الزَّهراء صلوات الله وسلامه عليها ليست إماماً الحديث هنا عن الإمامة السياسية، عن حكومة الناس، فإنَّ الزَّهراء صلوات الله وسلامه عليها ما كانت ولا تكون إماماً بحسب النظام الذي وضعهُ خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله، فجعل الإمامة السياسية في عليٍّ وولدهِ المعصومين، أما الإمامةُ بمعناها الأوسع الحُجّيّة الإلهية المُطلقة فإنَّ الزهراء صلوات الله وسلامه عليها هي إمامُ الأئمة هي حُجَّةٌ على الحُجج، حينما يُقال بأنَّ الزهراء لا تُعَدُّ في الأئمة الحديث في هذا المَنصَب الدنيوي المحدود، هذا المنصب الذي سُلِبَ من الأئمة في ظرفٍ من الظروف لأنه ليس منصباً ذاتياً، منصبُ الإمامة الذاتي هو منصبٌ قائمٌ وواقعٌ وحاصِلٌ للزهراء صلوات الله وسلامه عليها، حين أتحدثُ عن الدعوة إلى الله وعن دعوة الأئمة فإنه على رأس قائمة الأئمة إمامُ الأئمة وسيدُ الأئمة في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود خاتمُ الأنبياء، سيدُ الأوصياء، الزهراءُ صلوات الله وسلامه عليها.

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله، دعوتهم تتجلى في كُلِّ طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، والمعاني واضحة، حينما

سَبَّحوا وسَبّحت الملائكة، وهَلّلوا وهلّلت الملائكة ويأتينا الحديث، قُلتُ قبل قليل بأن هذه العناوين التي تلوتها على مسامعكم في الشطر الأول من المقطع الرابع كُلُّها متعانقة، كُلُّها مترابطة فيما بينها وستتضحُ الصورة إن شاء الله تعالى بعد تمام الكلام في بيانِ مضامين وفحاوى هذه العناوين، دعوتهم في كل طبقةٍ من طبقات الوجود ودعوتهم في عالم الأنبياء والأوصياء، في عالم الأنبياء والأوصياء إن كان ذلك في عالم الملكوت أو كان ذلك في عالم الأرض، في عالم الملكوت ما من نبيٍ نُبئ إلاّ بنبوة مُحَمَّدٍ وبولاية عليٍّ وآل عليّ، وفي العالم الأرضي حقيقةُ النبوات كما قال سيد الأوصياء: **كُنتُ مع الأنبياء باطناً ومع رسول الله صلى الله عليه وآله ظاهراً** – وهذا ضَربٌ من ضروب الدعوة إلى الله – **كُنتُ مع الأنبياء سِرّاً ومع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علناً** – وحين يقول كُنت فهو لا يتحدَّثُ عن البُعد الشخصي في ذاتهِ المُقَدَّسة، عَليٌّ هو مُحَمَّد ومُحَمَّدٌ هو عليّ، ومُحَمَّدٌ هو الإمام الصادق والإمام الصادقُ هو مُحَمَّدٌ، هُم نورٌ واحد وطينةٌ واحدة وحقيقةٌ واحدة، ما كان لأولهم كان لآخرهم، أولهم مُحَمَّد وأوسطهم مُحَمَّد وآخرهم مُحَمَّد بل كُلُّهُم مُحَمَّد، ما كان لأولهم فهو لآخرهم وما كان لآخرهم فهو لأولهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

حينما نتصفَّحُ كتابَ الله ونقرأُ آيات الكتاب الكريم، على سبيل المثال: ما جاء في سورة يوسف، في الآية الثامنة بعد المئة ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ والكلام هنا بلسانِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. الرواية يذكرها السيد هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه في تفسيرهِ البرهان ينقلها عن الشيخ الكليني عن الكافي الشريف، بسندهِ: **عن سلاّم بن المستنير عن أبي جعفرٍ عليه السلام في قوله تعالى:** ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ **قال: ذاك رسول الله وأميرُ المؤمنين والأوصياءُ من بعدهما** – وهذا هو المعنى الصُراح المعنى الواضح، المعنى الجلي الذي بينه لنا إمامنا أبو جعفرٍ الباقر في دلالة هذه الآية ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ هناك سبيلُ الله وهو سبيلُ مُحَمَّد {قُل هَذِهِ سَبِيلِي} وسبيلُ الله في روايات أهل البيت سبيلُ عليٍّ وآل عليّ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ إمامنا الباقر يقول: **ذاك رسول الله وأميرُ المؤمنين والأوصياء من بعدهما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.**

وفي نفس تفسير البرهان الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني عن تفسير شيخنا العياشي، **عن إسماعيل**

الجُعفي قال: قال أبو جعفرٍ عليه السلام: ﴿قُل هَذِهِ سَبِيلِي أَدعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ **قال: فقال: عليُّ بن أبي طالب خاصة** – هنا مقصود الإمام خاصة أنها لا تُطلق على أي أحدٍ من الأُمَّة دونَ عليٍّ وآل عليّ – **فقال: عليُّ بن أبي طالب خاصة** – الإمام الباقر هنا كأنهُ يُقسِم بهذا القَسَم كأنه يؤكد هذا المعنى بقولتهِ: **وإلاّ فلا أصابتني شفاعةُ مُحَمَّد** – يعني إن لم تكن هذه الآية في عليٍّ خاصة فلا أصابتني شفاعة مُحَمَّد – **قال أبو جعفرٍ:** ﴿قُل هَذِهِ سَبِيلِي أَدعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ **قال: فقال: عليُّ بن أبي طالب خاصة وإلاّ فلا أصابتني شفاعةُ مُحَمَّد** – والآيات والروايات تتعانقُ في هذا المضمونِ بشكلٍ واضح أنَّ الدُّعاة إلى الله بالمعنى الحقيقي في هذا الزمانِ وفي كُلِّ زمان، في هذا المكانِ وفي كُلِّ مكان، في هذا العالمِ وفي كُلِّ العوالم هُم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد وإلاّ كيفَ أُرسِلَ رحمةً للعالمين، أُرسِلَ رحمةً للعالمين من دون قيدٍ زماني ومن دون قيدٍ مكاني، أيُّها المؤمنون تدَبروا في هذا الوصف إنَّما أرسلناك وبعثناك، الله سبحانه وتعالى يخاطبهُ رحمةً للعالمين، العلة في الإرسال والهدفُ في الإرسال هو هذا: أُرسِلَ رحمةً للعالمين لا في زمانٍ محدود ولا في مكانٍ محدود ولا في عالمٍ محدود، هُم دُعاةٌ إلى الله في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، وما وجودهم في الأرض إلاّ يُمثِّل مرحلة من مراحل الدعوةِ إلى الله، وإلاّ رواياتهم تُحَدِّثُنا عن وجودهم قبل الخلق، وعن وجودهم في كل مرحلةٍ من مراحل الخلق، وعن وجودهم في عالم الأنوار وفي عالم العرش وفي عالم الكرسي وهكذا في كل سماءٍ وفي كل طبقةٍ من طبقات هذا الخلق، وما العالمُ الأرضي إلا هو أسفلُ هذه العوالم، ما عالم الطبيعة إلاّ هو أقلُّ العوالم رُتبةً ومرتبةً ودرجةً، فكما تواجدوا في هذه الطبقة من طبقات الخلق تواجدوا في الطبقات الأخرى، وتلك هي المعاني التي أشارت إليها رواياتهم وأحاديثهم وكذلك حدَّثتنا الزيارة الجامعة الكبيرة عن ذلك – **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى الله.**

حينَ نقرأُ في كتاب الله سبحانه وتعالى في سورة طه مثلاً ونحن نتدبر في الآيات وهي تُحَدِّثُنا عن قصة النبي موسى عليه السلام ﴿وَهَل أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهلِهِ امكُثُوا إِنِّي آنَستُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنهَا بِقَبَسٍ أَو أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾ لَمَّا أتى إلى جهة النار ﴿نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخلَع نَعلَيكَ إِنَّكَ بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّيَ أَنَا رَبُّكَ: والنداءُ دعوةٍ ودُعاء، هذه دعوة موسى إلى أيِّ شيءٍ؟ إلى عالم النبوة، إلى عالم الوحي، إلى عالم الرسالة، والروايات عن أهل البيت، الرواية عن أمير المؤمنين بأن الذي كَلَّمَ موسى في الشجرة ذلك النور هو نور إمام زماننا الحُجَّةُ بن الحسن، الرواية عن أمير المؤمنين واضحةٌ في هذا المعنى ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخلَع نَعلَيكَ

إِنَّكَ بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوىً * وَأَنَا اخترتُكَ فَاستَمِع لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعبُدنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكرِي﴾ إلى آخر الآيات الكريمة، هذه النارُ والشجرة نحنُ نعتقد بأن الله سبحانه وتعالى مُتَكَلِّمٌ، والكلامُ من صفاتهِ سبحانه وتعالى، لكنه لا يتكلم بجارحةٍ من الجوارح كما نتكلمُ نحنُ، إنَّما هو يخلقُ الكلام، يخلقهُ في الهواء، في النار، في الشجرة، في أي شيءٍ يريدُ أن يخلق كلامهُ فيصدر ذلك الكلام من خلال الجهة التي جعلها تتكلم بكلامه، وفي أحاديث المعراج إنَّ الله سبحانه وتعالى كَلَّمَ نبيهُ الخاتم حينما وصل إلى بساط النور كَلَّمَ نبيهُ الخاتم بصوتِ عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، فكما كَلَّم نبيهُ في عالم المعراجِ وفي عالم النور بصوتِ عليٍّ فإنَّهُ قد كَلَّم موسى عليه السلام بصوت صاحب الأمر إمام زماننا كما قال سيد الأوصياء في بعض خُطَبِهِ، لأنَّ الذي كَلَّمَ موسى هو الحُجَّةُ بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، فهم دُعاةٌ في كل مرحلةٍ من مراحل هذا الوجود، دعوة النبي موسى إلى الله سبحانه وتعالى إلى عالم النبوة والوحي كانت من طريقهم صلوات الله عليهم.

قد يستغرب البعض هذا المعنى ولكن تلك هي معارف أهل البيت وتلك هي أحاديثهم والناس أحرارٌ فيما يعتقدون والعقول متباينة والمعارف مختلفة ومدارج العلم كثيرة، نحن حينما نؤمن بهذه المعاني ونُصَدِّقُ بهذه الحقائق لا على سبيل الجزئية في خبرٍ واحد أو في جملةٍ واحدة، القضيةُ ليست بهذه السذاجة، إنما هو الفهمُ المتسعُ في كتاب الله، والفهم المتسع لأحاديث أهل البيت ولنصوصهم، وما نجدهُ من التعانق الواضح والترابط الأكيد، وما نجدهُ من رصٍّ ورصفٍ بين مفاهيم الكتاب الكريم في كل أفاقهِ ومطالعهِ ومجاريه، أهلُ البيت عَلَّمونا بأن القرآنَ لهُ مطالع ولهُ مجاري، وبأن الآيات تبدو في جهاتٍ منها بعضُ المعاني وفي جهاتٍ أخرى تبدو كُلُّ المعاني، هناك مطالع ومجاري وبداياتٌ ونهايات، وهناك ظواهرٌ وبواطن، وهناك معاريضُ الكلام، كُلُّ هذا في كتاب الله وفي كلمات أهل البيت، هناك الظواهرُ والبواطن والتي لا نهاية لها، وهناك المعاريضُ والتي لا نهاية لها، وهناك المطالِعُ والمجاري وكُلُّ ذلك يجري في طبقاتٍ من الفهم ما بين العبارة التي هي للعوام كما يقول الصادق عليه السلام والإشارةِ والتي هي للخواص واللطائف والتي هي للأولياء والحقائقِ والتي هي للأنبياء، كُلُّ هذه التفاريع تجري في عالم العبارة كما تجري في العوالم الأخرى، ونحن إنَّما نتشبثُ بشيءٍ من شراشرِ الإشاراتِ في كلماتهم صلوات الله عليهم.

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله، أخذتُ قصة النبي موسى مصداقاً وإلاّ لو تتبعنا قَصص الأنبياء الذين ذُكِروا في القرآن أو الذين لم يُذكروا في القرآن، ذكرتهم بعض الروايات أو حتى الذين لم يصل ذكرهم إلينا لا من خلال القرآن ولا من خلال الأحاديث، فالأنبياءُ كُثُر، لكننا نعتقد بحسب بيانات النبي الأعظم بأنه ما من نبيٍ إلا وقد بُعِثَ في أصل نبوتهِ وفي حقيقة نبوتهِ بنبوة نبينا وبولاية عليٍّ وآل عليّ صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين، فهنا هذا النداء الذي سمِعهُ موسى على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام هو مصداقٌ من مصاديق الدعوةِ للأنبياء، هُم دُعاةٌ إلى الله وهذا المعنى هو غير المعنى الذي أشار إليه سيد الأوصياء كُنتُ مع الأنبياء باطناً، فتلك دعوةٌ بمعنىً أعمق من هذا المعنى الذي أشرتُ إليهِ من خلال التدبر في آيات سورة طه التي تحدَّثت عن قصة موسى عليه السلام، دعوتهم في كل أفقٍ من الأفاق وفي كل طبقةٍ من الطبقات، وسيتضحُ المعنى بنحوٍ أجلى وبنحوٍ أكثر حينما نستمرُ في بيان مضامين العناوين الأخرى، كما قلتُ في أول حديثي هناك تعانق وتعاضد وتزاوج بين هذه العناوين التي ذكرتها في هذا المقطع وحتى العناوين التي مرت في المقاطع السابقة هي متعانقة فيما بينها.

عباراتنا شتى وحُسنُكَ واحدٌ وكُلٌّ إلى ذاكَ الجمال يُشيرُ

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله، هناك دعوةٌ إلى الله وهناك دلالةٌ على مرضاة الله، في بحار الأنوار لشيخنا المجلسي وهذا هو الجزء الثالث والعشرون والرواية منقولةٌ عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه، يقول: **إنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله** – هذا هو الجزء الثالث والعشرون صفحة: 313، عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه – **إنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله كان أمينَ الله في أرضه، فلمَّا قبَضَ الله مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله كُنَّا أهل البيت أُمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولدُ الإسلام** – مولدُ الإسلام يعني من وُلِدَ على فطرة الإسلام، الولادة الحقيقية وليست الولادة التأريخية – **كُنَّا أهل البيت أُمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولدُ الإسلام وإنَّا لَنَعرِفُ الرجُلَ إذا رأيناهُ بحقيقةِ الإيمان وبحقيقة النفاق** – وهذا هو الذي يُمَيِّزُ دعوتهم البشرية عن دعوة غيرهم.

موسى عليه السلام اختار من قومهِ سبعين رجلاً فلمَّا بلغوا إلى الميقات قالوا: أرِنا الله جهرةً وكان الذي كان والقصة فيها تفصيل، فإنَّ موسى اختار من قومهِ من خِيار قومهِ بحسب ما عندهُ من علم فاختار من خيار قومهِ، اختار الخيَرة للذهابِ إلى ميقات الله فكان الذي كان من هؤلاء الخِيرة الذين اختارهم موسى بحسب علمهِ – **وإنَّا لَنَعرِفُ الرجُلَ إذا رأيناهُ بحقيقةِ الإيمان وبحقيقة النفاق وإنَّ شيعتنا لَمَكتوبونَ معروفون بأسمائهم وأسماء آبائهم أخذَ الله الميثاق علينا وعليهم يَرِدون مواردنا ويدخلون مداخلنا ليسَ على ملة إبراهيمَ خليلِ الله غيرُنا وغيرُهم، إنَّا يوم القيامة آخِذونَ بحُجزة نبينا ونبينا آخِذٌ بحجزة ربه وإنَّ الحُجزة النور** – الحُجزةُ هي النور – **إنَّا يوم القيامة** – يتحدَّث عن المعصومين – **آخِذونَ بحُجزة نبينا ونبينا آخِذٌ بحجزة ربه وإنَّ الحُجزة النور وشيعتنا آخِذون بِحُجَزِنا من فارقنا هَلَك ومن تَبِعنا نجا والجاحدُ لولايتنا كافر ومُتَّبِعُنا وتابعُ أوليائنا مؤمن لا يُحِبُّنا كافر ولا يُبغِضُنا مؤمن، من مات وهو مُحِبُّنا**

كان حقاً على الله أن يبعثهُ معنا، نحنُ نورٌ لِمَن تَبِعنا – هذا هو معنى دعوتهم إلى الله، هُم نورٌ، هم دُعاةٌ إلى الله لا بالمعنى الذي يمكن أن ينطبق عَلَيَّ وعلى أمثالي، نحن حين ندعو الناسَ إلى الله وحين ندعو الناسَ إلى أهل البيت إنما نستعمل الألفاظَ والكلمات، لا نستطيعُ أن نذهب إلى أبعد من ذلك، أما هُم في دعوتهم الناس فالناسُ على طبقات، هُم نورٌ لشيعتهم، نورٌ لأوليائهم، دعوتهم تتخذُ معانٍ أعمق كدعوتهم لموسى، كدعوتهم لكل الأنبياء – **نحنُ نورٌ لِمَن تَبِعنا ونورٌ لِمَن اقتدى بنا، من رَغِبَ عنَّا فليس مِنَّا ومن لم يكن معنا فليسَ من الإسلامِ في شيء** – قانونٌ واضح – **نحنُ نورٌ لِمَن تَبِعنا ونورٌ لِمَن اقتدى بنا، من رَغِبَ عنَّا ليس مِنَّا ومن لم يكن معنا فليسَ من الإسلامِ في شيء بِنا فتَحَ اللهُ الدين وبِنا يختِمهُ وبِنا أطعمكُم الله عُشبَ الأرض وبِنا أنزلَ الله عليكم قطر السماء وبِنا ... وبِنا ... وبِنا** ... – الرواية طويلةٌ ومُفَصَّلة، خُلاصةُ القول وزبدةُ المخضِ إنهم دُعاةٌ إلى الله في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، وإنهم دُعاةٌ للبشرِ ولبني آدم ابتداءً من الأنبياء وإلى سائر الناس، ودعوتهم لشيعتهم أنهم نورٌ وكُلُّ ذلك يُمكنني أن أشير إليهِ إلى ما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة: **كلامكم نور**.

كلامكم نور هو الدعوةُ النورية النافذةُ إلى القلوبِ والداخلةُ والواجلةُ في القلوب والبصائر والعقول، وتلك هي دعوة الحق، دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى – **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى الله** – ثُمَّ تقول الزيارة الشريفة: **وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله** – الأدلاءُ هُم دُعاة ولكن بنحوٍ أخص، الأدلاءُ جمعٌ لدليل والدليل هو الذي يدعو إلى جهةٍ من الجهات لكنه يحمل البراهين الواضحة الساطعة، هذا لا يعني أن الدُّعاةَ إلى الله لا يحملون البراهين ولكنها مظاهرٌ لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مرَّ علينا في المقطع الثاني والدَّعوة الحُسنى، وهذا المقطع الرابع الدُّعاةُ إلى الله، وهُم أيضاً الأدلاءُ على مرضاة الله، الأدلاءُ على مرضاة الله مرضاتهُ سبحانه وتعالى هي مرضاتهم، هُم يدلون الخَلقَ على مرضاتهم، إنَّ الله يرضى لرضا فاطمة وإنَّهُ ليَغضب لغضبها، مرضاتهُ مرضاتهم ونحن سنقرأ وستأتينا العبائرُ في الزيارة الجامعة الكبيرة – **مَن وَالاكُم فَقَد وَالى الله وَمَن عاداكُم فَقَد عادى الله وَمَن أَحَبَّكُم فَقَد أَحَبَّ الله وَمَن أَبغَضَكُم فَقَد أَبغَضَ الله** – وتلك هي مرضاة الله سبحانه وتعالى، مرضاة الله مرضاتهم – **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله** – الأدلاء على مرضاة الله أي الذين يُرشدونَ هذا الخلق إلى معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، لأنَّ العنوان الأول عنوان أعم، صورة عامة – **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله** – ومرضاة الله مرضاتُهم وهُم أدلاء، أدلاء بالحُجَجِ وبالبيناتِ وبالبراهين، فمَن تَمَسَّكَ بهذه الدلالة ومن تَمَسَّكَ بهذا النور بهذا البرهان فإنَّهُ سيرسو على شاطئ الأمان، سيرسو على شاطئ مرضاة الله سبحانه وتعالى.

في الكتاب الكريم حين نذهبُ، على سبيل المثال إلى سورة الرحمن، في الآية السابعة والعشرين وما بعدها

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَت وَردَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الحديثُ عن يوم القيامة ومرضاة الله تتجلى بالمعنى الأوسع في يوم القيامة ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَت وَردَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *فَيَومَئِذٍ لَّا يُسأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ في يوم القيامة الآية تقول ﴿فَيَومَئِذٍ لَّا يُسأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ غريبٌ هو الأمر، نحنُ نعلم بأنَّ يوم القيامة هو يوم السؤال عن كل صغيرةٍ وكبيرة، ولذلك يقول الإنسان ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، لأنه سيُسألُ عن كُلِّ صغيرةٍ وكبيرة، قفوهم إنهم مسئولون، مسئولون عن الأمور الكبيرة وعن الأمور الصغيرة، كيف تقول الآية: ﴿فَيَومَئِذٍ﴾ يوم القيامة، الآيات السابقة تتحدث عن يوم القيامة ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَت وَردَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *فَيَومَئِذٍ لَّا يُسأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ هل تتناقضُ هذه الآية وتتعارضُ مع الآيات الأخرى التي تُحدِّثنا من أن الإنسان يُسألُ عن كل صغيرةٍ وكبيرة، عقيدتنا في يوم القيامة هي هذه: يُسألُ الإنسان عن كل شيء، عن عمرِهِ، عن مالِهِ، عن دينِهِ، عن عقيدتِهِ، عن حسناتِهِ، عن سيئاتِهِ، عن كل شيء، إذاً كيف تقول الآية هنا: ﴿فَيَومَئِذٍ لَّا يُسأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ هل هناك عفوٌ عام عن كل الإنس وعن كل الجان؟

إمامنا الرضا يقول، هذه الآية خاصةٌ بكم بشيعة أهل البيت، يقول: ﴿فَيَومَئِذٍ لَّا يُسأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ منكم، فيومئذٍ لا يُسألُ منكم عن ذنبِهِ إنسٌ ولا جان – لأي شيءٍ؟ لأن أشياعهم تَمَسَّكوا بهذه الدلالة: **وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله** – لَمَّا تَمَسَّكوا بهذه الدلالة ساقتهم هذه الدلالة إلى مرضاة الله، فحينما وصلوا إلى مرضاة الله فهناك الرحمةُ والعفو والشفاعة والكرامةُ والفوزُ والسعادةُ، فيومئذٍ لا يُسألُ عن ذنبِهِ إنسٌ ولا جان، وإلاّ أليسَ يوم القيامة هو يوم السؤال عن كل صغيرةٍ وكبيرة؟! القضية منطقية وواضحة، وهناك رواية مفصلة عن الإمام الرضا في هذا المضمون يمكنكم أن تراجعوها في تفسير البرهان وفي غيرِهِ من تفاسير أهل البيت من كتب الحديث التي نقلت تفسير أهل البيت، حين أقول تفاسير أهل البيت أعني الكتب التي روت روايات أهل البيت في تفسير القرآن، ربما تراجعون تفاسير العلماء، فإنَّ تفاسير العلماء لا تذكر كُلَّ ما جاء عن أهل البيت، نحن عندنا تفاسير لعلماء الشيعة وعندنا تفاسيرٌ لأهل البيت، تفاسير علماء الشيعة لا تذكر كُلَّ روايات أهل البيت في التفسير، أما تفاسيرُ أهل البيت التي جمعها المُحَدِّثون

وحاولوا أن يجمعوا فيها أكبر قَدَرٍ ممكن من الروايات والأحاديث التي تُفَسِّرُ كلام أهل البيت بحديث أهل البيت، تفسير علي بن إبراهيم القُمي رضوان الله تعالى عليه، تفسير العياشي، تفسير فرات بن إبراهيم، نور الثقلين للمُحَدِّث الحويزي، البرهان للسيد هاشم البحراني، وتفاسير أخرى جمعها المُحَدِّثون من علمائنا رضوان الله تعالى عليهم، جمعوا فيها حديث أهل البيت ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ وقفةٌ قصيرة للتدبر في هذه الآية نجد بأن الآية تتحدثُ عن عدم سؤالٍ للإنس وللجان فهل يُعقل هذا؟! إنما يُعقل حينما نفهما في ضوء تفسير أهل البيت حين يقول إمامنا الرضا ذلك منكم أنتم يا شيعتنا، أنتم الذين سوف لن تُسألوا في يوم القيامة، والسبب أنهم تمسكوا بهذه الدلالة – **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله** – بهذه الدعوة وبهذه الدلالة يصلُ العباد إلى أي شيءٍ؟ يصل العباد إلى معنى التوحيد وإلى معنى العبادة وإلى معنى الطاعة وإلى معنى القبولِ عند الله سبحانه وتعالى.

شيخنا الكليني رضوان الله تعالى عليه وهذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، الرواية يذكرها بسندهِ: **عن عليٍّ بن جعفر عن أبي الحسن موسى، عن إمامنا الكاظم، قال: قال أبو عبد الله صلوات الله عليه: إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلَقنا فأحسن خلقنا وصوّرنا فأحسن صورنا وجعلنا خُزَّانَهُ في سمائهِ وأرضه ولنا نطقت الشجرة** – تلك هي شجرة موسى في مصداقٍ من مصاديق الشجرة، هذه الشجرة الإشارة هنا إلى شجرة موسى، والإشارة هنا إلى تلك الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، والحديث هنا أيضاً عن الشجرة الزيتونة المباركة التي هي لا شرقية ولا غربية، والحديث هنا عن الشجرة الأصل أنا وعليٌّ من شجرةٍ واحدة وسائرُ الناس من شجرٍ شتى، الحديث هنا عن شجرة الحياة، الحديث هنا عن شجرة الوجود، الحديث هنا عن شجرة طوبى، الحديث هنا عن سدرة المنتهى، الحديث هنا عن شجرة الفيض، وشجرةٌ وشجرةٌ وشجرةٌ، كُلُّ تلك الأشجار نطقت لهم وبهم صلوات الله عليهم – **ولنا نطقت الشجرة وبِعبادتِنا عُبِدَ الله عزَّ وجلَّ ولولانا ما عُبِدَ الله** – لا في هذه الطبقات التي في عالم الطبيعة ولا في الطبقات التي في عالم الشهادة ولا في الطبقات التي في عالم الغيب ولا في الطبقات التي في عالم النور، في كل طبقات الوجود من أولهِ إلى آخرهِ – **وبِعبادتِنا عُبِدَ الله عزَّ وجلَّ ولولانا ما عُبِدَ الله** – والروايات كثيرةٌ في هذا المضمونِ عن أهل بيت العصمة.

روايةٌ يرويها شيخنا المجلسي رضوان الله تعالى عليه وهذا هو الجزء السادس والعشرون، الرواية مفصلة وطويلة بعض الشيء إلا أنها من الضروري أن تُذكَرَ في هذا المقامِ وفي بيانِ هذه المضامين – **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله** – الرواية: **عن إمامنا الرضا عن آبائهِ عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم جميعاً، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلقَ الله عزَّ وجلَّ خلقاً**

أفضل مني ولا أكرم عليه مني، قال عليٌّ عليه السلام: فقلتُ: يا رسول الله فأنتَ أفضلُ أو جبرئيل؟ فقال عليه السلام: يا عليّ إنَّ الله تبارك وتعالى فَضَّلَ أنبيائهُ المرسلين – لا حاجة لأن أُبين ما هي الحكمة من سؤال أمير المؤمنين، وهل أنه يعلمُ بهذا الأمر الذي سأل عنه أو لا، هذه قضية واضحة، الذي يفهم أهل البيت وفقاً لهذه المعاني العميقة التي مرَّ ذكرها في المقاطع السابقة من الزيارة الجامعة الكبيرة وفيما نحنُ الآن فيه بين أيدينا لا يحتاج إلى أن أُبَرِّرَ له مثل هذه المعاني، فلكلامِ أهل البيت معاريض وجهات ومقاصد – **يا عليّ إنَّ الله تبارك وتعالى فَضَّلَ أنبيائهُ المرسلين على ملائكتهِ المُقَرَّبين وفَضّلني على جميع النبيين والمرسلين والفضلُ بعدي لك يا عليّ وللأئمة من بعدك وإنَّ الملائكة لَخُدّامُنا وخُدّامُ مُحبِّينا، يا عليّ الذينَ يحملون العرش ومن حولهُ يُسبِّحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا عليّ لولا نحنُ ما خُلِقَ آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض فكيفَ لا نكونُ أفضلَ من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربِّنا وتسبيحهِ وتهليلهِ وتقديسه لأنَّ أول ما خلقَ الله عزَّ وجلَّ خلقَ أرواحنا فأنطقنا بتوحيدهِ وتحميده ثُمَّ خلقَ الملائكة فلمَّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبّحنا** – لأي شيءٍ؟ – **لِتَعلمَ الملائكة أنَّا خلقٌ مخلوقون وأنَّهُ مُنزَّهٌ عن صفاتِنا فسبَّحت الملائكةُ بتسبيحنا** – هذه دعوةٌ إلى الله، وهذه دلالةٌ إلى مرضاة الله في كل طبقات الوجود – **فسبّحت الملائكة بتسبيحنا ونزّهتهُ عن صفاتنا فلمَّا شاهدوا عِظَمَ شأننا هلّلنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وأنَّى عبيدٌ ولسنا بآلهةٍ يجب أن نُعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلا الله فلمَّا شاهدوا كِبَرَ محلِّنا كَبّرنا لتعلم الملائكة أنَّ الله أكبرُ من أن يُنال عِظَم المحل إلا به، فلمَّا شاهدوا ما جعلهُ لنا من العزِّ والقوة قلنا لا حول ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، فلمَّا شاهدوا ما أنعم الله بهِ علينا وأوجبهُ لنا من فرضِ الطاعة قُلنا الحمدُ لله لتعلم الملائكة ما يحقُّ للهِ تعالى ذكرهُ علينا من الحمدِ على نِعَمه، فقالت الملائكة: الحمدُ لله، فبِنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحهِ وتهليلهِ وتحميدهِ وتمجيده** – الرواية طويلةٌ مفصلة قد يطول الوقت بذكرها وبقراءتها بكل هذه التفاصيل، الرواية موجودةٌ في صفحة: 336، 337 من الجزء السادس والعشرين من أجزاء بحار الأنوار لشيخنا المجلسي رضوان الله تعالى عليه، إلى آخر الرواية.

الله سبحانه وتعالى يُحَدِّثُ نبيهُ والنبيُ يقول: **فنوديتُ يا مُحَمَّد هؤلاء أوليائي وأوصيائي وأصفيائي وحُججي بعدك على بريتي** – والرواية ذكرت فقالت: **أولهم عليُّ بن أبي طالب وآخرهم مهدي أُمَّتي وهم أوصيائك وخُلفائُكَ وخيرُ خلقي بعدك وعزتي وجلالي لأُظهرَنَّ بهم ديني ولأُعليَنَّ بهم كلمتي ولأُطَهِّرَنَّ الأرض بآخرهم من أعدائي ولأمكننّهُ مشارق الأرض ومغاربها ولأُسَخِرنَّ له الرياح ولأذلِّلنَّ له**

السحاب الصعاب ولأرقينّهُ في الأسباب ولأنصُرنَّهُ بجندي ولأمدنَّهُ بملائكتي حتى تعلو دعوتي – فهم هُم الدُّعاةُ إلى الله، وإنَّما تعلو دعوة الله بهم – **حتى تعلو دعوتي ويجمِعُ الخلق على توحيدي ثُمَّ لأُديمَنَّ مُلكه ولأوداولنَّ الأيام بين أوليائهِ إلى يوم القيامة** – أنا اقتصرت على قسمٍ من الرواية، الرواية فيها تفصيل ولكن مضمونها بالجملة يتحدَّثُ عن معنى دعوةِ أهل البيت إلى الله، وعن معنى دلالتهم إلى وعلى مرضات الله، ولذا نحن نخاطبهم في الزيارة الشريفة في الزيارة الجامعة الكبيرة: **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله**، وتلاحظون التعانق والترابط بين المعاني وهكذا بين العناوين الأخرى.

وَالمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله، هناك في بعض النُسَخ والمستوفزين ولكن في النُسخ الأصلية للزيارة الشريفة وفي المصادر القديمة – **وَالمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله** – أنا أشرت إلى هذا لأنهُ الشيخ عباس القمي في بعض الأحيان يذكر ما جاء في نُسَخٍ أخرى، وهنا في النسخة التي بين يدي ذكر فوق والمستقرين والمستوفزين، والمستوفزين يعني السابقين، المستعجلين، وعَجِلتُ إليكَ ربّي لترضى ﴿مَا أَعجَلَكَ عَن قَومِكَ يَا مُوسَى﴾ المستوفزون هم المسارعون، ولكن في النُسَخ القديمة والنُسَخ الثابتة عندنا – **وَالمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله** – هُم مستقرون في أمر الله، والاستقرار هو الثبات.

نحن حين نُسلِّمُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنخاطبه: **السَّلامُ على صَاحِبِ الوقار والسَكينة** – الحديث هنا ليس عن البُعد الأخلاقي، نعم هناك وجهٌ في هذا الكلام، الحديث عن الحالة الأخلاقية أو النفسية من وقارٍ وسَكينة، السَّلامُ على صاحب الوقار والسَكينة: السَّلامُ على صاحب الذاتِ المستقرة، أين مستقرة؟ مستقرةٌ في أمر الله – **وَالمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله** – الاستقرارُ في أمر الله، ما هو أمر الله؟ أمر الله هو شأنُ الله، أما ما هو شأنُ الله؟ فذلك شيءٌ نحن لا نعرف حقيقته، شأنُ الله متعلِّقٌ بالله سبحانه وتعالى، وكُلُّ الوجود إنَّما هو صورةٌ، مظهرٌ من شأن الله من أمر الله سبحانه وتعالى، فالأمرُ كله راجعٌ إليهِ.

نحنُ حين نقرأُ مثلاً في سورةِ هود وفي الآية الأخيرة من هذه السورة ﴿وَلِلّهِ غَيبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرض﴾ والغيب هو الحقيقة الأعمق، هو ما وراء ما وراء الحقائق، ما يظهر لنا في عالم السماوات والأرض، ونحنُ ماذا نرى من عالم السماوات والأرض؟! ونحنُ ماذا نرى من عالم الأرضِ قبل أن نرى من عالم السماوات؟! عالم الأرضِ نحن لا نرى منه شيئاً ولا نعرفُ من ما ورائياتهِ ومن غيبياتهِ، وما نحنُ إلا نقطة في السماء الدنيا، وما السماء الدنيا إلا نقطة في بحرٍ إلى السماء الثانية وهكذا ﴿وَلِلّهِ غَيبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرض وَإِلَيهِ يُرجَعُ الأَمرُ كُلُّه﴾ كُلُّ الأمرِ راجعٌ إليه، ألا لهُ الخلقُ والأمر، عالمُ الخلق وعالم الأمر، كُلُّ شيءٍ راجعٌ إليه، وأمرُ الله هو شأن الله، وشأنهُ نحن لا نعرفهُ حقيقته، إنَّما حدَّثنا الكتابُ وحدَّثتنا العترة عن أمر الله سبحانه

وتعالى، جاءتنا ألفاظٌ نفهم معانيها بشيءٍ من دقائق لطائف الأوهام.

كما نقرأ في أدعية شهر رجب، من الأدعية التي يُستحَبُّ قراءتها في مثل هذه الأيام، هناك مجموعة من الأدعية يُستحَبُّ قراءتها يومياً في شهر رجب، منها هذا الدعاء: **يا مَن سما في العزِّ** – والدَّاعي هُنا يناجي ربَّهُ سبحانه وتعالى – **يا مَن سما في العزِّ ففات نواظر الأبصار ودنا في اللُطفِ فجاز هواجس الأفكار** – إلى أن يقول الدعاء: **يا من حارت في كبرياء هيبتهِ دقائق لطائف الأوهام وانحسرت دون إدراك عظمتهِ خطائف أبصار الأنام** – دقائقُ لطائف الأوهام، هناك أوهامٌ ومن دونها لطائف ومن دونها دقائق، نحن ما نعرفهُ فهو ما دون ذلك، وما دون ذلك، وما دون ذلك – **وَالمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله** ﴿وَلِلّهِ غَيبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَإِلَيهِ يُرجَعُ الأَمرُ كُلُّهُ﴾ وهم مستقرون في أمره، وهو المعنى الذي يشيرُ إليهِ دعاءُ ليلة المبعث ويومُ المبعث، لذلك نحنُ قلنا بأن شهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان هو موسم المعرفة والولاء، الأدعية ومضامين الأدعية كُلُّها تذهبُ في هذا الاتجاه، في دعاء المبعث في ليلة المبعث: **وباسمك الأعظمِ الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقتهُ فاستقرَّ في ظلك** – في ظلهِ، ظِلُّ الله هو أمرُ الله، هو شأنُ الله – **فاستقرَّ في ظلك فلا يخرجُ منك إلى غيرك – وَالمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله** – هذا هو الأسمُ الأعظم – **وباسمك الأعظمِ الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقتهُ فاستقرَّ في ظلك فلا يخرجُ منك إلى غيرك** – خلقتهُ هو مخلوق لكنه مستقرٌ في ظلك ولا يخرجُ منك إلى غيرك، هو نفس المعنى الذي جاء في دعاءٍ ثانٍ من أدعية شهر رجب – **لا فرق بينكَ وبينها إلا أنهم عبادُكَ وخَلقُك** – من الأدعية التي يُستحبُّ قراءتها في كل يوم في شهر رجب، الدعاءُ مرويٌ عن إمام زماننا الحُجَّة بن الحسن صلوات الله عليه – **السَّلامُ عَلى المُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله** – المستقرون في أمر الله، وأمر الله هو الظاهر في كل شيء وإليهِ يُرجَعُ الأمر كُلُّه لأن أمرهُ ظاهرٌ في كُلِّ شيء ولأن أمرهُ محيطٌ في كل شيء وهم مستقرون في أمر الله، لذلك حين نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: **بِكُم فَتَحَ الله وَبِكُم يَختِمُ الله وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ** – هذه مصاديق وليست محصورة المعاني بهذه العبارات – **بِكُم فَتَحَ الله وَبِكُم يَختِمُ الله وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ وَبِكُم يُمسِكُ السَّماء أن تَقَعَ عَلى الاَرضِ إلاّ بِإذنِهِ وَبِكُم يُنَفِّسُ الهَمَّ وَيكشف الضُّرَّ، وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ** – لأنهم هم الذين وجهوا الدعوة إلى الرسل، لأنهم هم الذين دعوا الرُسُل والأنبياء كما مرَّ علينا قبل قليل – **وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ** – إلى أن تقول الزيارة: **وَذَلَّ كُلُّ شيءٍ لَكُم** – وذَلَّ كُلُّ شيءٍ لكم لأي شيءٍ؟ لأنهم مستقرون في أمر الله، وإليه يُرجعُ الأمر كُلُّه، وذَلَّ كُلُّ شيءٍ لأمره وهُم أمر الله.

إلى هذا المعنى تُشير الرواية التي رواها شيخنا الكليني رضوان الله تعالى عليه في الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف: بسندهِ: **عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا ابن أبي يعفور إنَّ الله واحدٌ متوحدٌ بالوحدانية متفردٌ بأمره** – متفردٌ بأمره، وإليهِ يُرجَعُ الأمرُ كُلُّه – **إنَّ الله واحدٌ متوحدٌ بالوحدانية متفردٌ بأمره فخلق خلقاً** – لأي شيءٍ؟ – **فخلق خلقاً لأمره فقدَّرهُم لذلك الأمر فنحنُ هُم يا ابن أبي يعفور** – هم المستقرون في أمر الله، هذه الذوات التي لا تعرف الحركة، لأي شيءٍ لا تعرف الحركة؟ لأن المُتَحَرِّكَ يسعى إلى الكمال، أما هُم ذواتٌ كاملة ولذلك بعد الاستقرار ماذا يقول إمامنا الهادي؟ – **وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله** – حقائقٌ تامة ليست فيها زيادة ولا نقيصة لذلك حقائق غير متحركة حقائق ثابتة، أنا قلت هذه العبارات وهذه العناوين متعانقة يشدُ بعضها بعضاً.

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله وَالمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله – كانت دعوتهم إلى الله ودلالتهم على مرضاة الله متفرعة على أي معنىً؟ على معنى استقرارهم في أمر الله، ما تقولهُ الزيارة هنا قبل قليل وما قرأناه قبل قليل في الزيارة من أنَّ بِكُم يُنَزِّلُ الغَيث وبِكُم يُمسِكُ السماء، الله سبحانه وتعالى بِكُم يُنَزِّلُ الغيث وبِكُم يُمسِكُ السماءَ أن تقعَ على الأرض وهذه مصاديق، هم الواسطة، هذه الباء باء السببية باء الواسطة، بِكُم يُنَزِّلُ الغيث، هم الواسطة، بِكُم ينزل الفيض، له أمرٌ متفردٌ بأمرهِ فخلق خلقاً قَدَّرَهُم على ذلك الأمر ونحنُ هُم يا ابن أبي يعفور – **السَّلامُ عَلى المُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله** – السَّلامُ على صاحِب الوقار والسَكينة، تلك الذات المستقرة الساكنة، ولذلك في الزيارة الجوادية: **بِكُم سَكنت السواكن وتحرّكت المُتحركات**، حينما نزور الإمام الرضا فنخاطبهُ ونخاطب الأئمة: **بِكُم سكنت السواكن وتحرّكت المُتحركات** – المتحركات تحركت لتبلغَ الكمال لتبلغ السكون، وقطعاً إنَّ الذي يمنحُ المتحركات الكمال لابد أن يكون كاملاً – **اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ من كمالك بأكملهِ وكُلُّ كمالك كامل** – هناك أكمل الكمال، وهل يتعدى هذا المعنى أهل البيت؟! أكملُ الكمال هُم هُم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هم المستقرون في أمر الله، وهذا الخلقُ مظاهرهم، هُم مظاهر أسماء الله والخلقُ مظاهرهم، لذلك لو نتدبر في آيات الكتاب الكريم في سورة يوسف، الآية الثالثة بعد المئة وما بعدها ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ * وَمَا تَسأَلُهُم عَلَيهِ مِن أَجرٍ﴾ ماذا سألهم رسول الله من أجر؟ ﴿قُل لَّا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُربَى﴾ ﴿وَمَا تَسأَلُهُم عَلَيهِ مِن أَجرٍ إِن هُوَ إِلَّا ذِكرٌ لِّلعَالَمِينَ﴾ ما سألتكم من أجر فهو لكم، مردهُ إليكم، رسول الله صلى عليه وآله ليس بحاجةٍ إلى هذا الأجر، حاجتهُ إلى هذا الأجر هي حاجة الناسِ إلى هذا الأجر، حاجتهُ يريدُ أن يُكمِلَ الناس، يُكَمِّل الناس، أن يقود الناس إلى الهدى ﴿وَمَا تَسأَلُهُم عَلَيهِ مِن

﴿أَجرٍ﴾ الأجر هو الرسالة، مودّة الرسالة، مودّةُ آل الرسالة.

﴿إِن هُوَ إِلاَّ ذِكرٌ لِّلعَالَمِينَ * وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ يَمُرُّونَ عَلَيهَا وَهُم عَنهَا مُعرِضُونَ﴾ هذه الآيات في السماوات والأرض هم أهل البيت، نحن نقرأُ في أدعية شهر رجب، وأعودُ وأذهب إلى أدعية شهر رجب، فشهرُ رجب شهرُ المعرفة شهرُ عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، فنحن نقرأُ في أدعية شهر رجب: **فجعلتهم معادنَ لِكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك** – إلى أن يقول الدعاء: **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلاّ أنت** – هذا كلام الإمام الحُجَّة وليس كلامي – **فبهم** – بمُحَمَّدٍ وآلِهِ – **ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلاّ أنت** ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ﴾ لا يمكن أن نفهم الكتاب من دون العترة، ولا يمكن أن نفهم العترة من دون الكتاب ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ يَمُرُّونَ عَلَيهَا﴾ **فبهم ملأت سمائك وأرضك** ﴿وَهُم عَنهَا مُعرِضُونَ * وَمَا يُؤمِنُ أَكثَرُهُم بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشرِكُونَ﴾ الآية تأتي بعدها ﴿قُل هَذِهِ سَبِيلِي أَدعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ قبل قليل تحدَّثنا عنها في معنى الدُّعاة إلى الله ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ يَمُرُّونَ عَلَيهَا﴾ هذه الآية هم آية الله العُظمى، ما لله من آيةٍ أعظم وأكبر من عليٍّ كما يقول، وهذا المعنى هو نفسهُ الذي نجدهُ في سورة فصلت في الآية الثالثة والخمسين ﴿سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِم﴾ هذه الآيات: فبهم ملأت سمائك وأرضك، سنريهم آياتنا، ولكنها لا تعمى الأبصار تعمى القلوب التي في الصدور، ماذا تصنع؟ للمؤمن عيون، عيون في رأسهِ وعيون في قلبه، عيون القلب إذا فُتِحت فإنها ترى هذه الحقائق ﴿سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ﴾ أيُّ حقٍّ هذا؟ حتى يتبين لهم حقيقة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، فبهم ملأت سمائك وأرضك، وهو نفس المعنى الذي نقرأهُ في الزيارة الجامعة الكبيرة، ماذا نقول؟ – **بِكُم فَتَحَ الله وَبِكُم يَختِمُ** – البدايةُ والنهاية منكم وإليكم ﴿سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ﴾ – **وذَلَّ كُلُّ شيءٍ لَكُم** – كما قالت الزيارة الجامعة الكبيرة.

لنرى آيات الكتاب الكريم في سورة النحل ﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُم﴾ نحن قلنا فبهم ملأت سمائك وأرضك ﴿سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِم﴾ ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ﴾ مرت علينا هذه

المضامين، هذه الآيات تُحَدِّثُنا عن زاوية عن جهة من جهات الأرض من جهات الخلق ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَومَ ظَعِنِكُمْ وَيَومَ إِقَامَتِكُمْ وَمِن أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ هذه مصاديق مما هو في عالم الأرض في عالم الحياة، وهذه آياتٌ من آيات السماء والأرض ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** – هذه مصاديق ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ بعد أن عَدّد هذه الأنواع من الجهات الموجودة، من النِعَم، من الصور، من المخلوقات ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ يعني لعلكم تدخلون في الإسلام، لعلكم تتلبسون وتلبسون لباس الإسلام ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ الله سبحانه وتعالى جعل تمام النعمة وربَطَ تمام النعمة بهذه المعاني أن جعل لكم من بيوتكم سَكَناً ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً﴾ إلى آخر الكلام، بعد هذه المعاني قال: ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيكُمْ﴾ جعل تمام النعمة بهذه المعاني وقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ هل المراد هذه المعاني بنفسها؟

نعم في وجهٍ بسيطٍ وساذج قد يكون هذا الكلام، في الوجه الأولي، في الوجه الظاهر من اللفظ، لكن لأن هذه تُشيرُ إلى أصل النعمة، تمام النعمة في عليٍّ وآل عليّ، في الفيض الإلهي المُتجلي في الحقيقة المُحَمَّدية والعلوية، لذلك لو تستمر الآيات ﴿فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ أليس هذه من الآيات التي يراها الناس في الأفاق؟ ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم﴾ ماذا يتبين؟ ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ حتى يتبين الحق ﴿فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ ثُمَّ تقول الآية التي بعدها ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ والنِعمةُ الحقيقية هُم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ * وَيَومَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ هل يُبعث شهيد على هذه الأمم كي يسألهم عن الأوبار والأصواف؟! ﴿وَيَومَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلاَ هُم

يُستَعتَبُونَ * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا العَذَابَ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنهُم وَلاَ هُم يُنظَرُونَ * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشرَكُوا شُرَكَاءهُم قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاء شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدعُو مِن دُونِكَ فَأَلقَوا إِلَيهِمُ القَولَ إِنَّكُم لَكَاذِبُونَ * وَأَلقَوا إِلَى اللّهِ يَومَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنهُم مَّا كَانُوا يَفتَرُونَ * الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللّهِ زِدنَاهُم عَذَابًا فَوقَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفسِدُونَ﴾ هل هذه المعاني تتعلق بأصواف وأوبار وأشعار؟!

أليس لأن هذه الصور للمخلوقات تُشيرُ إلى النعمة التامة ﴿وَيَومَ نَبعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيهِم مِّن أَنفُسِهِم وَجِئنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلنَا عَلَيكَ الكِتَابَ تِبيَاناً لِّكُلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحمَةً وَبُشرَى لِلمُسلِمِينَ * إِنَّ اللّهَ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسَانِ وَإِيتَاء ذِي القُربَى وَيَنهَى عَنِ الفَحشَاء وَالمُنكَرِ﴾ إيتاء ذي القربى من هم؟ ﴿وَيَنهَى عَنِ الفَحشَاء وَالمُنكَرِ وَالبَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ * وَأَوفُوا بِعَهدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّم﴾ إلى آخر الآيات، هذا السياق الواضح في الآيات الكريمة والذي ارتبط بقضية تمام النعمة ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعمَتَهُ عَلَيكُم﴾ والذي جاء في سياق الأوبار والأصواف والأشعار، إنَّما أشارت الآية إلى الأوبار والأصواف والأشعار والبيوت والأكنان والجبال وغير ذلك لأن هذه هي من مظاهر فيض الله، من مظاهر أمر الله وأمرُ الله راجعٌ إليهم، هُم المستقرون في أمر الله، بكم سكنت السواكن وتحركت المُتحركات هي هذه المتحركات، هذه المتحركات التي تحتاجُ إلى الكمال إلى البلوغِ إلى السكونِ والسكينة، ولذلك إذا أردنا أن نتصفح آيات الكتاب الكريم فإنَّ تمام النعمة لا يتعلق بهذه الأشياء.

إذا نذهب إلى سورة المائدة مثلاً، في الآية الثالثة ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلاَمَ دِينًا﴾ هذه الآية تلاحظونها ﴿وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلاَمَ دِينًا﴾ وتلاحظون هذه الآية ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعمَتَهُ عَلَيكُم لَعَلَّكُم تُسلِمُونَ﴾ يعني تمام النعمة والإسلام معاً، بينما المعاني الموجودة في الآيات ﴿جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُم سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنعَامِ بُيُوتًا تَستَخِفُّونَهَا يَومَ ظَعنِكُم وَيَومَ إِقَامَتِكُم وَمِن أَصوَافِهَا وَأَوبَارِهَا وَأَشعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ إلى آخر الكلام، هذه لأنها مظاهر، مظاهر لتلك النعمة التامة، وكُلُّ شيءٍ هو من مظاهر تلك النعمة التامة، هذا المعنى الذي أردت أن أشير إليه بأن آيات الكتاب وأحاديث أهل البيت كُلُّها تتحدث عن حقيقةٍ واحدة، عن حقيقة مُطلقة، هذا لا يعني أنَّ المعاني الأخرى

التي تظهر من الآيات هي ليست صحيحة، آيات الكتاب لها مطالع ومجاري كما علَّمنا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم.

ولذلك حين نذهب إلى سورة الصف ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ هناك تمامٌ للنعمة وهنا تماميةٌ للنور ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ وتستمر الآيات ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ والآية واضحة في إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، فإنَّ أمر النبي ما ظهر ولم يظهر ولن يظهر إلا على يدِ إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ .

نفس التمامية في النور، ونفس التمامية في المعنى في سورة الفتح ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ والروايات واضحة، النبي ليس له ذنب متقدم ومتأخر إنَّما الله سبحانه وتعالى نَسَبَ إليهِ ذنوب شيعة أهل البيت وهذا المعنى كي تُغفر وهذا هو معنى الشفاعة، الآن الشفيع في الدنيا ماذا يقول؟ يقول أحسبها عَلَيّ، أحسب هذا الخطأ عَلَيّ، هذا المعنى البسيط، المعنى الأولي للشفاعة، وإلا شفاعة أهل البيت معناها أعمق من هذا المعنى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ إتمام النعمة والهداية إلى الصراط المستقيم متعلق بأشياع أهل البيت، والنعمة التامة والصراطُ المستقيم هُم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والآيات الكريمة واضحةٌ في ذلك، الروايات أيضاً واضحة في ذلك، والمعاني واضحة وجلية في ذلك.

فنحن حين نخاطب الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله وَالمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله** – إلى أيِّ جهةٍ تقودنا الزيارة؟ – **وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله** – كُلُّ هذه المعاني متفرعة على هذا المعنى: أنهم دُعاةٌ إلى الله، أنَّهم أدلاء على مرضاة الله، وأنهم مستقرون في أمر الله، كُلُّ ذلك لأي شيءٍ؟ لأنهم تامون في محبّة الله – **وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله** – التام هو الذي لا فيه زيادة ولا فيه نقيصة، التام هو الذي لا عيب فيه، التام هو السالمُ الكاملُ الفاضِلُ الذي لا نقص فيه – **وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله** – التامين في محبة الله هذا المعنى لا نستطيع أن نتصورهُ بجلاءٍ وبوضوح إنّما تحومُ أفكارنا حول هذا المعنى:

أولاً: لأننا لا نعرف الله حق معرفتهِ وبالتالي لا نستطيع أن نُحبهُ الحُبَّ الذي يتناسب معه سبحانه وتعالى.

وثانياً: إننا لا نعرف أهل البيت حقَّ معرفتهم حتى نعرف مدى تماميتهم في محبّة الله.

نحنُ لا نعرف الله بِكُنه المعرفة ولا نعرف مَحَبَّة الله بِكُنه المعرفة، المحبَّة متفرعة على المعرفة، نحن حُبُّنا لله متفرع على جهلنا بالله، بينما الحُبّ في معناه الحقيقي أن يكون متفرعاً على المعرفة، غاية معرفتنا هو جهلنا بالله سبحانه وتعالى، فنحن لا نعرف محبة الله بكُنهها لأننا لا نعرف الله بِكُنهه، وهؤلاء تامون في محبَّة الله فكيف نعرفهم حينئذ؟! لا نستطيع، هم مستقرون في أمر الله، كما قرأنا قبل قليل: **الذّي خلقتهُ فاستقرَّ في ظِلّك فلا يَخرجُ مِنكَ إلى غيرك** – فإذا كان لا يخرج منك إلى غيرك فأنى لي بمعرفتهِ، هل يستطيع عقلي أن يلجَ إلى ذلك الوادي، خلقتهُ فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك، أنى لعقلي أن يلج في ذلك الوادي، ذلك الوادي الذي لا يخرج منه إلى غيره، هنا تتوقف الأفكار، هنا يقفُ الكلام، هنا ينقطعُ الخطاب، هنا يأتي العَيّ، هنا يأتي عَيُّ العقول وعَيُّ الأفهام وعَيُّ القلوب وعَيُّ المدارك، ويترتب على ذلك عَيُّ الخطابِ وعَيُّ اللفظ – **وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله** – هذه الحقائق التامة في محبة الله سبحانه وتعالى، نحن قد نتلمس بعض معاني الحُب من خلال كلماتهم من خلال إشاراتٍ تتناسب والمدارك التي نحملها، مثلاً: حين نذهبُ إلى المناجاة الشعبانية.

تلاحظون إننا نعود ونعود ونعود إلى أدعية ومناجيات شهر رجب وشهر شعبان، المناجاة الشعبانية المنقولة عن سيد الأوصياء عن أمير المؤمنين، والكلامُ بحسب مداركنا: **إلَهي هَب لي كمالَ الانقطاعِ إليكَ**، وهذا هو الحُبّ، إذا أردت أن تسأل عن معنى الحُبّ هو هذا، الحُب ما هو منشأه؟ منشأ الحُب جمالٌ في المحبوب وانجذابٌ من المُحِب، هناك جمالٌ في المحبوب ينجذبُ إليهِ المُحِب، بقدر ما يتلمس من جمال المحبوب بقدر ما ينجذب إليه، إذا كان المُحب يتلمَّس من محبوبه، هذا الكلام ينطبق حتى على الجمال الحسي، حتى على الجمال المادي، حتى على هذا الجمال النسبي المحدود في حياتنا، المُحِب بقدر ما يتلمَّس ويتحسس ويتذوق من جمال المحبوب ينجذب إليه، ولذلك هذا الذي سأل الإمام الرضا قال يا ابن رسول الله ما لي من المنزلة عندك؟ قال: أنظر إلى قلبك ما لي من المنزلة عندك فإنَّ لك عندي من المنزلة بقدرها، انجذاب بين المُحِب والمحبوب، هذا الانجذاب أصلهُ الجمال، المُحِب يرى جمالاً في محبوبهِ فينجذب إلى المحبوب بقدر ذلك الجمال.

ولذلك قبل قليل قلتُ بأنَّ حُبَّنا ليس هو الحُب الحقيقي لأن الحب مبني على جهل بالجمال، لأننا لا نعرف الله نُحِبُّهُ من هذه الجهة، لا نعرفهُ حقَّ معرفتهِ، نُحِبُّهُ من هذه الجهة ولذلك هذا الحُب لن يكون حقيقياً إلا بِحُبِّ أهل البيت، لأن الله سبحانه وتعالى فتحَ لنا باباً آخر يوصِلُنا إلى حُبِّهِ، لأنهُ يعلم بأننا لا نعرف كُنهه فكيف نُحِبُّهُ ونحن لا نعرف كُنهه، من أحبَّكُم أحَبَّ الله، من أبغَضَكُم أبغَضَ الله، من أراد الله بدأ بِكُم، القانون الأوضح في الزيارة الجامعة، أمير المؤمنين في المناجاة الشعبانية: **إلَهي هَب لي كمالَ الانقطاع إليكَ،**

كمال الانقطاع ليس فقط انقطاع وإنَّما كمال الانقطاع، وإنَّما يصلُ الإنسان إلى كمال الانقطاع إذا بلغ الذورة في أن ينسى ما حولهُ ويتعلق بالمحبوب فينقطع إليه، متى ينقطع الإنسان إلى شيء؟ إذا انقطع عن غيرهِ، ينقطعُ عن الأغيار فحينئذٍ، هذا المعنى الذي جاء في دعاءِ سيد الشهداء في يوم عرفة: **يا من استوى برحمانيتهِ فصار العرشُ غيباً في ذاتهِ مَحَقت الآثار بالآثار ومَحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار** – محوتَ الأغيار، هذا هو قلبُ حُسينٍ، محقت الآثار بالآثار ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار – **إلَهي هَب لي كمالَ الانقطاع إليكَ** – في نفس دعاءِ سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول: **فأرجعني إليكَ بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليكَ منها** – من أي شيءٍ؟ من الآثار – **كما دخلتُ إليكَ منها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهِمَّةِ عن الاعتماد عليها** – انقطاعٌ عن غير الله إلى الله هذا كلامٌ نظريٌ أنا أرددهُ، لا أنا أعرف حقيقة معناه ولا غيري، هذا كلامُ عليٍّ – **إلَهي هَب لي كمالَ الانقطاع إليكَ** – وإلى ذلك إشارة – **وإن أدخلتني النار أعلمت أهلها أني أُحِبُّك** – في نفس المناجاة – **أعلمتُ أهلها أني أُحِبُّك** – لأنه منقطعٌ عن غيرهِ، ليس عندهُ إلا هذا الحُب إلاّ كمالُ الانقطاع، هذه إشارات ورموز في كلماتهِ صلوات الله وسلامه عليه – **وإن أدخلتني النار أعلمت أهلها أني أُحِبُّك** – نحنُ هل نستطيع أن نصلَ إلى هذه المراتب؟ مجازاً نعم نستطيع، حقيقةً لا نستطيع، لأننا أساساً لا نستطيع أن نعرف حُبَّ الله بكُنه المعرفة.

في مناجاة المُحبين المنقولة عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه: **إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبّتِكَ فرامَ منك بدلاً** – نحنُ هل ذِقنا حلاوة مَحَبَّة الله؟ لو ذقنا حلاوة محبّة الله، إنَّما رُمنا من الله سبحانه وتعالى بدلاً، إنما انقطعت أنظارنا وعقولنا وقلوبنا إلى التوافه في الحياة، نحنُ مشغولون بالتوافه لا نستطيع أن نترجم هذه المعاني على حياتنا، والتامينَ في محبة الله والحديث هنا عن الأفق الأرضي أما الأفق العالية فلا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخَلقُك، كما قال إمامنا الحُجة في دعاء شهر رجب: **إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبّتِكَ فرامَ منك بدلاً ومن ذا الذي أنِسَ بقربك فابتغى عنك حِولاً**، حِولاً يعني تحول إلى غيرك، إلى أن تقول المناجاة: **وهيَّمت قلبه لإرادتك**، هيّمت قلبه، الهيام العشق وأكثر من العشق، وهيّمت قلبهُ يعني أن قلب المُحِب عاشقٌ لِما يريدهُ، حينما يكون قلب المُحب عاشقٌ لِما يريدهُ يعني أنَّه قد انتفت إرادته، فأصبحت إرادتهُ إرادته، أصبحت إرادةُ الله إرادة عبدهِ، وإرادةُ عبدهِ إرادةُ الله، إذا شئنا شاء الله وإذا شاء الله شئنا كما قالوا هم صلوات الله عليهم – **وهيَّمت قلبه لإرادتك** – في آخر المُناجاة، المُناجاة كلها بحاجة إلى قراءة وإلى شرح لكن الوقت لا يكفي، أنتم راجعوا المناجاة مناجاة المُحبين: **أسألُكَ حُبَّكَ وحُبَّ من يُحِبُّك وحُبَّ كُلِّ عملٍ يوصلني إلى قُربك وأن تجعلك أحبَّ إليَّ مما سِواك**

وأن تجعل حُبي إياكَ قائداً إلى رضوانك وشوقي إليك ذائداً عن عصيانك – إلى آخر الكلام، هذه لمحات وصور من معنى محبة الله سبحانه وتعالى.

أنا كان في بالي أن أقرأ مقاطع من مناجاة المريدين وهي مشحونةٌ بهذه المضامين لكنني أرى الوقت يجري سريعاً وكان في بالي أن أقرا مقاطع من دعاء كميل ومن أدعيةٍ أخرى تتناول هذه المضامين وهذه المعاني، لكن الوقت لا يكفي.

في مناجاة المريدين فقط أشير إلى هذه العبارة: **فأنتَ لا غيرُكَ مُرادي – هَب لي كمال الانقطاع إليك – فأنت لا غيرُك مُرادي** – إلى أن يقول في مناجاتهِ في آخر المناجاة: **يا نعيمي وجنتي ويا دُنياي وآخرتي** – والإمام هنا عَدّد هذه العناوين لأن هذه العناوين الأهم في معرفة الإنسان وإلا القضية لا تكون محصورة بهذه العناوين فقط، يا نعيمي وجنتي ويا دنياي وآخرتي، فأنت أنت لا غيرُك مرادي، هَب لي كمال الانقطاع إليك، من ذا الذي ذاق حلاوة محبَّتِك فرامَ منك بدلاً، هذه المعاني تتجلى في أهل البيت لأنهم عَرِفوا الله، لأنهم عَرِفوا جمال الله بل هُم جمالُ الله وهم أجمل الجمال، ولأنهم أجمل الجمال أمرنا بِحُبِّهم، لكن هناك حقيقة تخفى علينا، هناك حقيقة في غاية الأهمية ونحنُ نتحدَّثُ عن حُبِّ الله وعن حُبِّ أهل البيت، مثل ما قلت قبل قليل بأن حُبَّنا للهِ مبنيٌ على جهلنا بِكُنه الله، كذلك هو حُبُّنا لأهل البيت مبنيٌ على جهلنا بِكُنه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإلاّ هذا القرآن يصدعُ بين آذاننا:

هذه سورة الشورى والآية الثالثة والعشرون ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ آمنوا وعملوا الصالحات ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ قُل لَّا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً: النبيُ يُطالبنا بأجر، النبي ما قال لنا حُبُّوا أهل البيت لجمالهم، لأنه يعلم بأننا لا نُدرِكُ جمالهم، وإنَّما من لطفهِ أن كانت هذه المعاقدة وهذه المقايضة أنني أرشدتكم وهديتكم ورسمتُ لكم صراطاً مستقيماً أريدُ أجراً على ذلك، هذا الصراط المستقيم وهذه الهداية يمكنكم أن تتحسسوا جمالها، فلأنكم تتحسون جمال هذه الهداية لأن الآية خاطبت الذين آمنوا ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الذين آمنوا بصراط مُحَمَّد وعَمِلوا بصالحات مُحَمَّد، هُم تحسسوا حلاوة الإيمان شيئاً من جمال الإيمان وشيئاً من جمال الصالحات، النبي قال: لأنكم تحسستم جمال هذه الأشياء فأريدُ أجراً لجمالها، الأجر لجمالها مودّة العترة وليس لجمال العترة فإننا لا نُدرِكُ من جمال العترة شيئاً، فهم حقيقةٌ تامة في محبّة الله، كيف نُدرِكُ هذه الحقيقة التامة؟ إنما نُدرِكُ شيئاً من آثارها كما مرت علينا الآيات

قبل قليل في سورة النحل، الآيات في سورة النحل ماذا حدَّثتنا؟

حدثتنا: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُم سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾ هذه أشياء نحن نستطيع أن نُدركها، نُدرَكَ جمالها ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ هذه مظاهر لإتمام النعمة لأننا نُدرِكُ هذه الأشياء نُدرَكُ هذه المعاني، لكننا هل نُدرِكُ جمال الحقيقة المُحَمَّدية والعلوية؟! أبداً، لذلك كان، كان أجر الرسالة في مقابل الرسالة في مقابل الصراط المستقيم، في مقابل الهداية لا في مقابل جمال آل مُحَمَّد، هذه المودّة مودَّةٌ لمعرفتنا بجمال مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ بالجملة، والمعرفة حينما تكون بالجملة ليست معرفة حقيقية، معرفة تدور حول الحقيقة، لذلك نحن لا نستذوق جمال مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، قالوا: قولوا فينا ما شئتم لأنكم لا تعرفون حقيقتنا، قولوا فينا ما شئتم، نزهونا عن الربوبية، نزهونا أرباباً تُعبد وقولوا فينا ما شئتم، لماذا أطلقوا لنا القول؟ لماذا أجازوا لنا هذه الإجازة المُطلقة؟ لأننا أصلاً لا نعرف جمالهم لا نعرف قيمتهم، وكُلُّ ما نقوله بحسبنا وكُلُّ ما نُدركهُ بحسبنا، لذلك حُبُّنا لأهل البيت بحسَبِنا لا بِحَسَبهم، ما سألتكم من أجر فهو لكم، القرآن يقول فهو لَكُم، لَكُم، لأنه بحَسَبِنا لا بحَسَب أهل البيت، فأهل البيت أعظم وأعظم، الذي خلقته فاستقرَّ في ظلك فلا يخرجُ منك إلى غيرك، وإنما ما يخرج منه هو شيءٌ من آثارِهِ، شيءٌ من ألطافهِ – **وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله** – كان في بالي أن أشير إلى مطالب أخرى لكن الحديث قادني يميناً وشمالاً والمطالب هذه مطالب عميقة وإذا أردنا أن نسترسل في الحديث فذلك يحتاج إلى حلقات وحلقات وأنا أحاول أن ألملم أطراف الحديث، ألملم المعاني بقدرِ ما أتمكن.

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله وَالمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله.

أقولُ يا أمير المؤمنين، أقولُ سيدي يا إمام زماني:

جَمَالُكَ شيءٌ، حُبُّكَ شيءٌ، وأنا شيءٌ

وأما أنتَ يا أميرَ الأُمراءِ فشيءٌ لكن لا كالأشياءِ

عباراتُنا شتى وحُسنُك واحدٌ وكُلٌّ إلى ذاكَ الجمال يُشيرُ

تمام الحديث يأتينا إن شاء الله في يوم غد، البرنامج متواصل معكم بث مباشر في نفس الوقت وعلى نفس الشاشة على شاشة المودّة ألقاكم على مودّةِ إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه في يوم غد أسألكم الدعاء وفي أمان الله.

الحلقة الثانية والعشرون

معنى والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ اللهِ والمُظهِرِينَ لأَمرِ اللهِ ونَهيِهِ وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ

السَّلامُ عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته أحباب عليٍّ وآل عليّ أيُّها الزهرائيون، أيُّها المنتظرون إمام زمانهم تحياتي المتواصلة ودعائي أن أُوفَقَ لخدمتِكُم، وهذه الحلقة الثانية والعشرون من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، كانَ الحديثُ في الحلقة الماضية في الشطر الأول من المقطع الرابع من المقاطع الخمسة التي تُمثِّلُ الأُسُسَ والقواعد لفهم الزيارة الجامعة الكبيرة ولبقية الزيارات الشريفة التي وردت عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المقطعُ الرابع:

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى اللهِ وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ اللهِ والمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ اللهِ وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللهِ – تَقَدَّمَ الكلامُ في هذه العناوين في الحلقة الماضية. الشطرُ الثاني من المقطع الرابع: **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ اللهِ والمُظهِرِينَ لأمرِ اللهِ وَنَهيِهِ وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لايَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلونَ وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.**

العناوين كلها ترتبطُ معانيها وتتعانق فحاواها، مرَّ الكلامُ في معنى المستقرينَ في أمر الله والتامين في محبة الله، وإنما تتفرع هذه المعاني وهذه الحقائق على حقيقةٍ واضحةٍ جلية جاءت مذكورةً هنا: **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ اللهِ** – المقطع الرابع ابتدأ: **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى اللهِ** – هُم دُعاةٌ إلى اللهِ في كُلِّ طبقات الوجود، ثُمَّ هُم أدلاءٌ على مرضاة الله، الدعوةُ إلى الله والدلالةُ على مرضاة الله يتفقانِ في الحقيقةِ وفي المضمون ويتفرعُ كُلُّ ذلك على معنى الاستقرار في أمر الله – **والمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ اللهِ** – ويتفرَّعُ كُلُّ ذلك ويلتقي به في جميع جهاتهِ في معنى التمامية في محبَّة الله – **وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللهِ والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ اللهِ** – هُناك من يقرأها: **والمُخلِصِينَ فِي تَوحِيدِ اللهِ** – وأهلُ البيتِ هُم سادةُ المُخلِصين، وأهلُ البيتِ هُم من عَلَّموا الناس الإخلاص في توحيد الله، هُم حقيقةُ الإخلاص وهُم المظهرُ الأتم للإخلاص في توحيد الله، لكنَّ

القراءة الصحيحة: **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله** – هناك عندنا إخلاصٌ، وهناك عندنا خُلُوصٌ، وهناك عندنا تخليصٌ وتَخَلُّص، وهذه مراتبٌ تختلفُ معانيها وتختلفُ مضامينها – **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله** – نحنُ لا نستطيعُ أن نتصور حقيقة هذا المعنى في من وصفتهم كلماتُ أهل البيت كما جاء في دعاءِ شهر رجب، الدعاء الذي أشرتُ إليه يوم أمس الدعاء المروي عن إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه: **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت،** هذا هو معنى المُخلَصينَ في توحيد الله، فهل نستطيع أن نتصور حقيقة هذا المعنى؟! فبهم ملأت سمائك وأرضك، ليسَ الحديثُ عن تبليغٍ بالألفاظ، وليس الحديثُ عن دعوةٍ للناس – **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** – هذا هو معنى أنَّهم مُخلَصون في توحيد الله، نحنُ لا نستطيع أن نُدرك هذه الحقيقة، لكننا نبدأ من الجهة الضعيفة لمعنى الإخلاصِ ولمعنى الخُلُوص في توحيد الله في توحيدنا نحنُ.

كيف نستطيعُ أن نُحَقّقَ معنى الإخلاص في التوحيد؟ ما هو معنى الإخلاصِ في التوحيد بالنسبةِ لنا؟ ومن خلال هذه الفتحة الصغيرة وهذه العدسة المُظلِمة، من خلال هذه العدسة المُظلِمة، هي عدسةٌ منيرةٌ بالنسبة لنا، لكنها مُظلِمةٌ بالنسبةِ للحقيقة إذ أننا لا نستطيعُ أن نُبصِر بها شيئاً، ما نُبصِرهُ هو بِحَسَبِنا، بِحَسَبِ كاشفية عقولنا وبِحَسَب نورية مداركنا، وما نملكُ من كاشفيةٍ ومن نورية هي لا شيء في جنبِ من نُخاطِبُهم: **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله،** والذين يصفهم إمامُ زماننا: **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت،** وهذه هي حقيقةُ توحيد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نحنُ في زيارتنا للإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه، وإمامنا الرضا هو ركنُ التوحيد، أهلُ البيت كلهم أركانٌ للتوحيد، لكن هناك الأشهر الحُرُم، العَليّون الأربعة، الأركان الحُرُم: سيدُ الأوصياء وسجاد العترة الطاهرة وإمامُنا الرضا الذي أريدُ أن أقرأ سطوراً مما جاء في دعاء زيارتهِ، وإمامنا الهادي والذي نحنُ نتحدثُ بحديثهِ، فالزيارة الجامعة الكبيرة هي ما فاضت بها شفاه إمامنا الهادي النقي صلوات الله وسلامه عليه، أولئك هم أركان التوحيد الأربعة في سلسلة العصمة والولاية والنبوة، إمامنا الرضا في زيارتهِ الشريفة في الدعاء الذي يُقرأُ بعد زيارتهِ، ماذا يقرأ الزائر وماذا يقول الداعي في دعائهِ؟ الدعاء طويل أنا أشيرُ إلى موطن الحاجة، إلى أن يقول الداعي وهو يخاطبه سبحانه وتعالى:

يا معروف العارفين، يا معبود العابدين، يا مشكور الشاكرين، يا جليس الذاكرين، يا محمود من حَمِده، يا موجود من طلبه، يا موصوف من وحده، يا محبوب من أحبه، يا غوث من أراده، يا مقصود من أنابَ إليه، يا من لا يَعلمُ الغيبَ إلا هو، يا من لا يصرفُ السوء إلا هو، يا من لا يُدَبِّرُ الأمر إلا هو، يا من لا يغفر الذنبَ إلا هو، يا من لا يخلق الخلق إلا هو، يا من لا يُنَزِّلُ الغيثَ إلا هو – بعد

كُلِّ هذه المِدحةِ، بعد كُلِّ هذا التسبيحِ والتنزيه والتمجيدِ لله سبحانه وتعالى – **صلّي على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد واغفر لي يا خير الغافرين** – بعد كُلِّ هذا التمجيد يطلب الداعي هنا المغفرة، ويطلبها بوسيلةِ أيِّ أسمٍ؟ – **يا خير الغافرين** – وخير الغافرين هو الذي يغفرُ كُلَّ شيء، هو هذا خير الغافرين، هو الذي يغفر كُلَّ شيء، بعد هذه المِدحةِ الشريفة – **صلّي على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد** – الوسيلة هنا – **واغفر لي يا خير الغافرين** – خيرُ الغافرين هو الذي يغفرُ كُلَّ شيء، ما تقدمَ وما تأخر وما نحنُ فيه، نحنُ نستغفر الباري لِما تقدم من ذنوبنا ولِما تأخر منها ولِما نحنُ فيه، حتى لو كُنا في أفضل الطاعات فنحن قاصرون ومُقَصِّرون، حتى لو كُنَّا في أفضل الطاعات وفي أجمل الطاعات فنحن نستغفرهُ ونتوب إليه لأننا قاصرون ومُقَصِّرون ومهما فعلنا فنحنُ على حد التقصير – **واغفر لي يا خير الغافرين** – طلبٌ للمغفرة التامة من أين أعرفُ هذا المعنى؟ من أسمِهِ خيرُ الغافرين، خيرُ الغافرين هو الذي يغفرُ المغفرة التامة، وهُنا الداعي يطلبُ المغفرة التامة فماذا بعدها – **ربي إنّي استغفرك استغفار حياء** – بعد المغفرة التامة سيأتي استغفارٌ آخر، وهذه العناوين بحاجةٍ إلى شرح لكنني لست بصدد شرح للدعاء أريدُ أن أصِلَ إلى نقطةٍ مهمة.

هذا الدعاء يتحدَّث عن مراتب سلوك النفس الإنسانية وتصاعدها في التوبة والمغفرة حتى تصل القلوب إلى مستوى الإخلاص، والإخلاصُ يأتي بعدهُ الخُلُوص، وبعد الخلوص يأتي التخليصُ والتخَلُّص – **واغفر لي يا خير الغافرين، ربي إنّي استغفرك استغفار حياء واستغفرك استغفار رجاء** – هذه مرتبة ثالثة من الاستغفار، اغفر لي يا خير الغافرين: هذه مرتبة أولى، استغفرك استغفار حياء: مرتبة ثانية، واستغفرك استغفار رجاء، وفارقٌ بين الحياء والرجاء، ولكل عنوانٍ دلالاتهِ ومضامينه – **واستغفرك استغفار إنابة** – وهذه المرتبة الرابعة – **واستغفرك استغفار رغبة** – وهذه الخامسة – **واستغفرك استغفار رهبة** – وهذه السادسة – **واستغفرك استغفار طاعة** – وهذه السابعة – **واستغفرك استغفار إيمان** – وهذه الثامنة – **واستغفرك استغفار إقرار** – وهذه التاسعة – **واستغفرك استغفار إخلاص** – وهذه العاشرة.

والاستغفار هو تطهيرٌ وتنقيةٌ وتجميلٌ وتخليةٌ وتحليةٌ، الاستغفارُ نقاءٌ بعد نقاء، هذه عشرة مراتب، هذه مراتب تتلو مراتب، مرتبة بعد مرتبة، هذه عشر مراتب: المرتبة الأولى: اغفر لي يا خير الغافرين، ثم جاءت مغفرة الحياء، مغفرة الرجاء، مغفرة الإنابة، مغفرة الرغبة، مغفرة الرهبة، مغفرة الطاعة مغفرة الإيمان، مغفرة الإقرار، ثم جاءت مغفرة الإخلاص، لابد أن يمر الإنسانُ بكل هذه المراتب من التنقية ومن التطهير حتى يصلَ إلى مرتبة الإخلاص، ولا يصلُ الإنسان إلى مرتبة الإخلاص إلا بعد استغفار الإخلاص – **واستغفرك استغفار إخلاص** – إذاً كم هي المسافة فيما بيننا وبين الإخلاص؟ هناك مسافةٌ بعيدة، هذا بالنسبة لنا وكما قلتُ في أول حديثي الكاشفيةُ والنورية في مداركنا محدودة تكاد أن تكون ظُلمة بالقياسِ إلى الكاشفيةِ

والنورية العالية في المراتب العالية من الإيمان، لا إلى مراتب أهل البيت، إلى المراتب العالية، كالمرتبة العاشرة التي كان يحظى بها سلمان رضوان الله تعالى عليه وأمثال سلمان، وبعد الإخلاص يأتي الخُلُوص – **واستغفرك استغفار تقوى** – الإخلاص هو نقاء القلبِ من الأغيار، الإخلاص هو أن الإنسان يتوجهُ إلى جهةٍ واحدة ولا يتوجهُ إلى غيرها، أتدري أن أصحاب اليقين يقولون بأن الذي يتوجهُ إلى مضمون ما يقول في صلاتهِ فإنه خارج حد الإخلاص، نحنُ حتى هذا الحد ما وصلنا إليه، نحنُ نصلي ولا نلتفتُ إلى مضامين ما نقول، الروايات الشريفة عن أهل بيت العصمة تقول بأنَّ من صلّى فريضة ومن صلى ركعتين وهو يعلمُ ما يقول ملتفت إلى ما يقول فقد ضَمِنَ الجنة، وهو يعلم ما يقول في أول مراتبها أنه يلتفتُ إلى الألفاظِ وإلى معانيها.

أصحابُ اليقين يقولون بأن الذي ينشغلُ بالألفاظ والمعاني وهذا الذي نجدهُ بالنسبة لنا في غاية الصعوبة لأن الأذهان والعقول والقلوب تذهب يميناً وشِمالاً فلا نعلم ما نقول إلا قليلاً مما نقول، أصحابُ اليقين يقولون بأنَّ الذي يكون منشغلاً ملتفتاً إلى ما يقول فإنهُ ما كان في حد الإخلاص، فإنه خارجٌ من حد الإخلاص، لأنه قد توجهَ إلى الألفاظِ والمعاني التي في داخل هذه الألفاظ وما توجه إلى الله، أما الخلوصُ فشيءٌ آخر، بعد استغفار الإخلاص ماذا يقول دعاء زيارة الإمام الرضا صلوات الله عليه؟ – **واستغفرك استغفار تقوى** – هذا أولاً – **واستغفرك استغفار توكل** – وتلك من أعلى مراتب السلوك الإنساني إلى الله – **واستغفرك استغفار تقوى، واستغفرك استغفار توكل، واستغفرك استغفار ذِلَّة** – وتلك أحلى معاني الاستغفار، حين يستشعر العبد ذلّتهُ بين يدي الباري، حلاوة العبادة هو في استشعار الذِلَّة – **مولاي يا مولاي أنت الكبير وأنا الحقير وهل يرحم الحقير إلا الكبير، مولاي يا مولاي أنت العظيم وأنا الصغير وهل يرحم الصغيرَ إلا العظيم، مولاي يا مولاي أنت الدائمُ وأنا الزائل وهل يرحمُ الزائل إلا الدائم، مولاي يا مولاي أنت الباقي وأنا الفاني وهل يرحم الفاني إلا الباقي، مولاي يا مولاي أنت الحيُّ وأنا الميت وهل يرحم الميتَ إلا الحيّ، مولاي يا مولاي أنت الغنيُ وأنا الفقير وهل يرحم الفقير إلا الغني، مولاي يا مولاي أنتَ العزيزُ وأنا الذليل وهل يرحم الذليل إلا العزيز** – واستغفرك استغفار ذِلَّة، هذا القِسمُ الثالث بعد المراتب العشرة التي مرت – **واستغفرك استغفار عاملٍ لك هاربِ منك إليك** – وهذا هو الخُلُوص، هذه أربعةٌ بعد عشرة، وهذا من أعدادنا المقدسة أنتم تعرفونه، عشرةٌ من المراتب وصلنا إلى الإخلاص وبعد الإخلاص أربعةٌ من المراتب ووصلنا إلى الخُلُوص، الخُلُوص هو هذا – **واستغفرك استغفار عاملٍ لك** – عاملٍ لك في كُلِّ آنٍ من آناتي ومع ذلك – **هاربٌ منك إليك** – هو عاملٌ مخلصٌ، من هو العامل؟

هو المخلص ولكنه هاربٌ حتى من إخلاصه إليك وهذا هو الخُلُوص، عاملٌ لك، لا يكون عاملاً لك حتى يكون مُخلِصاً، بعد كل ذلك الإخلاص فهو عاملٌ لك، لكنه هاربٌ حتى من عملهِ الذي أخلص فيه، هاربٌ من إخلاصهِ إليك، فَفِرّوا إلى الله، فِرّوا، القرآن يأمرنا بذلك، فَفِرّوا إلى الله، هو هذا الفِرار، فَفِرّوا إلى الله – **واستغفرك استغفار عاملٍ لك هاربٍ منك إليك** – وأيُّ عاملٍ؟ هو عاملٌ لك في كُلِّ آناتهِ بعد الإخلاصِ وبعد استغفار التقوى واستغفار التوكل واستغفار الذلة، فهنا يستغفر استغفار العامل لله لكنه يهربُ من الله إلى الله، لا يمكنُ الفرار من حكومتك، إلى أين أفر؟ أفرُ منك إليك، وهذا ليس فِراراً من ذنوب، المذكور هنا في هذه الزيارة الشريفة في هذا الدعاء في دعاء الزيارة، هذا فِرارٌ إلى الله، فِرارٌ من النقص ومن كل نقص، فِرارٌ من القُصورِ والتقصير في كل أبعادهِ.

في المناجاة الشعبانية المروية عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه هناك إشارةٌ جميلةٌ إلى هذا العامل – **إلهي واجعلني ممن ناديتهُ فأجابك ولاحظتهُ فَصَعِق لجلالك فناجيتهُ سِرّاً وعَمِلَ لك جهراً** – هذا هو العامل الذي يستغفرُ في تلك الزيارة – **واستغفرك استغفار عاملٍ لك هاربٍ منك إليك** – من هو هذا العامل؟ – **إلهي اجعلني ممن ناديتهُ فأجابك** – ناديتهُ بنداء التوحيد فأجابك بجواب الإخلاص – **إلهي واجعلني ممن ناديتهُ فأجابك ولاحظتهُ فَصَعِق لجلالك فناجيتهُ سِرّاً** – عبدي تَقَدَّم إليَّ شبراً أتقدم إليك ميلاً، حين أُخلِصُ إليه سيُناجيني – **فناجيتهُ سِرّاً وعَمِلَ لك جهراً** – هذا هو العامل الذي يحمل هذه الأوصاف ومع ذلك هو يهربُ من هذه الأوصاف إلى الله – **واستغفرك استغفار عاملٍ لك هاربٍ منك إليك** – وهذا هو معنى الخُلُوص، الخُلُوص ما بعد الإخلاص، أن العبد يتخلص من كل ما يتعلق بذاته، بذاتياتهِ وبعوارضهِ.

بيني وبينك إنّي يُنازعني فارفع بِلُطفِكَ إنّي من البينِ

بيني وبينك إني، أنا، بما عندي من ذاتياتٍ ومن عرضيات، بكل ما في وجودي وشؤونات وجودي.

بيني وبينك إنّي يُنازعني فارفع بِلُطفِكَ إنّي من البينِ

فناجيتهُ سِرّاً وعَمِلَ لك جهراً – هذا هو التوحيد الذي يمكن أن نتلمس شيئاً من معناه فيما رواه شيخنا الطوسي رضوان الله تعالى عليه في كتابهِ: (مصباح المتهجد وسلاحُ المتعبد) وهو من أمهات كتب الأدعية والمزارات والأعمال، من أمهات كتب الأدعية ومن المصادر الأساسية لكتاب مفاتيح الجنان، في أدعية الأيام والليالي دعاء يرويه الشيخ الطوسي يُقرأ في ليلة الخميس، فيه من أجمل معاني التوحيد، وكُلُّ أدعية أهل البيت تحتوي على هذه المضامين لكنني أوردتهُ على سبيل المثال: **سُبحانكَ ربّنا ولكَ الحمد أنتَ الذي بِكَلِمَتك خلقت جميع خلقك** – بكلمة تكلم كلمة ومن تلك الكلمة خلق الخلق، أول ما خلق الله

المشيئة خلقها بنفسها، خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الخلق بالمشيئة وتلك هي الكلمة، تلك هي كلمة الله، اللَّهُمَّ إني أسألُك من كلماتك بأتمها، تلك هي الكلمة الأتم – **سُبحانكَ ربّنا ولكَ الحمد أنتَ الذي بِكَلِمَتك خلقت جميع خلقك وكُلُّ مشيتك أتتكَ** – مشيتك التي خلقتها بنفسها، خلق الخلق بالمشيئة ولكن خلق المشيئة بنفسها – **أنتَ الّذي بكلمتك خلقتَ جَميع خلقك وكُلُّ مشيتك أتتكَ بلا لغوب** – لغوب يعني تعب مشقة – **وكُلُّ مشيتك أتتكَ بلا لغوب آتيت مشيتك ولم تأن فيها لمؤونة** – يعني لم تحتج فيها لمؤونة – **ولم تنصب فيها لمشقة** – النصب هو التعب – **وكان عرشك على الماء والظُلمةُ على الهواء، والملائكة يحملون عرشك عرش النور والكرامة ويسبحون بحمدك والخلقُ مطيعٌ لك خاشعٌ من خوفك لا يُرى فيه** – في هذا الوجود، في هذا الخلق – **نورٌ إلا نورك** – الكلمة الأولى، النور الأول الذي منه تنورت الأنوار – **لا يُرى فيه نورٌ إلا نورك ولا يُسمعُ صوتٌ إلا صوتك حقيقٌ بما لا يحقُّ إلا لك خالق الخلق ومبتدعهُ، توحدت بأمرك تفردت بِمُلكِك فتعظمَّت بكبريائك وتعززت بجبروتك وتسلطت بقوتك وتعاليت بقدرتك وأنت بالمنظر الأعلى فوق السماوات العُلى كيف لا يقصرُ دونك علم العلماء** – وأينَ يقع علم العلماء؟

كيف لا يقصر دونك علم العلماء، سبحانك سبحانك تعاليت عمَّا يقول الظالمون – في نفس الدعاء الشريف هذا الذي تُستحبُّ قراءتهُ في ليالي الخميس كما رواه شيخنا الطوسي رضوان الله تعالى عليه، الدعاء طويل أُشيرُ إلى مقطعٍ آخر منه وهو موطن الحاجة في حديثي – **اللَّهُمَّ إني أسألُكَ باسمك الذي** – أيُّ أسمٍ هذا؟ هذا الأسم الذي خلقتهُ فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك كما جاء في دعاء ليلة المبعث ويوم المبعث، يعني في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب وفي يومها – **اللَّهُمَّ إني أسألُكَ باسمك الذي إذا ذُكِرَ اهتزَّ له عرشك** – أيُّ أسمٍ هذا؟! أيُّ عَظَمَةٍ لهذا الاسم – **اللَّهُمَّ إني أسألُكَ باسمك الذي إذا ذُكِرَ اهتزَّ له عرشك وتهلل له نورك واستبشرت له ملائكتك والذي إذا ذُكِر تزعزعت لهُ السماوات والأرض** – هنا إشارة إلى مجالي الجمال والجلال – **إذا ذُكِرَ اهتزَّ له عرشك وتهلل له نورك واستبشرت له ملائكتك** – هذه مجالي الجمال في اسمهِ الأعظم الأعظم الأعز الأجل الأكرم – **والذي إذا ذُكِر تزعزعت لهُ السماوات** – هذه مجالي الجلال في اسمه – **والذي إذا ذُكِر تزعزعت لهُ السماوات** – مجالي الجلال والجبروت – **والذي إذا ذُكِر تزعزعت لهُ السماوات والأرض والشجر والدواب، والذي إذا ذُكِر تفتحت** – هذه مجالي الرحمة، هذه الرحمة التي سبقت الغضب – **والذي إذا ذُكِر تفتحت له أبواب السماء وأشرقت له الأرض وسبحت له الجبال والذي إذا ذُكِر تصدّعت له الأرض وقدست له الملائكة والإنس وتفجرت له الأنهار والذي إذا ذُكِر ارتعدت منه**

النفوس ووجلت منه القلوب وخشعت له الأصوات – سبحانه من هو هكذا لا هكذا غيرهُ.

أدعية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أفضل مواطن معرفة حقيقة التوحيد، أدعية أهل البيت كنوزٌ لا يستطيع الإنسان أن يعرف قيمتها، وبحورٌ لا يستطيع الإنسان مهما أوتي من قدرةٍ على الغوصِ في المعارف والمعاني أن يُبحر فيها أو أن يغوص في أسرارها وإنما نحن نأخذ منها كالذي يغمس إصبعه في البحر، كالذي يغمس إبرةً في البحر فماذا يأخذُ من البحر بهذه الإبرة؟ أنت حين تغمس إصبعك في البحر كم من الماء تأخذ من ماء البحر؟ واللهِ إن ما نأخذه من الكنوز والمعاني التي سطرها لنا أهل البيت في أدعيتهم ومُناجياتهم لهو أقلُّ وأقلُّ وأقلُّ بكثيرٍ من هذا الذي نأخذهُ حين نُغطِس أصابعنا في بحرٍ من البحور، أيُّ ماءٍ أيُّ مقدارٍ من الماء نأخذه ونحنُ نغطس إصبعاً من أصابعنا في البحر، ما نأخذهُ من أسرار ومن حقائق وإشارات ولُبابِ ولطائف ما ذكرهُ أهل البيت في أدعيتهم ومُناجياتهم التي وضعوها لنا كمراقٍ نرتقي بها إلى الله، ووضعوها لنا كلوحاتٍ فنيةٍ ملكوتيةٍ نستشفُ منها معنى التوحيد ونستشفُّ منها كيف نتعامل مع الله وكيف نُخلِصُ وكيف نَخلُص، هناك إخلاصٌ وهناك خلوص، كُلُّ هذه المعاني في مستوى العبيد من أمثالنا، إذاً أينَ نحنُ من معاني الإخلاصِ والخلوص والتخَلُّص في أهل البيت؟

تلك معانٍ نحنُ لا نُدركها، نحن يمكن أن نُدرك معاني الإخلاص لأمثالنا فإننا نملك قلوباً كقلوب أمثالنا يمكننا أن نعرف شيئاً من معنى الإخلاص، وإن كان الإخلاصُ في حقيقتهِ لا يستطيع الإنسان أن يُدركهُ إلاّ أن يبلغ هذه المرتبة، وكُلُّ عبدٍ له درجةٌ من الإخلاص لا يستطيع أن يُدرك إخلاص العبد الآخر، فكيف بإخلاص أهل البيت، وكيف بِخُلوص أهل البيت، وكيف بالتخَلُّص والتخليص وهي مراتب أعلى من الإخلاصِ والخلوص، هذا هو معنى لا تسبّوا عليَّاً، والحديثُ ترويه الخاصة والعامة، لا تسبّوا عليَّاً فإنَّه ممسوسٌ بذات الله، ممسوسٌ بذات الله هو تعبيرٌ تقريبيٌ يُقرِّبُ لنا معنى ما تقولهُ الزيارة: **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله – السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله والمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله** – إنما تَمَّوا في محبة الله لأنهم مُخلَصون في توحيد الله – **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله** – وحين قلتُ بأنَّ هذه القراءة هي القراءة الصحيحة لأن ذلك ما يُشيرُ إليه القرآن الكريم وتلك هي قراءة المصحف الذي بين أيدينا، والعترة والكتابُ لا يختلفان أحدهما يشدُّ الآخر، القرآن هو مرآة العترة والعترة مرآة القرآن.

حين نذهبُ إلى سورة الصافات، ماذا نقرأُ في سورة الصافات؟ في الآيات الأخيرة في الآية التاسعة والخمسين بعد المئة والآية التي بعدها ﴿سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تقديسٌ لله عن كُلِّ وصفٍ يصف الخلق به الله سبحانه وتعالى، حين كَبَّر المؤذن وكان أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قريباً منه، لَمَّا كَبَّر المؤذن فقال: الله أكبر، قال هذا الصحابي صاحب الإمام: الله أكبر من كل شيء، قال له إمامنا الصادق،

وهذا توحيدهم هذا توحيد عليٍّ وآل عليّ، قال: متى كان مع الله شيء حتى تقول بأنه أكبر من كل شيء، هل يُقاس الله بغيرِهِ، متى كان مع الله شيء؟! قال: فما أقول يا ابن رسول الله؟ قال: قل الله أكبر من أن يوصف، لا تقل الله أكبر من كل شيء، متى كان مع الله شيء حتى نقول بأن الله أكبرُ من كل شيء؟ هل هناك من شيءٍ يمكن أن تكون له قيمة في جنبهِ سبحانه وتعالى؟ وتلك هي حلاوة التوحيد وتلك هي حلاوة المحبة – **إلهي من ذا الذي ذاقَ حلاوة محبَّتِك فرامَ منك بدلاً** – ما أشرتُ إليهِ في الحلقة الماضية في مناجاة المحبين – **إلهي من ذا الذي ذاقَ حلاوة محبَّتِك فرامَ منك بدلاً**.

﴿سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عما يصف كل واصف، إلاَّ، هناك استثناء، هناك مجموعة تستطيع أن تصف ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ﴾ هذه الآية التاسعة والخمسون بعد المئة والستون بعد المئة من سورة الصافات ﴿سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ سبحان الله هذه الكلمة يعني تسبيحاً لله والتسبيح هو التنزيه والتقديس، نفي كل نقصٍ، سبحانه نحنُ نُجِلُّهُ عن وصف كل واصف، إلاّ، هناك مجموعة تستطيع أن تصف ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ﴾ ﴿سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يصفون كُلُّ أشكال الخلائق وكُلُّ أشكال الواصفات إلا جهة واحدة تستطيع أن تصف وصفها صحيح، من أرادَ الله بدأ بِكُم، ومن عَرَفَكُم عَرَفَ الله، ومن جَهِلَكُم جَهِلَ الله ﴿سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ﴾ وتستمر الآيات، الآية الرابعة والستون بعد المئة، أنا لست بصدد شرح وتفسير سورة الصافات فقط التقط منها لقطات من هنا ومن هناك، في الآية الرابعة والستين بعد المئة ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعلُومٌ﴾ من هؤلاء؟ ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعلُومٌ﴾ الرواية يرويها السيد هاشم البحراني في تفسير البرهان ينقلها عن تفسير القمي رضوان الله تعالى عليه، علي بن إبراهيم، بسندهِ: **عن يحيى بن مسلم عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه قال: سمعتهُ يقول:** ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعلُومٌ﴾ **قال: نزلت في الأئمة والأوصياء من آل مُحَمَّد** – هؤلاء هم الموحدون، هؤلاء هم المُخلَصون – **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله** – نحن لا نعرف مدى إخلاصهم لكننا نأخذُ التوحيدَ منهم، من أرادَ الله بدأ بكم ومن وحدهُ، في نفس الزيارة الجامعة، قَبِلَ عنكم، التوحيد منهم، هُم بابُ الله، هُم بابُ التوحيد، من لم يتجه إلى هذا الباب فليس بِموحد، أما حقيقةُ توحيدهم ما هي؟

نحن لا نعلمها لا نعرفها، هم يعرفونها ﴿سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ * وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ

مَقَامٌ مَّعلُومٌ﴾ صادق الآل يقول: نزلت في الأئمة والأوصياء من آل مُحَمَّد، وتستمر الآيات في سورة الصافات ﴿وَإِنَّا لَنَحنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحنُ المُسَبِّحُونَ﴾ هؤلاء هُم المُسبحون، هؤلاء هم الذين يقولون سبحان الله عمَّا يصفون، عمَّا تَصِفُ كُلُّ الخلائق لأنهم هم الجهة الوحيدة التي تصفُ الله، لأن الله قد تَعَرَّف بهم إلينا، بهم عرفنا الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّا لَنَحنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحنُ المُسَبِّحُونَ﴾.

أيضاً في تفسير عليّ بن إبراهيم: **عن شهاب بن عبد ربه قال: سمعتُ الصادق أبا عبد الله يقول: يا شهاب نحنُ شجرةُ النبوة ومعدن الرسالة ومُختَلَفُ الملائكة، ونحن عهد الله وذمتهُ، ونحن ودائعُ الله وحجتهُ كُنّا أنواراً صفوفاً حول العرش** – هذا في مرتبةٍ من مراتبهم وإلا فالعرشُ من نورهم – **كنا أنواراً صفوفاً حول العرش نُسَبِّحُ الله فَتُسَبِّحُ الملائكة بتسبيحنا إلى أن هبطنا إلى الأرض** – وهذه دعوتهم، هُم الدُّعاةُ إلى الله، هم الأدلاء على مرضاة الله، وقلتُ بأنَّ هذه العناوين تتعانق جميعاً فيما بينها في المعنى – **كنا أنواراً صفوفاً حول العرش نُسَبِّحُ الله فَتُسَبِّحُ الملائكة بتسبيحنا إلى أن هبطنا إلى الأرض فَسَبّحنا فَسَبَّحَ أهلُ الأرضِ بتسبيحنا** – وهذا ليس هو الهبوط لتبليغ الرسالة، هذا هبوط اللُطف، هذه الأرضُ التي إذا حُجِبَ عنها لُطفُ الإمام ساخت – **فَسَبّحنا فَسَبَّحَ أهلُ الأرضِ بتسبيحنا وإنَّا لَنَحنُ الصافون وإنَّا لَنَحنُ المُسَبِّحون** – هذا قول صادقهم صلوات الله عليه والقرآن هنا يقول ﴿وَإِنَّا لَنَحنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحنُ المُسَبِّحُونَ * وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعلُومٌ﴾ المقام المعلوم مقام مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ومن غيرهم، قُل لي بربك من غيرهم، أنت يا من تعرفُ مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد – **وإنَّا لَنَحنُ الصافون وإنَّا لَنَحنُ المُسَبِّحون** – ولا زال الكلام كلام صادقهم – **فمن وفى بذمتنا فقد وفى بعهد الله** – وهذا هو التوحيد، وهذا هو التوحيد على أتم صورهِ – **فمن وفى بذمتنا فقد وفى بعهد الله عزَّ وجلَّ وذمته ومن خَفَرَ ذمتنا** – خَفَرَ الذمة خفرها يعني غطاها، يعني من نقض العهد – **ومن خَفَرَ ذمتنا فقد خَفَر ذمة الله عزَّ وجلَّ وعَهدهُ** – وهذا هو التوحيد وهذا هو الكفر، التوحيد بكل معناه – **فمن وفى بذمتنا فقد وفى بعهد الله عزَّ وجلَّ وذمته، ومن خفر ذمتنا** – فهذا الكفر بكل معناه – **فقد خفر ذمة الله عزَّ وجلَّ وعهدهُ.**

رواية جميلة جداً ينقلها سيد هاشم البحراني أنقل منها موطن الحاجة، الرواية طويلة يتحدث فيها خاتم الأنبياء عن نورهِ ونور عليٍّ فيقول: **خلق نوراً** – الله سبحانه وتعالى – **خلق نوراً فقسمهُ نصفين فخلقني من نصفهِ وخلق عليَّاً من النصف الآخر** – هو يقول، عليٌّ يقول: أنا من مُحَمَّدٍ كالضوء من الضوء – يشير إلى هذا، كلمتهُ المشهورة في نهج البلاغة وفي غير نهج البلاغة – أنا من مُحَمَّدٍ كالضوء من الضوء –

عبارة مختصرة تختصر كُلَّ هذه الأقوال التي ذكرتها – **خلق نوراً فقسمهُ نصفين فخلقني من نصفهِ وخلق عليَّاً من النصف الآخر قبلَ الأشياءِ كُلِّها** – هنا نضع خط كي تتركز هذه الجُملة في أذهان المُحبين: قبلَ الأشياءِ كُلِّها – **خلق نوراً فقسمهُ نصفين فخلقني من نصفهِ وخلق عليَّاً من النصف الآخر قبلَ الأشياءِ كُلِّها، ثُمَّ خلقَ الأشياء فكانت مُظلِمةً فنوّرها من نوري ونور عليّ ثم جعلنا عن يمين العرش** – وتلك مرتبةٌ من مراتبهم وليست هي أعلى المراتب – **ثم خلق الملائكة فَسَبّحنا فسَبّحت الملائكة وهلّلنا فهلّلت الملائكة وكَبّرنا فكبّرت الملائكة فكان ذلك من تعليمي وتعليم عليّ** – يا مُحَمَّدُ يا عليّ يا عليُّ يا مُحَمَّد اكفيانا فإنكما كافيان وانصُرانا فإنكما ناصران صلوات الله عليكما وعلى آلكما الأطيبين الأطهرين، سَعَدَ من والاكم وخاب من جحدكم، ولذلك قلت بأن القراءة الصحيحة: **والمُخلَصينَ في توحيدِ الله،** هؤلاء هم: ﴿سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ * وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ الآيات مستمرة ﴿وَإِنَّا لَنَحنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحنُ المُسَبِّحُونَ﴾ ومرَّ كلامُ صادقهم نحنُ الصافون نحن المُسبِّحون، تستمر الآيات ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ من هُم؟ أولئك الذين سيصلون الجحيم ﴿لَو أَنَّ عِندَنَا ذِكراً مِّنَ الأَوَّلِينَ﴾ من الأولين من أصحاب المراتب الأولى ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ﴾ لَو أَنَّ عِندَنَا ذِكراً مِّن الأَوَّلِينَ: من أصحاب المراتب العالية، المراتب الأولى ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ﴾.

في سورة ص والتي هي شقيقةٌ لسورة الصافات، السورة التي تأتي بعدها، وهناكَ تناغمٌ في المعاني بين هاتين السورتين بين الصافات وص، الآيات الأخيرة من سورة ص والتي تتحدث عن إبليس ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرنِي إِلَى يَومِ يُبعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ * إِلَى يَومِ الوَقتِ المَعلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغوِيَنَّهُم أَجمَعِينَ﴾ هو يقول ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَ﴾ هناك مجموعة ليس لإبليس ولاية عليها، إبليس أثّرَ على آدم وآدم أعلمُ الأنبياء، لكن هناك مجموعة ليس لإبليس ولاية عليها ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَ﴾ هذه المجموعة واضحةٌ لديك لا حاجة لأن أُترجِمَ لك أسمائها ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغوِيَنَّهُم أَجمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَ﴾ **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله** – الآيات مستمرة في آخر سورة ص ﴿قَالَ فَالحَقُّ وَالحَقَّ أَقُولُ * لَأَملَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنهُم أَجمَعِينَ * قُل مَا أَسأَلُكُم عَلَيهِ مِن أَجرٍ﴾ هنا الحديث عن الأجر، ما الذي جاء به؟ أليس لأن العباد

المُخلَصون هُم هُم الذين مودّتهم هي الأجر ﴿قُل مَا أَسأَلُكُم عَلَيهِ مِن أَجرٍ وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ * إِن هُوَ إِلَّا ذِكرٌ لِّلعَالَمِينَ * وَلَتَعلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينٍ﴾ في نفس سورة ص هذا التعبير موجود، لو كُنَّا نستمر في القراءة ﴿لَو أَنَّ عِندَنَا ذِكراً مِّن الأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ * فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوفَ يَعلَمُونَ * وَلَقَد سَبَقَت كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرسَلِينَ * إِنَّهُم لَهُمُ المَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنهُم حَتَّى حِينٍ﴾ .

﴿فَتَوَلَّ عَنهُم حَتَّى حِينٍ﴾ الآية الرابعة والسبعون بعد المئة في سورة الصافات، آخر آية من سورة ص ﴿وَلَتَعلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينٍ﴾ ماذا يقول آلُ مُحَمَّد في هذه الآيات؟ هذا هو تفسير البرهان وهذا هو الجزء السادس للسيد هاشم البحراني والرواية ينقلها عن الشيخ الكليني عن الكافي الشريف، **عن أبي حمزة الثُمالي عن أبي جعفرٍ في قولهِ عزَّ وجلَّ:** ﴿قُل مَا أَسأَلُكُم عَلَيهِ مِن أَجرٍ وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ * إِن هُوَ إِلَّا ذِكرٌ لِّلعَالَمِينَ﴾ **قال: هو أمير المؤمنين** – هذا الذكرُ الذي هو للعالمين هو أميرُ المؤمنين – ﴿وَلَتَعلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينٍ﴾ **قال: عند خروجِ القائمِ صلوات الله وسلامه عليه.**

الحديثُ يبدأ من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وينتهي عند مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ويدور حول مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، والقرآنُ مع عليٍّ وعليٌّ مع القرآن، والحقُّ مع عليٍّ وعليٌّ مع الحق يدورُ معهُ حيثما دار، الآيات واضحةٌ صريحة والروايات جليةٌ في معناها وفي مضمونها، الخلاصةُ التي نَصِلُ إليها – **وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله** – فهم في أتمِ مراتب المحبة لله سبحانه وتعالى، وهم في أعلى مراتب الإخلاص والخلوص والتَخَلُّصِ والتخليص، لقد استخلصهم الله لنفسهِ، التخلُّص والتخليص هو الاستخلاص، الله سبحانه وتعالى استخلصهم لنفسه، وهذه مرتبةٌ خاصةٌ بهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الذي خلقته فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك، وذلك هو الاستخلاص، الله سبحانه وتعالى استخلصهم لنفسهِ، يا أحمد خلقتك لي كما جاء في بعض الأحاديث القُدسية – **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله والمُظهِرِينَ لأَمرِ الله وَنَهيِهِ** – ولأنهم في هذه المرتبة، في مرتبة الإخلاص والخلوص والاستخلاصِ في هذه المراتب العالية هُم يُظهِرون أمر الله ونهيه، كيف يُظهرون أمر الله ونهيه، هل هو الإظهارُ اللفظي؟ نعم هذه مرتبةٌ من مراتب الإظهار أنهم يُظهرون أمر الله ونهيه باللفظ وبالقول ولكن هذه من أدنى المراتب، لا يمكن الحديث هنا في هذه العُجالة عن مراتب مظاهر الأمر والنهي ولكن سآتي بأمثلةٍ:

المثال الأول ما جاء في الآية الرابعة من سورة المائدة ﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُم قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمتُم مِّنَ الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمسَكنَ عَلَيكُم وَاذكُرُوا اسمَ اللّهِ عَلَيهِ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ هذه كلابُ الصيد، الكلاب السلوقية التي تُستعمل للصيد لابد أن تُعَلَّم والتعليمُ من الله، هنا مظاهر أمر الله ونهيه في أدون هذه المراتب وما هو أدون منها، هم يُظهرون أمر الله ونهيه في كل مرتبةٍ من المراتب ﴿وَمَا عَلَّمتُم مِّنَ الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ﴾ حتى تعليمُ هذه الجوارح تعليم هذه الكلاب مما علمكم الله ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمسَكنَ عَلَيكُم﴾ ولكن ﴿وَاذكُرُوا اسمَ اللّهِ عَلَيهِ﴾ اذكروا أسم الله، قولوا بسم الله.

أسم الله الذي خلقهُ فاستقرَّ عندهُ، فاستقرَّ في ظله فلا يخرج منه إلى غيرِه، اذكروا أسم الله، وأسمُ الله واضحٌ دلالتهُ، أليس البسملة هي العنوان الأجلى والأوضح لأسم الله، وأليس البسملة كما في حديث سيد الأوصياء تجتمع أسرارها في الباء، وأسرار كل ذلك في النقطة وعليٌّ هو النقطة صلوات الله وسلامه عليه، نقطة البداية ونقطة النهاية أينما ذهبنا فثَمَّ وجه الله، وأينَ وجه الله الذي إليه يتوجهُ الأولياء، أينَ السببُ المُتصل بين الأرض والسماء، أين ما تولوا وجوهكم فَثَمَّ وجه الله، هناك النقطة، هناك مجلى مُحَمَّدٍ وعليّ، فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت، إني فارٌّ منكَ إليك، لا يمكن الفِرارُ من حكومتك وهذا هو التوحيد ولا يتحقق التوحيدُ في نفوسنا وفي قلوبنا حتى نستجلي مظاهر أوامر الله ونواهيه – **والمُظهِرِينَ لأمرِ الله وَنَهيِهِ** – هذه أدنى مراتب إظهار الأمر والنهي بحسب ما نستشعره ونتلمسهُ وإلا فدون ذلك مراتب ومراتب أيضاً، وهناك مراتب أعلى وأرقى.

في سورة الأعراف المباركة، هناك منزلة الأمر والنهي في يوم القيامة، منزلة الأعراف، في سورة الأعراف في الآية السادسة والأربعين وما بعدها ﴿وَبَينَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ﴾ من هم هؤلاء الرجال ﴿يَعرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُم﴾ يعرفون أهل الجنان وأهل النيران ﴿وَبَينَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُم وَنَادَوا أَصحَابَ الجَنَّةِ﴾ هؤلاء الرجال الذين على الأعراف ﴿وَنَادَوا أَصحَابَ الجَنَّةِ﴾ يا عليّ أنت تُدخِلُ أهل الجنان في جِنانهم وأنت تُغلِقُ أبواب الجنان، وأنت تُدخِلُ أهل النيران في نيرانهم ﴿وَبَينَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُم وَنَادَوا أَصحَابَ الجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيكُم﴾ هذا سلامٌ، هذا

جواب للزيارة الجامعة، نحن حين نُسَلِّم على عليٍّ وآل عليّ فنقول: **السَّلامُ على الدُّعاةِ إلى الله، السَّلامُ على الأدلاء على مرضاة الله، السَّلامُ على التامين في محبة الله، السَّلامُ على المُستقرين في أمر الله، السَّلامُ على التامين في محبّة الله، السَّلامُ على المُخلَصينَ في توحيد الله، السَّلامُ على مُظهري أمر الله ونهيه،** هذا هو جزاءُ هذا السلام ﴿وَبَينَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُم وَنَادَوا أَصحَابَ الجَنَّةِ﴾ هذه زيارة، هذه زيارة من آل مُحَمَّد لأشياعهم في الجنان ﴿أَن سَلاَمٌ عَلَيكُم لَم يَدخُلُوهَا وَهُم يَطمَعُونَ * وَنَادَى أَصحَابُ الأَعرَافِ رِجَالاً يَعرِفُونَهُم بِسِيمَاهُم قَالُوا مَا أَغنَى عَنكُم جَمعُكُم﴾ يُخاطبون أهل النار ﴿وَمَا كُنتُم تَستَكبِرُونَ﴾ يبشرون أولياءهم بالجنان ويبشرون أعدائهم بالنيران، وهذه معاني جاءت فيها العشرات بل المئات بل أكثر من المئات من النصوص عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، ومن كانت له دراية وخبرة في أفناء حديث أهل البيت فإنه يجدُ ذلك من البديهيات.

حين نذهبُ إلى الكافي الشريف وهذا هو الجزءُ الأول لنرى ماذا يقول أئمتنا صلوات الله عليهم، بعد السند، بعد سندهِ، **عن مُقَرِّن قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين:** ﴿وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُم﴾ **فقال:** – من الذي قال؟ عليٌّ – **نحنُ على الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحنُ الأعراف** – هذه مجالي أهل البيت، مراتب أهل البيت، مرةً هم الأعراف ومرةً هم رجالٌ على الأعراف، فقلت هم مجالي ومظاهرهم في كل مكان، في كل صقعٍ من أصقاع هذا الخلق، في كل ناحيةٍ من نواحي هذا الوجود – **فقال: نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ونحنُ الأعراف الذي لا يُعرف الله عزَّ وجلَّ إلا بسبيل معرفتنا** – قبل قليل قلت بأن الذي لا يوحد الله من بابهم ليس بموحد – **ونحنُ الأعراف الذي لا يُعرف الله عزَّ وجلَّ إلا بسبيل معرفتنا ونحنُ الأعراف يُعَرِّفُنا الله عزَّ وجلَّ يومَ القيامة على الصراط فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه، إنَّ الله تبارك وتعالى لو شاء لَعَرَّفَ العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابهُ وصراطهُ وسبيله والوجه الذي يؤتى منه فَمَن عَدَلَ عن ولايتِنا أو عن ولايتَنا أو فَضَّل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون فلا سواءٌ** – يا أصحاب العقول يا أصحاب البصائر – **فلا سواءٌ من أعتصم الناس به ولا سواءٌ حيثَ ذهبَ الناس إلى عيونٍ كدرة يفرغُ بعضها في بعض** – عيون كدرة بعضها يصبُ في البعض الآخر – **وذهب من ذهب إلينا إلى عيونٍ صافية** – وهذه هي العيون الصافية:

الزيارة الجامعة الكبيرة، الكافي الشريف، البرهان الشريف، هذه هي العيون الصافية، لا تلك العيون الكدرة التي يلقلقُ بها فلان وفلان وفلان على المنابر وفي الفضائيات ويُقال بأن هذا فكر أهل البيت، هذه هي العيون الصافية – **فلا سواءٌ من أعتصم الناس به ولا سواءٌ حيثَ ذهبَ الناس إلى عيونٍ كدرة يفرغُ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيونٍ صافية تجري بأمر ربها لا نفاذ لها ولا انقطاع** – وهل هناك من عيونٍ صافية أصفى من عيون مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هنيئاً للذين يشربون من هذه العيون الصافية، هنيئاً لنا بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، فوالله ما أدري أأغبط نفسي أم أغبطكم، أم أغبط نفسي وأغبطكم أننا ننهلُ من هذه العيون الصافية من عيون مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

روايةٌ أخرى على هذا السياق وعلى هذا المنوال يذكرها شيخنا المجلسي في الجزء الثامن من بحار الأنوار، هو ينقلها عن بصائر الدرجات بسندهِ: **عن سعد الاسكاف قال: قلتُ لأبي جعفرٍ عليه السلام: قولهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ فقال: يا سعد إنها أعرافٌ لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرِفوه، وأعرافٌ لا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، وأعرافٌ لا يُعرفُ الله إلا بسبيل معرفتهم** – الكلامُ واحد نفسُ كلام سيد الأوصياء ولكن هناك حيثياتٌ يشيرُ إليها أمير المؤمنين صلوات الله عليه وحيثياتٌ أخرى يشير إليها أبو جعفر الباقر – **وأعرافٌ لا يُعرفُ الله إلا بسبيل معرفتهم فلا سواء ما اعتصمت به المعتصمة ومن ذهب مذهب الناس ذهبَ الناسُ إلى عينٍ كَدرةٍ يُفرِغُ بعضها في بعض ومن أتى آلَ مُحَمَّد أتى عيناً صافية تجري بعلم الله ليس لها نفاذٌ ولا انقطاع ذلك لأن الله لو شاءَ لآراهم شخصهُ حتى يأتوه من بابهِ لكن جعل الله مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد الأبواب التي يؤتى منها وذلك قولهُ: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾** – كلمات أهل البيت واضحة وأحاديثُ أهل البيت واضحة جداً وجلية والمعاني يشدُّ بعضها بعضاً، معاني الكتاب ومعاني العترة وحديثُ أهل البيت وحديثُ الكتاب شيءٌ واحد.

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله، وتلاحظون المعاني كلها تشير إلى هذه الحقائق أنهم دُعاةٌ إلى الله، أدلاءٌ على مرضاة الله، مستقرون في أمر الله، تامون في محبة الله ومُخلَصون في توحيد الله ومُظهِرون لأمر الله ونهيه – **والمُظهِرِينَ لأَمرِ الله وَنَهيِهِ** – كان الحديث عن الأعراف عن مظهرٍ من مظاهر أمر الله ونهيه الذي يتجلى في يوم القيامة وفي مواقف يوم القيامة، كُلُّ أمر الله وكُلُّ نهيه يتجلى في هذه الحقائق المُقدَّسة في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، نحن مثلاً حينَ نذهبُ إلى الزيارة الرجبية، الزيارة التي يستحبُّ قراءتها في كل يومٍ من أيام شهر رجب، في الزيارة الرجبية ونحن نخاطبهم: **أنا سائلكم وآملِكُم فيما إليكم**

التفويضُ وعليكم التعويض فبِكُم يجبَرُ المهيض ويُشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض – وهذه مظاهر أمر الله ونهيه في التكوين – **أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويضُ** – الذي يُفَوَّضُ إليهِ الأمر هو الذي يأمر وينهى – **فيما إليكم التفويضُ وعليكم التعويض** – والذي يُفَوَّضُ إليه التعويض فهو يأمر وينهى يُعطي ويمنع – **فبِكُم يجبَرُ المهيض** – المهيض الذي كُسِرَ جناحهُ – **ويُشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض** – ما تغيض ما تنقص، الزيادة والنقص بأيديهم وبهم وبواسطتهم، والزيادة والنقص أمرٌ ونهي، هم يُظهِرون أمر الله ونهيهِ، نحن نقرأ في الزيارة: **والمُظهِرِينَ أَمرِ اللهِ وَنَهيِهِ – أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويضُ وعليكم التعويض فبِكُم يجبَرُ المهيض ويُشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض** – في زيارة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، الزيارة التي يرويها المُحدِّث القمي في مفاتيح الجنان وهي الزيارة المطلقة الأولى، يرويها عن الكُليني عن الكافي الشريف، ماذا يأتي فيها؟

إرادةُ الربِّ في مقادير أمورهِ تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عمَّا فُصِّلَ من أحكام العباد – هذه العبارات بحاجة إلى وقفة أن نقف عندها للتدبر والتأمل، إرادةُ الربّ وإرادةُ الرب هي أوامرهُ ونواهيه في كل عالمٍ من العوالم بحسب ذلك العالم، إرادة الرب هي ما يريد وما لا يريد وهي مَجمَع أوامرهِ ونواهيه، مَجمعُ ما يحب وما يبغض – **إرادةُ الربِّ في مقادير أمورهِ** – وما ذاك بغريب إنَّ الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها، هذه هي المراضي الأوامر النواهي – **إرادةُ الربِّ في مقادير أمورهِ** – مقادير الأمور في الجانب التكويني وفي الجانب التشريعي، في عالم الطبيعة وفي الملأ الأعلى، في عالم الشهادة وفي عالم الغيب، في الأرضِ وفي السماوات، في كل سماءٍ وفي الكرسي، وعند العرش وما بعد العرش – **إرادةُ الربِّ في مقادير أمورهِ تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عمَّا فُصِّلَ من أحكام العباد** – وكل ما يصدر في تفاصيل أحكام العباد هو يصدرُ من بيوتكم، والحديث عن بيوتٍ هنا ليس عن بيوتٍ أرضية، البيوت الأرضية أيضاً داخلة في هذا المعنى، وبيوتهم كما في رواياتهم مُسقفةٌ بعرش الرحمن وإنهم لا يجدون لبيوتهم سُقُفاً إلا عرشُ الرحمن، هذا في كلماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **إرادةُ الربِّ في مقادير أمورهِ تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عمَّا فُصِّلَ من أحكام العباد** – لذلك الزيارة تشير إلى مصاديق وإلى مظاهر من هذا المعنى المُجمل – **من أراد الله بدأ بكم** – لأن الأوامر والنواهي عندكم، فمن يريد أن يتوجه إلى الله لابد أن يعرف ما يريد وما لا يريد – **من أراد الله بدأ بكم، بِكُم يُبين الله الكذب** – هذا في جانب العلم والحقائق – **وبِكُم يُباعِدُ الله الزمان الكَلِب** – هذا في جانب الأرزاق – **وبِكُم فتَحَ الله وبِكُم يختِمُ الله** – وهذا في الوجود – **وبِكُم يمحو ما يشاء ويُثبِت** – وهذا هو البداء قانون تصريف الوجود – **وبكم يفك الذُلَّ من رِقابِنا** – وذلك هو استجابة الدعاء – **وبِكُم يُدركُ الله تِرةَ كُلِّ مؤمنٍ**

يُطلَبُ بها – وذلك هو تصريف شؤون العباد – **وبِكُم تُنبتُ الأرض أشجارها** – وهذا هو التكوين – **وبِكُم تُخرِجُ الأرض ثمارها، وبِكُم تُنزِل السماء قطرها ورزقها، وبِكُم يكشفُ الله الكرب، وبِكُم يُنَزَّلُ الله الغيث، وبِكُم تُسَبِّحُ الأرض** – وهذه جزءٌ من دعوتهم – **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى الله** – هم دُعاةٌ في كل الطبقات، دُعاةٌ لكل الكائنات لكل الموجودات وإنما سبّحت الكائنات بعد أن سبَّحوا، وقبل قليل مرت علينا الرواية فحين هبطنا إلى الأرض سبَّحنا فسبَّحت الأرض ومن عليها – **وبِكُم تُسَبِّحُ الأرض التي تحمل أبدانكم وتستقر جبالها على مراسيها** – وهذا هو تسبيحُ الكائنات بتعليمهم وبسببهم وبفيضهم ومنهم وإليهم، وكُلُّ هذا يمكن أن يتجلى في قول الزيارة الجامعة ونحن نخاطبهم صلوات الله عليهم – **وَالحَقُّ مَعكُم وَفِيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم وَأَنتُم أَهلُهُ وَمَعدِنُهُ، وَمِيراثُ النُّبُوَّةِ عِندَكُم وَإِيابُ الخَلقِ إِلَيكُم وَحِسابُهُم عَلَيكُم** – هذه كلمات إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه – **وَالحَقُّ مَعكُم وَفِيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم وَأَنتُم أَهلُهُ وَمَعدِنُهُ** – مصاديق هذا الحق هي هذه المعاني التي نقرأها ونتدبر في معانيها ومضامينها في هذه الزيارة التي نزور بها سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، الرواية رواها المُحدِّث القمي، الزيارة الأولى من الزيارات المطلقة لسيد الشهداء في مفاتيح الجنان وقد نقلها عن كتاب الكافي لشيخنا أبي جعفر مُحَمَّد بن يعقوب الكليني رضوان الله تعالى عليه.

كُلُّ هذه المعاني، كُلُّ هذه التفاصيل، كُلُّ هذه الحقائق تُجمِلُها الكلمة التي مرت علينا يوم أمس في دعاءِ ليلة السابع والعشرين من شهر رجب – **وباسمك الأعظَم الأعظمِ الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك** – هذا الأسمُ الجامعُ المحيطُ كما جاء في الدعاء – **وباسمك الأعظَم الأعظمِ الأعظم** – هذا التكرار ثلاث مرات إشارة إلى أن الأعظم الواحدة لوحدها لا تكفي، إشارة إلى أن اللغة لا تستطيع أن تُعَبِّر عن عَظَمة هذا الأسم لذلك جاء الوصفُ الأعظم الأعظمِ الأعظم، والذكر الثلاثي هو أعلى ذكرٍ في الألفاظ معروف عند العرب، حين يريدون تأكيد معنى أو الحديث عن سعة معنى أو أهمية معنى يكررونهُ ثلاثاً – **وباسمك الأعظم الأعظمِ الأعظم** – في ذلك إشارة واضحة إلى أن اللغة لا تستطيع أن تُعبِّر عن هذه الحقيقة – **الأجل الأكرم** – وهو الأسم الأكرم، الأكرم الذي يفيضُ كرماً، وإنما يفيضَ كرماً كما في هذه الزيارة هذه المعاني التي أشرنا إليها – **وبِكُم تُنبتُ الأرض أشجارها وبِكُم تُخرِجُ الأرض ثمارها** – إلى آخر المعاني الأخرى والتي أجملتها هذه العبارة: **إرادةُ الربِّ في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدرُ من بيوتكم** – وإرادة الربِّ هي جَمَعُ أوامرِهِ وجَمَعُ نواهيه، هذا المقطع الذي قرأته في دعاء ليلة السابع والعشرين من شهر رجب: **وباسمك الأعظم الأعظمِ الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك** – هو أيضاً موجودٌ في الدعاء الذي يُقرأ في

نهار يوم السابع والعشرين من شهر رجب.

إنما أكرر هذا الأمر حتى تتضح الصورة عند مُحبّي أهل البيت بأن هذه المعاني وهذه الألفاظ ليست يتيمة، هذه متكررة في عشرات بل في مئات من النصوص، أنا هنا لا أستطيع أن آتي بكل النصوص، في نفس مفاتيح الجنان هذه المعاني متكررة عشرات المرات، ومفاتيح الجنان من الكتب المعتبرة جداً، هؤلاء الذين يقولون بأن كتاب المفاتيح لا قيمة له هؤلاء جَهَلة لا يفهمون شيئاً، هؤلاء لا يعرفون أولاً المُحَدِّث القُمي من هو، وما هي قيمتهُ بين علماء الحديث، ولا يعرفون أن المُحدِّث القمي نقل هذه النصوص من أمهات المصادر الشيعية، لا يعرفون قيمة المصادر التي جمع منها المحدث القمي هذه النصوص، هؤلاء جَهَلة لا يفهمون لا يعرفون مصادر الحديث ولا يعرفون أسانيد الحديث ولا يعرفون دلالات الحديث حتى لو كبرت عمائمهم أو طالت لحَاهُم، العلم لا بالعمائم الكبيرة ولا باللحى الطويلة ولا بكثرة الأموال ولا بالأسماء البراقة في الصحف والفضائيات، العلم في حديث أهل البيت، أئمتنا قالوا: إعرفوا منازل الرجال على قدر ما يُحسنون من رواياتهم عنّا من روايتهم عنّا ومن فهمهم منّا، هناك إحسانٌ في حفظ الرواية والحديث وإحسانٌ في فهم هذه الروايات وفهمهم منّا، لابد أن يكون هذا الفهم من نفس حديث أهل البيت، أهل البيت وضعوا لنا قواعد وأصول في فهم حديثهم وفي استنطاق كلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لذلك في بعض الأحيان أنا أشير إلى أكثر من نص، أنا أريد أن أنبه الإخوان والأخوات من مُحبّي أهل البيت إلى أن هذه النصوص التي أوردها هذه النصوص متكررة في حديث أهل البيت في الأدعية في الزيارات في الروايات في الخُطب في الكلمات القصيرة بل الكثير منها موجود في كتب المخالفين لكنني لا أحب أن آتي بهذه النصوص من كتب المخالفين.

المعاني الموجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة هذه الروايات موجودة في كتب المخالفين، وربما بعض المشاهدين يتذكر في برنامج الملفّ العلوي حين جئت بكتاب إحقاق الحق وملحقات إحقاق الحق هذا الكتاب المكتبة مشحون بالروايات من كتب المخالفين، والكثير من هذه الروايات يوافق ما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة فضلاً عن أنه في بداية الحلقة الأولى، في بدايات برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة والبرنامج موجود بكل حلقاتهِ على الموقع الإلكتروني لقناة المودّة، في الحلقات الأولى حينما تحدثتُ عن مصادر هذه الزيارة الجامعة تحدثتُ عن مصادرها الشيعية والسنية وأوردتُ المصدر السُني وعرضتهُ على التلفزيون الذي أوردَ هذه الزيارة بكامل نصها كما هي موجودة في مفاتيح الجنان، لذلك في بعض الأحيان أنا أشير إلى بعض النصوص في أكثر من موطن لأهمية هذه النصوص ولا يعني أنها وردت فقط في هذين الموردين، وإلا فحديثُ أهل البيت وفيرٌ وكثيرٌ جداً، بهذا يتجلى لنا جانبٌ مما جاء في هذه العناوين الشريفة التي وردت في المقطع الرابع من المقاطع الأولى من الزيارة الجامعة الكبيرة – **والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله والمُظهِرِينَ لأمرِ الله وَنَهيِهِ** – وتستمر الزيارة

الشريفة – **وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لايَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعملونَ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ** – وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ، أعتقد أن الألفاظ واضحة لا تحتاج إلى بيانٍ لغوي، عبادٌ مُكرمون، لا يسبقونهُ بالقول وهم بأمرهِ يعملون هي صورةٌ مُجمَلةٌ لكل المعاني التي مرت، فهم تامون في محبة الله وهُم مُخلَصونَ في توحيد الله وهُم مُظهِرون لأمر الله ونهيه فَهُم عِبادهُ المُكرمون وهذه هي صفتهم: **لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعملونَ**، وتلك هي أوضحُ صفةٍ في أهل البيت.

هذا المعنى مقتنصٌ من الكتاب الكريم من سورة الأنبياء الآية السابعة والعشرون، الآية السادسة والعشرون، السابعة والعشرون، الثامنة والعشرون ﴿**بَل عِبَادٌ مُّكرَمُونَ * لَا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ * يَعلَمُ مَا بَينَ أَيدِيهِم وَمَا خَلفَهُم وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى وَهُم مِّن خَشيَتِهِ مُشفِقُونَ**﴾ هذا الوصف هنا في هذه الآيات في حدهِ الأول هو عن الأنبياءِ وعن الملائكة، الآية السادسة والعشرون ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحمَنُ وَلَداً**﴾ اليهود قالوا بأنَّ الله اتخذ ولداً، النصارى قالوا وأممٌ أخرى ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحمَنُ وَلَداً سُبحَانَهُ بَل عِبَادٌ مُّكرَمُونَ**﴾ لا الملائكة هم أولاد الله ولا الأنبياء أولادُ الله، الملائكة والأنبياء ﴿**بَل عِبَادٌ مُّكرَمُونَ * لَا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ * يَعلَمُ مَا بَينَ أَيدِيهِم وَمَا خَلفَهُم وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى وَهُم مِّن خَشيَتِهِ مُشفِقُونَ**﴾ هذا الحد الأول من الآية وإلاّ الحد الأعمق والأوسع هو في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

الآيات لها مطالع ومجاري، ربما البعض قد لا يتوجه إلى معنى قولي بأن الآيات لها مطالع ومجاري، الأئمة هكذا قالوا، قالوا بأن القرآن يجري مجرى الشمس والقمر له مطالع ومجاري كمطالع الشمس والقمر، القمر يبدأ هلالاً كالشعرة، يبدأُ رفيعاً لوقتٍ قليل ويختفي، ثم يتدرج إلى أن يصل إلى البدر شيئاً فشيئاً، ومن البدرِ إلى المِحاق حيثُ يُمحق فلا يبقى، آياتُ الكتابِ مثل الهلال، هناك بُقَعٌ لا تُضيءُ لنا وهناك بُقَعٌ تُضيء كما يُضيء الهلال في الليلة الأولى، وهناك مطلعٌ آخر للآية كالهلال في الليلة الثانية، وهناك مطلع للبدرِ كما هو في منتصف الشهر، فكأن للآية معانٍ ووجوه لها مطالع وكل مطلع يشير إلى جهة إلى جانبٍ من الجوانب، هذا معنى قول الإمام الصادق عليه السلام بأن القرآن له مطالع ومجاري كمطالع الشمس والقمر، كذلك الشمس في مطلعٍ من مطالعها لا يستطيع الإنسان أن يُشبِعَ عينيه من الشمس أن يملأ عينيه من الشمس من ضوء الشمس حين تكون الشمس في رائعة النهار، ولكن حين يبدأ القرص بالخروجِ أو يبدأ القرص بالغياب يمكن للإنسان أن ينظر إلى الشمس فلها مطالع ولها مجاري، آيات الكتاب أيضاً لها مطالع ومجاري، حين نقرأ الآيات في سياقها الأول فدلالتها على الملائكة وعموم الأنبياء والأولياء وهذا مطلعٌ من

مطالعها، أما المطلع الأوسع والأوضح في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد لذلك الرواية فيها إشارةٌ جميلة، حينما تستمر الآيات ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ لَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى، قد يقول قائل إذاً أينَ شفاعتهم؟! الشفيع من له منزلة وإن كانت إرادتهم هي إرادةُ الله.

الرواية عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه، وهذا هو الجزء الخامس من تفسير البرهان، **عن الحسين بن خالد: فقلتُ للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله فما معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ قال: لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه** – أي دان بدين مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد ولكنه ارتكب المعاصي، وهذا معنى إن الشفاعة لأهل الكبائر من أُمَّتي، أُمَّة النبي الذين دانوا بدين عليٍّ وآل عليّ – **ولولاك يا عليّ لم يُعرف المؤمنون بعدي وكان بعدهُ هدىً من الضلال وحبل الله المتين وصراطهُ المستقيم** – هكذا نقرأ في دعاء النُدبة، وهذه روايات وأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله موجودة في كتب الخاصة والعامة في كتب السنة والشيعة، ولولاك يا عليّ لم يُعرف المؤمنون بعدي – **لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه** – الشفاعة لأهل الكبائر من أُمَّة النبي، وأُمَّة النبي هم الذين دانوا بدين عليٍّ وآل عليّ، نَهَجوا في منهاج عليٍّ وآل عليّ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ نحن في رواياتنا نجد بأنَّ الأنبياء بحاجةٍ إلى شفاعة النبي، والروايات في هذا الباب موجودةٌ متوافرة عن أهل بيت العصمة، المقام لا يسع بذكرها الآن إن شاء الله نُشير إليها في وقتٍ آخر حين يكون الحديث عن الشفاعة، الأنبياء كلهم بحاجةٍ إلى النبي وبِحاجةٍ إلى شفاعة النبي والروايات تحدَّثت عن ذلك، لأن الشفاعة لها مراتب ودرجات، ليست الشفاعة فقط هي في الخلاصِ من نارِ جهنم بل هناك شفاعةٌ حتى في نار جهنم، هناك من يكون في نارِ جهنم فتشملهُ الشفاعة في أن يخف العذاب عليه، الشفاعة على مراتب ودرجات، وهناك شفاعةٌ في الجنان في عُلو المراتب والدرجات، الشفاعة مراتب ومراتب مراتب هكذا أخبرنا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ الشفاعة ممكن أن تكون للأنبياء هذا في مطلع من مطالع الآية، الآية لها مطالع ومجاري لكن المطلع الأتم الشفاعة الكبرى هي لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ولذلك هو يشفعُ حتى للأنبياء، حتى الأنبياء مُحتاجون لشفاعتهِ، فالمعنى الأتم والأكمل في هذه الآية في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وفي شفاعة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد

﴿ بَل عِبَادٌ مُّكرَمُونَ * لَا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ * يَعلَمُ مَا بَينَ أَيدِيهِم وَمَا خَلفَهُم وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى وَهُم مِّن خَشيَتِهِ مُشفِقُونَ ﴾ الإمام الهادي صلوات الله وسلامه عليه أورد هذا المضمون وهذا المعنى الذي أخذهُ واقتنصهُ من هذه الآية الكريمة فأودعهُ في الزيارة الجامعة الكبيرة، فَنُسَلِّم على الأئمة:

وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ – والزيارة هنا تتحدث عن عبودية أهل البيت، لئلا يشتبه البعض فيتصور بأن لأهل البيت مقاماً يُقاسُ بِمقام الله، أهلُ البيت عبيدٌ لله في كل مراتبهم، وما الكلمة إلاّ خلقٌ من خلق الله سبحانه وتعالى، وأهل البيت من دونِ الله لا شيء، شيئية أهل البيت مأخوذةٌ من الله سبحانه وتعالى، لذلك الآية التي بعد هذه الآيات إمامنا الهادي يريد أن يُشير إلى هذه الحقيقة ﴿ وَمَن يَقُل مِنهُم إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجزِي الظَّالِمِينَ ﴾ إمامنا الهادي هنا يريد أن يشير إلى هذه الحقيقة، باعتبار أن المعاني التي تقدمت في المقاطع السابقة وفي هذا المقطع في معنى: التامين في محبة الله، المُخلَصينَ في توحيد الله، المُظهرينَ لأمر الله ونهيه، المستقرين في أمر الله كُلُّ هذه المعاني تُشير إلى عُلو منزلتهم ولكن إمامنا الهادي هنا يريد أن يقول بأن ما عند أهل البيت من منزلة في كل العوالِم في كل الطبقات هي بفضلٍ من الله سبحانه وتعالى وهم في مقام العبودية بل إنَّ مقام العبودية الحقيقي ليس إلا لهم وليسَ إلا فيهم، وحتى هذا المعنى الذي قرأتهُ قبل قليل من الزيارة الجامعة الكبيرة – **والحقُّ مَعَكُم وَفيكُم ومِنكُم وإلَيكُم وأَنتُم أَهلُه ومَعدِنُه** – إنما هو عنوانُ عبوديتهم لله سبحانه وتعالى، لأنهم في أقصى درجات العبودية جاء الكلامُ في الزيارة الجامعة الكبيرة – **وذَلَّ كُلُّ شيءٍ لَكُم** – إنما ذَلَّ كُلُّ شيءٍ لهم لأنهم في أقصى درجات العبودية، ولأنهم في أقصى درجات الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك الإمام هنا يريد أن ينبهنا إلى هذه الحقيقة أننا مهما اعتقدنا في أهل البيت من المراتب ومن المنازل ومن الدرجات فإنَّ ذلك مَردّهُ إلى الله – **إنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعونَ** – هذا الكلام ينطبقُ علينا وعلى أهل البيت صلوات الله عليهم، الخلقُ مظاهر الحقيقة المُحَمَّدية ومردهم إلى الحقيقة المُحَمَّدية والحقيقة المُحَمَّدية مردها إلى الله سبحانه وتعالى – **وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعلَمُونَ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ** – لأنهم في حقيقة معنى العبودية، ولأنهم في أوضح مجالي العبودية فكانوا هم المظهر الأسمى والأرقى في هذا الخلق فكانوا أسماء الله.

حينما نقرأ في سورة الأعراف في الآية الثمانين بعد المئة ﴿ وَلِلّهِ الأَسمَاء الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلحِدُونَ فِي أَسمَآئِهِ سَيُجزَونَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ ﴾ وَلِلّهِ الأَسمَاء الحُسنَى: واللام هنا لام المِلك، وَلِلّهِ الأَسمَاء

الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا، كما قلت هذه هي الآية الثمانون بعد المئة من سورة الأعراف، ماذا يحدِّثُنا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني عن الشيخ الكليني عن الكافي: **عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسمَاء الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا﴾ قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبلُ الله من العبادِ عملاً إلا بمعرفتنا** – في معنى هذه الآية معاوية بن عمّار عن الإمام الصادق في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسمَاء الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا﴾ وهي الآية الثمانون بعد المئة من سورة الأعراف، الرواية ينقلها السيد هاشم عن الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، **قال: نحنُ والله الأسماء الحسنى التي لا يقبلُ الله من العبادِ عملاً إلا بمعرفتنا.**

والعياشي رضوان الله تعالى عليه في تفسيرِهِ ينقل عن إمامنا الرضا أنه قال: **إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ وهو قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الأَسمَاء الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا﴾ قال: قال أبو عبد الله: نحن واللهِ الأسماءُ الحُسنى الذي لا يقبلُ من أحدٍ إلا بمعرفتنا.**

الشيخ المفيد في كتابهِ الاختصاص ينقلُ عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه: **إذا نَزَلت بِكُم شديدة فاستعينوا بِنا على الله عزَّ وجلَّ** – استعينوا بنا أي أجعلونا وسيلة، نحن وسيلتكم إلى الله – **إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بِنا على الله عزَّ وجلَّ** – شديدة، شديدة من شدائد الدنيا من شدائد الآخرة، شديدة من شدائد الروح أو من شدائد الجسد، من شدائد الدين أو من شدائد الدنيا اليومية التي نعيشها – **إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ وهو قولهُ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسمَاء الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا﴾** – فإنهم أسماءُ الله التي نتوسل بها إلى الله.

نحن نقرأ في دعاء علقمة المروي عن الإمام الباقر عليه السلام الذي يُقرأ بعد زيارة عاشوراء – **ليس لي وراء الله ووراءكم يا سادتي منتهى** – وإمامنا الصادق يقول: نحنُ والله الأسماء الحُسنى التي لا يقبلُ الله من العبادِ عملاً إلا بمعرفتنا، إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ.

أيضاً الشيخ المفيد ينقل في الاختصاص: **عن محَمَّد بن مسلم عن أبي جعفرٍ الباقر صلوات الله عليه: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت: يا رسول الله ما تقول في عليّ بن أبي طالب؟ فقال: ذاك نفسي، قلتُ: فما تقول في الحسن والحُسين؟ قال: هُما روحي وفاطمة أمهما إبنتي يسوءني ما أساءها ويسرني ما سرها، أُشهِدُ الله أني حَربٌ لِمن حاربهم وسِلمٌ لمن سالمهم، يا جابرُ إذا أردت أن تدعو الله فيستجيب لك فادعُه بأسمائهم فإنها أحبُّ الأسماءِ إلى الله عزَّ وجلَّ** – والله يا رسول الله

قسماً بجبينك الزاهر إن أسمائهم لهي أحَبُّ الأسماء إلينا، إن هذه الأسماء: مُحَمَّدٌ، عليٌّ، فاطمة، حَسَنٌ، حُسين وأسماء أبناء الحُسين لَهي أحَبُّ الأسماء إلى قلوبنا، إنا نتوسل إليكَ يا رسول الله بهذه الأسماء أن تنظر إلينا بنظر لُطفك وكرامتك، هذه هي مودتنا ومودتنا على قدرنا، هذه مودتنا لفاطمة وآل فاطمة، نحن نعلم أن من يحِبُّ فاطمة ويُبغِضُ أعدائها أنَّكَ تُحبُّهُ يا رسول الله، نتوسل إليك بِمَحَبَّةِ فاطمة وآل فاطمة وببغض أعداء فاطمة وآل فاطمة.

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله والمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ الله والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله والمُظهِرِينَ لأَمرِ الله وَنَهيِهِ وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ.

صلوات الله عليكم سادتي آل مُحَمَّد، صلى الله عليك سيدي ومولاي وإمامي بقية الله يا وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، أيُّها السبب المتصلُ بين الأرض والسماء، صلوات الله عليه تترادفُ وتزيد صباحاً ومساءَ، بهذا يتمُ الحديث ويتم الكلام في المقطع الرابع من المقاطع الأولى من الزيارة الجامعة الكبيرة، أحباب عليٍّ وآل عليٍّ أسألكم الدعاء وإن شاء الله المقطع الخامس أشرعُ فيهِ في يوم غد نفس الموعد بثٌّ مباشر على شاشة قناة المودة الفضائية، برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة غداً في نفس الوقت ألتقيكم على محبة الزيارة الجامعة الكبيرة وعلى محبة إمامنا الهادي وعلى مودة إمام زماننا الحجة بن الحسن، سلامٌ عليكم أيها الزهرائيون الفاطميون ورحمة الله وبركاته، أسألكم الدعاء وفي أمان الله.

الحلقة الثالثة والعشرون

معنى السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ وَالقادَةِ الهُداةِ وَالسَّادَةِ الوُلاةِ . . . . . وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركات أحباب عليٍّ وآل عليّ أيُّها المنتظرون، هذه الحلقة الثالثة والعشرون من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، تقدم الكلام في أربعة مقاطع من المقاطع الخمسة التي تُمثِّل الأُسس في فهم مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، اقرأ هذه المقاطع المُتقدمة على مسامعكم لأجلِ أن يترابط البحث:

السَّلامُ عَلَيكُم يا أَهلَ بَيتِ النُّبُوَّةِ وَمَوضِعَ الرِّسالَةِ وَمُختَلَفِ المَلائِكَةِ وَمَهبِطَ الوَحي وَمَعدِنَ الرَّحمَةِ وَخُزَّانَ العِلمِ وَمُنتَهى الحِلمِ وَأُصُولَ الكَرَمِ وَقادَةَ الأُمَمِ وَأَولِياءِ النِّعَمِ وَعَناصِرَ الأَبرارِ وَدَعائِمَ الأَخيارِ وَساسَةَ العِبادِ وَأَركانَ البِلادِ وَأَبوابَ الإيمانِ وَأُمَناءَ الرَّحمنِ وَسُلالَةَ النَّبِيِّينَ وَصُفوَةَ المُرسَلِينَ وَعِترَةَ خِيرَةِ رَبِّ العالَمِينَ وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

السَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الهُدى وَمَصابِيحِ الدُّجى وَأَعلامِ التُّقى وَذَوِي النُّهى وَأُولِي الحِجى وَكَهفِ الوَرى وَوَرَثَةِ الأَنبِياءِ وَالمَثَلِ الأَعلى وَالدَّعوَةِ الحُسنى وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهلِ الدُّنيا وَالآخِرةِ وَالأُولى وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

السَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعرِفَةِ اللهِ وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ وَمَعادِنِ حِكمَةِ اللهِ وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ وَحَمَلَةِ كِتابِ اللهِ وَأَوصِياءِ نَبِيِّ اللهِ وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

وهذا هو المقطع الرابع:

السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى اللهِ وَالأَدِلاءِ عَلى مَرضاةِ اللهِ والمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ اللهِ وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللهِ والمُخلِصِينَ فِي تَوحِيدِ اللهِ المُظهِرِينَ لأمرِ اللهِ وَنَهيِهِ وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

الحلقات المُتقدمة كانت شرحاً وبياناً وتوضيحاً لمعاني هذه المقاطع الأربعة، المقطع الخامس والذي سَأُسَلِّط الضوءَ عليهِ في هذه الحلقة:

السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ وَالقادَةِ الهُداةِ وَالسَّادَةِ الوُلاةِ وَالذَّادَةِ الحُماةِ وَأَهلِ الذِّكرِ وَأُولِي الأمر وَبَقِيَّةِ اللهِ وَخِيَرَتِهِ وَحِزبِهِ وَعَيبَةِ عِلمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِراطِهِ وَنُورِهِ وَبُرهانِهِ وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

هذا هو المقطع الأخير من المقاطع الخمسة التي تبتدئُ بها الزيارة الجامعة الكبيرة، المقطع الخامس في وجهٍ من وجوههِ فهو يتحدَّثُ عن مقامات أهل البيت في العالم الأرضي، كُلُّ هذه الأوصاف تتحدث عن مقاماتهم في العالم الأرضي، هذا في وجهٍ من وجوه مضامين المقطع الخامس، وفي وجهٍ آخر المقطع الخامس يُمثِّل إجمال للمعاني المُتقدمة في المقاطع الأربعة، فكأنه يجمِلُ المعاني ويُعيد صياغتها بصياغةٍ موجزة مختصرة، كُلُّ المعاني التي تقدمت في المقاطع الأربعة فهي مُجملةٌ ومجموعةٌ في المقطع الخامس، حينَ نقرأُ في المقطع الخامس: **السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ**، فإنَّهُ تَقَدَّمَ في المقطع الثاني: **السَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الهُدى**، وتَقَدَّمَ أيضاً في المقطع الثاني: **وَالدَّعوَةِ الحُسنى**، وتقدَّمَ في المقطع الرابع: **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله**، فهناك الأئمة وهناك الدُّعاة، هناك مادةُ الإمامة وهناك مادة الدعوة، موجودةٌ في اللفظ وفي المعنى هي واضحةٌ في قول المقطع الأول: **السَّلامُ عَلَيكُم يا أَهلَ بَيتِ النُّبُوَّةِ وَمَوضِعَ الرِّسالَةِ**، وهذه هي الإمامة والدعوة.

السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ وَالقادَةِ الهُداةِ، وهذا الكلام أيضاً مرَّ في المقطع الأول: **وَقادَةَ الأُمَمِ، وَالسَّادَةِ الوُلاةِ**، وهذا الكلام أيضاً مرَّ: **وَصُفوَةَ المُرسَلِينَ وَعُترَةَ خِيرَةِ رَبِّ العالَمِينَ، وَأَوصِياء نَبِيِّ الله وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ الله**، وتلك هي أوصافُ السادة الولاة – **وَالذَّادَةِ الحُماةِ** – وهذا الكلامُ تقدم في قول المقطع الأول: **وَقادَةَ الأُمَمِ وَأَولِياءِ النِّعَمِ، وَساسَةَ العِبادِ وَأَركانَ البِلادِ**، إلى أن يقولَ المقطع الأول: **وَأُمَناءَ الرَّحمنِ**، والأُمناءُ هم الذادةُ وهُم الحُماة – **وَأَهلِ الذِّكرِ** – وتقدم الكلام في المقطع الثالث: **وَحَفَظَةِ سِرِّ الله وَحَمَلَةِ كِتابِ الله – وَأُولِي الأمر** – وتقدمَ الكلام في المقطع الرابع: **والمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله**، وكذلك تقدم الكلام نفسهُ في نفس المضمون في المقطع الأول وكذلك في المقطع الثاني: **وَبَقِيَّةِ الله وَخِيَرَتِهِ وَحِزبِهِ**، كُلُّ هذا الإشارة فيه إلى ما جاء في المقطع الأول: **وَعَناصِرَ الأَبرارِ وَدَعائِمَ الأَخيارِ**، وكذلك ما جاء في المقطع الثاني: **وَمَصابِيحِ الدُّجى وَأَعلامِ التُّقى وَذَوِي النُّهى وَأُولِي الحِجى وَكَهفِ الوَرى**، وأيضاً في كهف الورى التَضَمُّن لمعنى: **وَالذَّادَةِ الحُماةِ – وَعَيبَةِ عِلمِهِ** – وتقدم في المقطع الأول: **وَخُزَّانَ العِلمِ**، وكذلك ما جاء في المقطع الثالث: **السَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعرِفَةِ الله وَمَساكِنِ بَرَكَةِ الله وَمَعادِنِ حِكمَةِ الله – وَحُجَّتِهِ وَصِراطِهِ وَنُورِهِ وَبُرهانِهِ** – كُلُّ هذه المضامين تقدمت إما بنفس المادة اللفظية أو بنفس المضمون، لذلك فإن المقطع الخامس في وجهٍ من وجوهه بيانٌ لِمقاماتِ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في العالم الأرضي، وفي وجهٍ آخر هو إجمالٌ لكل المضامين التي تقدمت في المقاطع الأربعة السابقة.

وتلاحظون كيفية التنظيم والدقة في سبك المعاني وفي ترتيب وتخطيط الموضوعات في هذا النص المقدَّس، هذه المقاطع الخمسة هي الأسس والقواعد لفهم نص الزيارة الجامعة، كُلُّ المعاني الأخرى الموجودة في بقية نص الزيارة الجامعة تعود في أصولها إلى هذه المقاطع الخمسة، والمقاطع الخمسة تقدَّمَ المقطعُ الأول والثاني

والثالث والرابع كُلُّ مقطعٍ على حِدا في بيان مضامينه ومعانيه يأتي المقطع الخامس ليُجمِلَ هذه المعاني، وكأنه يجمعها بصيغةٍ موجزةٍ كاملة تامة.

السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ – الأئمة والدعاة تقدم الكلام في المعاني اللغوية وفي مضمون الزيارة الجامعة الكبيرة، الأئمة جمعٌ لإمام والإمام هو الحقيقةُ الجامعة، الإمام تأتي إما من كلمة الأُم وهي الأصل، والأم أصلٌ وجامعة، وإما تأتي من كلمة الأَم وهو الجمع، لذلك يُقال لمن يجمعَ الناس، لمن يجمع الناس في الصلاة الجامعة أو في صلاة الجماعة يُقال له إمام، فالإمام إما من الأُم وهو الأصل، والإمام هو الأصل، وإما من الأَم وهو الجمع، وهو الحقيقة الجامعة، لذلك القرآن يُصرِّح بأن كل شيءٍ قد أُحصيَ في إمامٍ مبين، في سورة يس وفي آياتٍ أخرى تشيرُ إلى نفس هذه الحقيقة، كُلُّ شيءٍ أحصاهُ الباري سبحانه وتعالى في إمامٍ مبين، في الإمام الذي هو حقيقةٌ جامعة – **السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ** – دُعاةٌ بكل لسان، دعاةٌ بكل فعل، ودعاةٌ بكل حال ودعاةٌ بكل حقيقة.

في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول، والرواية عن إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه وهو يتحدث عن منزلة الإمامة وعن خصائص الإمام فيقول إمامنا الرضا صلوات الله عليه: **إنَّ الإمامة هي منزلةُ الأنبياء وإرثُ الأوصياء، إنَّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول** – وإن شاء الله تعالى في الأيام الأخيرة من هذا الشهر من شهر رجب سأشرعُ في أهمِّ المَلَّفات العقائدية في مَلفِّ العصمة وهناك يكون الحديثُ عن الإمامةِ وعن العصمة – **إنَّ الإمامة هي منزلةُ الأنبياء وإرثُ الأوصياء، إنَّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقامُ أمير المؤمنين عليه السلام وميراثُ الحسنِ والحسينِ عليهما السلام، إنَّ الإمامة زِمامُ الدين ونِظامُ المسلمين وصلاحُ الدنيا وعِزُّ المؤمنين، إنَّ الإمامة أُسُّ الإسلام النامي وفرعهُ السامي، بالإمام تمام الصلاةِ والزكاةِ والصيامِ والحجِ والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف** – مراده صلوات الله عليه أن هذه لا يمكن أن تنتظم من دون إمامٍ عالِمٍ عادل، لابد من علمٍ، لابد من عدالةٍ، والعدالة هي العصمة في أجلى معانيها في آل مُحَمَّد صلوات الله عليهم، وانَّ هذه الأعمال فضلاً عن أن انتظامها مشروطٌ بالإمام المعصوم فإنَّ قبولها عند الله سبحانه وتعالى مشروطٌ به أيضاً – **الإمام يُحِلُّ حَلالَ الله ويُحَرِّمُ حَرام الله ويُقيم حدود الله ويَذبُّ عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحُجَّة البالغة، الإمام كالشمس الطالعة المُجَلِّلة بنورها للعالم وهي بالأفق حيثُ لا تنالها الأيدي والأبصار، الإمام البدرُ المنير والسراجُ الزاهر والنورُ الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز البلدان والقِفار ولُجج البحار، الإمام الماء العَذبُ على الظمأ والدَّالُ على الهُدى والمُنجي من الردى، الإمام النارُ على**

اليفاع – اليفاع المناطق الأرضية المرتفعة، التلال، الهضاب – **الإمام النارُ على اليفاع الحارُّ لمن اصطلى به والدليلُ في المهالك من فارقهُ فهالِك، الإمام السحابُ الماطر والغيثُ الهاطل والشمسُ المضيئة والسماء الظليلة والأرضُ البسيطة والعينُ الغزيرة والغدير والروضة، الإمام الأنيس الرفيق والوالدُ الشفيق والأخُ الشقيق والأُمُّ البرَّةُ بالولد الصغير ومَفزَعُ العِباد في الداهيةِ النئاد** – النئاد المصيبة الكبيرة – **الإمام أمين الله في خلقه وحجتهُ على عباده وخليفتهُ في بلاده والداعي إلى الله والذابُّ عن حُرَم الله، الإمام المُطَهَّرُ من الذنوب والمبرأُ عن العيوب، المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم نظامُ الدين وعِزُّ المسلمين وغيضُ المنافقين وبوار الكافرين، الإمام واحدُ دهره لا يُدانيه أحد ولا يُعادلهُ عالم ولا يوجد منه بَدَل ولا له مِثلٌ ولا نظير مخصوصٌ بالفضلِ كُلِّهِ من غير طلبٍ منه له ولا اكتسابٍ بل اختصاصٌ من المُفَضِّل الوهاب** – هذا هو الإمام وتلك هي أوصافهُ وهذا جانبٌ من شؤوناته في مقاماتهِ الدنيوية، قلت قبل قليل بأن المقطع الخامس في وجهٍ من وجوههِ يتحدث عن مقامات أهل البيت وعن شؤوناتهم في العالم الأرضي، وهذه جملةٌ من أوصافهم ومن حالاتهم ومن شؤوناتهم في عالم الأرض.

كلامٌ لإمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه أيضاً في الكافي الشريف: **وجَعَلهُ الحُجَّة على عباده** – الله سبحانه وتعالى جعل الإمام الحُجَّة على عباده، من خطبةٍ طويلة اقتطفُ هذا المقطع – **وجَعَلهُ الحُجَّة على عباده وقَيّمهُ في بلاده وأيَّدهُ بروحه وآتاهُ علمه وأنبأه فصل بيانه واستودعهُ سره وانتدبهُ لعظيم أمره وأنبأه فضل بيان علمه ونَصَبهُ عَلَماً لخلقه وجعلهُ حُجَّةً على أهل عالمه وضياءً لأهل دينه والقيّم على عباده، رضي الله به إماماً لهم استودعهُ سره واستحفظه علمه واستخبأه حكمته واسترعاه لدينه وانتدبهُ لعظيم أمره وأحيا به مناهج سبيله وفرائضه وحدوده فقام بالعدل عند تحير أهل الجهل وتحبير أهل الجدل بالنور الساطع والشفاء النافع** – والتحبير هو التضييع – **وتحبير أهل الجدل بالنور الساطع والشفاء النافع بالحق الأبلج والبيان اللائح من كل مخرج على طريق المنهج الذي مضى عليه الصادقون من آبائهِ عليهم السلام وليس يجهل حقَّ هذا العالم إلا شقي ولا يجحدهُ إلا غوي ولا يصدهُ عنه إلا جَريٌّ على الله جلَّ وعلا** – جريٌّ يعني يتجرأ بالمعصية وبالخروج على الله وبالخروج على ما يريد الله سبحانه وتعالى، هذه المضامين أعتقد أنني تكلمت عنها فيما مرَّ من الحلقات الماضية وقد تقدَّمَ شرحُ هذه الروايات في برنامجٍ في فناء الكافي الشريف – **السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ** – هؤلاء هم أئمتنا، تلك هي أوصافهم، أوصافٌ تتكامل في جميع اتجاهاتهم، هم كاملون في حالاتهم النفسية، كاملون في أقوالهم وألفاظهم، كاملون في قلوبهم وعقلوهم، كاملون في أفعالهم وذواتهم وتلك هي العصمة، العصمة هي عصمة القلب وعصمة العقل وعصمة الروح وعصمة الجسد وعصمة اللسان وعصمة الفكر والعلم وعصمة المنطق

وعصمة التخطيط وعصمة الأوامر والنواهي وعصمة الحركة والسكون وعصمة كل شيءٍ يتعلقُ بذواتهم وبعوارضهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، تلك هي العصمة وتلك هي الإمامة وهذه إمامة الدنيا، أما إمامة الكون فذلك معنىً أعمق وأبعد وأوسع، إمامة الكون هي إمامة ذلك الأسم الذي خلقه فاستقرَّ في ظله عنده فلا يخرج منه إلى غيره كما مرَّ علينا في الحلقات الماضية.

السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ وَالقادَةِ الهُداةِ وَالسَّادَةِ الوُلاةِ – قادةٌ، ولاةٌ، القائد هو الذي يقود غيره ولا يكون القائد قائداً لغيرهِ ما لم يمتلك المعرفة وإلا كيف يقود غيره؟! الذي يقود غيرهُ إلى مطبات الهلاك وإلى الكُفر المُظلِمة فذلك ليس بقائدٍ حقيقةً، القائد هو الذي يقودُ إلى الهدى، أما حينما نسمي أولئك الذين يقودون الناس إلى الضلال قادة وأئمة فإنها تسميةٌ مجازية، التسمية الحقيقية والمعنى الحقيقي للقائد الذي يقود الناسَ إلى الخير لأن الله سبحانه وتعالى فطر الخلق على الخير، ولأن الله سبحانه وتعالى سبقت رحمته غضبه، ولأن الله سبحانه وتعالى أنشأ هذا الوجود على الجمال وعلى الخيرية، محضُ الخيرِ هو فيضُ الله سبحانه وتعالى، وهذا ينعكسُ على التكوين وعلى التشريع، ينعكسُ على ما يجري في القلوب وعلى ما يجري على الألسنة، ينعكسُ على المخلوقات المادية وعلى المخلوقات المعنوية، ينعكس على اللغات والألسنة والألفاظ، اللغات والألفاظ هي آيةٌ من آيات الله سبحانه وتعالى، القادةُ في معناها الحقيقي إنما هم قادة الخير ولو أُطلِقت القادة والأئمة على أئمة الجور وأئمة الكفر وأئمة النيران فذلك استعمالٌ فيه شيءٌ من المُسامحة، لأن القائد الحقيقي هو الذي يقود الخلقَ إلى الرضا وإلى الخير وإلى الصلاح وهم أئمتنا.

السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ وَالقادَةِ الهُداةِ وَالسَّادَةِ الوُلاةِ، فالإمامةُ لهم والدعوة لهم وهي قائمةٌ بهم، فهم أئمةٌ دُعاة، والقيادة لهم، مرَّ علينا في المقطع الأول: **وَقادَةَ الأُمَمِ وَأَولِياءِ النِّعَمِ**، هم قادةٌ للأمم لأيِّ شيءٍ؟ لأنهم أولياءُ النِعَم، ما عند الأمم من النِعَم فهي منهم، هم قادة الأمم والأمم اصطلاحٌ ليس مخصوصاً بالبشر، القرآن يُعَبِّرُ عن كُلِّ الكائناتِ بأنها أُمَمٌ أمثالنا – **وَالقادَةِ الهُداةِ** – لهم القيادة وإنما كانت لهم القيادة لأن الهداية بأيديهم ولأنهم هم مصابيحُ الهدى وتلك هي القيادةُ الحَقّة، القيادة التي تملك الهدى وتملك الهداية، أيُّ قائدٍ هذا الذي لا يعرفُ معاني كتاب الله سبحانه وتعالى في حدودها اللفظية؟! لا أريد الحديثَ عن هذه النماذج المُغرِقة في الضلالِ والجهل – **السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ وَالقادَةِ الهُداةِ وَالسَّادَةِ الوُلاةِ** – هم أولياءُ النِعَم وهم سادةُ الخلق فهم ذريةُ رسول الله صلى الله عليه وآله، وحين أتحدث عن أنهم ذريةُ رسول الله ذريتهُ ذرية العصمة فضلاً عن ذرية اللُحمة، هم أبناءهُ من جهة اللُحمة وهم أبناءهُ من جهة العصمة، هُم ورَثَةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله من جهة النبوة والولاية والإمامة والعصمة والعلم والفهم، وهم ورثتهُ من جهة النَسَبِ فكُلُّ نبيٍ ذريتهُ من صُلبه وذريتي من صُلبِ عليٍّ صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين – **السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ وَالقادَةِ الهُداةِ وَالسَّادَةِ الوُلاةِ وَالذَّادَةِ الحُماةِ** – هُم الذَّادةُ وهم الحُماة، الذادة هم الدافعون لكل نقصٍ والدافعون لكل شرٍ عن أوليائهم، عن الناس جميعاً وعن أوليائهم بنحوٍ خاص، هم ذادةٌ وحُماة، كلماتُ أهل بيت العصمة كلها تفوحُ بهذه المعاني وتتجلى فيها هذه الصورُ جليةً واضحة.

في الكافي الشريف بسندهِ: **عن مُحَمَّد بن مسلم قال: سمعتُ أبا جعفرٍ عليه السلام يقول: كُلُّ من دانَ الله عزَّ وجلَّ بعبادةٍ يُجهِدُ فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيهُ غير مقبول وهو ضالٌّ مُتحير والله شانئٌ لأعمالهِ ومَثَلهُ كمثل شاةٍ ظلَّت عن راعيها وقطيعها فهجمت ذاهبةً وجائيةً يومها فلمَّا جنَّها الليلُ بَصَرت بقطيع غنمٍ مع راعيها فحنَّت إليها واغترت بها فباتت معها في مربضها، فلمَّا أن ساق الراعي قطيعهُ أنكرت راعيها وقطيعها فهجمت متحيرةً تطلبُ راعيها وقطيعها، فبَصُرت بغنمٍ مع راعيها فحنَّت إليها واغترت بها فصاح بها الراعي إلحقي براعيكِ وقطيعكِ فأنتِ تائهةٌ متحيرةٌ عن راعيكِ وقطيعكِ فهجمت ذَعِرةً متحيرةً تائهة لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردها، فبينا هي كذلك إذ اغتنم الذئب ضيعتها فأكلها، وكذلك والله يا مُحَمَّد** – الإمام يخاطب محمد بن مسلم – **وكذلك والله يا مُحَمَّد من أصبحَ من هذه الأُمَّة لا إمام له من الله عزَّ وجلَّ ظاهرٌ عادلٌ أصبح ضالاً تائهاً وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفرٍ والنفاق** – هُم الذَّادةُ الحماة الذين يحمونا من أن نموت ميتة الكفر والنفاق – **اللَّهُمَّ عَرِّفني حُجَّتَك فَإنَّكَ إن لَم تُعَرِّفني حُجَّتك ظَللتُ عن ديني، اللَّهُمَّ لا تُمتني ميتةً جاهلية** – من لم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية.

هُم الذَّادةُ الحُماة، هم الذين يذودون عنَّا في هذه الدنيا ويذودون عنا في قبورنا، في رواياتنا حينما يحتضر الإنسان وحينما يكون الإنسان في النَزَع الأخير وهو يُفارقُ هذه الدنيا في تلكم الحالة الموحشة المخيفة المرعبة هولُ المُطّلع أكثر شيءٍ سيُرعِبُ الإنسان، الروايات تُخَبِّرنا بأن أئمتنا يحضرون بأن سيد الأوصياء يحضر ليكون سبباً لاطمئنان نفوس أولياءه ﴿يا أَيَّتُها النَفسُ المُطمَئِنَّة﴾ إنما يحصل الاطمئنان ﴿ارجعي إلى رَبِّكِ راضيةً مرضية﴾ في وجهٍ من وجوه هذه الآية النفس المُطمَئنة، النفوس التي آمنت بعليٍّ وآل عليّ ويَحضرُ عليٌّ عندها ويكون عليٌّ سبب اطمئنانها، هم ذادةٌ وحُماة وفي القبر، في القبر حين تأتي أعمال العبد وحين يأتي السؤال وحين يأتي الحساب فتتقدم الصلاة ولا تنفعُ الإنسان، الروايات هكذا تُخبِرُنا، والزكاة والحجُ وكل أعمالهِ حينئذٍ تتقدمُ الولاية لعليٍّ وآل عليّ، تقول إني له هي التي تُدافِعُ عنا في قبورنا، وفي يوم القيامة كذلك، والأحاديث متواترةٌ مستفيضةٌ في هذه المضامين عن أهل بيت العصمة، الروايات كثيرةٌ جداً

جداً جداً في هذه المضامين إنهم سيقفون لنا عند الصراط عند الميزان عند تطائر الصحف في كل تلكم المواقف الصعبة والمُذهلة والمخيفة والمرعبة والمُفزِعة هناك سنجد مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد.

اللَّهُمَّ إنَّا نُقسِمُ عليك بجبين مُحَمَّدٍ الزاهر أن تُعرِّفنا وجوه عليٍّ وآل عليَ عند الاحتضار وليلة الوحشة في قبورنا وعند مواقف يوم القيامة، عند الصراط وعند الميزان وعند تطائر الصحف، اللَّهُمَّ عَرِّفنا عليَّاً وآل عليٍّ عند أبواب الجنان واجعلنا جيراناً لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هو بَشّرنا بذلك، يا عليّ وشيعَتُكَ على منابر من نور وهم جيراني في الجنة، اللَّهُمَّ أمِتنا على ولاية عليٍّ وآل عليّ واحشرنا على ولاية عليٍّ وآل عليّ.

واعلم يا مُحَمَّد – لا زال الحديثُ مع مُحَمَّد بن مسلم – **واعلم يا مُحَمَّد أنَّ أئمة الجورِ وأتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلّوا وأضلّوا فأعمالهم التي يعملونها كرمادٍ اشتدت به الريح في يومٍ عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلالُ البعيد** – وذلك هو القانونُ الإلهي والسُنّةُ الإلهية التي جعلها الباري سبحانه وتعالى في خلقهِ وعباده.

الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، أيضاً في الكافي الشريف – **أبى الله أن يُجري الأشياء إلا بأسباب فجعل لكل شيءٍ سبباً وجعل لكل سببٍ شرحاً وجعل لكل شرحٍ علماً وجعلَ لكل علمٍ باباً ناطقا عرفهُ من عرفه وجَهِلَهُ من جَهِلَه ذاكَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله ونحنُ** – هُم آلُ مُحَمَّد، هذا السببُ الذي بهِ النجاة وبهِ الهداية، لذلك نحنُ نناجي إمام زماننا في دعاء النُدبة: **أينَ السَببُ المُتَّصِلُ بين الأرضِ والسماء**، كلامٌ صريحٌ واضحٌ جلي، إمامنا الصادق هنا يبين لنا هذه الحقيقة – **أبى الله أن يُجري الأشياء إلا بأسباب** – وهذا هو قانون السببية في هذا الوجود – **فجعل لكل شيءٍ سبباً وجعل لك سببٍ شرحاً وجعل لكل شرحٍ علماً وجعلَ لكل علمٍ باباً ناطقاً** – والرواية فيها إشارة واضحة إلى الولاية التكوينية لأنَّ هذا الباب الناطق بابٌ يستولي علمهُ وهو علمٌ ناطق، علمٌ حقيقي يستولي على العلم والشروح والأسباب، الرواية هكذا قالت: **أبى الله أن يُجري الأشياء إلا بأسباب فجعل لكل شيءٍ سبباً وجعل لك سببٍ شرحاً** – حقيقة – **وجعل لكل شرحٍ علماً** – وهذا العلم علمٌ ناطق وليس علماً صامتاً يُكتَبُ بالأقلامِ على الأوراق – **وجعلَ لكل علمٍ باباً ناطقا عَرفهُ من عَرفه وجَهِلَهُ من جَهِلَه ذاكَ رسولُ الله ونحنُ** – صلوات الله على رسول الله وعلى آلهِ الأطهار، هؤلاء هم الذين تُحدِّثُنا الزيارة الجامعة الكبيرة فَتُعَلِّمنا كيف نخاطبهم: **السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ وَالقادَةِ الهُداةِ وَالسَّادَةِ الوُلاةِ وَالذَّادَةِ الحُماةِ** – أولئك هم الذين يحموننا، أولئك هم أهلُ الذكر وهم أولوا الأمر – **وَأَهلِ الذِّكرِ وَأُولِي الأمر**.

الرواية في الكافي الشريف أيضاً: **عن عبد الرحيم القصير عن أبي جعفرٍ عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى:** ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَومٍ هَادٍ﴾ **فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله المُنذِر وعليٌّ الهادي،**

أما والله ما ذهبت منا وما زالت فينا إلى الساعة – الهداية فيهم ومنهم وإليهم وبهم صلوات الله عليهم – **رسول الله المُنذر وعليٌّ الهادي أما والله ما ذهبت منا وما زالت فينا إلى الساعة** – ما زالت فينا إلى الساعة إلى ساعة يوم القيامة أو إلى الساعة إلى الساعة التي كان فيها يتحدَّثُ الإمامُ صلوات الله عليه وفي كل ساعة، هم الحُجّةُ المُطلقة على أهل السماء وعلى أهل الأرض وتلك من بديهيات عقائدنا نطقت بها روايات أهل البيت وزياراتهم الشريفة.

لذا حين نتصفح كتاب الكافي الشريف فماذا نجد؟ **عن أبي حمزة الثُمالي، قال: قال أبو جعفرٍ عليه السلام: يا أبا حمزة يخرج أحدكم فراسخ** – فراسخ جمعٌ لفرسخ وهي قياساتٌ قديمة، قياساتُ الأطوال والمسافات، الفرسخ يعادل في زماننا ربما خمس كيلومترات – **يا أبا حمزة يخرج أحدكم فراسخ فيطلبُ لنفسهِ دليلاً وأنتَ** – والخطابُ ليس لأبي حمزة فقط، الخطابُ للإنسان – **وأنتَ أيُّها الإنسان بطرق السماء أجهل منك بطرق الأرض فاطلب لنفسك دليلاً** – هؤلاء الأدلة هم القادة الهداة – **السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ وَالقادَةِ الهُداةِ وَالسَّادَةِ الوُلاةِ** – هؤلاء هم الأدلة الذين يتولون أمورنا وهم أولى بنا من أنفسنا – **وَالذَّادَةِ الحُماةِ وَأَهلِ الذِّكرِ وَأُولِي الأمر** – هؤلاء هم الذين يتحدث عنهم إمامنا الصادق، **أبو بصير يتحدث ويقول: إن الإمام الصادق عليه السلام قال في قول الله عزَّ وجلَّ:** ﴿وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيراً كَثِيراً﴾ **فقال: طاعة الله ومعرفة الإمام** – طاعة الله ومعرفة الإمام لأنها تقودُ إلى الرضوان تقود إلى الهدى، في المقطع السابق: **السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله** – وتلك هي الحكمة بعينها وبتمام معناها.

رواية قصيرة مراراً وتكراراً أذكرها وأذكرها اليوم أيضاً: **عن أبي بصيرٍ قال: قال لي أبو جعفر: هل عرفت إمامك؟ قال: قلتُ: أي والله قبل أن أخرج من الكوفة، فقال: حسبك إذاً فلقد بلغت الهدى** – فقال: حسبك إذاً، يكفيك ما وصلت إليه من المعرفة، حسبك إذاً تتجلى في هذا المقطع: **السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ** – أئمة حقٍّ دُعاةُ حق – **وَالقادَةِ الهُداةِ وَالسَّادَةِ الوُلاةِ وَالذَّادَةِ الحُماةِ** – كُلُّ هذه المعاني مجتمعة عندهم – **وَأَهلِ الذِّكرِ وَأُولِي الأمر وَبَقِيَّةِ الله وَخِيَرَتِهِ** – هم خيرة خلقهِ – **وَحِزبِهِ وَعَيبَةِ عِلمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِراطِهِ وَنُورِهِ وَبُرهانِهِ** – من يعرف هذه المعاني ألا يُقال له حسبك إذاً؟ هي هذه المعرفة التي قال عنها باقر العترة لأبي بصيرٍ حسبك إذاً، لأن أبا بصير كان يعرف الإمام بهذه الأوصاف: أئمة حقٍّ، دُعاةُ حقٍّ، قادةُ حقٍّ، هُداةُ حقٍّ، سادةُ حقٍّ، ولاةُ حقٍّ وذادة حقٍّ، وحُماةُ حقٍّ وأهل الذكر بحقٍّ وأولي الأمر بحقٍّ وبقية الله بحقٍّ وخيَرة الله بحقٍّ وحزب الله بحقٍّ وعيبة علمه بحقٍّ وحجتهُ بحقٍّ وصراطهِ بحقٍّ ونورهِ بحقٍّ وبرهانهِ

بحقٍّ، لذا نحن نخاطبهم فنقول: **وَالحَقُّ مَعكُم وَفِيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم وَأَنتُم أَهلُهُ وَمَعدِنُهُ**، لأنَّ الحقَّ بكل مظاهرِهِ وبكل اتجاهاتهِ وبكل نواحيه فيكم ومنكم وإليكم ولا يخرج الحق إلا منكم ولا يعودُ الحقُّ إلا إليكم، لذلك كانوا أئمةً وكانوا قادةً وكانوا قادةً للهداية وكانوا سادةً وكانوا أولياء النِعَم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه هي المعرفة التي قال عنها الإمامُ يُخاطِبُ أبا بصير: حسبك إذاً – **هل عرفت إمامك؟ قال: قلتُ: أي والله قبل أن أخرج من الكوفة، فقال: حسبك إذاً** – ولذا حين نستمر في قراءةِ هذه الأوصاف في هذا المقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة آخر عنوان: **وَبُرهانِهِ**، هم برهان الله والبرهان هو الدليل الواضح، الدليل الساطع البيّن، نظرة سريعة لبعضٍ من العناوين الوقتُ لا يكفي أن أتناول كُلَّ ما جاء من العناوين في كتاب الكافي الشريف، يمكنكم أن تراجعوا الفهرست لتروا العناوين التي تَحدَّث عنها أهل البيت وجمعها الشيخُ الكليني رضوان الله تعالى عليه ومع ذلك فهو يعتذر عمَّا جمع من رواياتٍ في كتاب الحُجَّة، حين نذهب إلى كلام الشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه، ماذا يقول في نهاية المقدمة؟

المقدمة التي كتبها الشيخ الكليني يقول: **ووسعنا قليلاً كتاب الحُجَّة** – وهو الكتاب الذي يتحدث فيه عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – **ووسعنا قليلاً كتاب الحُجَّة وإن لم نُكَمِّلهُ على استحقاقهِ** – هو يعتذر عن عدم تكميله على استحقاقه – **ووسعنا قليلاً كتاب الحُجَّة وإن لم نُكَمِّلهُ على استحقاقهِ لأنَّا كَرِهنا أن نبخس حظوظهُ كُلَّها** – هو يقول بأنني قد بخستُ حظَّ مُحَمَّدٍ وآلَ مُحَمَّدٍ في هذا الكتاب، هذا كلام الكليني رضوان الله تعالى عليه، الكليني وما أدراك ما الكليني، هذا الكتاب الذي بين يدي كتاب الكافي معجزةٌ من معاجز المعرفة والعلم، هذا الكتاب لا يعرف قيمتهُ إلا من كانت له معرفة بحديث أهل البيت – **ووسعنا قليلاً كتاب الحُجَّة وإن لم نُكَمِّلهُ على استحقاقهِ لأنَّا كَرِهنا أن نبخس حظوظهُ كُلَّها** – يعني يقول إنني ذكرت شيئاً من حقِّ الحُجَّةِ من حقِّ هذا الكتاب من حقِّ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فإنني لا أريدُ أن أبخسَ كُلَّ الحظوظ لهذا الكتاب ولهذا العنوان – **لأنَّا كَرِهنا أن نبخس حظوظهُ كُلَّها وأرجو أن يُسَهِّلَ الله جلَّ وعزَّ إمضاء ما قدّمنا من النيّة إن تأخر الأجَلُ صنّفنا كتاباً أوسعَ وأكمل منه نوفيهِ حقوقهُ كُلَّها إن شاء الله تعالى** – يعني إن ما ذكرهُ الكليني هو يقول بأنه قد بَخَسَ مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد حظوظهم وحقوقهم، ولِذا هو في نيته أن يكتب كتاباً مفصّلاً، إنما أقول هذا الكلام لأولئك الذين يقولون بأن كتاب الكافي مشحونٌ بروايات الغلو، وأنا لا أعني هنا المخالفين، أعني أولئك الذين يتمشدقونَ بالعلم ويتفيقهون برؤوسنا على أنهم يفهمون ويعرفون حديث أهل البيت، من داخل الوسط الشيعي، الكليني نفسهُ يعتبر نفسه قد بَخَسَ حظوظ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، والوقت لا يكفي لأن أقرأ العناوين التي أوردها الكليني، يمكنكم أن تراجعوا العناوين، أنا أشير إلى نماذج من هذه العناوين، من هذه العناوين:

أنَّ الأئمة شُهداءُ الله عزَّ وجلَّ على خلقه – شُهداء: كيف يكونوا شهداء ما لم يكن لهم علمٌ بما مضى وما هو الآن وما سيأتي – في أن الأئمة شهداءُ الله عزَّ وجلَّ على خلقه.

أنَّ الأئمة هم الهُداة.

أن الأئمة وُلاةُ أمر الله وخَزَنَةُ علمه.

أنَّ الأئمة خلفاء الله عزَّ وجلَّ في أرضه وأبوابهُ التي منها يؤتى.

أنَّ الأئمة نورُ الله عزَّ وجلَّ.

أنَّ الأئمة هم أركانُ الأرض.

أنَّ الأئمة هم العلامات التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ في كتابهِ.

أنَّ الآيات التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ في كتابه هُم الأئمة، يعني: حيثما قال آياتُ الله، آياتي، آياتنا، هم الأئمة.

أنَّ أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة.

أنَّ الراسخين في العلم هم الأئمة.

أنَّ من اصطفاه الله من عبادهِ وأورثهم كتابه هم الأئمة.

أنَّ النعمة التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ في كتابهِ الأئمة، حيثما قال نعمة فهم الأئمة.

أنَّ الأئمة معدن العلمِ وشجرة النبوة ومختلف الملائكة.

وأنَّ ... وأنَّ ... وأنَّ ...

الفهرست طويل، هذه نماذج مما ذكرهُ الشيخ الكليني في كتاب الحجة من كتاب الكافي الذي قال عنه في المقدمة بأنه قد بَخَسَ حظوظ هذا الكتاب، قد بَخَسَ حظوظ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في هذا الكتاب، فأولئك الذين لا يفهمون ولا يعون ما قالهُ أهل البيت يأتون فيقولون بأنَّ ما جاء في كتاب الكليني فيه الكثير من الغلو، وها هو الكليني رضوان الله تعالى عليه، أتعلم أيُّها المُحِبّ بأنَّ الكليني متى توفي؟ توفي الكليني سنة: 328، أي قبل وفاة السفير الرابع علي بن مُحَمَّد السَمَري، عليُّ بن مُحَمَّد السَمَري السفير الرابع النائبُ الخاص للإمام الحجة توفي سنة: 329، يعني أن الغيبة الكبرى ابتدأت سنة: 329 في شهر شعبان من سنة: 329 ابتدأت الغيبة الكبرى، وأنَّ الشيخ الكليني توفي قبل ذلك بسنة سنة: 328، يعني توفي في زمان الغيبة الصغرى، أتعلم بأنَّ النُواب الأربعة كانوا في بغداد وأنَّ الكليني كان يعيشُ في بغداد أيضاً وقبرهُ معروفٌ في بغداد؟ قبرُ الكليني، أتعلم بأنَّ الكليني قَضّى أكثر من عشرين سنة جَمَع فيها كتاب الكافي في بغداد؟ أتعلم بأنَّ الكليني جعل من كتاب الكافي رسالةً عملية؟ هو يقول في مقدمةِ كتابهِ، ماذا يقول؟

يتحدث في مقدمة كتابهِ فيقول: بأنَّ هذا كتابٌ كافٍ، كافٍ في الجانب العملي في الجانب العبادي في

الجانب العقائدي في الجانب الأخلاقي، هو يقول ذلك في مقدمتهِ وفي حديثهِ في بداية الكتاب، يقول: وذكرت أن أموراً قد أشكلت عليكَ لا تعرف حقائقها لاختلاف الرواية فيها، وأنَّكَ تعلم أن اختلاف الرواية فيها لاختلاف عللها وأسبابها، وأنَّك لا تجدُ بحضرتك من تُذاكِرهُ وتُفاوضهُ ممن تثقُ بعلمهِ فيها، وقلت إنَّك تُحِبُّ أن يكون عندك كتابٌ كافٍ يُجمَعُ فيهِ من جميع فنون علم الدين ما يكتفي به المُتعلم ويرجع إليه المُسترشد ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام والسُنن القائمة التي عليها العمل وبها يؤدى فرضُ الله عزَّ وجلَّ وسنة نبيه وقلت لو كان ذلك رجوت أن يكون ذلك سبباً يتدارك الله تعالى بمعونتهِ وتوفيقهِ إخواننا وأهل ملتنا ويُقبِلُ بهم إلى مراشدهم، رسالة عملية، بل إنَّ الكلام الذي ذكرهُ هنا أوضح وأقوى من الكلام الذي يكتبه الفقهاء في بداية الرسائل العملية، ماذا يكتب الفقهاء في بداية الرسائل العملية؟

إنَّ العمل بهذه الرسالة مُجزئ ومُبرئ للذمَّة، مُجزئ ومُبرئ للذمَّة إن شاء الله تعالى ثم يختم الفقيه بختمهِ على بداية الرسالة العملية، أتعرف معنى مُجزئ ومُبرئ للذمَّة؟ يعني إنَّ الفقيه ليس متأكداً من صحة ما كتبهُ في الرسالة العملية، هذا هو معناه، حينما يكتب في بداية الرسالة إنَّ العمل بهذه الرسالة مُجزئ ومُبرئ للذمَّة يعني أنَّه ليس متأكداً من صحة ما كتب وإنما هو غاية ما توصل إليه، فيرجوا أن يكون هذا العمل مُبرئ لذمَّة العامل به، أما كلام الكليني هنا بشكلٍ قاطع واضح، اسمعوا إلى كلامه ماذا يقول: **ويأخذُ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين**. هو يقطع بصحة ما ذكرهُ في هذا الكتاب، أنا هنا لا أريد أن أقول بأنني أعتقدُ بصحة كُلِّ كلمةٍ في هذا الكتاب أبداً، نحن كُلُّ كلامٍ نناقشهُ، لكن هؤلاء الذين لا يفقهون ولا يعرفون حديث أهل البيت فيصفون هذا الكتاب بالغلو ويصفون هذا الكتاب بأن فيه الحشو الكثير، مؤلف هذا الكتاب صرف أكثر من عشرين سنة في زمانٍ كانت الأصول المنقولة عن الأئمة موجودة الأصول الأربعمئة، وعاش في بغداد مع النواب مع نواب الإمام الحُجَّة، فهل يُعقل أنه ما عرضَ هذا الكتاب إذا كان يريد من هذا الكتاب أن يكون رسالة عملية لشيعة أهل البيت!! هذا الكلام ألا يدل على قاطعية، هذا الكلام ألا يدل على وضوح من الصورة والفكر عند الكليني حينما يقول: **ويأخذ منه من يريد علم الدين العلم والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين والسنن القائمة التي عليها العمل وبها يؤدى فرضُ الله عزَّ وجلَّ وسُنة نبيه وقلتَ لو كان ذلك رجوت أن يكون ذلك سبباً يتدارك الله تعالى بمعونتهِ وتوفيقهِ إخواننا وأهل ملتنا ويُقبِلُ بهم إلى مراشدهِ**. هذا هو كلامُ الكليني في بداية كتابهِ الذي هو الرسالة العملية لشيعة أهل البيت في ذلك العصر، والكلام كُتِب هذا الكتاب في زمان الغيبة الصغرى، يعني رسالة عملية لشيعة أهل البيت في زمان الغيبة الصغرى في زمان التشريع في زمان الإمام

الحجة حيثُ النواب الخاصون، هذه خصوصية كتاب الكافي، لذلك ترون دائماً أنني أرجع إلى هذا الكتاب ودائماً تكون البداية والنهاية عند هذا الكتاب عند كتاب الكافي الشريف، هذا الكتاب معجزة كتب الحديث، من يعرف قيمة كتاب الكافي وما جَمع فيه، ما ترك صغيرةً ولا كبيرة مع أنَّه لم يجمع كلَّ الحديث، من خلال التجربة والبحث في كتب الحديث لو أخذت أيَّ موضوع من الموضوعات وجمعت الأحاديث في هذا الموضوع قد لا أجد في كتاب الكافي إلا روايتين أو ثلاث وفي بعض الأحيان رواية واحدة لكن هذه الرواية جامعة لكل مضامين الروايات الأخرى وهذه القضية ظاهرة وواضحة في كتاب الكافي، إن كان في جنبتهِ العقائدية، الأخلاقية، التأريخية، أو في الجنبة الفقهية أيضاً، وربما نتحدث عن هذا الكتاب في وقتٍ آخر، لكن الذي حداني للحديث عن هذا هو ما قاله في المقدمة من أنَّهُ قد بَخَسَ حظوظ كتاب الحُجَّة، يعني بعبارة أخرى هو يرى في نفسه أنه قد بَخَسَ حظوظ أهل البيت في هذا الكتاب، إذا كان صاحب الكتاب هو هكذا يعتقد، فهؤلاء الذين يأتون فيقولون بأن هذا الكتاب مشحون بالغلو من أين جاءوا بهذا الكلام؟! وصاحبُ هذا الكتاب عاش في زمان التشريع في زمان الغيبة الصغرى، هل يُصدق أحد، هل يقبل أحد بأن شخصية كشخصية الكليني يجمع كتاباً رسالة عملية لشيعة أهل البيت وهناك طريق يستطيع أن يعرف بأنَّ ما جَمعهُ مقبول عند أهل البيت أو غير مقبول ولا يعرض هذا الكتاب على تلك الجهة، هل يُقبل هذا هل يكون هذا الأمر منطقياً؟!

وهو عاش في بغداد في مدينة واحدة مع نواب الإمام الخاصين وتوفي قبل وفاة السفير الرابع، وهناك مطالب وقرائن أخرى تخص هذا الموضوع، أنا لا أريد الآن الحديث عنها وإنما أتحدث في وقتٍ آخر إن شاء الله عن شخصية الكليني وعن كتاب الكافي الشريف وعن أهم المضامين التي تطرَّق إليها هذا الكتابُ الشريف، كُلُّ هذه المضامين العناوين تتحدث عن معنى أنهم برهانُ الله في هذا الوجود وأنهم برهان الله في هذا الخلق – **وَأَهلِ الذِّكرِ وَأُولِي الأمر وَبَقِيَّةِ الله وَخِيَرَتِهِ وَحِزبِهِ وَعَيبَةِ عِلمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِراطِهِ وَنُورِهِ وَبُرهانِهِ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ** – كُلُّ العناوين متقاربة في الدلالة والمعنى وإن كان كل عنوان ينظر إلى جهة معينة إلى حيثية معينة ولكنني كما قلتُ قبل قليل كُلُّ هذه العناوين قد مرَّ الحديثُ عنها بشكلٍ مفصّل في المقاطع السابقة – **وَأَهلِ الذِّكرِ وَأُولِي الأمر وَبَقِيَّةِ الله** – هذا العنوان لم نتحدث عنه: **وَبَقِيَّةِ الله**.

وسوف لا أتحدث عن هذا العنوان في هذه الحلقة، هذا العنوان عنوانٌ مهم، هذا عنوان أهل البيت بنحوٍ عام وعنوان إمام زماننا الحجة بن الحسن بنحوٍ خاص، الكثيرون يرددون هذا العنوان، يرددون هذه اللفظة ولا يعرفون دلالتها، ولا يعرفون معناها الواسع، لذلك لن أتحدث الآن عن هذه اللفظة عن هذا العنوان وأتركهُ إلى أيام شعبان، شهر شعبان حيثُ أحاديثنا وبرامجنا عن إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه سأتحدث بشيءٍ من التفصيل عن هذا الأسم الشريف بقية الله، هذا العنوان هو عنوانٌ لأهل البيت عموماً

كما في هذه الزيارة الكريمة – **وَبَقِيَّةِ اللهِ وَخِيَرَتِهِ** – ولكن هو له خصوصية متعلقة بإمام زماننا، في أيام شعبان في شهر شعبان سأُسهِبُ في الحديث عن هذا العنوان إن شاء الله تعالى بتوفيقٍ من إمام زماني صلوات الله وسلامه عليه.

وَأَهلِ الذِّكرِ وَأُولِي الأمر وَبَقِيَّةِ اللهِ وَخِيَرَتِهِ – ومرَّ الكلام عن أنهم خيرة خلق الله، مرَّ الحديثُ في المقطع الأول: **وَعُترَةَ خِيرَةِ رَبِّ العالَمِينَ**، خِيَرة رب العالمين هو مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، وهم نفسُ مُحَمَّد، هُم عترتهُ، هم حقيقة مُحَمَّد، فكما أنَّ مُحَمَّداً خيَرة رب العالمين فهم خيرة رب العالمين، فاطمة روحهُ التي بين جنبيه، وحَسَنُ وحُسين مُهجة رسول الله وعينا رسول الله وروح رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليٌّ نفسه وجلدة ما بين عينيه كما يقول صلى الله عليه وآله: عليٌّ جلدة ما بين عيني، وعليٌّ منه بمنزلة الرأس من الجسد هكذا أخبرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حين سأله سائلٌ، الروايات تحدثنا: سأل سائلٌ النبي عن أصحابه فبدأ النبي يتحدث عن أصحابهِ فلانٌ كذا، فلانٌ كذا، ذكر من فضلهم، من فضل خيرة أصحابه، فقال السائل: يا رسول الله ما ذكرت عليَّاً؟ قال: عليٌّ نفسي، إنما سألتني عن أصحابي، ذاك هو نفسي عليٌّ نفسي، عليٌّ روحي التي بين جنبي، أنا عليٌّ وعليٌّ أنا، وهذا المعنى ينطبقُ على كل العترة المعصومة، هذا المعنى ينطبقُ على كل الذينَ نزورهم ونخاطبهم في هذه الزيارة الجامعة الكبيرة، في هذا القول البليغ الكامل الذي فاضت به شفاهُ إمامنا الهادي النقي صلوات الله وسلامه عليه – **وَخِيَرَتِهِ وَحِزبِهِ** – هم حزبُ الله، هذا العنوان عنوانٌ خاصٌ بأهل البيت يُطلقُ على أشياع أهل البيت، إطلاقهُ على أشياع أهل البيت إطلاقٌ على سبيل التَفَضُّلِ عليهم وإلا حزبُ الله هم أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا المعنى كعنوان المؤمن، المؤمن، لفظةُ المؤمن ما معناها؟

لفظةُ المؤمن نحن نستعملها فيمن يؤمن، حينما نقول المؤمن، المؤمنون هم الذينَ يؤمنون بعقيدة الإيمان، لكن إذا أردنا أن ندقق النظر في هذه اللفظة ما معناها؟ المؤمن ليس هو الذي يؤمن، المؤمن هو الذي يَهَبُ الأمن، لفظة مؤمن هي صيغةُ فاعل، مؤمن يعني أنَّهُ يَهَبُ الأمن لغيرهِ، ولذلك المؤمن في أصلهِ هو أسمٌ من أسماء الله سبحانه وتعالى وليس اسماً من أسمائنا، المؤمن من أسماء الله من أسمائهِ الحُسنى، يا مؤمنُ يا مهيمن، دائماً تتردد هذه التسمية في أدعية أهل البيت: يا مؤمنُ يا مهيمن، المؤمنُ هو من أسماء الله، المؤمن هو الذي يَهَبُ الأمن، الأمن بكل معانيه والإيمانُ ضَربٌ من ضروب الأمن، المؤمن هو الذي يَهَبُ الأمن، وفي الروايات عن أهل بيت العصمة إنَّ الله سبحانه وتعالى جعل هذا الأسم خاصاً بعليٍّ، الله هو المؤمن وعليٌّ هو المؤمن، وقلبُ المؤمن عرشُ الرحمن إنَّهُ قلبُ عليٍّ، الحديث الذي يقول: قلبُ المؤمن عرش الرحمن إنَّهُ قلبُ عليٍّ صلوات الله عليه، المؤمن هو في أصلهِ أسمٌ لله، الله سبحانه وتعالى جعله خاصاً لعليٍّ وإكراماً

لعليٍّ سُمي شيعتهُ المؤمنون، لذلك إذا أردت أن تبحث عن معنى الإيمان الذي يتلبس به المؤمنون ما هو؟ في روايات أهل البيت الإيمانُ، هذا تعريفُ أهل البيت، الفقهاء عَرَّفوا الإيمان: الكونُ على المذهب الإثني عشري، هذا التعريف في كتب الفقهاء، لكن التعريف في روايات أهل البيت: **الإيمانُ هو ولاية عليّ**، هذا هو الإيمان وكفى، نقطة رأس سطر، تعريفُ الإيمان في حديث أهل البيت الإيمانُ نقطتين ولايةُ عليّ نقطة، رأس سطر انتهى الكلام، الإيمانُ هو هذا، إنما قيل للذين يؤمنون بولاية عليٍّ مؤمنون إكراماً لهم وأصلُ الإكرام هو إكرامٌ لعليٍّ الذي خَصَّهُ الله بهذا اللقب، هذا لقبٌ خاص مثل ما خَصَّهُ الله بلقب أمير المؤمنين خصَّهُ بلقب المؤمن، المؤمن هو الذي يهبُ الأمن وعليٌّ هو الذي يهبُ الأمن، عليٌّ هو الذي يهبُ الأمن هو كاشفُ الكروب عن وجه رسول الله، يا عليّ أكشف عني هذا، أينَ كاشِف الكُرَبِ عن وجهي، كان يقولها صلى الله عليه وآله، يرددها رسول الله: أينَ كاشفُ الكُرَبِ عن وجهي، عليٌّ هو المؤمن الذي يكونُ سبباً للأمن، والإيمانُ كما قلتُ قبل قليل الإيمانُ ضَربٌ من ضروب الأمن، الإيمانُ بابٌ يودي بنا يوصلنا إلى الأمن، وعليٌّ هو العروة الوثقى، العروة الوثقى يعني العروة الآمنة، يعني إذا تمسكت بها فإنَّك قد نجوت، وهو نفس التعريف لسفينة النجاة، ما المراد من سفينة النجاة؟

سفينةُ النجاة هي السفينة العريضةُ الواسعةُ المريحة السريعةُ المحمية والحامية، وإلا لا يُقال لها سفينةُ نجاة، سفينة النجاة السفينة التي يستقر فيها من يستقر فيها بأمنٍ وراحةٍ وهدوء بالٍ وطمأنينةٍ وثباتٍ وراحةٍ وأمنٍ وأمانٍ فلا خوف هنا ولا هم يحزنون، هذا عند عليٍّ وآل عليّ في حصن عليٍّ، ولاية عليٍّ بن أبي طالب حصني هو هذا الأمن والأمان فمن دخل حصني أمِنَ من عذابي – **وَحِزبِهِ** – كما أن المؤمن لفظٌ خاص بعليٍّ فحزبُ الله هم أهل البيت، إطلاقهُ على شيعتهم يأتي بنحو التكريم والإكرام.

حين نذهب إلى سورة المُجادِلة ونقرأ ﴿لَا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ﴾ آخر آية من السورة ﴿لَا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَن حَادَّ اللَّهَ﴾ حادَ يعني عادى ﴿يُوَادُّونَ مَن حَادَّ اللَّهَ﴾ هذه مودةٌ في قِبال تلكم المودة، قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة، هذه مودة ثانية ﴿يُوَادُّونَ مَن حَادَّ اللَّهَ﴾ مودةٌ لأعداء الله ورسوله ﴿لَا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَن حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَو كَانُوا آبَاءهُم أَو أَبنَاءهُم أَو إِخوَانَهُم أَو عَشِيرَتَهُم أُولَئِكَ﴾ ما هي صفتهم؟ ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنهُ وَيُدخِلُهُم جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ أُولَئِكَ حِزبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزبَ اللَّهِ هُمُ المُفلِحُونَ﴾ هناك حزبٌ للشيطان وهناك حزبٌ لله.

حزب الشيطان أيضاً جاء مذكوراً في هذه السورة، في الآية التاسعة بعد العاشرة ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ حزبُ الشيطان ما هي صفتهم؟ عاقبتهم: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أمَّا لماذا كانوا حزباً للشيطان؟ ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ وذكرُ الله ولاية عليٍّ، روايات كثيرة جداً في هذا المضمون.

وإلى هذا في سورةِ، الآية الرابعة والعشرون بعد المئة وما بعدها ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ من أعرض عن ذكري وذكرُ الله ولاية عليٍّ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾ في رواياتنا فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً: عند ظهور إمام زماننا، الروايات هكذا فسرت هذه الآية ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾ لأن السائل يسأل الإمام، قال يا ابن رسول الله أولئك أعدائكم أعداء أهل البيت يعيشون مرفهين فأينَ هذه المعيشة الضنكا في الحياة الدنيا؟! قال: عند ظهور إمام زماننا ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ مرَّ علينا قبل قليل عنوان كامل في كتاب الكافي الشريف، أن الآيات التي جاءت مذكورة في كتاب الله هم الأئمة، وروايات كثيرة جداً حيثما وردت آياتنا، آيات، آية فهم أهل البيت، وعليٌّ صلوات الله عليه يقول: ما لله آية أكبر مني، الآية الكبرى، الآية العظمى سيدُ الأوصياء ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ مثلما نسيت آياتنا فنحنُ ننساكَ اليوم ﴿وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فهناك حزبان: حزبُ الشيطان وحزبُ الله حزبُ الرحمن.

ماذا تقول روايات وأحاديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا هو تفسير البرهان وهذا هو الجزء السابع، الرواية منقولةٌ عن مُحَمَّد بن الحنفية صلوات الله عليه وهو لا ينقلُ إلا عن أبيه وعن إخوتهِ المعصومين، **إنَّما حُبُّنا أهل البيت شيءٌ يكتبهُ الله في أيمن قلب العبد ومن كتبهُ الله في قلبه لا**

يستطيعُ أحدٌ محوه، أما سمعت الله سبحانه يقول: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنهُ﴾ **فَحُبُّنا أهل البيت الإيمان** – هو هذا الإيمان، ماذا يقول ويُحَدِّثُنا ابن الحنفية – **إنَّما حُبُّنا أهل البيت شيءٌ يكتبهُ الله في أيمن قلب العبد ومن كَتَبهُ الله في قلبه لا يستطيعُ أحدٌ محوه، أما سمعت الله سبحانه يقول:** ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنهُ﴾ **فَحُبُّنا أهل البيت الإيمان.**

في تفسير علي بن إبراهيم: في معنى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزبُ اللَّهِ﴾ **يعني الأئمة** – ما معناها؟ – **يعني الأئمة أعوانَ الله ألا إنَّ حزب الله هم المُفلِحون** – الإطلاق الأصلي على الأئمة، إطلاقهُ على غيرهم يأتي من باب التشريف والتكريم، إطلاقه على أشياعهم ﴿أُولَئِكَ حِزبُ اللَّهِ﴾ **يعني الأئمة أعوانَ الله** – وحزب الرجل في اللغة أعوانهُ، وحزبُ الله أعوانهُ ﴿أُولَئِكَ حِزبُ اللَّهِ﴾ **يعني الأئمة أعوانَ الله ألا إنَّ حزب الله هم المُفلِحون** – الآية تتحدث عن عمق العلاقةِ فيما بين أولياء أهل البيت وفيما بين أهل البيت، فتقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَن حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ لا يمكن أن تكون لهم مودة، مودة لأهل البيت مودة لأعدائهم مع مودة أهل البيت ﴿وَلَو كَانُوا آبَاءهُم أَو أَبنَاءهُم أَو إِخوَانَهُم أَو عَشِيرَتَهُم﴾ هؤلاء الذين نَقَت قلوبهم لأهل البيت وتطهرت عن الأغيار ولو كان هؤلاء الأغيار من أقرب الناس إليهم ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ والإيمانُ هو حُبُّ عليٍّ وآل عليّ ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنهُ﴾ هذا في الحياة الدنيوية وفي الحياة الأخروية ﴿وَيُدخِلُهُم جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ﴾ هذا في الآخرة، وفي الدنيا ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنهُ﴾.

وَبَقِيَّةِ الله وَخِيَرَتِهِ وَحِزبِهِ، الزيارة هنا تتحدث عن أن أهل البيت هم حزبُ الله، إنما أوردتُ الحديث عن أشياعهم كي يكون هذا المثال مُقَرِّباً لمعنى أنَّ أهل البيت هم حزبُ الله، فإذا كان أشياع أهل البيت كُرِّموا بهذا اللقب، الله سبحانه وتعالى طَهَّر قلوبهم فكتب في قلوبهم الأيمان، إذا كان هذا الأمر يُكتَبُ في قلوب أشياعهم فما بالُ قلوب أهل البيت!! قلوب أهل البيت هم يُحَدِّثونا عن قلوبهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هم في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين: **أنَّى ولَكُم القلوبُ التي تولى الله رياضتها بالخوفِ والرجاء** – الله تولى رياضتها، لا ذهبنا عند مرتاضٍ ولا عند شيخ طريقة، الله تولى، نحنُ نذهب إلى المرتاضين نذهب

إلى شيوخ الطريقة، الناس يذهبون – **لا يسبقكم ثناءُ الملائكةِ في الإخلاص والخشوع ولا يُضادُكم ذو ابتهالٍ وخضوع أنى** – يا آلَ مُحَمَّد – **ولَكُم القلوبُ التي تولى الله رياضتها بالخوفِ والرجاء وجعلها أوعيةً للشكرِ والثناء وآمنها من عوارض الغفلة وصَفّاها من سوء الفترة بل يتقرَّبُ أهلُ السماءِ بِحُبِّكُم وبالبراءةِ من أعدائكم وتواتر البُكاءِ على مُصابكم والاستغفار لشيعتكم ومحبيكم** – هذه صورةٌ مختصرة موجزة تتحدث عن قلوب أهل البيت – **القلوبُ التي تولى الله رياضتها بالخوفِ والرجاء وجعلها أوعيةً للشكرِ والثناء وآمنها من عوارض الغفلة وصَفّاها من سوء الفترة** – هذه القلوب الكاملة، هؤلاء هم التامون في محبة الله، فإنني تحدثت عن الشيعة بأنهم حزبُ الله ولأنهم حزبُ الله كتبَ الله في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروحٍ منه، هناك رعاية خاصة لقلوبِ شيعة أهل البيت إذا كان هذا الأمر يتجلى في قلوب شيعة أهل البيت فما بالك بقلوب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقطعاً أنا أتحدث عن مقاماتهم البشرية في العالم الأرضي، لأنني كما قلت بأن المقطع الخامس يتحدث في جهةٍ من جهاتهِ عن مقاماتهم في العالم الأرضي، وكل كلامي كان من هذه الجهة ومن هذه الحيثية.

الجهة الثانية من هذا المقطع وهو إجمالُ معاني المقاطع المتقدمة فقد تقدمَّ الكلامُ في المقاطع المتقدمة فليس هناك من داعٍ لأن أعيد الكلام الذي تقدم – **وَخِيَرَتِهِ وَحِزبِهِ وَعَيبَةِ عِلمِهِ** – وقد تحدثتُ بشيءٍ من الإسهاب عن علمهم في المقطع الأول حينما وصلنا: **وَخُزَّانَ العِلمِ**، والعيبة هي المحفظة، العيبة هو الوعاء الذي تُحفَظُ فيهِ الأمور الثمينة – **وَعَيبَةِ عِلمِهِ** – وهم خُزَّان علمهِ، وفي وقتها حينما تحدثت عن معنى الخُزَّان أي أنهم هُم الخزائن، وهذه القرينة تدل على ذلك، قلت بأن خزان علمهِ في المعنى الأعمق هم خزانة علمهِ، وهنا هذا المعنى يتجلى في هذا المقطع لذلك قلت بأن هذا المقطع هو يُجمِل المعاني المتقدمة بنحوٍ آخر من التعبير – **وَعَيبَةِ عِلمِهِ** – العيبة هي الخُزانة، الوعاء الذي تُحفَظُ فيهِ الأشياء الثمينة، لا أعيد الكلام المتقدم في علم أهل البيت يمكنكم مراجعة الحلقات السابقة موجودة بكاملها على موقع القناة الإلكتروني.

وَخِيَرَتِهِ وَحِزبِهِ وَعَيبَةِ عِلمِهِ وَحُجَّتِهِ – وهم الحجةُ المطلقة، كُلُّ ما تقدمَ من الكلام يدلُ على حُجيتهم المطلقة، وقبل قليل قلت بأن آخر عنوان: **وَبُرهانِهِ**، والبرهان هو الحُجَّة، الحُجَّةُ الآية والدليل، والبرهان أيضاً هو الحُجَّةُ والدليل – **وَحُجَّتِهِ وَصِراطِهِ وَنُورِهِ وَبُرهانِهِ** – هم نورُ أهل البيت، هم النور الساطعُ الذي تقدمَ الكلامُ عنه في الحلقات الأولى حين بينتُ مضمون آية النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشكَاةٍ فِيهَا مِصبَاحٌ المِصبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ ونحن نتحدث عن نور أهل البيت الرواية مفصلةٌ أقتطف منها، الرواية عن عبد الله بن جندب وهو من خِيار شيعة أهل البيت، كتب رسالةً إلى الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه

يسألهُ فيها، فمما كتب إمامنا الرضا في هذه الرسالة: **نحنُ نورٌ لمن تَبِعنا** – والنور برهانٌ وحُجَّةٌ ودليلٌ – **نحنُ نورٌ لمن تَبِعنا وهدىً لمن اهتدى بنا ومن لم يكن منا فليس من الإسلام في شيء وبنا فَتَحَ الله الدين وبنا يختمه وبنا أطعمكم الله عشب الأرض وبنا أنزل الله قطر السماء وبنا آمنكم الله من الغرق في بحركم ومن الخسفِ في بركم وبنا نفعكم الله في حياتكم وفي قبوركم وفي محشركم وعند الصراط وعند الميزانِ وعند دخول الجنة** – إلى أن يقول: **فالنور عليٌّ يهدي الله لولايتنا من أحب وحَقٌّ على الله أن يبعثَ ولينا مشرقاً وجهه منيراً برهانه** – لماذا ينير برهانه؟ لأنهم هم برهانُ الله وهم نور الله – **منيراً برهانه ظاهراً عند الله حجته** – لماذا تظهر حجتهُ عند الله؟ لأنه قد تولى الحُجَّة الحقيقية، هذا الحديث يتحدث عن حُجيتهم وعن نوريتهم وعن برهانيتهم صلوات الله عليهم – **فالنورُ عليٌّ يهدي الله لولايتنا من أحب وحَقٌّ على الله أن يبعثَ وليّنا مشرقاً وجهه منيراً برهانه ظاهرةً عند الله حُجَّته، حقّ على الله أن يجعل أولياءنا المُتقين مع الصديقين والشهداءِ والصالحين وحَسُن أولئك رفيقا** – الرواية طويلة وفيها تفصيلٌ وإشاراتٌ واضحة إلى نورية أهل البيت وبرهانية أهل البيت وحُجية أهل البيت، ولذلك جاء التعبير وصراطهِ، هم صراط الله، هم الصراط المستقيم.

نقرأُ في روايات أهل البيت والرواية **عن المفضّل بن عمر قال: حدَّثَني ثابتُ الثمالي** – ثابت الثمالي هو المعروف بأبي حمزة، أبو حمزة الثمالي هو ثابت – **حدَّثَني ثابتُ الثمالي عن سيد العابدين عليّ بن الحسين صلى الله عليهما قال: ليس بين الله وبين حجتهِ حجاب** – هم حجة الله وكانوا حُجَّةً لله لأنه ليس بينهم وبين الله حجاب، لا يمكن أن أكون أنا حُجَّة لله أو تكون أنت حُجَّة لله لأنه فيما بيننا وبين الله حُجُبٌ وحُجُب، حُجَّة الله لا يكون فيما بينه وبين الله حجاب – **ليس بين الله وبين حُجَّتهِ حجاب ولا لله دون حجته ستر نحنُ أبوابُ الله ونحن الصراطُ المستقيم ونحنُ عيبةُ علمهِ** – تلاحظون كلمات أهل البيت الروايات الآيات بعضها يشدُّ البعض الآخر – **ليس بين الله وبين حُجَّتهِ حجاب ولا لله دون حجته ستر نحنُ أبوابُ الله ونحن الصراطُ المستقيم ونحنُ عيبةُ علمهِ ونحنُ تراجمةُ وحيه ونحن أركانُ توحيده ونحن موضعُ سره** – ولأنتم كذلك يا آلَ مُحَمَّد.

رواية أخرى عن حنان بن سدير أو ابن سُدير، **عن جعفر بن مُحَمَّد صلوات الله عليهما قال: قول الله عزَّ وجلَّ في الحمد** – في سورة الحمد – ﴿صِراطَ الَّذينَ أنعمتَ عليهم﴾ **يعني مُحَمَّداً وذريته** – هو هذا الصراط لأنهم باب الله، صراط الله، لأنهم حُجَّةُ الله.

الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿صِراطَ الَّذينَ أنعمتَ عليهم * غيرِ

المَغضوبِ عليهم ولا الضّالين﴾ **قال: شيعة عليٍّ الذين أنعمت عليهم بولاية عليّ بن أبي طالب، لم يغضب عليهم ولم يضلهم** – شيعة عليٍّ الذين أنعم الله عليهم بولاية عليٍّ، لا هم من المغضوب عليهم ولا هم من الضالين، هذا قول رسول الله – **قال: شيعة عليٍّ الذين أنعمت عليهم** – صراط الذين أنعمت عليهم هم شيعة عليٍّ، الذين أنعمت عليهم بأي شيءٍ؟ **بولاية عليّ بن أبي طالب،** ثم يقول: **لم يَغضَب عليهم ولم يضلهم أو لم يُغضَب عليهم ولم يضلهم.**

الرواية الجامعة المانعة الرواية التي نقلها المفضل بن عمر، وهذه هي خصوصية روايات المفضل بن عمر، رواياتهُ جامعة مانعة مثل أبي حمزة الثمالي، عندنا من الرواة ممن ينقلون الحقائق ورواياتهم جامعة مانعة، جابر بن يزيد الجعفي، المفضل بن عمر رضوان الله تعالى عليه وكذلك أبو حمزة الثمالي – **عن المفضل بن عمر قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط، فقال: هو الطريقُ إلى معرفتهِ عزَّ وجلَّ، الطريقُ إلى معرفتهِ وهم صراطان: صراطٌ في الدنيا وصراطٌ في الآخرة، أما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عَرَفهُ في الدنيا واقتدى بهداه مَرَّ على الصراط الذي هو جِسرُ جهنم في الآخرة ومن لم يعرفهُ في الدنيا زلّت قدمهُ عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم** – رواية جامعة مانعة تتحدث عن معنى الصراط في مظهرهِ في العالم الدنيوي وفي مظهرهِ في العالم الأخروي وحقيقةُ الصراط هم عليٌّ وآل عليّ.

وَعَيبَةِ عِلمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِراطِهِ وَنُورِهِ وَبُرهانِهِ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ، هذا هو المقطع الخامس: **السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ وَالقادَةِ الهُداةِ وَالسَّادَةِ الوُلاةِ وَالذَّادَةِ الحُماةِ وَأَهلِ الذِّكرِ وَأُولي الأمر وَبَقِيَّةِ الله وَخِيَرَتِهِ وَحِزبِهِ وَعَيبَةِ عِلمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِراطِهِ وَنُورِهِ وَبُرهانِهِ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ** – تمت المقاطع الخمسة.

هناك تعليقةٌ موجزة مختصرة أختم بها الحديث ولكن قبل أن أُعَلِّقَ بهذه التعليقة الموجزة أقول: هذه المقاطع الخمسة، نحن الآن في الحلقة الثالثة والعشرين، هذه الحلقات الثلاثة والعشرون التي تقدمت تدور مضامينها حول هذه المقاطع الخمسة والتي تمثل أُسس وأصول وقواعد لفهم مضمون بقية النص في الزيارة الجامعة الكبيرة وكذلك تمثل مثابت قواعد وأصول وأُسس لفهم بقية زيارات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الزيارة الجامعة الكبيرة لها خصوصية أنها جامعة لكل المعاني ولكل المضامين الموجودة في بقية الزيارات، والمقطع الخامس هو كما قلتُ قبل قليل بمثابة عنوان مُجمل أو صيغة مُجمَلة لِما تقدّمَ من المضامين ومن الفحاوى في المقاطع السابقة، نحن متواصلون معكم، إن شاء الله غداً الحلقة الرابعة والعشرون مستمرون، أنا كما وعدتكم فيما مر من أنني سأحاول أن ألملم أطراف الحديث في هذا النص الشريف حتى نصل إلى خلاصة بقدرِ ما نتمكن وإلا إذا أردتُ أن أُسهِبَ في شرح فقرات هذه الزيارة نحتاج إلى وقتٍ

طويلٍ جداً، لكنني سأحاول أن أركز على أهم المضامين الموجودة في هذا النص الشريف خصوصاً بعد أن أسهبتُ شيئاً ما في شرح المقاطع الخمسة المتقدمة.

بعد أن تمَّ الكلام في المقاطع الخمسة التي هي في أول الزيارة الجامعة الكبيرة أشير إلى قضيةٍ مهمة، هذه القضية المهمة نقرأها في القرآن ونمر عليها دون أن نلتفت إليها، القرآن الكريم في سورة المائدة إذا نذهب إلى الآية الثالثة والتسعون فنقرأ في الآية: ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ هذه الآية وأمثالها آيات أخرى أيضاً، على سبيل المثال مثلاً في سورة الحديد الآية الثامنة والعشرون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخطاب لمن؟ للذين آمنوا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ آمنوا بأيِّ شيءٍ؟ آمنوا بالله وبرسوله وبكتابه، حينما نقول يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بأي شيء؟ آمنوا بالله وبرسوله وبكتابه، برسولهِ وبِما جاء به الرسول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ هنا أمرٌ بالتقوى بعد الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ثم تقول الآية ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ أفلم يكونوا مؤمنين حتى تأمرهم الآية بالإيمان برسول الله؟! إذا لم يكونوا مؤمنين برسول الله أصلاً لماذا خاطبتهم الآية يا أيها الذين آمنوا؟ هذه هي الآية الثامنة والعشرون من سورة الحديد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ هؤلاء مؤمنون آمنوا بالله ورسوله وبِما جاء بهِ الرسول تأمرهم الآية اتقوا الله، وبعد التقوى، والتقوى مرتبة عملية تكون عالية للذين سلكوا في طريق الإيمان، تأمرهم تقول: ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ فلماذا خاطبتهم يا أيها الذين آمنوا وأمرتهم بالتقوى ثم أمرت بالإيمان برسول الله مرة ثانية؟!

هذه هي المعرفة النورانية، معرفة الحجة بالمعرفة النورانية، معرفة أهل البيت كما نتلمسُ شيئاً منها من خلال هذا البرنامج من خلالِ نص الزيارة الجامعة الكبيرة، علمني قولاً بليغاً كاملاً، وهو نتلمسُ فيه شيئاً من المعرفة النورانية أو من المعرفة بالنورانية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خطاب لمؤمنين بالتقوى عندهم تقوى ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤتِكُم كِفلَينِ مِن رَّحمَتِهِ﴾ يعني بعد هذه المراتب إذا آمنتم إيماناً حقيقياً برسول الله ﴿يُؤتِكُم كِفلَينِ مِن رَّحمَتِهِ وَيَجعَل لَّكُم نُوراً تَمشُونَ بِهِ﴾ وهي المعرفة النورانية ﴿يُؤتِكُم كِفلَينِ﴾ في رواياتنا كفلين يعني حظين، يعني نصيبين، في رواياتنا كفلين يعني الحسن والحسين ﴿وَيَجعَل لَّكُم نُوراً﴾ يعني عليَّاً صلوات الله

عليه، يعني إماماً ﴿تَمشُونَ بِهِ وَيَغفِر لَكُم وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

إذا نذهب إلى روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية هنا في تفسير البرهان: **عن سُماعة بن مهران** – سُماعة وفي قراءةٍ سَماعة بن مهران – **عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُؤتِكُم كِفلَينِ مِن رَّحمَتِهِ﴾ قال: الحسنُ والحُسين ﴿وَيَجعَل لَّكُم نُوراً تَمشُونَ بِهِ﴾ قال: إمامٌ تأتمّونَ به.**

رواية أخرى: **عن جابرٍ الجعفي عن أبي جعفرٍ عليه السلام في قولهِ عزَّ وجلَّ: ﴿يُؤتِكُم كِفلَينِ مِن رَّحمَتِهِ﴾ قال: الحسن والحُسين ﴿وَيَجعَل لَّكُم نُوراً تَمشُونَ بِهِ﴾ قال: يجعل لكم إمام عدلٍ تأتمونَ به وهو عليُّ بن أبي طالب.**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ **بعد التقوى** ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ **المعرفة النورانية** ﴿يُؤتِكُم كِفلَينِ مِن رَّحمَتِهِ﴾ **يؤتكم أئمة، يؤتكم حسناً وحُسيناً** ﴿وَيَجعَل لَّكُم نُوراً تَمشُونَ بِهِ وَيَغفِر لَكُم وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

الرواية في الكافي، وقبل قليل قلت بأن روايات الكافي هي أمهات الأبواب، **عن أبي الجارود قال: قلتُ لأبي جعفرٍ عليه السلام: لقد آتى الله أهل الكتاب خيراً كثيراً، قال: وما ذاك؟ قال: قلتُ: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ مِن قَبلِهِ هُم بِهِ يُؤمِنُونَ﴾ إلى قولهِ تعالى ﴿أُولَئِكَ يُؤتَونَ أَجرَهُم مَّرَّتَينِ بِمَا صَبَرُوا﴾** – هو يشير إلى ما جاء في سورة القَصص، في الآية الثانية والخمسين وما بعدها ﴿الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ مِن قَبلِهِ هُم بِهِ يُؤمِنُونَ﴾ أي يؤمنون برسول الله، يؤمنون بالقرآن ﴿الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ مِن قَبلِهِ﴾ يعني من قبل مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿هُم بِهِ يُؤمِنُونَ * وَإِذَا يُتلَى عَلَيهِم قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبلِهِ مُسلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤتَونَ أَجرَهُم مَّرَّتَينِ بِمَا صَبَرُوا﴾ مرةً لإيمانهم بعيسى عليه السلام لأنهم آمنوا بعيسى، ومرةً لأنهم آمنوا بِمُحَمَّد بعد بعثة مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿أُولَئِكَ يُؤتَونَ أَجرَهُم مَّرَّتَينِ بِمَا صَبَرُوا﴾ فالسائل هنا يسأل الإمام صلوات الله وسلامه عليه يقول بأن أهل الكتاب الله سبحانه وتعالى آتاهم خيراً كثيرا فإنه يأجرهم مرتين، الإمام ماذا قال؟ **قال: فقال: قد آتاكم الله كما آتاهم** – الله أيضاً آتاكم مرتين، ثم تلى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤتِكُم كِفلَينِ مِن رَّحمَتِهِ وَيَجعَل لَّكُم نُوراً تَمشُونَ بِهِ﴾ – يعني

إماما تأتمون به، هذه الآية في سورة الحديد والتي تُخاطب الذين آمنوا فتأمرهم بالتقوى ثم بعد ذلك تأمرهم بالإيمان برسول الله، هذا اللحن في هذه الآية وفي غيرها، أنا جئت بهذه الآية كمثال على الآية التي ذكرتها من سورة المائدة وهي الآية الثالثة والتسعون ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ الآية ماذا تقول؟ تقول: ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هم مؤمنون ويعملون الصالحات، ليس عليهم جُناحٌ فيما طَعِموا، طَعِموا من الطعام ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا﴾ أليس هم قد آمنوا؟! ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هذا هو الإيمانُ الأول ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا﴾ يعني بعد الإيمان والعمل بالصالحات هناك شرط: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هذا الإيمان والعمل بالصالحات مرة ثانية ما المراد منه؟

إذا كان الكلام في البداية هو عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا﴾ وهذا إيمانٌ ثالث ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ هذه الآيات بحاجة إلى تدبر، هذه الآيات تتحدث عن مراتب معرفة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه الآيات تتحدث عن هذه المراتب العالية الشريفة، الوقت يكاد أن ينتهي، تتمة الكلام إن شاء الله تأتينا يوم غد في بيان مضامين هذه الآية الشريفة.

ولكن أختم كلامي بهذا الحديث الشريف المنقول عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه والذي يرويه جابر بن يزيد الجعفي: **يا جابر إثباتُ التوحيد ومعرفة المعاني، أما إثباتُ التوحيد** – الرواية طويلة أنا أخذت منها موطن الحاجة – **يا جابر إثباتُ التوحيد ومعرفة المعاني، أما إثباتُ التوحيد معرفة الله القديم الغائب الذي لا تُدركهُ الأبصار وهو يُدركُ الأبصار وهو اللطيف الخبير وهو غيبٌ باطن ستدركهُ كما وصف به نفسه** – لأننا لا ندركهُ من عندنا وإنما نُدركُ الله بما وصف الله به نفسه – **ستدركهُ كما وصف به نفسه، وأما المعاني فنحنُ معانيه** – إمامنا السجاد يقول: – **وأما المعاني فنحنُ معانيه** – نحن معاني الله – **فنحنُ معانيه ومظاهرهُ فيكم اخترعنا من نور ذاتهِ وفوَّض إلينا أمور عبادهِ فنحن نفعلُ بإذنهِ ما نشاء ونحن إذا شئنا شاء الله وإذا أردنا أراد الله ونحن أحلَّنا الله عزَّ وجلَّ هذا المحل واصطفانا من بين عباده وجعلنا حجتهُ في بلاده** – أُشهِدُ الله سيدي يا زين العباد لأنكم أنكم كذلك واللهِ إنَّكُم كذلك، واللهِ إنَّكُم كذلك، ومن أراد أن يستكمل الإيمان كلَّ الإيمان هكذا علَّمنا أهل البيت،

هكذا علَّمنا الكافي الشريف: من أراد أن يستكمل الإيمان كُلَّ الإيمان فليقل القولُ مني ما قالهُ آل مُحَمَّد ما بلغني عنهم وما لم يبلغني، القولُ مني قولُ آل مُحَمَّد فيما أسروا وفيما أعلنوا وإنما أنا عبدٌ من عبيد مُحَمَّد وآل مُحَمَّد بل من عبيدِ عبيدِ عبيدهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نحن كُلُّنا لِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، غاية آمالنا أن يقبلنا مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد ورجاءنا وحُسن ظننا بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد أن نُكتَبَ في عِدادِ عبيدهم وخُدَّامهم وأولياءهم ومُحبيهم وأنصارهم وأشياعهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

غداً نلتقي إن شاء الله بثٌ مباشر تتمة الحديث في مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة على مودة فاطمة وآل فاطمة استودعكم الله أيُّها الزهرائيون أيُّها المهدويون المنتظرون إمام زمانكم سلامٌ عليكم أسألكم الدعاء في أمان الله.

الحلقة الرابعة والعشرون

معنى اَشْهَدُ اَنْ لا اِلهَ اِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفْسِهِ . . . . .

وَاَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضى اَرْسَلَهُ بِالْهُدى وَدينِ الْحَقِّ . . . . .

وَاَشْهَدُ اَنَّكُمُ الاَئِمَّةُ الرّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمُكَرَّمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ . . . . .

سلامٌ عليكم أحباب عليٍّ وآل عليّ ورحمةٌ من الله وبركات، الحلقة الرابعة والعشرون من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، في الحلقة الماضية تَمَّ الكلامُ في المقاطع الخمسة التي تبدأ بها زيارتنا الجامعة الكبيرة، وعند تمام الحديثِ في مضامين وفحاوى المقطع الخامس قلتُ هناك تعليقة أو إضافة أحببتُ أن أضيفها لكن الوقت لم يكفي لتمام الحديث أُتمُ حديثي الذي لم أكن قد أتممتهُ في الحلقة الماضية وأستمرُّ في بيان معاني الزيارة الجامعة الكبيرة.

الكلام كان حول الآية الثالثة والتسعين من سورة المائدة ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحسَنُوا وَاللّهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ لأجل أن تتضح الصورة سأُشيرُ إلى سياق الآيات التي سبقت هذه الآية حتى تتضح المعاني في أكثر من وجه، الآية التسعون وما بعدها من سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمرُ وَالمَيسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزلاَمُ رِجسٌ مِّن عَمَلِ الشَّيطَانِ فَاجتَنِبُوهُ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيطَانُ أَن يُوقِعَ بَينَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغضَاء فِي الخَمرِ وَالمَيسِرِ وَيَصُدَّكُم عَن ذِكرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَل أَنتُم مُّنتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحذَرُوا فَإِن تَوَلَّيتُم فَاعلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا البَلاَغُ المُبِينُ * لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحسَنُوا وَاللّهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ الآية التسعون واضحة، في وجهها الأول فإنها تتحدثُ عن تشريعٍ يتعلَّقُ بِحُرمة الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، الخمرُ والميسر والأنصاب والأزلام،

الآية واضحة ودلالتها في الوجه الأول واضحة ولستُ بصدد الحديثِ عن هذا الحكم الشرعي، والآية التي بعدها أيضاً في نفس السياق ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ والآية التي بعدها تتحدث عن طاعة الله وطاعة رسوله ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ثم تأتي الآية ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الكلام في الآية التسعين عن حُرمة الخمر والميسر، والآية وصفت الخمر والميسر بأنه رجسٌ من عمل الشيطان، والآية التي بعدها قالت بأن الشيطانَ يريدُ أن يُوقِعَ بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، الآية الثالثة والتسعون ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ هل لهذه الآية علاقة بما تقدمَ من ذكرٍ للخمرِ والأمور الأخرى؟ وبالذات الخمر لأن الآية تقول ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ .

هناك حادثة حدثت في زمان عمر بن الخطاب، هذا هو البرهان للسيد هاشم البحراني وهذه الرواية ينقلها عن الشيخ الطوسي، **عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله صلوات الله عليه** – إمامنا الصادق – **الحَدُّ في الخمر أن يشرب منها قليلاً أو كثيراً** – لا فرق في ذلك، سواء شَرِبَ الشاربُ قليلاً من الخمر أو كثيراً وجبَ عليه الحد – **الحَدُّ في الخمر أن يشرب منها قليلاً أو كثيراً، قال: ثُمَّ قال: أُتي عُمر بِقُدامة بن مضعون وقد شَرِبَ الخمر وقامت عليه البيّنة** – قامت البينة على قُدامة بن مضعون – **فسأل عليَّاً عليه السلام في ذلك** – عُمر سأل عليّ – **فأمرهُ أن يضربه ثمانين** – فهو حدُّ شُرِب الخمر – **فقال قُدامة: يا أمير المؤمنين ليس عَلَيَّ حد أنا من أهل هذه الآية:** ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ .

يعني تأوَّل كتاب الله بأنَّ هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فليس عليهم جُناح، الجُناح الإثم، فيما طَعِموا من الخمر لأنهم يتقون ويؤمنون ويعملون الصالحات فيتجنبون المضرَّة الموجودة في الخمر وهو أنَّ الخمر يصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة، وأن الخمر يوقعهم في العداوة والبغضاء، فتأوَّل هذه الآية وهذا هو الجيل الأول، هؤلاء الذين عاشوا في الصدر الأول، فهو شَرِبَ الخمر وعُذرهُ في ذلك، وقطعاً هو كاذب

في هذا العذر لكنه يعتذر بهذا العذر بأنه من أهل هذه الآية ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ باعتبار أن هذه الآية جاءت في سياق الآيات السابقة التي تحدثت عن الخمر وعن الميسر والأمور الأخرى – **قال: فقال عليٌّ عليه السلام: لست من أهلها** – أنت لست من أهل هذه الآية – **إن طعام أهلها لهم حلال** – هذه الآية تتحدث عن الطعام الحلال لا تتحدث عن الطعام الحرام، عن شيءٍ تطعمهُ سواء كان يؤكل أو يُشرب – **لست من أهلها إن طعام أهلها لهم حلال، ليس يأكلون ولا يشربون إلا ما أحلَّ الله لهم، ثُمَّ قال عليٌّ عليه السلام: إن شارب الخمر** – لاحظوا هذه النكتة الدقيقة – **إن شارب الخمر إذا شَرِب لم يدري ما يأكل ولا ما يشرب** – لربما بعد أن يشرب الخمر أيضاً يأكل ويشرب الحرام، بينما الآية تتحدث عن أُناسٍ لا جُناح عليهم فيما طَعِموا أي أنهم ملتفتون إلى ما يأكلون ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ **ثُمَّ قال عليٌّ عليه السلام: إن شارب الخمر إذا شَرِب لم يدري ما يأكل ولا ما يشرب فاجلدوه ثمانين جلدة** – فلست من أهل هذه الآية.

وفي رواية ثانية رواها العياشي، **قال صلوات الله وسلامه عليه: كَذِبت لست من أهل هذه الآية، ما طَعِمَ أهلها فهو حلالٌ لهم وليس يأكلون ولا يشربون إلا ما يحلُّ لهم.**

النكتة دقيقة جداً التي أشار إليها سيدُ الأوصياء بأن الآية تتحدث عن أُناسٍ لا يطعمون إلا الحلال، فهذا قُدامة بن مضعون قال: أنا من أهل هذه الآية، باعتبار هو من الصدر الأول من المسلمين، قال له: كَذِبت، لأن شارب الخمر لا يدري ماذا يشرب وماذا يأكل، بينما الآية تتحدث عن أُناسٍ آمنوا وعملوا الصالحات فليس عليهم جُناحٌ فيما طَعِموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات، هذا الكلام أنا أشرتُ إليه حتى لا يقع سؤال بأن الآيات المُتقدِّمة في سياق شرب الخمر والأمور الأخرى، القرآن يجري مجرى الشمس والقمر وآيات الكتاب لها مطالع ومجاري، الخمر والميسر في الوجه الأول من وجوه الآية هو الخمر الشرابُ المُسكِرُ المُحَرَّم، ولكن هناك وجوهٌ للآية، الخمر والميسرُ والأنصاب هي أسماءٌ لأعداء أهل البيت وهذا المعنى ذكرتهُ رواياتهم، في مطلعٍ من مطالع الآية هذه الأسماء عناوين لأعداء أهل البيت، ولذلك الإشارة واضحة في الآية الثانية ﴿وَيَصُدَّكُم عَن ذِكرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ﴾ الصلاة هي أعلى مراتب الذكر، الذكر اللفظي والقلبي، أعلى مراتب الذكر إذ عُبِّر عنها بأنها معراجُ المؤمنين، أعلى مراتب الذكر الصلاة، أفضل مراتب الذكر الصلاة، الصلاة ذكرٌ لفظي وذكرٌ قلبي وذكرٌ حالي، الصلاة ذكرٌ عملي وفعلي، الإنسانُ في حال السجود هو يتلبَّسُ بالذكر اللفظي بهذا الذكر الذي يذكرهُ بلسانهِ، ويتلبسُ بالذكر العملي وهو في حال السجودِ والتذللِ

والخضوعِ بين يدي الله سبحانه وتعالى، ويتلبسُ بالذكر القلبي، إذ المفروض أن المصلي في حال سجودهِ وفي حال ذكرهِ متوجهٌ بقلبهِ إلى الله، الصلاةُ الجامعُ الكامل لمراتب الذكر، فهي ذكرٌ عملي وذكرٌ قولي لفظي وذكرٌ قلبي ومع ذلك قالت الآية: ﴿وَيَصُدَّكُم عَن ذِكرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ﴾ وذكرُ الله كما هو في روايات أهل البيت ولايةُ عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، والروايات وفيرةٌ كثيرةٌ في هذا المضمون وفي هذا المعنى عنهم صلوات الله عليهم، ثم تأتي الآية التي بعدها: ﴿وَأَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحذَرُوا فَإِن تَوَلَّيتُم فَاعلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا البَلاَغُ المُبِينُ﴾ البلاغُ المبين ولاية عليٍّ وآل عليّ، ولاية الأئمة، البلاغُ المبين في روايات أهل البيت، البلاغ المبين هو دينُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، البلاغُ المبين هو حقيقةُ دين مُحَمَّد، وحقيقة دين مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ولاية عليٍّ وآل عليّ ﴿وَأَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحذَرُوا فَإِن تَوَلَّيتُم فَاعلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا البَلاَغُ المُبِينُ﴾ ثم تأتي الآية الثالثة والتسعون لتبين لنا هذه المراتب في المعرفة ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين آمنوا بالبلاغ المبين، الآية السابقة ﴿فَاعلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا البَلاَغُ المُبِينُ﴾ ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أولئك الذين آمنوا بالبلاغ المبين وعَمِلوا بالبلاغ المبين ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الطعام هنا هو المعرفة والعلم.

في الجزء الثلاثين من الكتاب الكريم وفي سورة عبس وتولى في الآية الرابعة والعشرين ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ الروايات عن أهل بيت العصمة عن إمامنا الباقر صلوات الله عليه قال: **فلينظر الإنسان إلى علمهِ عمَّن يأخذه**. العلم طعام العقولِ وطعام القلوب كما أن الخبزَ هو طعامٌ للبطون، طعام البطون هو الخبزُ واللحم أما طعام العقول والقلوب فهو العلم والإيمان، الإيمان الذي هو شقيقٌ للعلم ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ إلى علمه هذا عمَّن يأخذه، لا يعني أن الوجه الأول للآية قد انتفى، الآيات لها مجاري كمجاري الشمس ولها مطالع كمطالع الهلال، في مطلعٍ من مطالعها ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ فهو طعامهُ الذي يأكله، وفي مطلعٍ آخر فلينظر الإنسان إلى علمهِ هذا الذي يتعلمه عمَّن يأخذهُ ﴿لَيسَ عَلَى

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ ليس عليهم جُناحٌ فيما طَعِموا إذا كان هذا الطعام من نفس السفرة السابقة من سفرة البلاغ المبين ﴿فَاعلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا البَلاَغُ المُبِينُ﴾ هذه السفرة الممدودة التي مدها مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، سفرة الحقيقة، إذا كان الطعامُ من هذه السفرة فلا جُناح عليه ولكن بشروطها وشرائطها، الآية هنا تتحدث عن أربعة مراتب:

المرتبة الأولى: الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾.

المرتبة الثانية: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ تقوى سابقة للإيمانِ والعمل بالصالحات.

المرتبة الثالثة: ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا﴾.

المرتبة الرابعة: ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحسَنُوا وَاللّهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾.

هذه الآية تتعانق مع سورة الشورى، إذا أردنا أن نذهب إلى سورة الشورى لنقرأ في الآية الثالثة والعشرين ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُربَى وَمَن يَقتَرِف حَسَنَةً نَّزِد لَهُ فِيهَا حُسناً﴾ الذين آمنوا وعلموا الصالحات ﴿وَمَن يَقتَرِف حَسَنَةً نَّزِد لَهُ فِيهَا حُسناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحسَنُوا وَاللّهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ هناك تعانق واضح بين آيات الكتاب وبين هذه الآية وبين آية المودة، فهنا في هذه الآية الكريمة أربع مراتب لكل مرتبة خصوصيتها، سأتحدث عن هذه المراتب بشكلٍ موجز، وفي الحلقة الماضية هذا التعبير وردَ أيضاً في سورة الحديد في الآية الثامنة والعشرين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ هذا إيمانٌ بعد الإيمان وبعد التقوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤتِكُم كِفلَينِ مِن رَّحمَتِهِ وَيَجعَل لَّكُم نُوراً تَمشُونَ بِهِ﴾ يجعل لكم نوراً تمشون به متى؟ بعد الإيمان برسول الله بعد التقوى وبعد الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ ما هي النتيجة؟ ﴿يَجعَل لَّكُم نُوراً تَمشُونَ بِهِ وَيَغفِر لَكُم﴾.

المرتبة الأولى: ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هؤلاء هم الذين آمنوا بالبلاغ المبين، هؤلاء هم الذين اعتنقوا ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، هذه هي المرتبة الأولى، المرتبة الأولى مرتبة الحُب، أعلى درجةٍ من درجات الحُبّ والعاطفة تكون مخصوصةً بأهل البيت أي أننا لا نُحِبُّ شيئاً يمكن أن يكون، ليس

مساوياً لأهل البيت بل حتى لا يكون بدرجةٍ قريبةٍ من حُبِّهم فضلاً عن أن يكون حُبُّ غير أهل البيت أشد من حبِّ أهل البيت، إذا كان حُبُّ غير أهل البيت في قلوبنا أشد من حُبِّ أهل البيت فذلك هو الكفر البواح، وإذا كان حُبُّ غير أهل البيت مساوياً لِحُبِّنا لأهل البيت فذلك هو الشركُ البيّن الشركُ الجلي، وإذا كان حُبُّ غير أهل البيت مُقارباً لِحُبِّ أهل البيت فذلك هو التقصير، حُبُّ أهل البيت له خصوصية، حُبُّنا لأهل البيت لا يوازيه حُبّ وهذه أول درجات الإيمان، هذه هي المرتبة الأولى ﴿**لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ أن يكون الحُبّ على أشد قوتهِ لأهل البيت، وأن تكون العقيدةُ واضحةً بالوفاءِ بعهد الإمامة وبعقد البيعة لعليٍّ وآل عليٍّ وبنحوٍ أخَص لإمام زماننا، فالعقدُ الأول الأوضح في أعناقنا هو للحُجَّة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، حُبٌّ لا مثيل له وعزمٌ وعقدٌ ونيةٌ قاطعة على الوفاءِ بالعقود والعهود لإمام زماننا، ومحاولة بقدر ما نتمكن أن نسعى لأن نتمثل الولاية والبراءة في حياتنا اليومية بقدر ما نتمكن، وأن نتمسك بتعاليمهم وأحكامهم وتكاليفهم وآدابهم وأعرافهم وأخلاقهم وذوقهم بقدر ما نتمكن، هذه هي المرتبة الأولى ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ حينئذٍ تقترب قلوبنا وأرواحنا شيئاً فشيئاً من حظيرة القُدس وحظيرة القُدسِ هم آلُ مُحَمَّد، حينئذٍ نكون في جوارِ فناء فاطمة وآل فاطمة، إلى هذه المرتبة تأتي الإشارة في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين، ماذا تُعلِّمُنا الزيارة؟ وزيارات أهل البيت مناهجُ فِكرٍ ومعاهد درسٍ وكتب حقيقةٍ ومصابيحُ نورٍ تكشفُ لنا الظلمات، ماذا نخاطبهم في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين، غير الزيارة الجامعة الكبيرة، موجودة في المفاتيح:

فَنَحنُ نُشهِدُ الله أنَّا قَد شَارَكنا أولِيَاءَكُم وأنصَارَكُم المُتَقَدّمين في إِرَاقةِ دِماءِ النّاكثينَ والقَاسِطينَ والمَارِقين وقَتَلةِ أبي عبد الله سَيّدِ شَبابِ أَهلِ الجَنّة عَلَيهِ السَّلام يَومَ كَربلاء بالنّياتِ والقُلُوبِ والتَأسُّفِ على فَوتِ تِلكَ المَواقِف الّتي حَضَروا لِنُصرَتِكُم، هذه المعاني تتحدث عن هذه المرتبة عن المرتبة الأولى، هذه مرتبة النية، نحن هنا بقلوبنا بنوايانا نُشارِكُ أهل البيت في كل صغيرةٍ وفي كل كبيرة وإنما يتحققُ هذا المعنى إذا ما تحقق الوصفُ السابق، الحُبّ في أعلى درجاتهِ، النية القاطعة على الوفاء بعقود الإمامة وبعهود الولاية، التمَثُّل بمعاني الولاية والبراءة، السعي بأقصى ما يمكن للتمسك بآدابهم وأحكامهم وتكاليفهم، ما ذكرتهُ من وصفٍ قبل قليل الذي يتصف بتلكم الأوصاف يتجلى هذا المعنى في نفسهِ – **فَنَحنُ نُشهِدُ الله أنَّا قَد شَارَكنا أولِيَاءَكُم وأنصَارَكُم المُتَقَدّمين في إِرَاقةِ دِماءِ النّاكثينَ والقَاسِطينَ والمَارِقين وقَتَلةِ أبي عبد الله سَيّدِ شَبابِ أَهلِ الجَنّة عَلَيهِ السَّلام يَومَ كَربلاء** – بأيِّ شيءٍ؟ – **بالنّياتِ والقُلُوبِ والتَأسُّفِ على فَوتِ تِلكَ المَواقِف الّتي حَضَروا لِنُصرَتِكُم** – نيات وقلوب وتأسُّف وهذا هو

حالُ من يتصف بالأوصاف السابقة التي مر ذكرها.

ثم تأتي الآية الكريمة فتقول: ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ ليس عليهم جُناحٌ فيما طَعِموا يعني فيما وصل إليهم من العلم، فيما وصل إليهم من المعرفة، ليس عليهم جُناحٌ أن يتبحّروا في علوم ومعارف تلك السفرة الممدودة، سفرة البلاغ المبين إذا ما ارتقوا إلى المرتبة الثانية ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وذلك أن العلم يرحل، متى يرحل؟ إذا غاب العمل، لا قيمة للعلم من دون العمل، لذا ليس عليهم جُناحٌ فيما طَعِموا فيما تعلموا فيما تعمَّقوا في المعرفة إذا ما اتقوا، إذا كانت هناك التقوى، التقوى هنا أبعد من قضية الورع، هذه من أول مراتب السلوك باتجاه أهل البيت، هذه من أول مراتب معرفة أهل البيت، الورع عن المعاصي هذه من المراتب العملية الأولى المطلوبة، والورع على درجات، لكل مرتبةٍ هناك درجة من الورع ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فهناك تقوى وهذه التقوى إنما هي في الفناء في طاعة أهل البيت، وإلا المرتبة الأولى الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم يؤمنون ويعملون بالصالحات لكن هم بحاجةٍ إلى معنى آخر وهو الفناء أن تفنى النفوس في دائرة أهل البيت ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ حينئذٍ فالإيمان يتخذ شكلاً آخر، والصالحات تتخذُ شكلاً آخر وحسنات الأبرار سيئاتُ المُقرَّبين.

هذا المعنى يمكن أن نستشفه في زيارة إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، حين تتحول النيةُ إلى استعدادٍ وتضحيةٍ حقيقيةٍ كاملة، عبارات الزيارة تتحدث عن هذا المعنى ونحن نخاطب إمام زماننا في زيارةٍ من زياراتهِ الشريفة في المفاتيح أيضاً – **فلو تطاولت الدهور** – يا بقية الله – **فلو تطاولت الدُهور وتمادت الأعمار لم أزدد فيكَ إلا يقيناً ولك إلا حُبّاً وعليكَ إلا توكُلاً واعتماداً ولظهوركَ إلا توقعاً وانتظاراً ولجهادي بين يديك إلا ترَقُّباً** – هذه العبارات تكشف عن حالةٍ حقيقية عن حالةٍ واقعية – **فلو تطاولت الدُهور وتمادت الأعمار لم أزدد فيكَ إلا يقيناً ولكَ إلا حُبّاً وعَليكَ إلا تَوكُلاً واعتماداً ولظهوركَ إلا توقعاً وانتظاراً ولِجهادي بينَ يديك إلا ترَقُّباً فأبذلُ نفسي ومالي وولدي** – ولدي في كلام العرب لا تشير إلى المُفرد أو إلى الذكر، ولدي تشمل الذكور والإناث والمفرد والجمع – **فأبذلُ نفسي ومالي وولدي وأهلي وجميع ما خَوّلني ربي بين يديك والتصرُّفَ بين أمرك ونهيك، مولاي فإن أدركت أيامكَ الزاهرة وأعلامك الباهرة فها أنا ذا عبدك المتصرِّفُ بين أمرك ونهيك أرجو به الشهادة بين يديك والفوز لديك، مولاي فإن أدركني الموت قبل ظهورك فإني أتوسَّلُ بِكَ وبآبائك الطاهرين إلى الله تعالى**

وأسأله أن يُصلّي على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد وأن يجعل لي كرَّةً في ظهورك ورجعةً في أيامك لأبلغ من طاعتك مرادي – هذا استعداد في جميع المراتب، في الحياة وبعد الموت في الرجعة في الكرّةِ.

والكلمات نُسِجت نسيجاً بنحوٍ من القوة والإيقاع الذي يتحدث عن شيءٍ هو أبعد من النية، عن شيءٍ يتجسد في حياة الإنسان، عن قوةٍ من العزيمة والإصرارِ والعقيدةِ والثبات حتى لو لم تُتَرجم بعملٍ في الواقع الخارجي فإنها من القوةِ وكأنها قد تُرجِمت، وكأن هذا الإنسان يعيشُ واقع الظهور الشريف، كما تقول الرواية عن الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه: **حَتّى صَارت عِندَهُم الغَيبَةُ بِمَنزِلة المُشاهدة**، صارت الغيبة بمنزلة المُشاهدة، أولئك الذين يعيشون هذه الحالات وهذه المعاني بعُمق حقيقتها، هذه هي المرتبة الثانية.

المرتبة الثالثة: ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ المرتبة الثالثة: ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا﴾ هذه تقوى بمعنىً أعمق، وهذه المعاني بحاجة إلى شرحٍ وتفصيل لكنني لو أردت أن أُسهِبَ فيها فإنني سأتركُ الموضوع الأصل لذلك قلت إنما هي تعليقة موجزة وقصيرة لبيان هذه الحقيقة ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا﴾ هذه المرتبة الثالثة من مراتب التقرُّبِ والقُربِ من أهل البيت.

وهذا ما يمكن أن يشير إليهِ ما جاء في الاستئذان، في الاستئذان الذي نقرأه عند دخول المزارات الشريفة: **وَفقِنا للسَعي إلى أبوابهِم العامرة إلى يوم الدين واجعل أرواحنا تَحِنُّ إلى موطئ أقدامهم** – واجعل أرواحنا تَحنُّ هذه الأرواح تعيشُ حالة الحنين إلى موطئ أقدامهم – **ونفُوسَنا تهوى النظر إلى مجالسهم وعرصاتهم حتى كأننا نُخاطبهم في حضور أشخاصهم** – أليس في بعض رواياتنا أن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه كان يقرأ الآية من القرآن ويُكررها فيقول، بعد أن يُكرر الآية، وهذا هو أسلوبٌ للتربيةِ وللتهذيب، يقول: كأنني سمعتها من قائلها، لكثرة تكرارها والتكرار يؤدي إلى الاندماج إلى الفناء في المعنى، حين يفنى الإنسان في المعنى يعيشُ حقيقة المعنى – **وَفقِنا للسعي إلى أبوابهم العامرة إلى يوم الدين واجعل أرواحنا تَحِنُّ إلى موطئ أقدامهم ونفوسنا تهوي النظر إلى مجالسهم وعرصاتهم حتى كأننا نُخاطبهم في حضور أشخاصهم** – هذه حالة من التواصل وحالة من الارتباط بأهل البيت لا يعرفها إلا أهلها – **حتى كأننا نُخاطبهم في حضور أشخاصهم** – ثم يقول الاستئذان: **اللَّهُمَّ فأذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسماوات وأرسل دموعنا بخشوع المَهابة وذلّل جوارحنا بِذُل العبودية** – الكلام الأول كان عن الجوانح الآن عن الجوارح، فَنَاءُ الجوانح في أهل البيت وفَنَاءُ الجوارح في أهل البيت – **حتى كأننا نُخاطبهم في حضور أشخاصهم** – هذا هو التصاقُ الجوانح، الجوانح الجانب المعنوي من الإنسان، هذا هو التصاق الجوانح بأهل البيت، وهنا التصاق الجوارح: **وذلّل**

جوارحنا بِذُل العبودية وفرض الطاعة حتى نُقِرَّ بما يجبُ لهم من الأوصاف ونعترف بأنهم شفعاءُ الخلائق إذا نُصبت الموازين في يوم الأعراف – ومرَّ الكلام عن مقامهم في يوم الأعراف في هذه الحلقات التي مرت في اليومين الماضيين، هذه المنزلة الثالثة، منزلة فَنَاءُ الجوانحِ والجوارح.

المنزلةُ الرابعة: تلاحظون الآية، المنزلة الأولى: ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ هذا العلم وهذه المعرفة من سفرة البلاغ المبين تترتب عليها مراتب ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ المرتبة الثانية ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا﴾ المرتبة الثالثة ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ وهذه المرتبة الرابعة هي أعلى المراتب لذلك الآية خُتِمت بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ .

﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحسَنُوا﴾ هذه مرتبة أخرى من التقوى وبعد التقوى يأتي الإحسان، هذه المرتبة الرابعة يمكن أن تكون الإشارة إليها فيما جاء في الزيارة الرجبية، نحن نذهبُ بعيداً فنعودُ قريباً إلى زيارات وأدعية ومناجيات هذه الأشهر الشريفة، شهر رجب شهر التوحيد، شهرُ المعرفة وشهرُ الولاية، في الزيارة الرجبية والتي يُستحَبُّ زيارة الأئمة بها في شهر رجب، هذه الزيارة ماذا نقرأ فيها؟ – **وأن يُرجعَني من حضرتِكُم خير مَرجِع** – إلى أين؟ الزائر يدعو هذا الدعاء، الزيارة رغم قِصر هذه الزيارة إلا أنها مشحونة بالمعاني والمعارف، أشير إلى موطن الحاجة – **وأن يُرجعَني من حضرتكم خير مرجع** – إلى أين؟ – **إلى جنابٍ مُمرِع** – هذا في الدنيا – **إلى جنابٍ مُمرِع وخفضٍ موسّع ودعةٍ ومهل إلى حين الأجل** – يعني هذا بعد الرجوع من زيارتهم – **وأن يُرجعَني من حضرتكم خير مرجع إلى جناب مُمرِع وخفضٍ موسّع ودعةٍ ومهل إلى حين الأجل** – هذه العبارات، هذه الكلمات، المعنى اللغوي إلى جنابٍ مُمرِع: المُمرِع، الجناب المُمرع يعني الأرض المبسوطة الواسعة المليئة بالأشجار والخُضرة، الرياض النَظِرة، مُمرِع يعني كثير الأشجار، خضرة جميلة، أشجار كثيرة، مكان مبسوط واسع كثيرُ الماء، كثيرُ الأشجار، كثيرُ الرياحين، كثيرُ الأطيار، وخَفضٍ موسّع: الخفض هو العيش الذي ليسَ فيهِ أيُّ شيءٍ يُكَدِّره، خفض موسّع، عيشٌ هادئ ليس فيه أيُّ شيءٍ يُكَدِّره وموسع فيه كُلُّ أسباب الرفاه، كُلُّ الأبواب مُفَتّحة، ودَعةٍ ومَهَل: الدعة هي الراحة والطمأنينة والسلامة، والمهَل هو السكينة، هذه المعاني قد يفهمها من يريد أن يفهمها بالحديثِ عن الحياة المادية، هذه العبارات تشير إلى حياةٍ معنوية في أرقى معانيها مع أهل البيت، إلى جنابٍ مُمرِع: هذا الجناب المُمرع هذا جنابُ أهل البيت الحياة المعنوية العُلقة مع أهل البيت هذه المرتبة الرابعة: ﴿اتَّقَوا وَّأَحسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ كما في

الآية التي تلوتها أكثر من مرة على مسامعكم.

لو نستمر في قراءة الزيارة – **وخَيرِ مَصيرٍ ومَحَل في النّعيمِ الأزل** – النعيم الأزل أعلى مراتب النعيم الأزل هو القربُ من أهل البيت وليس هو الطعام والشراب، لذلك هذه المعاني الموجودة هنا تتحدث عن أحناء وأصناف العلاقةِ مع أهل البيت – **وخَيرِ مَصيرٍ ومحَل في النّعيمِ الأزل والعيش المُقتَبَل ودَوام الأُكُل وشُرب الرحيقِ والسلسل** – السلسل هو السلسبيل، هو الشراب النقي الصافي الذي لا يقاوم الإنسان عذوبته – **وعلٍّ ونهل** – العلّ هو الشربة الأولى، والشربة الأولى لها طعم إذا كان الإنسان عطشاناً، والنهل هي الشربة الثانية، الشربة الثانية بعد أن ارتوى ووجد الطيب في هذا الشراب فيريد أن يشرب لطيبهِ لا لعطشهِ، هناك عَلٌّ وهناك نَهَل – **لا سأمَ منهُ ولا مَلل ورحمة الله وبركاته وتحياته عليكم حتى العود إلى حضرتكم والفوز في كرّتكم والحشرِ في زمرتكم** – في جميع الأحوال، العبارات هنا تتحدث عن حياةٍ معنوية، لا أريد أن أطيل في المقطع الثاني الذي يتحدث عن الحياة المعنوية في الآخرة.

أريد أن أقف عند المرتبة الرابعة: ﴿اتَّقَوا وَّأَحسَنُوا وَاللّهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ **وأن يُرجعَني مِن حَضرتِكم خير مرجع إلى جناب مُمرِع وخفضٍ موسّع ودعةٍ ومَهَل إلى حين الأجل** – هذه العبارات تتحدث عن حياةٍ معنوية، هذه الحياة المعنوية التي أُشيرَ إليها في سورة الروم، الآية السابعة، الآية السادسة: ﴿وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ﴾ ماذا لا يعلمون؟ أيُّ شيءٍ؟ ﴿يَعلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنيَا وَهُم عَنِ الآخِرَةِ هُم غَافِلُونَ﴾ هذه الآخرة ليست الآخرة القيامة، هذه الآخرة في مقابل الظاهر من الحياة الدنيا، هناك ظاهر في الحياة الدنيا وهناك باطن هناك شيءٌ آخر ﴿يَعلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنيَا﴾ إذاً أينَ الباطن؟ ﴿وَهُم عَنِ الآخِرَةِ هُم غَافِلُونَ﴾ هذا المعنى الذي نخاطبهم في زياراتهم: **إنّي مؤمنٌ بظاهركم وباطنكم**، هناك العلاقة مع الظاهر وهناك العلاقة مع الباطن ﴿يَعلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنيَا وَهُم عَنِ الآخِرَةِ هُم غَافِلُونَ﴾ عن الوجه الآخر في هذه الحياة، الوجهُ الآخر في هذه الحياة الذي تتحدث عنه هذه الزيارة الرجبية – **وأن يُرجعَني مِن حَضرتِكُم خَيرَ مَرجِع إلى جَنابٍ مُمرِع وخَفضٍ مُوسّع ودَعةٍ ومَهَل** – السكون والطمأنينة والهدوء لا في أحناء الحياة التي تمتلئ بالمشاكل والاضطرابات وبالجوع وبالفقرِ في بعض الأحيان، الإنسان يشبع في وقتٍ ويجوع في وقتٍ آخر، ويغنى في وقتٍ ويفتقر في وقتٍ آخر، ويربح في وقتٍ ويخسر، ويتمتع بالصحة والعافية ويصيبهُ المرض، ويكون جميلاً وسيماً فيعرض له عارض فيكون قبيحاً، ويأخذهُ الغرور بشبابهِ ثم يأتي الشيب وتأتي الشيخوخة بآلامها وأمراضها وعجزها وعيوبها، ويأتي الصبح ثم يأتي الليل والأيام متقلبةٌ، أين هي

الدَعةُ والمَهَلُ في هذا الوجهِ من الحياة ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كم من الناسِ يعيشون في الخوف والاضطراب والسجونِ والأمراض، اقرأوا دعاء الجوشن الصغير، دعاء الجوشن الصغير اقرأوه لا على سبيل الدعاء، اقرأوه كما تقرأون أيَّ كتاب، حتى يتبصر الإنسان فيما حولهُ من اضطرابات الحياة ومن بلاءاتها وفِتَنِها، وأيضاً يتذكر ما للهِ عليه من نِعَم، هذا هو الوجه الظاهر من الحياة، الوجه الحقيقي والسعادة الحقيقية مع أهل البيت، وأينَ المُلوكُ وأبناءُ الملوك عن هذه اللذائذ!!

فلقد كرعتُ بِحُبِّهم عسلاً شفاءً للعليل
مثلُ الزُلال صفائه ومِزاجُهُ كالزنجبيل
ذُق ما أذوق وبعدهُ قُل ما تشاءُ من الفضولِ

وأن يُرجعَني مِن حَضرتِكُم خَيرَ مَرجِع إلى جَنابٍ مُمرِع وخَفضٍ مُوسّع ودَعةٍ ومَهَل – أي والله أينَ المُلوكُ وأبناء المُلوك عن هذه اللذائذ وعن هذه المعاني، حين يقول الزُهادُ والصوفيةُ أينَ المُلوك وأبناء المُلوك لأن الملوك وأبناء الملوك يبحثون عن كُلِّ لذَّةٍ وعن كل بهجةٍ، ويُنفقون الأموال وحتى يقطعون الرؤوس ويفعلون ما يفعلون في سبيل أن يصلوا إلى لذائذهم في أشد صورها، فأين الملوك وأبناءُ الملوك عن هذه اللذائذ – **وأن يُرجعَني مِن حَضرتِكُم خَيرَ مَرجِع إلى جَنابٍ مُمرِع وخَفضٍ مُوسّع ودَعةٍ ومَهَل إلى حينِ الأجل** – ذلك هو العيشُ الحقيقي مع مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وذلك هو الشراب الشريف الذي أشارت إليهِ سورة النحل المباركة، ماذا تقول سورة النحل؟ في الآية الثامنة والستين وما بعدها: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ هذا هو الشراب الذي فيه شفاءٌ القلوب وفيه شفاء الحياة، هذا هو الشراب المُحَمَّديُّ العلويُّ الفاطميُّ الحَسَنيُّ الحُسينيُّ المهدوي ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ﴾ والزيارةُ هنا الرجبية ماذا تقول؟ **وخَير مَصيرٍ ومَحَل في النّعيم الأزل والعيش المُقتبَل ودَوام الأُكُل وشُرب الرحيق** – والرحيق هو العسل، الرحيق هو المادة التي يتكون منها العسل، النحلة ماذا تأخذُ من الزهرة؟ ألا تأخذ رحيقها، المادة التي تأخذها النحلة من الزهرة تسمى برحيق الزهرة، الرحيق هو جوهر العسل – **وخَيرِ مَصيرٍ ومَحَل في النّعيم الأزل والعيش المُقتبَل ودَوام الأُكُل وشُرب الرحيق والسلسل** ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ماذا تقول روايات أهل البيت وأحاديثُ أهل البيت؟

ونحن كما قلتُ سابقاً من الكتاب إلى العترة ومن العترة إلى الكتاب، ولا جاء ذلك اليومُ الذي نخرجُ فيه من الكتاب فلا نذهبُ إلى العترة أو نخرج من العترة فلا نذهبُ إلى الكتاب، لا جاء ذلك اليوم ولا أرانا الله ذلك اليوم في حياتنا وفي حياة كُلِّ مُحبٍّ من مُحِبِّي عليٍّ وآل عليّ، لأننا حين نخرجُ من الكتابِ فنذهب إلى غير العترة فقد ذهبنا إلى تلك العيون الكَدِرة التي تقدمت الروايات عنها، وحين نخرجُ من العترة فلا نذهبُ إلى الكتاب فقد تِهنا وقد ضَلَّ بنا الطريق، لأن مُحَمَّداً الذي جاءنا بالحقيقة وفَرَشَ لنا سفرة البلاغ المبين هو قد أودع فينا هذه الوديعة، أودع فينا الكتاب والعترة وقال: ما إن تمسكتم بهما فإنكم لن تضلوا بعدي أبداً، إذا أردنا أن نَفيَ لِمُحَمَّدٍ بالعهودِ والمواثيق فأن لا نخرج من هذا الفِناء من فِناء الكتاب والعترة.

في تفسير القمي علي بن إبراهيم: **عن حريز بن عبد الله عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله عليه ﴿وَأَوحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحلِ﴾ قال: نحن النحل الذي أوحى الله إليها ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً﴾ أمرنا أن نتخذَ من العرب شيعة ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ يقول: من العجم ﴿وَمِمَّا يَعرِشُونَ﴾ من الموالي، والذي يخرجُ من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانهُ العلم الذي يخرج مِنّا إليكم.**

أيضاً العياشي ينقلُ هذا المعنى عن إمامنا الصادق، الرواية طويلة أشير فقط إلى موطن الحاجة، التفتوا إلى هذه النكتة الدقيقة – **يقول: في العلم شفاءٌ للناس والشيعةُ هم الناس ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ يقول: في العلم شفاءٌ للناس والشيعةُ هم الناس وغيرهم الله أعلم بهم ما هُم، قال:** – إمامنا يقول – **ولو كان كما يُزعم أنه العسل** – قطعاً الإمام هنا لا يريد أن ينفي الوجه الأول للآية وإنما يريد أن يبين بأن الوجه الثاني حقيقة وليس الآية محصورة بالوجه الأول فقط – **قال: ولو كان كما يُزعم أنه العسل الذي يأكلهُ الناس إذاً ما أكل منه ولا شَرِبَ ذو عاهة إلا برئ** – لأن الآية تقول: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ فهل يمكن أن يتخلّف قول الله!! الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿شَرَابٌ مُّختَلِفٌ أَلوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ الإمام يقول لو كانت الآية محصورة بهذا المعنى لكان كل من شَرب العسل وتناول العسل لشفى من مرضهِ ومن عاهتهِ ولكن الواقع لا يقول ذلك – **ولو كان كما يُزعم أنه العسل الذي يأكلهُ الناس إذاً ما أكَلَ منه ولا شَرِبَ ذو عاهة إلا برئ لقول الله ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ولا خُلفَ لقول الله وإنما الشفاءُ في علم القرآن** – في الكتاب والعترة، والقرآن هكذا يُفهم، تفهمه العترة وهكذا تبينه لنا – **وإنما الشفاءُ في علم القرآن لقولهِ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحمَةٌ لِّلمُؤمِنِينَ﴾** – والقرآن قطعاً شفاء، لا يختلف ولا يتخلّف للمؤمنين الذين ذاقوا معنى الكتاب والعترة – **فهو شفاءٌ ورحمةٌ لأهله لا شكَّ فيه ولا مرية وأهله** – من

هُم؟ – أئمة الهدى – أهلُ هذا الكتاب – **وأهله أئمة الهدى الذين قال الله** ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ – وهؤلاء هم الذين يخرج منهم هذا العسل الرحيق هذا العلم الحقيق – **قال** ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ **قال: في العلم شفاءٌ للناس والشيعة هم الناس.**

فلقد كرعتُ بِحُبِّهم عسلاً شفاءً للعليل
مثلُ الزُلال صفائه ومِزاجُهُ كالزنجبيل

﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ بودي أن أذهب بعيداً في بيان معاني وخصائص هذه المراتب من خلال روايات أهل البيت ومن خلال زياراتهم ولكننا محكومون بالوقت وإنني أحاول أن أُتمَّ الكلامَ في هذه الأيام في أيام شهر رجب فيما بقي بين يدي من النص الطويل العريض للزيارة الجامعة الكبيرة، أسأله تعالى أن يوفقني لخدمتكم في وقتٍ آخر لأتحدث عن خصائص منهج السلوكِ باتجاه أهل البيت ولبيان أوصاف مراتب ومراقي الارتباط بأهل البيت والتقرب إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كُلُّ ذلك من قرآنهم ومن حديثهم لا مما قالت الصوفية أو مما قالت به هذه الجماعة أو تلك، كُلُّ هذه المعاني بيّنها الكتاب الكريم وبيّنتها العترة الطاهرة في كلماتها وأحاديثها ومعارفها وعلومها.

والكلام متواصلٌ في الزيارة الجامعة الكبيرة، بعد أن تمَّ المقطع الخامس ورحمة الله وبركاته، تبدأ الزيارة فتقول: **أَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلاّ اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفسِهِ وَشَهِدَت لَهُ مَلائِكَتُهُ وَأُولُوا العِلمِ مِن خَلقِهِ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ العزِيزُ الحَكِيمُ** – بعد بيان مراتب أهل البيت في المَقَاطِع الخمسة المتقدمة جاء ذِكرُ التوحيد، وإنما جاء ذكرُ التوحيد بهذا الشكل إنَّه مصداقٌ لِمَا في الزيارة الجامعة من أرادَ الله بدأ بكم، الذي يريدُ الله أن يبدأ بكم لذلك بدأت الزيارة: **السَّلامُ عليكم يا أهل بيت النبوة،** فعدّدت وعدّدت من أوصافهم ومن مراتبهم في المقاطع الخمسة المتقدمة، نحن نريدُ الله لذلك بدأنا بهم، نحن ما بدأنا بهم وبذكرهم وبالسلام عليهم إلا لأننا نريدُ الوصول إلى الله، من أحبَّكُم فقد أحبَّ الله، من أبغضكم فقد أبغض الله، من والاكم فقد والى الله، من عاداكم فقد عادى الله، وجوهرُ المعنى: ومن اعتصمَ بِكُم فقد اعتصمَ بالله، نحن اعتصمنا بكم آل مُحَمَّد، اعتصمنا بأهل البيت لأن من يعتصمُ بأهل البيت فقد اعتصمَ بالله، لذلك الزيارة بدأت: **السلامُ عليكم يا أهل بيت النبوة،** وانتهت: **ونورِهِ وبرهانِهِ ورحمة الله وبركاتهُ.**

هذا هو الباب الواسع، هذا هو الوجه الذي إليه نتوجه، أين وجهُ الله الذي إليه يتوجه الأولياء هذا هو وجهُ الله، حين توجهنا إلى وجه الله وصلنا إلى التوحيد – **أَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلاّ اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفسِهِ** – وهنا لا أتحدث عن التوحيد كما يتحدث الكلاميون وآتي بأدلتهم ولا أتحدث عن التوحيد

كما يتحدث الفلاسفة ولا أريدُ أن أذهب إلى إشارات العُرفاءِ والصوفية، أريدُ أن أتحدث عن التوحيد كما تحدث أهل البيت لنا من خلال أدعيتهم.

من أفضلِ مصادر معرفة عقيدة التوحيد عند أهل البيت هو أدعيتهم فضلاً عن النصوص والروايات الواردة بخصوص هذا الموضوع، نحنُ في شهر رجب في شهر التوحيد لذلك يُستحبُّ الإكثارُ من قراءة سورة التوحيد في هذا الشهر، وهذه المعاني مُبَيَّنة في أعمال وسُنن هذا الشهر الشريف يمكنكم أن تراجعوا الكثير منها في كتاب مفاتيح الجنان، لنذهب إلى أدعية شهر رجب، في أدعية شهر رجب في الدعاء المروي عن إمامنا الحُجَّة صلوات الله وسلامه عليه، لنقرأ هذا المقطع الذي يُحدِّثُنا عن التوحيد: **يا باطِناً في ظهورهِ وظاهراً في بطونهِ ومكنونه، يا مُفَرِّقاً بين النورِ والدَيجور** – الديجور الظلام الشديد – **يا مَوصوفاً بغيرِ كُنه ومعروفاً بغير شِبه، حادَّ كُلِّ محدود وشاهِدَ كُلِّ مشهود ومُوجِدَ كُلِّ موجود ومُحصيَ كُلِّ معدود وفاقدَ كُلِّ مفقود** – فاقد كُلِّ مفقود أنَّهُ فاقدٌ لكل نقص، مفقود هو ما حكمت الفطرة والوجدانُ النظيفُ الطاهر والعقلُ السليمُ بتنزيه الباري عنه، وفاقد كُلِّ مفقود يعني أنه فاقدٌ لكل نقص – **وفاقد كُلِّ مَفقود ليس دونك من معبود** – مفقود يعني ما حَكَمَ العقلُ بأنَّ الذات الكاملة تفقدُ هذا الشيء، هذا هو التوحيد، هل تَجِد تعبيراً في أيِّ كتابٍ عند أيِّ ملةٍ كهذه التعابير الواضحة الجلية في التقديس وفي التنزيه وفي التمجيد والتعظيم لله سبحانه وتعالى؟! صفاءٌ في التعبير، جمالٌ في المعنى، دقةٌ في الحقيقة، وإحاطةٌ بكل المضمون – **يا باطِناً في ظهورهِ وظاهراً في بطونهِ ومكنونه، يا مُفَرِّقاً بين النورِ والديجور، يا موصوفاً بغير كُنه ومعروفاً بغير شِبه، حادَّ كُلِّ محدود وشاهِدَ كُلِّ مشهود ومُوجِدَ كُلِّ موجود ومُحصيَ كُلِّ معدود وفاقدَ كُلِّ مفقود ليس دونكَ من معبود أهل الكبرياءِ والجود، يا من لا يُكَيَّفُ بكيف ولا يؤيَّنُ بأين** – يا من لا يُكَيَّفُ بكيف: لا يُسأل عنه بكيف، ولا يؤيَّنُ بأين: ولا يُسأل عنه بأين – **يا مُحتجباً عن كُلِّ عين يا ديمومُ يا قيَّوم وعالم كُلِّ معلوم** – هذا هو التوحيد يا من يريدُ البحثَ عن حقائق التوحيد.

وفي دعاءٍ آخر أيضاً من أدعية شهر رجب، وهذا الدعاء الذي قرأتهُ وهذا الدعاء الثاني من الأدعية التي يُستحَبُّ قراءتها يومياً في شهر رجب – **يا مَن لا يُنعَتُ بتَمثيل** – الخِطابُ مع الله سبحانه وتعالى – **يا مَن لا يُنعتُ بتَمثيل ولا يُمَثَّلُ بِنَظير ولا يُغلَبُ بظهير، يا مَن خَلَقَ فرَزق وألهمَ فأنطق وأبتدعَ فَشَرَع وعَلا فارتفَع وقدَّرَ فأحسَن وصوَّرَ فأتقَن واحتجَّ فأبلَغ وأنعمَ فأسبغ وأعطى فأجزَل ومَنَحَ فأفضَل، يا مَن سما في العزِّ ففات نواظِرَ الأبصار ودَنا في اللُطفِ فجاز هواجِسَ الأفكار، يا مَن توحَّد في المُلكِ فلا نِدّ له في ملكوت سُلطانه وتفرَّد بالآلاءِ والكبرياء فلا ضِدَّ له في جَبروت شانه، يا مَن حارت في كبرياء هيبتهِ دقائقُ لطائف الأوهام وانحسرت دون إدراك عَظَمتهِ خطائفُ أبصار الأنام يا مَن عَنت الوجوهُ**

لهيبته وخضعت الرِقابُ لعظمته ووجِلت القلوب من خيفته – ثم يقول الدعاء – **أسألُكَ بهذهِ المِدحَة** – هذه الأوصاف هذا المديح – **أسألُك بهذهِ المِدحَة التي لا تنبغي إلا لك** – وهذا هو التوحيد، هذا هو توحيد أهل البيت، فأين توحيد أولئك الذين يُشككون في توحيد أشياع أهل البيت؟ هذا هو توحيد أهل البيت.

في دعاءٍ آخر من أدعية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، من أدعية الفرج: **يا مَن تُحَلُّ بهِ عُقَدُ المَكَارِه، ويَا مَن يُفتأُ بهِ حَدُّ الشَدَائِد، ويا مَن يُلتَمَسُ منهُ المَخرَجُ إلى رَوح الفَرَج، ذَلَّت لِقُدرتِكَ الصِّعاب وتَسبّبَت بِلُطفِكَ الأسباب وجَرَى بِقُدرتِكَ القَضَاء، ومَضَت عَلى إرادَتِكَ الأشياء** – أيُّ إنسانٍ يستطيع أن يسبكَ هذا التعبير في معرفة الله وفي توحيدهِ؟! هذه هي كلماتُ المعصومين – **ذَلَّت لِقُدرتِكَ الصِّعاب وتَسبّبَت بِلُطفِكَ الأسباب وجَرَى بِقُدرتِكَ القَضَاء، ومَضَت عَلى إرادَتِكَ الأشياء فَهيَ بمَشيّتك دونَ قَولِكَ مُؤتمِرة وبإرادَتِكَ دون نَهيكَ مُنزجرة** – أيُّ تعبيرٍ أجمل من هذا التعبير – **فَهيَ بمشيّتك دونَ قَولِك** – دون أن تقول – **مُؤتمِرة، وبإرادَتِكَ** – دون أن تنهاها – **دونَ نَهيكَ مُنزَجِرة أنتَ المَدعوُ للمُهمّات وأنتَ المَفزَعُ في المُلِمّات لا يندفعُ منها إلاّ ما دَفَعت ولا ينكَشِفُ مِنها إلاّ مَا كَشَفت** – هذه نماذج وألا فأدعية أهل البيت كُلُّها تُعلن هذه الحقيقة.

إذا نذهب إلى دعاء الجوشن وهو أعظمُ لوحةٍ في التوحيد، دعاء الجوشن الكبير فقط أقتطف منه مقطعين يتحدثان عن معنى التوحيد بشكلٍ واضحٍ جلي، المقطع السابع بعد العاشر من مقاطع دعاء الجوشن الكبير: **يا مَن هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ، يا مَن هُوَ إلهُ كُلِّ شيءٍ، يا مَن هُوَ خَالِقُ كُلِّ شيءٍ، يا مَن هُوَ صَانِع كُلِّ شيءٍ، يا مَن هُوَ قَبل كُلِّ شَيءٍ، يا مَن هُوَ بَعَد كُلِّ شَيءٍ، يا مَن هُوَ فَوقَ كُلِّ شَيءٍ، يا مَن هُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ شيءٍ، يا مَن هُوَ قَادِرٌ عَلى كُلِّ شَيءٍ، يا مَن هُوَ يَبقى ويَفنى كُلُّ شيء.**

المقطع الثاني من دعاء الجوشن الكبير وهو المقطع الحادي والتسعون: **يا مَن لا يَعلَمُ الغَيبَ إلاّ هُو، يَا مَن لا يَصرِفُ السّوءَ إلاّ هُو، يا مَن لاَ يَخلقُ الخَلقَ إلاّ هُو، يَا مَن لاَ يِغفِرُ الذّنبَ إلاّ هُو، يَا مَن لا يُتِمُّ النّعمَة إلاّ هُو، يَا مَن لا يُقَلِّبُ القُلُوب إلاّ هُو، يَا مَن لا يُدَبِّرُ الأمر إلاّ هُو، يا مَن لا يُنَزِّلُ الغيثَ إلاّ هُو، يا مَن لا يبسطُ الرزقَ إلاّ هُو، يا مَن لا يُحي الموتى إلاّ هُو، سُبحانهُ مَن هُوَ هَكَذا لا هَكَذا غَيره.**

هذا هو توحيدنا ولو أردتُ أن أتتبع أدعية أهل البيت إنها تعطينا روح التوحيد بعيداً عن أدلة المتكلمين وأدلة الفلاسفة فتلك لها بابها وساحتها وشأنها، التوحيد الحقيقي هو هذا التوحيد، توحيدُ الوجدان، توحيد الفطرة وتوحيد العقل الذي استنار بنور أهل البيت هذا هو التوحيد، هذه هي صفحاتٌ من معاني التوحيد.

حين نقرأ في الزيارة الجامعة فنقول: **أَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلاّ اللهُ وَحدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ** – فإننا نعتقد بكل هذه المعاني وبأكثر من هذه المعاني، وما عند أهل البيت إنما هو بإذنهِ بفضلهِ بنعمتهِ بجلالهِ بجمالهِ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وكُلُّ شيءٍ إن تحققَ في الوجودِ فهو من فَيضه وهو من لُطفهِ وما هذا الوجود إلا ظِلالُ نورهِ، ونورهُ تجلى في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وما مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد إلا مَظهر من مظاهرهِ، هو المظهر الأتم الذي أظهرهُ في وجودهِ وفي خلقهِ – **أَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلاّ اللهُ وَحدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ** – هذه شهادة لكنها على مراتب – **كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفسِهِ** – كيف يشهد الله لنفسه؟ ما معنى أشهدُ؟ أشهدُ من الشهادةِ والشهادةُ تعني العلم والحضور لذلك يُقال فلان شاهد على القضية الكذائية لأنه كان حاضراً ولَمَّا كان حاضراً كان ملتفتاً بحواسه وبمداركهِ لذلك هو عالم بالذي جرى فهو حاضرٌ وعالم، حين أقول: أشهدُ أي أنني أعلمُ وكذلك أُقِرُّ بأنَّ الله لا شريك له، بأنه لا إله إلا الله، كما شَهِدَ لنفسهِ كيف يشهدُ الله لنفسهِ؟ علمهُ بنفسهِ، علم الباري سبحانه وتعالى بنفسهِ هي هذه شهادتهُ لنفسهِ فهل نستطيع أن نتصور هذا المعنى؟ نحن لا نستطيع أن نتصور هذا المعنى لكننا نُقِرُّ بذلك ونعتقدُ بذلك كما علَّمنا هو سبحانه وتعالى عن طريق مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

المعنى الموجود هنا: **أَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلاّ اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفسِهِ وَشَهِدَت لَهُ مَلائِكَتُهُ** – أما ملائكتهُ متى شَهِدت؟ شَهِدت الملائكة بعد أن تعلَّمت من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ومرت علينا الروايات – **وَأُولُوا العِلمِ مِن خَلقِهِ** – أولوا العلم من خلقه المرتبة الأولى والأعلى هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، يمكن أن ينطبق هذا الكلام على غيرهم بالمُسامحة وبالتجوّز لكن المعنى الحقيقي لا ينطبقُ إلا عليهم لأنهم هم أصحابُ العلم الحقيقي، حتى لا ينطبقُ على الأنبياء فإن علم الأنبياء دون علمهم بل لا توجد مقايسة بين علم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد وبين علوم الأنبياء، وهذا المعنى بينتهُ روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والقصة قصة موسى والخِضر وهذا الطائر الذي غمس منقارهُ في البحر والخِضر فسَّر هذا المعنى قال: ما علمي وعلمك وعلم الأنبياء وعلم الخلق بجنب علم وصي مُحَمَّدٍ إلا كهذا الماء الذي أخذهُ هذا الطائر بمنقارهِ إلى هذا البحر، والمعاني واضحة وكثيرة في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلاّ اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفسِهِ وَشَهِدَت لَهُ مَلائِكَتُهُ وَأُولُوا العِلمِ مِن خَلقِهِ – هذا المعنى تقتبسهُ الزيارة من سورة آل عمران، الآية الثامنة بعد العاشرة ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ وهذا هو التعانقُ بين الكتاب والعترة، فإنَّ الكتاب ليس ببعيدٍ عن العترة وإن العترة ليست ببعيدةٍ عن الكتاب، هذا المضمون نفسه هو الموجود في

الآية الثامنة بعد العاشرة من سورة آل عمران ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا العِلمِ قَآئِمَاً بِالقِسطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيم﴾ **أَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلاّ اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفسِهِ وَشَهِدَت لَهُ مَلائِكَتُهُ وَأُولُوا العِلمِ مِن خَلقِهِ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ العزِيزُ الحَكِيمُ** – هذا تأكيدٌ على المعنى الذي تقدم – **لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيم** – العزيزُ الحكيم: العزيز له معانٍ عديدة وأنا هنا لا أريد الحديث بالتفصيلِ عن الأسماء الحسنى إن شاء الله يكون لنا برنامج في المستقبل في بيانِ معاني أسماء الله الحسنى، العزيز هو الذي ليس له شبيه، في لغة العرب تقول بأن هذا الشيء شيءٌ عزيز أي نادر، هذه الدُّرةُ دُرةٌ عزيزة أي لا شبيه لها، درةٌ يتيمة، الدرة اليتيمة الدرة العزيزة التي لا شبيه لها، العزيز الذي لا شبيه له، العزيز الذي يكون مفقوداً لا يستطيع الإنسان أن ينالهُ وهو العزيزُ الحكيم، هو العزيز المُتعالي، الذات التي لا تستطيع العقول أن تصل إليها، مثل ما موجود في الحياة الدنيوية هناك أشياء عزيزة يصعب على الإنسان أن ينالها، الذات الإلهية عزيزةٌ على العقول، العقول تعجز أن تصل إليها، والعزيز هو القادرُ على أن يفعل ما يشاء، فعزيزُ القوم سيدهم وهو القادرُ على أن يأمر وأن ينهى وأن يفعل وأن يترك ما يريد.

لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيم – وهذا الوصف: العزيز والحكيم، والحكيم هو العالم، الحكيمُ هو العالمُ بمعنىً من المعاني كُلُّ الصفات الإلهية تعودُ إلى علمهِ، ذاتهُ علمهُ وعلمهُ ذاتهُ، وعلمهُ حياتهُ وحياتهُ علمه جلَّ شأنهُ وتعالى، كُلُّ هذه الصفات تعودُ إلى حياتهِ وعلمهِ وقدرته، هو الحيُّ القيوم العالمُ القادر، كُلُّ هذه المعاني عائدةٌ إلى هذه الصفات وصفاتهُ عينُ ذاتهِ هذه هي عقيدتنا التي تعلمناها من سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه.

في المُناجاة الشعبانية نجد الإشارة إلى معنى العزة واضحة ولذلك إيرادُ أسم العزيز في عنوان التوحيد وفي مضمون التوحيد فيه إشاراتٌ واضحةٌ وجليةٌ لِما بينَ العابد والمعبود لِما بين الخالق والمخلوق، في المناجاة الشعبانية: **إلهي هَب لي كمال الانقطاع إليك وأنِر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حُجُب النور فتصل إلى معدن العَظَمة وتصير أرواحنا مُعَلَّقةً بعزِّ قُدسِك** – مُعَلَّقةً بِعزِّ قُدسِك وعِزُّ قدسه هو مجلى من مجالي أسمهِ العزيز – **وتصير أرواحنا مُعَلَّقةً بعزِّ قُدسِك** – والمجلى الأوضح لِعزِّ قُدسهِ الحقيقةُ المُحَمَّدية، مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، ثم تستمرُ المُناجاة: **إلهي وألحقني بنور عزك الأبهج** – وعزَّهُ الأبهج مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد – **وألحقني بنور عزِّكَ الأبهج**.

لا إِلهَ إِلاّ هُوَ العزِيزُ الحَكِيمُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المُنتَجَبُ وَرَسُولُهُ المُرتَضى أَرسَلَهُ بِالهُدى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ – وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً: المُحَمَّدُ هو الذي جمع المحامد كلها، مُحَمَّد هو الذي جمَعَ المحامد كلها، والمحامد هي المحاسِنُ التي تُحمد، ربما هناك من المحاسنِ

من لا يستطيع الإنسان أو من لا يلتفت الإنسان إلى حمدها ولكن كُل محاسن مُحَمَّد تتوجه العقول والقلوب والفِطر إلى حمدها، فما من حُسنى عند مُحَمَّدٍ إلا وهي تستحقُّ الحمد لذلك كان المُحَمَّد، المُحَمَّد هو مَجمع المحامد، ما فيه من ذاتياتٍ وما فيه من عَرضيات كُلُّ ما فيه من أوله إلى آخرهِ ومن ظاهرهِ إلى باطنهِ كُلُّه مَحامد هو مجمعُ المحامد بل بعبارةٍ دقيقةٍ هو حقيقةُ الحمد، مُحَمَّدٌ هو حقيقةُ الحمد وهو الحمدُ بكل معناه – **وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المُنتَجَبُ وَرَسُولُهُ المُرتَضى** – أما رسولهُ المُرتضى فالإشارة واضحة إلى علمهِ الغيبي المُحيط، وهذا ما جاء في قرآننا الكريم في سورة الجن، الآية السادسة والعشرون ﴿**عَالِمُ الغَيبِ فَلَا يُظهِرُ عَلَى غَيبِهِ أَحَداً**﴾ والآية التي بعدها ﴿**إِلَّا مَنِ ارتَضَى مِن رَّسُولٍ**﴾ ﴿**عَالِمُ الغَيبِ فَلَا يُظهِرُ عَلَى غَيبِهِ أَحَداً**﴾ على كل الغيب ﴿**فَلَا يُظهِرُ عَلَى غَيبِهِ**﴾ على الغيب الخاص، هناك غيبٌ تطّلع عليه الملائكة، هذا هو الحرف الثالث والسبعون من حروف الأسم الأعظم، هذا هو العلم المكنون الذي ما أطلع عليه أحد إلا الله، وإلا هناك من الغيب يعرفهُ الأنبياء، وهناك من الغيب تعرفهُ الملائكة ﴿**عَالِمُ الغَيبِ فَلَا يُظهِرُ عَلَى غَيبِهِ أَحَداً**﴾ هذا غيبٌ خاص بالله منسوب إلى الله، على غيبهِ الهاء هنا الضمير تعودُ على الله ﴿**عَالِمُ الغَيبِ فَلَا يُظهِرُ عَلَى غَيبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارتَضَى مِن رَّسُولٍ**﴾ والرسول المرتضى هو مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، والمرتضى من الرسول هو عليٌّ المرتضى الروايات هكذا أخبرتنا.

وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المُنتَجَبُ وَرَسُولُهُ المُرتَضى – المنتجب أخص من المُرتضى، عبدهُ المنتجب أعلى رُتبةً من رسولهِ المرتضى – **وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المُنتَجَبُ** – أعلى رُتبةٍ للنبي صلى الله عليه وآله هي رتبة العبودية، وإلى هذا الإشارة في الحديث: العبودية جوهرةٌ كُنهها الربوبية، هذه الجوهرة التي كُنهها الربوبية لو لم تكن هذه العبودية بهذه القيمة لَمَا أطلعهُ على غيبهِ على الغيب الخاص بالله، لَمَا أظهرهُ على غيبهِ، هو العبد المُنتجَب، المُنتجَب هو أيضاً المرتضى ولكن بخصوصية أكثر – **وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المُنتَجَبُ وَرَسُولُهُ المُرتَضى أَرسَلَهُ بِالهُدى** – والهدى ولاية عليٍّ، لذلك قالها في عيد غدير خم في يوم الغدير، قال: اللهم والي من والاه وعادي من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله، جعل الهداية مع عليٍّ ولذلك قلت بأن الهدى عليٌّ صلوات الله عليه – **أَرسَلَهُ بِالهُدى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ** – الهدى في رواياتنا في أكثر الأحيان يُعَبَّرُ بها عن عليٍّ وأما دينُ الحق ففيه الإشارة إلى إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه لأن دين الحق لا يظهر إلا على يدهِ على يد إمام زماننا – **أَرسَلَهُ بِالهدى وَدِينِ الحَقِّ** – وهذا دينُ الحق لا يظهر إلا في زمان إمامنا – **لِيُظهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ** – هل كَمُلَ

الإسلام؟! هناك شهادة ثالثة لابد من وجود الشهادة الثالثة – **وَأَشهَدُ أَنَّكُم الأَئِمَّةِ الرَّاشِدُونَ** – هذا هو الإسلام: الشهادة بالتوحيد، الشهادة بالرسالة ثم الشهادة بالولاية والإمامة، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن مُحَمَّداً عبدهُ المنتجب ورسولهُ المرتضى وأشهدُ أنكم الأئمة الراشدون، هنا الأوصاف أوصاف تفصيلية، وكل هذه الأوصاف الموجودة هنا مردها إلى الأصول والأسس والقواعد في المقاطع الخمسة التي تَقَدَّم الحديثُ عنها لكن هناك نكتة دقيقة أشير إليها – **وَأَشهَدُ أَنَّكُم الأَئِمَّةِ** – الأئمة، الأئمة هذا العنوان الجامع، الأئمة جمعٌ لإمام هذا عنوان جامع، حين أقول إمام يعني هو مجمع الفضائل والكمالات، الأئمة هذا العنوان الجامع تبدأ الزيارة تُفَصِّل من هم هؤلاء الأئمة؟

الرَّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ المَعصُومُونَ المُكَرَّمُونَ المُقَرَّبُونَ المُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ المُصطَفَونَ المُطِيعُونَ للهِ القَوَّامُونَ بِأَمرِهِ العامِلُونَ بِإِرادَتِهِ الفائِزُونَ بِكَرامَتِهِ – كم صفة هذه؟ أحسبوها معي: الراشدون واحد، المهديون إثنان، المعصومون ثلاثة، المكرمون أربعة، المقربون خمسة، المتقون ستة، الصادقون سبعة، المصطفون ثمانية، المطيعون لله تسعة، القوامون بأمره عشرة، العاملون بإرادتهِ إحدى عشر، الفائزون بكرامتهِ إثنا عشر، هذه جاءت جُزافاً؟! بعد وصف الأئمة – **وَأَشهَدُ أَنَّكُم الأَئِمَّةِ** – وتبدأ الأوصاف إثنا عشر صفة، هذا نصٌّ معصومي، حتى المقاطع السابقة أنا ما أردت أن أشير إلى تعداد الأرقام والخوض في الأرقام وأسرار الأرقام، وإلا حتى المقاطع السابقة ففي كل مقطع هناك عدد معين فيه إشارة لكنني ما أردتُ الخوضَ في هذا المطلب، الآن بعد أن قال: **وَأَشهَدُ أَنَّكُم الأَئِمَّةِ** – عَدّد هذه الأوصاف إثنا عشر وهي إشارة واضحة إلى عددهم الشريف، هذا المقطع وما بعدهُ من العبارات ما بين طيٍّ ونشر وسأبين هذا المقصود – **وَأَشهَدُ أَنَّكُم الأَئِمَّةِ** – الأئمة هذا عنوان جامع ما هي تفاصيلهُ؟ **الرَّاشِدُونَ** — الراشدون: الراشد هو القادر على أن يأتي بكل عملٍ على أتمِ وجه، الراشد هو الذي يأتي بأعمالهِ بأقوالهِ بأحوالهِ على أتمِ وجه – **الرَّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ** — المهدي: هو المهتدي والهادي لغيرهِ – **المَعصُومُونَ** — المعصومون: وسنتحدث عن معنى العصمة في ملف العصمة، ملف العصمة سأشرعُ فيهِ إن شاء الله تعالى في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب وهو يوم المبعث الشريف من أهم أعيادنا، في هذا اليوم تبدأ الحلقة الأولى من برنامجنا ملفُّ العصمة وهو من أهم الملفات العقائدية التي تَقَدَّم قسم منها وبقي قسمٌ آخر – **المَعصُومُونَ المُكَرَّمُونَ** – وإنما يُكرَّمون لكرامةٍ فيهم والذي فيه الكرامة هو الذي لا يصدر عنه إلا الخير إلا الكرم – **المُكَرَّمُونَ المُقَرَّبُونَ** – وهل هناك من أحدٍ أقرب منهم إلى الله – **المُقَرَّبُونَ** — المقربونَ: المُقرَّب من الجمال يكون جميلاً، المُقرّب من الماء يكون نظيفاً يكون طاهراً، والمقرَّب من الأوساخ يكون وسخاً، المقرَّب من الأوراد والروائح الطيبة تكون رائحتهُ طيبة، هم مُقرَّبون إلى الله أقرب شيء ولذلك صفاتهم صفاتٌ إلهية، مناقبهم مناقبٌ

إلهية، هم أقربُ شيءٍ إلى الله – **المُقَرَّبُونَ المُتَّقُونَ** – المتقون: هذا المعنى من التقوى لا هذا المعنى المحدود في قضية تجنب المحارم وفي قضية إتيان الواجبات الشرعية، التعريف الذي يُعرِّفهُ سيد الأوصياء للتقوى وهو أن يجدك في مواطن طاعته وأن يفتقدك من مواضع معصيته، هذا المعنى من التقوى بالنسبة لنا، المتقون هنا معنى أبعد وأوسع، التقوى هي الدرع، التقوى هي الحِصن، المتقون هنا هم الذين يكونونَ حصناً لأوليائهم بل يكونون أماناً للخلق، أليس هم أمان لأهل السماء ولأهل الأرض، المتقون بهذا المعنى هم الدرع الحصينة – **المُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ** – ليس المراد الصدق في القول، هذا يمكن أن نتحلى نحنُ بهِ، هذا الصدق في العلم، علمهم صادق لأنهم يملكون الحقيقة، أما الصدق في القول فهذا من البديهيات لا داعي لذكرهِ، صادقون في علمهم لأنهم يملكون الحقيقة، ولا يملكُ أحدٌ الحقيقة غيرهم صلوات الله عليهم في كل هذا الوجود

من جاء بالقول البليغ فناقلٌ عنهم وإلا فهو منهم سارقُ

ما في أيدي الخلق من حقٍّ ومن علمٍ ومن هدىً فقد خرج من عليٍّ صلوات الله عليه، وهذا ليس فقط في المستوى البشري أو في المستوى التأريخي، هم عَلَّموا الملائكة، هم عَلَّموا الكائنات ومرت علينا الروايات – **الصَّادِقُونَ المُصطَفَونَ** – هم الذين اصطفاهم الله واصطفاهم أي خصهم بصفاتهِ هذا هو معنى اصطفائهم، لا أنه فضلهم على غيرهم، فمن غيرهم حتى يُقاس أهل البيت بهِ، لا يُقاس بآل مُحَمَّدٍ أحدٌ من هذه الأُمَّة، لا يمكن أن يُقاس أحد، هذا في العالم البشري أما في العوالم قبل العالم البشري فهم كانوا قبل الخلق، لا يُقاس أحد بأهل البيت حتى يكون اصطفاء أهل البيت على بقية الناس، متى كان الناس حتى يُصطفى أهل البيت على الناس ومن بين الناس، مثل ما قال إمامنا الصادق لهذا الذي قال الله أكبر من كل شيء، قال: متى كان مع الله شيء حتى كان الله أكبر من كل شيء، ما قيمةُ هذه الأشياء، أيضاً الناس متى كانوا مع مُحَمَّد وآل مُحَمَّد حتى يُقاسوا بمُحَمَّد وآل مُحَمَّد؟!

من هُم المصطفون الذين اصطفاهم لنفسهِ أختارهم لنفسهِ، خلقتك لأجلي، يا أحمد خلقتك لأجلي – **الصَّادِقُونَ المُصطَفَونَ المُطِيعُونَ للهِ** – المطيعون أي أنَّ إرادة الباري تتجلى فيهم، أمس قرأنا في زيارة سيد الشهداء الزيارة المُطلقة: **إرادةُ الربِّ في مقادير أمورهِ تهبطُ إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عمَّا فُصِّل من أحكام العباد** – الزيارة المطلقة الأولى في مفاتيح الجنان التي رواها المُحَدَّث القمي عن الكافي عن كافي الشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه – **إرادةُ الربِّ في مقادير أمورهِ تهبطُ إليكم وتصدر من بيوتكم** – هذا هو معنى المطيعون لله، ليس المطيعون لله هنا المراد أنه يصلي ويصوم، لذلك يأتي الوصف – **القَوَّامُونَ بِأَمرِهِ** – فهم مطيعون في مقادير أموره وقوامون بأمره – **المُطِيعُونَ للهِ القَوَّامُونَ بِأَمرِهِ العامِلُونَ**

بِإِرادَتِهِ – العاملون بإرادتهِ: إرادةُ الربِّ في مقادير أمورهِ تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم، هؤلاء هم أئمتنا، وهؤلاء هم الذين عرَّفونا بأنفسهم صلوات الله عليهم، إذا كان البعض لا يعجبهُ هذا الكلام هو حر، هو حر والملتقى في يوم القيامة – **القَوَّامُونَ بِأَمرِهِ العامِلُونَ بِإِرادَتِهِ الفائِزُونَ بِكَرامَتِهِ** – هذه الأوصاف بلغت إلى العدد الثاني عشر، تبدأ الزيارة بصيغةٍ أخرى، هذه: الراشدون، المهديون، المعصومون على صيغة فاعل، الآن تبدأ الزيارة بعد أن عددت هذا العدد اثنا عشر من الأوصاف بهذه الصيغة تبدأ الزيارة بتعبير آخر – **اصطَفاكُم بِعِلمِهِ وَارتَضاكُم لِغَيبِهِ** – نفس الأوصاف السابقة لكن جاءت منسوبة إلى الله سبحانه وتعالى، الأوصاف الأولى أنتم راشدون، مهديون، من أراد الله بدأ بكم، الآن بدأنا بهم الراشدون المهديون هُم هُم بعد ذلك وصلنا إلى الله فنتحدث عن فضل الله عليهم: **اصطَفاكُم بِعِلمِهِ وَارتَضاكُم لِغَيبِهِ وَاختارَكُم لِسِرِّهِ وَاجتَباكُم بِقُدرَتِهِ وَأَعَزَّكُم بِهُداهُ وَخَصَّكُم بِبُرهانِهِ وَانتَجَبَكُم لِنُورِهِ وَأَيَّدَكُم بِرُوحِهِ، وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ فِي أَرضِهِ وَحُجَجاً عَلى بَرِيَّتِهِ وَأَنصاراً لِدِينِهِ وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ وَخَزَنَةً لِعِلمِهِ وَمُستَودَعاً لِحِكمَتِهِ وَتَراجِمَةً لِوَحيِهِ وَأَركاناً لِتَوحِيدِهِ وَشُهَداء عَلى خَلقِهِ وَأَعلاماً لِعِبادِهِ وَمَناراً فِي بِلادِهِ وَأَدِلاَّءً عَلى صِراطِهِ عَصَمَكُم اللهُ مِنَ الزَّلَلِ وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ وَأَذهَبَ عَنكُم الرِّجسَ وَطَهَّرَكُم تَطهِيراً** – إلى هنا ينتهي مقطع ثم يبدأ مقطع جديد آخر.

لنرجع إلى هذا المقطع لنرى طريقة السبك ولنرى الأعداد التي جاءت فيها هذه العبائر، أحسبوا معي: **اصطَفاكُم بِعِلمِهِ** – واحد – **وَارتَضاكُم لِغَيبِهِ** – اثنين – **وَاختارَكُم لِسِرِّهِ** – ثلاثة – **وَاجتَباكُم بِقُدرَتِهِ** – أربعة – **وَأَعَزَّكُم بِهُداهُ** – خمسة – **وَخَصَّكُم بِبُرهانِهِ** – ستة – **وَانتَجَبَكُم لِنُورِهِ** – سبعة – **وَأَيَّدَكُم بِرُوحِهِ** – ثمانية – **وَرَضِيَكُم** – هذه تسعة ثُمَ – **وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ فِي أَرضِهِ وَحُجَجاً عَلى بَرِيَّتِهِ** – هذا المقطع طويل بعد أن ينتهي – **عَصَمَكُم اللهُ مِنَ الزَّلَلِ** – هذه كم يكون؟ يكون عشرة – **وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ** – إحدى عشر – **وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ** – اثنا عشر – **وَأَذهَبَ عَنكُمُ الرِّجسَ** – ثلاثة عشر – **وَطَهَّرَكُم تَطهِيراً** – أربعة عشر، يعني هذا العدد جاء جُزافاً أيضاً؟!

الفقرة التي كانت طويلة – **وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ فِي أَرضِهِ** – الصيغة مختلفة فيها لنحسب كم جاء في هذه الصيغة – **وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ فِي أَرضِهِ** – واحد – **وَحُجَجاً عَلى بَرِيَّتِهِ** – اثنين – **وَأَنصاراً لِدِينِهِ** – ثلاثة – **وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ** – أربعة – **وَخَزَنَةً لِعِلمِهِ** – خمسة – **وَمُستَودَعاً لِحِكمَتِهِ** – ستة – **وَتَراجِمَةً لِوَحيِهِ** – سبعة – **وَأَركاناً لِتَوحِيدِهِ** – ثمانية – **وَشُهَداء عَلى خَلقِهِ** – تسعة – **وَأَعلاماً لِعِبادِهِ** – عشرة – **وَمَناراً فِي بِلادِهِ** – إحدى عشر – **وَأَدِلاَّءً عَلى صِراطِهِ** – اثنا عشر، أيضاً هذه الأعداد جاءت جُزافاً، هؤلاء الذين يُشككون في الزيارة الجامعة ولا يعرفون شيئاً من معناها، الزيارة الجامعة من أولها إلى آخرها مبنية على نظام

هندسي معين وكل زيارات أهل البيت هكذا، هناك هندسة خاصة وهناك شفرات خاصة في زيارات أهل البيت وفي أدعيتهم، هؤلاء الذين يتمشدقون على المنابر وعلى الفضائيات وفي وسائل الإعلام ويُضَعِّفون روايات أهل البيت وزياراتهم وأدعيتهم هؤلاء لا يفهمون شيئاً، نحن نعذرهم لجهلهم، قد يفهمون في أشياء أخرى لكنهم لا يفهمون في هذا الباب، هذا الباب له أهلهُ وله مختصوه، وبقية العبارات لو أردنا أن نذهب معها لوجدنا نفس هذه الأعداد، وهذه الأعداد لها خصوصية، حتى لو أردنا في المقطع الذي بعدها حينما يتبدل التعبير، الآن الخطاب لهم – **فَعَظَّمتُم جَلالَهُ وَأَكبَرتُم شَأنَهُ وَمَجَّدتُم كَرَمَهُ وَأَدَمتُم ذِكرَهُ وَوَكَّدتُم مِيثاقَهُ وَأَحكَمتُم عَقدَ طاعَتِهِ وَنَصَحتُم لَهُ فِي السِّرِّ وَالعَلانِيَّةِ وَدَعَوتُم إِلى سَبِيلِهِ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم فِي مَرضاتِهِ وَصَبَرتُم عَلى ما أَصابَكُم فِي جَنبِهِ، وَأَقَمتُم الصَّلاةَ وَآتَيتُم الزَّكاةَ وَأَمَرتُم بِالمَعرُوفِ وَنَهَيتُم عَنِ المُنكَرِ وَجاهَدتُم فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ** – إلى أن يبدأ تعبير آخر – **حَتّى أَعلَنتُم دَعوَتَهُ** – هذا تعبير آخر لفقرةٍ جديدة.

لنحسب هذه العبارات – **فَعَظَّمتُم جَلالَهُ** – واحد – **وَأَكبَرتُم شَأنَهُ** – اثنين – **وَمَجَّدتُم كَرَمَهُ** – ثلاثة – **وَأَدَمتُم ذِكرَهُ** – أربعة – **وَوَكَّدتُم مِيثاقَهُ** – خمسة – **وَأَحكَمتُم عَقدَ طاعَتِهِ** – ستة – **وَنَصَحتُم لَهُ فِي السِّرِّ وَالعَلانِيَّةِ** – سبعة – **وَدَعَوتُم إِلى سَبِيلِهِ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ** – ثمانية – **وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم فِي مَرضاتِهِ** – تسعة – **وَصَبَرتُم عَلى ما أَصابَكُم فِي جَنبِهِ** – عشرة – **وَأَقَمتُم الصَّلاةَ** – إحدى عشر – **وَآتَيتُم الزَّكاةَ** – اثنا عشر – **وَأَمَرتُم بِالمَعرُوفِ وَنَهَيتُم عَنِ المُنكَرِ** – ثلاثة عشر – **وَجاهَدتُم فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ** – أربعة عشر، هذا التنظيم والسبك وفقاً لهذه الأعداد جاء جُزافاً؟! وهذه القضية الهندسية موجودة على كل الزيارة ومن البداية، لكنني ما أردتُ أن أشير إليها من بداية الأمر.

وقت البرنامج قارب على الانتهاء إن شاء الله تتمة الكلام وتتمة الحديث تأتينا في يوم غد البث مباشر والحلقة الخامسة والعشرون من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة.

أودعكم إلى لقاءٍ في يوم غد وألتقيكم على مودّة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد أسألكم الدعاء جميعاً أحباب عليٍّ وآل عليّ أيُّها المنتظرون إمام زمانهم صلوات الله عليه، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته في أمان الله.

الحلقة الخامسة والعشرون

معنى اَشْهَدُ اَنْ لا اِلهَ اِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفْسِهِ . . . . .

وَاَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضى اَرْسَلَهُ بِالْهُدى وَدينِ الْحَقِّ . . . . .

وَاَشْهَدُ اَنَّكُمُ الاَئِمَّةُ الرّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمُكَرَّمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ . . . . .

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركات أحباب عليٍّ وآل عليّ أيُّها الفاطميون الزهرائيون المنتظرون إمام زمانهم صلوات الله وسلامه عليه، الحلقة الخامسة والعشرون من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة.

فيما مرَّ من كلامٍ تَمَّ الحديثُ في المقاطع الخمسة وانتقلتُ في يوم أمس إلى مقطعٍ آخر من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة، في هذه الحلقة أحاول أن أُتِمَّ الحديث في هذا المقطع إن شاء الله تعالى.

المقطعُ الذي بين يدي بنحوٍ سريع أعيد ما تقدم لأجل ترابط الكلام: **أَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلاّ اللهُ وَحدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفسِهِ وَشَهِدَت لَهُ مَلائِكَتُهُ وَأُولُوا العِلمِ مِن خَلقِهِ** – هذه شهادةٌ تتخذُ عدة جهات: الجهة الأولى: **كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفسِهِ** – وهو علمه بذاته جلَّ شأنه وتقدس – **وَشَهِدَت لَهُ مَلائِكَتُهُ** – وإنما شهدت له ملائكته بتعليمٍ من مُحَمَّدٍ وعليٍّ كما تقدم الكلام في رواياتهم وأحاديثهم، ومُحَمَّدٌ وعليٌّ عنوانٌ للكلمة الأولى وللأسم الأول وللماء الأول وللنور الأول – **وَأُولُوا العِلمِ مِن خَلقِهِ** – هذا العنوان في حقيقته لا ينطبق إلا على مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد وإذا انطبقَ على سائر الناس من الأنبياء ومن الحُجَجِ والأوصياء ومن الأولياء وعباد الله الصالحين فهو بالتفرع لا بالأصالة وبالتجوز والمُسامحة – **أَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلاّ اللهُ وَحدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفسِهِ وَشَهِدَت لَهُ مَلائِكَتُهُ وَأُولُوا العِلمِ مِن خَلقِهِ** – هذه الشهادةُ بالنسبة لنا شهادةٌ تسليمية، نحنُ نشهد بأنَّ الله لا إله غيره وذلك بحسبنا، أمَّا هذه الشهادة المذكورةُ في الزيارة الجامعة الكبيرة فهذه شهادةٌ في أعلى رُتب الشهادة، نحن نُعلنها تسليماً لأوليائنا ولأئمتنا صلوات الله عليهم، وإلا فشهادتنا التوحيدية هي بقدر عقولنا وبقدر قلوبنا، الشهادة هنا كما شَهِدَ الله لنفسهِ فهل نحن نعرف معنى شهادة الله لنفسه سبحانه وتعالى؟! أو كما شَهِدَ بذلك أولوا العلم من خلقه وهم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد فهل نستطيعُ أن نُحيط علماً بعلم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد؟! أو هل نستطيع أن نُحيط علماً بعلم الملائكة

الكروبيين ومن هم أعلى رُتبةً من الملائكة الكروبيين؟! قطعاً المُراد هنا من الملائكة أعلى رُتب الملائكة – **كَما شَهِدَ الله لِنَفسِهِ وَشَهِدَت لَهُ مَلائِكَتُهُ** – أعلى رُتب الملائكة – **وَأُولُوا العِلمِ مِن خَلقِهِ** – أعلى رُتَبِ أولي العلم، فهل أنَّ شهادتنا تبلغُ هذه الشهادات؟ قطعاً لا، شهادتنا بحسبنا بحسب مداركنا بحسب عقولنا بحسب ما نحن فيه من ذاتياتٍ وعرضيات، أما هذه الشهادةُ نحنُ نُقِرُّ بها تسليماً لأولئك الذين مرت أوصافهم في المقاطع الخمسة المتقدمة، لأولئك الذين هم خُزَّانُ العلم، لأولئك الذين هُم أولياءُ النِعَم، لأولئك الذين هم أبواب الإيمان، لأولئك الذين هم مصابيحُ الدُّجى، لأولئك الذين هم كهفُ الورى، لأولئك الذين هم محالُّ معرفة الله ومساكن بركة الله ومعادن حكمة الله وحَفَظَةُ سِرّ الله، نحن نُذعِنُ ونُسَلِّمُ ونشهدُ هذه الشهادة التسليمية لأنها وردتنا وجاءتنا من معادن حكمة الله ومن حَفَظَة سر الله، أما شهادتنا الحقيقية التي هي بحسب مراتبنا فتلك التي تُقِرُّ بها عقولنا وقلوبنا وفطرتنا.

أَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلاّ اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفسِهِ وَشَهِدَت لَهُ مَلائِكَتُهُ وَأُولُوا العِلمِ مِن خَلقِهِ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ العزِيزُ الحَكِيمُ وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المُنتَجَبُ وَرَسُولُهُ المُرتَضى – وهذه هي الشهادةُ الثانية، والشهادة الثانية تشتملُ على الشهادة الأولى وعلى الشهادة الثالثة، كما أنَّ الشهادة الأولى تشتمل على الشهادتين اللتين بعدها، وكذلك الشهادة الثالثة تشتمل على الشهادتين اللتين قبلها – **وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المُنتَجَبُ وَرَسُولُهُ المُرتَضى أَرسَلَهُ بِالهُدى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ** – هذه هي الخلافة إني جاعلٌ في الأرض خليفة جوهرُ الخلافة هو هذا – **أَرسَلَهُ بِالهُدى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ** – متى يظهرُ هذا الأمر؟ في زمانِ إمامةِ وظهور إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه – **لِيُظهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ** – الحديث هنا عن إمام زماننا في هذه الشهادة الثانية، الشهادة الثالثة: **وَأَشهَدُ أَنَّكُم الأَئِمَّةِ الرَّاشِدُونَ** – إلى آخر الأوصاف، هذه هي الشهادةُ الثالثة وهذا هو الإسلامُ وهذا هو الدين، هذا هو دينُ الحق – **أَرسَلَهُ بِالهُدى وَدِينِ الحَقِّ** – دينُ الحق هو هذا:

الشهادة الأولى: **كَما شَهِدَ الله لِنَفسِهِ وَشَهِدَت لَهُ مَلائِكَتُهُ وَأُولُوا العِلمِ مِن خَلقِهِ.**

والشهادةُ الثانية: **أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المُنتَجَبُ وَرَسُولُهُ المُرتَضى.**

والشهادة الثالثة: **أَنَّكُم الأَئِمَّةِ الرَّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ المَعصُومُونَ.**

هذا هو الدينُ وهذا هو الإيمان وهذه هي حقيقةُ الهدى، الشهادة الثالثة فيها تفصيل والتفصيلُ لأن الشهادةَ الثالثة عنوان معرفة الإمام، ومعرفة الإمام هي معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة دينه، اللَّهُمَّ عَرِّفني حُجَّتك فإنك إن لم تُعَرِّفني حُجَّتك ضللتُ عن ديني، المعرفة التفصيلية موجودةٌ في المعرفة الثالثة، حين نقرأُ في الدعاء الذي يُقرأ في زمان الغيبة وهو من الأدعية التي هي في غاية الأهمية والتي يُستحَبُّ قراءتها وتدبر

معانيها في كل وقتٍ – **اللَّهُمَّ عَرِّفني نَفسَك فَإنَّكَ إن لم تُعرِّفني نَفسَك لم أَعرِف رَسولَك، اللَّهُمَّ عَرِّفني رَسولَك فَإنَّكَ إن لم تُعَرِّفني رَسولَك لم أَعرِف حُجَّتَك، اللَّهُمَّ عَرِّفني حُجَّتك فإنَّك إن لم تُعرِّفني حُجَّتك ضَلَلتُ عن ديني** – تلاحظون التعبيرات واضحة، تفصيل المعرفة في معرفة الدين في دين الحق، أرسلهُ بالهدى ودين الحق، المعرفة التفصيلية هنا – **اللَّهُمَّ لا تُمتني ميتةً جاهلية ولا تُزِغ قلبي بعدَ إذ هديتني** – هذه المعاني كلها مرتبطة بمعرفة الحجة – **إن لم تُعرِّفني حُجَّتك ضللتُ عن ديني – لا تُمتني ميتةً جاهلية – لا تُزِغ قلبي بعد إذ هديتني** – كُلُّ هذه المعاني مرتبطة بالمعرفة الثالثة بمعرفة الحُجَّة ولِذا هنا الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة تُفَصِّلُ في هذه المعرفة.

وَأَشهَدُ أَنَّكُم الأَئِمَّةِ – ما هي أوصافهم؟ – **الرَّاشِدُونَ** – بصيغة الفاعل – **الرَّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ** – الخطابُ لهم لأشخاصهم، العلاقة بهم، ولذلك هذه المعاني التي يرددها البعض عن جهلٍ وإن يقال عنهم علماء ويوصفون بأوصاف وألقاب، أولئك الذين يقولون بأن علاقتنا إنما هي بالرسالة لا بالرسول، وبأن علاقتنا بالإمامة لا بالإمام هذا كلامٌ وهابيٌ ينفثهُ بعضُ الشيعة وهم لا يعلمون، علاقتنا بالإمام ولذلك هنا بصيغة الفاعل: **الأَئِمَّةِ الرَّاشِدُونَ** – الراشد هو الفاعل المتصف بصفة الراشدية – **الأَئِمَّةِ الرَّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ المَعصُومُونَ المُكَرَّمُونَ المُقَرَّبُونَ المُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ المُصطَفَونَ المُطِيعُونَ للهِ القَوَّامُونَ بِأَمرِهِ** – قوَّامون بأمرهِ هم قوَّامون، وقوَّام صيغة مبالغة، قوَّامون بأمرهِ، هم مجالي صفة الحي القيوم، القوَّام هو مجلى من مجالي القيوم – **القَوَّامُونَ بِأَمرِهِ العامِلُونَ بِإِرادَتِهِ الفائِزُونَ بِكَرامَتِهِ** – وهذه اثنتا عشر صفة، هذه اثنا عشرة صفة، هذه صفاتٌ اثنا عشر بعدد الأئمة، هذا العدد المقدَّس، أنا لا أريد أن أخوضَ كثيراً في قضية الأرقام، حتى المقاطع السابقة أول مقطع: **السَّلامُ عَلَيكُم يا أَهلَ بَيتِ النُّبُوَّةِ**، لو نحسب العناوين الموجودة فهي تسعة عشر، والعدد التاسع عشر هو عدد البسملة، يعني أن بسملة الزيارة الجامعة هو هذا المقطع، البسملة هي هذه: **السَّلامُ عَلَيكُم يا أَهلَ بَيتِ النُّبُوَّةِ وَمَوضِعَ الرِّسالَةِ وَمُختَلَفِ المَلائِكَةِ** – إلى آخر المقطع – **وَعُترَةَ خِيرَةِ رَبِّ العالَمِينَ وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ** – هنا تسع عشر من الأوصاف من العناوين، هنا تسع عشر من الأسماء من الألقاب من الصفات قُل ما شئت وهذا هو عددُ حروف البسملة.

المقطع الثاني فيه الرقمُ العاشر، فيه عشرة، فيه عشرة عناوين ورقم العشرة هو رقم الكثرة في علم الأوفاق وفي علم الأرقام بل في لغة العرب، الكثرةُ من أين تبدأ؟ تبدأ من رقم العشرة، من العشرة، جمعُ القلة يبدأ من الثلاثة حتى ينتهي إلى التسعة، هذه جموعُ القلة، أما جموع الكثرة فتبدأ من العشرة فما فوق، هذا في لغة العرب، في قواعد لغة العرب، في علم النحو، جموعُ القلة تبدأ من الثلاثة إلى التسعة وأما جموع الكثرة فتبدأ من العشرة، المقطع الثاني هو الرقمُ العاشر والرقم العاشر فيه النقطة وفيه الخط وعليٌ قال: أنا النقطةُ أنا

الخط أنا الخطُ أنا النقطة.

المقطع الثالث فيه سبعة أوصاف والرابع أيضاً، والرقم السابع هو الرقم النموذجي هو الرقم السري في هذا الوجود وتكرر مرتين إشارة إلى مضاعفة الأسرار في هذه الذوات.

المقطع الخامس الأعداد فيه أربعة عشر وهو التفصيل لأنه أجمَلَ كُلَّ المعاني، العدد الرابع عشر وهو جمعٌ للسبعتين وهو الصورة الثانية للرقم الثاني عشر، مجموع الأوصاف في المقاطع الخمسة سبعة وخمسون، إذا أضفنا السبعة إلى الخمسة الناتج اثنا عشر وهو هذا الرقم السري في كل الزيارات الشريفة، واثنا عشر واحد مع اثنان، واحد إشارة إلى مسبب الأسبابِ من غير سبب، إلى الأول الذي لا أوليه لأوليته إلى الله سبحانه وتعالى، ورقم اثنان إشارة إلى الحقيقة المُحَمَّدية والحقيقة العلوية، ولا أريدُ أن أُسهِبَ كثيراً إنما جئتُ بهذا على سبيل المثال، هناك في علوم الأرقام ما تسمى بعلوم الأوفاق، ولو أردنا أن نبحث في هذا الجانب فإننا نجد الكثير منها الكثير من معانيها ومن أسرارها الكثير منها موجود في الزيارة الجامعة الكبيرة وفي بقية الزيارات لكن الحديث عن الزيارة الجامعة الكبيرة، وقد أشرتُ إلى ذلك إلى أمثلة من ذلك، كما مرَّ في يوم أمس هذه الأوصاف: الراشدون المهديون اثنا عشر، ثم بعد ذلك بعد أن ينتقل الخطاب: اصطَفاكُم بِعِلمِهِ وَارتَضاكُم لِغَيبِهِ، في البداية: الرَّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ، من دون مُخاطَبة، الآن انتقل الكلام: اصطفاكم بعلمه، ارتضاكم لغيبه، عدد هذه الأوصاف أربعة عشر، واحدة منها تفرعت: وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ فِي أَرضِهِ وَحُجَجاً عَلى بَرِيَّتِهِ وَأَنصاراً لِدِينِهِ، هذه اثنا عشر، واحدة من هذه الأربعة عشر تفرعت إلى اثني عشر.

المقطع الذي بعد هذا المقطع وهو الخطاب لهم صلوات الله عليهم في آثارهم الظاهرة في الخلق، حين يكون الكلام: فَعَظَّمتُم جَلالَهُ، لأن الخطاب ينتهي: وَطَهَّرَكُم تَطهِيراً، إلى وطهركم هذه الصيغة طهركم يكون العدد أربعة عشر، يبدأ الخطاب بصيغة أخرى: فَعَظَّمتُم جَلالَهُ، الخطابات السابقة عصمكم، آمنكم، طهركم، أذهب عنكم، فعظَّمتم وأكبرتم، عدد هذه الصيغ أربعة عشر، وهذا الأمر يستمر على طول الزيارة، وأنا لا أريد أن أتتبعَ هذه القضية إنما جئتُ بهذا على سبيل المثال لكي يُعرف بأن هذه الزيارة وبأن كلمات أهل البيت لها هندسة خاصة ومنظومة وفقاً لأعداد معينة وأرقام معينة، وهذه القضية موجودة في القرآن الكريم وموجودة في كلمات أهل البيت وبالذات في زياراتهم وأدعيتهم، هناك هندسة خاصة وعلم خاص لترتيب الزيارات والأدعية، هذا يمكن أن نستكشفهُ من خلال قواعد علم الأرقام وعلم الأوفاق، وهذا غير الجفر، إذا أردنا أن نتعامل مع الزيارة الجامعة الكبيرة وفقاً لجداول الجفر ووفقاً لواضحات الجفر وبينات الجفر فإنَّ هناك الكثير من المعاني ستُستخرج من الزيارة، ولكن حتى لو ذهبنا بعيداً وصرفنا وقتاً طويلاً مع علوم الأرقام ومع علوم الأوفاق ومع علم الجفر في استخراج مداليل الزيارة الجامعة الكبيرة فإننا لن نستخرجَ أكثر مما نستخرجهُ من روايات أهل البيت ومن منظومة حديث أهل البيت.

الزيارة الجامعة الكبيرة هي تقول لنا: كلامكم نور، هناك نوريةٌ وكاشفيةٌ في كلامهم ولكن هذه النورية وهذه الكاشفية لا يستطيع كُلُّ أحدٍ أن ينتفعَ منها بالحد الأبعد وإنما القلوب أوعية، يا كميل القلوب أوعية وخيرها أوعاها، إذا كان علم الجفر المُتداول بين العارفين بهذا العلم والذي تستكشفُ فيه الأسرار والمعاني، إن كان الأسرار والمعاني من الأحداث اليومية أو الأسرار والمعاني من النصوص الدينية أو الأسرار والمعاني من الحالات النفسية والشخصية للعباد، علم الجفر يتناول هذه الأمور، يتناول الأحداث، يتناول طبيعة وطبائع الأشخاص ويتناول كذلك فهم النصوص الدينية للوصول إلى أبعد ما يمكن من حقائقها، إذا كان علمُ الجفر يمكن أن يُنتفع منه في هذا الباب، وإذا كان علمُ الأرقام وعلمُ الأوفاق يمكن أن ينتفع منه في كشف الأسرار أيضاً، وإذا كانت المكاشفات التي لها مقدمات من رياضات وأربعينات وسبعينات وما في علم السلوكِ من مدارج ومعارج وما في تلكم الرياضات وما في تلكم المناسك من خلسات ومن مداخل ومخارج روحية، إذا كانت المكاشفات والمشاهدات تكشف شيئاً من الحقائق فإنَّ كلام أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إذا تعاملنا معه بالطريقة التي يريدها أهل البيت لهُ من النورية ومن الكاشفية ما هو أقوى من كل ذلك.

لذلك أهل البيت أرجعونا إلى نفس كلامهم، ما قالوا لنا ارجعوا في فهم كلامنا إلى علم الأرقام والحروف، ولا قالوا لنا ارجعوا في فهم كلامنا وكشف أسرار كلامنا إلى علم الجفر، ولا قالوا لنا أرجعوا إلى المكاشفات والرياضات، هذه المسائل قد تكون حسنة في بعض جهاتها وقد تكون نافعة في بعض جهاتها لكنَّ كما يقول صلى الله عليه وآله: كُلُّ الصيدِ في جوف الفرى، كُلُّ الصيدِ في جوف كلامهم صلوات الله عليهم، قالوا: كلامكم نور، كلامهم يحمل نورية لا يمكن أن تشابهها نورية لا في علم الجفر ولا في علم الأرقامِ والأوفاق ولا في الرياضات، الرياضة الحقيقية هو في الفَنَاء في كلام أهل البيت، هو في كيفية التعامل مع كلام أهل البيت، لا أن نتعامل مع كلمات أهل البيت على أنها كلمات مُظلمة وجامدة كما نتعامل مع كلام أي شاعرٍ أو أي قائل أو أي عالِم، كلام أهل البيت له نورية، له خاصية، من يتعامل مع كلام أهل البيت وفقاً لخاصية كلام أهل البيت فإنه سيسبر الكثير من الأغوار وسيكتشفُ الكثير من الأسرار وستتجلى له الكثيرُ من الحقائق، لكن هذه القضية لا يستطيع أن يتلمسها كل أحد، حينما يقول أئمتنا أطلبوا العلم بسفكِ المُهَج وخوض اللجج، طَلَبُ هذه المعارف يحتاجُ إلى سَفكٍ للمُهَج وإلى خوضٍ لِلُّجج، وعلى أي حالٍ ليسَ الحديثُ عن مثلِ هذه الغايات ولا أريدُ أن أدخل في هذا الفِناء الواسع، لذا سأطوي كشحاً عن قضية الأرقام وعن قضية التركيب الهندسي في ألفاظ الزيارة الجامعة الكبيرة، وإنما جئتُ بما ذكرتهُ في يوم أمس وقبل قليل على سبيل المثال لكي يُعرف بأن كلام أهل البيت يختلف عن كلام غيرهم، وأن كلامهم إنما يُسبَك وفقاً لِنَظمٍ خاص، وإلى ذلك أشاروا إنَّا لا نعدُّ الرجل من أصحابنا فقيهاً

حتى يُلحن له في القول فيعرف اللحن في القول أي يعرف أسرار كلامنا، وحينما قالوا اعرفوا منازل الرجال عندنا على قدرِ ما يحسنون من رواياتهم عنَّا وفهمهم منا، هناك فهمٌ يتفرغُ من نفس كلامهم، وحينما قالوا إنَّا لا نعدُّ الرجل من أصحابنا فقيهاً حتى يكون مُحَدَّثاً، قيل: أويكون المؤمن مُحَدَّث؟ المُحَدَّث، التحديث في البُعد الغيبي لا في البُعد اللفظي من شخصٍ إلى شخص، إنَّا لا نعدَّ الرجل من أصحابنا فقيهاً حتى يكون مُحَدَّثاً، قيل أويكون المؤمن مُحدَّثاً؟ قال: يكون مُفهَّماً، مُفَهَّم وليس فاهماً، هناك عملية تفهيم وفهمهم منا، وإنما تُكتسبُ هذه المعاني من خلال النورية الموجودة في نفس كلام أهل البيت، كلامكم نور، وهذا المطلب فيه روايات كثيرة وفيه أحاديث كثيرة مبثوثةٌ في كتبنا وفي مصادرنا الحديثية، الكلام ليس معقوداً عن هذا المطلب حتى أتناول الآيات والروايات التي وردت في هذا الخصوص، لو وصلنا إلى عنوانٍ يتعلق بهذا المطلب سأبسط القول وسأوضح المعنى بنحوٍ أكثر.

هذه الصفات: **وَأَشهَدُ أَنَّكُم الأَئِمَّةِ الرَّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ المَعصُومُونَ المُكَرَّمُونَ** – أنا لا أستطيع أن أقف عند كل عنوان فأشرحهُ بالتفصيل وإنما تقدمَ في بيان المقاطع الخمسة الأولى ما يمكن أن يكون باباً لفهم هذه المعاني وإلا فالوقتُ لا يكفي وهذا يحتاجُ إلى أن نبقى يعني ردحاً طويلاً من الزمن لشرح عبارات الزيارة الجامعة، هذه الأوصاف: **الرّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمُكَرَّمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ الصّادِقُونَ الْمُصْطَفَوْنَ الْمُطيعُونَ للهِ، الْقَوّامُونَ بِاَمْرِهِ، الْعامِلُونَ بِارادَتِهِ، الْفائِزُونَ بِكَرامَتِهِ**، هذه صورة حيثية، نحن نخاطبهم من هذه الجهة بصيغة الفاعل.

جهة ثانية نخاطبهم بنفس المضامين – **اصطَفاكُم بِعِلمِهِ وَارتَضاكُم لِغَيبِهِ وَاختارَكُم لِسِرِّهِ وَاجتَباكُم بِقُدرَتِهِ** – الاجتباء اختيارٌ أخص، العبارة السابقة – **وَاختارَكُم لِسِرِّهِ وَاجتَباكُم بِقُدرَتِهِ** – الاجتباء أخص من الاختيار – **وَأَعَزَّكُم بِهُداهُ وَخَصَّكُم بِبُرهانِهِ وَانتَجَبَكُم لِنُورِهِ** – والانتجاب أخص من الاجتباء، هناك اختيار، هناك اجتباء، وهناك انتجاب – **وَانتَجَبَكُم لِنُورِهِ وَأَيَّدَكُم بِرُوحِهِ، وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ فِي أَرضِهِ وَحُجَجاً عَلى بَرِيَّتِهِ وَأَنصاراً لِدِينِهِ وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ وَخَزَنَةً لِعِلمِهِ وَمُستَودَعاً لِحِكمَتِهِ وَتَراجِمَةً لِوَحيِهِ وَأَركاناً لِتَوحِيدِهِ وَشُهَداء عَلى خَلقِهِ وَأَعلاماً لِعِبادِهِ** – أعلام جمعٌ لعَلَم وهي المنارة الواضحة البينة – **وَمَناراً فِي بِلادِهِ** – منار: الضوء العالي المشرق – **وَأَدِلاَّءَ عَلى صِراطِهِ، عَصَمَكُم اللهُ مِنَ الزَّلَلِ** – قبل قليل قلنا المعصومون – **وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ** – هو تفصيلٌ في جهةٍ من الجهات للمعاني المُتقدِّمة، مثل ما هذه الأوصاف: **الرَّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ**، إلى آخر هذه الأوصاف، هي بيانٌ لجانبٍ من المعاني التي تقدمت في المقاطع الخمسة ولكنها خاطبت الأئمة بصيغة الفاعل ناظرة إلى جهةٍ من الجهات إلى أشخاصهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الخطاب الثاني: **اصطَفاكُم بِعِلمِهِ**، الله سبحانه وتعالى

وكأن الخطاب هنا يشير إلى عُلقتهم بالله، الخطاب هنا لهم وإلى الله لأنهم وجهُ الله، الخطاب انتقل من الكلام إليهم: **من أراد الله بدأ بكم** – فهم وجهُ الله – **اصطَفاكُم بِعِلمِهِ وَارتَضاكُم لِغَيبِهِ وَاختارَكُم لِسِرِّهِ وَاجتَباكُم بِقُدرَتِهِ وَأَعَزَّكُم بِهُداهُ وَخَصَّكُم بِبُرهانِهِ** – هذه الألفاظ تقدمت: أئمة الهدى، مصابيح الدجى، وتقدم: ونورهِ وبرهانهِ وكل الألفاظ الأخرى أيضاً لكنني لا أجد وقتاً لتطبيق هذه الألفاظ على ما تقدمَ من العناوين في المقاطع الخمسة المتقدمة – **وَخَصَّكُم بِبُرهانِهِ وَانتَجَبَكُم لِنُورِهِ وَأَيَّدَكُم بِرُوحِهِ، وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ فِي أَرضِهِ وَحُجَجاً عَلى بَرِيَّتِهِ وَأَنصاراً لِدِينِهِ وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ وَخَزَنَةً لِعِلمِهِ وَمُستَودَعاً لِحِكمَتِهِ وَتَراجِمَةً لِوَحيِهِ وَأَركاناً لِتَوحِيدِهِ وَشُهَداء عَلى خَلقِهِ وَأَعلاماً لِعِبادِهِ وَمَناراً فِي بِلادِهِ وَأَدِلاَّءَ عَلى صِراطِهِ، عَصَمَكُم اللهُ مِنَ الزَّلَلِ وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ وَأَذهَبَ عَنكُمُ الرِّجسَ وَطَهَّرَكُم تَطهِيراً** – أنا أُكَرِّرُ قراءتها لكي يلتفت مُحِبُّوا أهل البيت إلى صيغة التعبير، لأنهُ في أول العبارات في المقطع الأول من هذا المقطع، الخطاب: **أَنَّكُم الأَئِمَّةِ الرَّاشِدُونَ**، أنتم بصيغة الفاعل، راشدون، فاعلون، مهديون، معصومون، ثم انتقل الخطاب: **اصطَفاكُم بِعِلمِهِ**، الرابطة فيما بينهم وبين الله – **اصطَفاكُم بِعِلمِهِ** – وهذا استمرَّ إلى أربعة عشر، وفي داخل الأربعة عشر هناك خطاب استمر إلى اثني عشر – **وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ فِي أَرضِهِ وَحُجَجاً عَلى بَرِيَّتِهِ وَأَنصاراً لِدِينِهِ وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ** – من دون واصطفاكم، ورضيكم ثُمَّ فَرَّع على كلمة ورضيكم – **وَخَزَنَةً لِعِلمِهِ وَمُستَودَعاً لِحِكمَتِهِ** – ثم رجع الكلام – **عَصَمَكُم اللهُ مِنَ الزَّلَلِ** – إلى آخر ما جاء في هذا المقطع – **وَطَهَّرَكُم تَطهِيراً** – ثم انتقلنا إلى مقطعٍ آخر – **فَعَظَّمتُم جَلالَهُ وَأَكبَرتُم شَأنَهُ وَمَجَّدتُم كَرَمَهُ وَأَدَمتُم ذِكرَهُ ووَكَّدتُم مِيثاقَهُ** – وكدتم يعني أكدتم – **فَعَظَّمتُم جَلالَهُ** – الآن العلاقة بين أهل البيت وبين الله من حيث هُم هُم، بينما المقطع السابق العلاقة بين الله وبين أهل البيت من حيث هوَ هوَ: اصطفاكم بعلمه، ارتضاكم لغيبهِ، أختاركم لسرهِ، الآن الكلام: **فَعَظَّمتُم جَلالَهُ وَأَكبَرتُم شَأنَهُ وَمَجَّدتُم كَرَمَهُ وَأَدَمتُم ذِكرَهُ وَوَكَّدتُم مِيثاقَهُ وَأَحكَمتُم عَقدَ طاعَتِهِ وَنَصَحتُم لَهُ فِي السِّرِّ وَالعَلانِيَّةِ وَدَعَوتُم إِلى سَبِيلِهِ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم فِي مَرضاتِهِ وَصَبَرتُم عَلى ما أَصابَكُم فِي جَنبِهِ، وَأَقَمتُم الصَّلاةَ وَآتَيتُم الزَّكاةَ وَأَمَرتُم بِالمَعرُوفِ وَنَهَيتُم عَنِ المُنكَرِ وَجاهَدتُم فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ** – وهذا استمرَّ إلى أربعة عشر.

ومُحِبُّوا أهل البيت إذا أرادوا أن يعدوا هذه الأوصاف هذا العنوان عنوان واحد لا يشتبه عليكم – **وَأَمَرتُم بِالمَعرُوفِ وَنَهَيتُم عَنِ المُنكَرِ** – هذا عنوان واحد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عنوان وليس هذا عنوانين – **وَجاهَدتُم فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ** – انتقل الخطاب بطريقة أخرى: **حَتّى أَعلَنتُم دَعوَتَهُ وَبَيَّنتُم فَرائِضَهُ وَأَقَمتُم حُدُودَهُ** – الخطاب هنا لبيان الغايات والأهداف والنتائج – **حَتّى أَعلَنتُم دَعوَتَهُ وَبَيَّنتُم**

فَرائِضَهُ وَأَقَمتُم حُدُودَهُ وَنَشَرتُم شَرائِعَ أَحكامِهِ وَسَنَنتُم سُنَّتَهُ وَصِرتُم فِي ذلِكَ مِنهُ إِلى الرُّضا وَسَلَّمتُم لَهُ القَضاء وَصَدَّقتُم مِن رُسُلِهِ مَن مَضى – إلى هنا نقف عند هذا المقطع وبقية المقاطع تأتينا في الحلقات القادمة إن شاء الله تعالى، هذا المقطع تلاحظون، الخطاب مرةً أنكم الأئمة الراشدون: **أَنَّكُم الأَئِمَّةِ الرَّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ**، إنما أكرر ربما يسأم البعض من التكرار لأنني أريد أن أوضح المطلب بنحوٍ فيهِ شيءٌ من العُمق، المقطع الأول من هذا المقطع: **وَأَشهَدُ أَنَّكُم الأَئِمَّةِ الرَّاشِدُونَ**، بصيغة الفاعل، ينتقل الكلام: **اصطَفاكُم بِعِلمِهِ**، الحديث عن علاقةِ أهل البيت مع الله من حيث هُوَ هُوَ – **اصطَفاكُم بِعِلمِهِ** – في داخل هذا المقطع يأتي الخطاب: **وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ فِي أَرضِهِ وَحُجَجاً عَلى بَرِيَّتِهِ**، حديث بصفة الغائب والمُخاطب – **وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ فِي أَرضِهِ وَحُجَجاً عَلى بَرِيَّتِهِ وَأَنصاراً لِدِينِهِ** – ويستمر الكلام إلى أن نبدأ مقطع جديد – **فَعَظَّمتُم جَلالَهُ وَأَكبَرتُم شَأنَهُ** – ويستمر إلى أن نصل إلى هذا المقطع الذي يتحدث عن الغايات: **حَتّى أَعلَنتُم دَعوَتَهُ وَبَيَّنتُم فَرائِضَهُ وَأَقَمتُم حُدُودَهُ وَنَشَرتُم شَرائِعَ أَحكامِهِ**، إلى آخر الكلام، كُلُّ هذه العناوين تتناول ما جرى في العالم الأرضي وما جرى في العوالم العلوية أيضاً.

حين نقول: وأقمتمُ الصلاة ونحن نخاطبُ أهل البيت، نخاطب الأئمة المعصومين، نخاطب إمام زماننا فنقول له: وأقمتَ الصلاة، وأقمتم الصلاة، ماذا تعني وأقمتم الصلاة؟ أخذ هذا على سبيل المثال: وأقمتمُ الصلاة، الصلاةُ في معنى وأقمتمُ الصلاة أولاً أقمتم الصلاة بأدائكم الصلاة كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: صلوا كما أصلي، هذه الصلاة التي صلاّها النبي الأعظم وصلاّها أهل البيت وقالوا لنا صَلّوا كما نُصلّي، هذه الصلاة صلاةُ التبليغ، صلاةُ الإرشاد، صلاتهم في العالم الأرضي، عبادتهم، صلاتهم لله سبحانه وتعالى، وهم قد أقاموها بكل حدودها بكل شرائطها بكل متعلقاتها، صلاةُ المعصوم معصومةٌ، المعصوم كامل صلاتهُ كاملة، فهو قد أقام الصلاة بكل معناها هذا أولاً، وثانياً إقامةُ الصلاة إنما تتحقق بإقامة الدين، الصلاةُ لا يمكن أن تُقام إلا إذا أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، إذا نهت عن الفحشاء والمنكر فإنها أمرت بالمعروف، ولذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما وجهان لعملةٍ واحدة لعبادةٍ واحدة، الصلاةُ لا يمكن أن تُقام إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما المعروف والمنكر إلا مسألة الولاية والبراءة، المعروف ولايةُ عليٍّ والمنكر هو ولاية أعدائهِ، النهي عن المنكر هو النهيُ عن موالاة أعدائهِ والأمر بالمعروف هو الأمر بموالاةِ عليٍّ، والدينُ لا يقومُ إلا بهذه المعاني، الدين لا يقوم إن كان على المستوى الشخصي والفردي أو أن كان على المستوى المجتمعي على مستوى الأُمَّة، وإن كان على مستوى الحكومةِ أو الدولة كذلك لا يتحققُ المعنى السليم والصحيح في فهم أهل البيت للحكومةِ وللدولة من دون تحقيق معنى الولاية والبراءة، الحاكم حاكم المسلمين لا يمكن أن يكون مقيماً للصلاة ما لم يتحقق في

حُكمهِ معنى الولاية والبراءة، وعالِمُ المسلمين لا يمكن أن يكون مقيماً للصلاة ما لم تتحقق الولاية والبراءة في علمهِ وفي عقيدتهِ وفي عملهِ وفي تطبيقهِ لعلمهِ في الواقع العملي، وهكذا كل شخصٍ بحسب مسؤوليتهِ، كُلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته، هناك ولاية ومسؤولية عند كُلِّ مؤمنٍ وفي دائرة مسؤوليته وولايتهِ لابد أن يتحقق معنى الولاية والبراءة وهذا هو الدين، وهل الدينُ إلا الولاية والبراءة، وهل الدينُ إلا الحُبُّ والبُغض، هكذا قال صلى الله عليه وآله وسلم، حين سأل أصحابهُ عن أوثق عُرى الإيمان، ما أوثق عُرى الإيمان؟ بعضهم قال الجهاد، بعضهم قال الصلاة، بعضهم قال الصيام، بعضهم قال الحج والنبي صلى الله عليه وآله يجيبهم بالنفي، قالوا ما أوثق عُرى الإيمان يا رسول الله؟ قال: الحُبُّ في الله والبُغضُ في الله.

أوثقُ عُرى الإيمان الحُبُّ في الله والبُغضُ في الله، الولاية والبراءة، ولا يمكن أن تُقام الصلاة من دون الولاية والبراءة، ولذلك إمامنا الباقر الصادقُ يقول أنَّ الناصبي صلّى أم زنا الأمر سواء بالنسبة له، لأن صلاتهُ لا تُقيمُ ولايةً ولا تُقيم براءةً لأن حقيقة الصلاة حينما نقول أن هذا الشخص يقيمُ الصلاة، إقامة الصلاة شيء وأداءُ الصلاة شيء، أداءُ الصلاة أن يتوضأ الإنسان وأن يقف باتجاه القبلة وأن يلبس ثوباً حلالاً، الشرائط المعروفة الفقهية للصلاة التي يعرفها المؤمنون، هذا أداءٌ للصلاة وليس إقامة للصلاة، إقامةُ الصلاة أن تبدأ أولاً في جوارحهِ وجوانحه، أن يعيشَ الولاية والبراءة في جوارحهِ وجوانحهِ وأن ينفذها عملياً بقدر ما يتمكن في دائرة رعيتهِ وولايته، هذا هو معنى إقامة الصلاة، إقامةُ الصلاة هو تحقيق معنى الولاية والبراءة، في المستوى الأول في مستوى الجوارح والجوانح، والمستوى الثاني ما يستطيع أن ينفذهُ عملياً في الواقع المحيط بهِ في دائرة مسؤوليته ورعيتهِ، هذه الدائرة التي سيُسألُ عنها، ففوهم إنهم مسؤولون والأئمة يُقسِمون بأنَّ هذه الآية في ولاية عليٍّ، يُسألون عن ولاية عليٍّ، عن ولايتهم، عن ولاية هؤلاء الذين نخاطبهم ونزورهم بهذه الزيارة، هذا معنىً من معاني الصلاة، الصلاةٌ أيضاً من معانيها هي رسالة النبي دينُ النبي، صلاة النبي في رسالتهِ، صلاة الإمام في إمامتهِ، كما قلتُ قبل قليل بأنهُ ما من مؤمن إلا وله دائرة من المسؤولية والرعية، مسؤولية النبي الخاتم، مسؤولية الإمام المعصوم في كل طبقةٍ من طبقات الوجود هو هذا نحوٌ أجلى وأوضح من إقامة الصلاة.

إقامة الصلاة الحقيقية في معناها الأسمى هو صلتهم بين الله وبين العباد، لذلك قال سيدُ الأوصياء: أنا الصلاة، قال: أنا الصلاة، هو الصلةُ بينَ الله وبين العباد، وأقمتم الصلاة هو هذا المعنى الأجلى والأكمل وهذه المعاني موجودة في كل العبارات، كل العبارات يمكنكم أن تفهموها وفقاً لهذا الذوق لهذا البُعد، هذه العبارات نحن نُخاطِبُ بها أهل البيت، لكن لابد أن يكون الفهم وفقاً لموازين أهل البيت، لا هكذا بحسب الأمزجةِ وبحسب الرغبةِ وبحسب التذوق الشخصي، لابد أن يكون الفهم مستنداً إلى موازين وقواعد الكتاب والعترة، أكرر دائماً إذا خرجنا من باب الكتاب فإننا ندخل في ساحة العترة، وإذا خرجنا من باب العترة

فإننا ندخلُ في ساحة الكتاب، ولن نخرج عن هاتين الساحتين، نحن نتقلَّبُ بين الكتاب والعترة، ولا جاء ذلك اليوم، قصمَ الله أعمارنا قبل أن يأتي ذلك اليوم الذي نُغادرُ فيه الكتاب إلى غير العترة أو نُغادرُ فيه العترة إلى غير الكتاب، ذلك يومٌ أسود، اليوم المنير واليوم المشرق هو اليوم الذي يبقى فيه الإنسان جوّالاً صوّالاً رائحاً غادياً بينَ الكتابِ والعترة، فمن الكتابِ إلى العترة ومن العترةِ إلى الكتاب، نتمسك بهما معاً كما وصّانا وأمرنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم فِي مَرضاتِهِ – مثال آخر وبعد ذلك أعود إلى المطلب الأكبر والأوسع الذي أردتُ الحديث عنه – **وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم فِي مَرضاتِهِ وَصَبَرتُم عَلى ما أَصابَكُم فِي جَنبِهِ** – هذا الصبر متفرع على بذل أنفسهم في مرضاته – **وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم فِي مَرضاتِهِ وَصَبَرتُم عَلى ما أَصابَكُم فِي جَنبِهِ** – الصبرُ أيضاً له أبعاد، مثل ما تحدثتُ عن الصلاة لها أبعاد، الصبرُ له أبعاد، الصبرُ له مراتب وله درجات، والصبرُ له معانٍ وله دلالات ومضامين كثيرة، إذا أردنا أن نلقي نظرةً على معاني الصبر في القرآن الكريم وبشكلٍ سريع.

بشكلٍ سريع لنذهب إلى سورة آل عمران في الآية السادسة والأربعين بعد المئة الآية ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُم فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا**﴾ المعنى الموجود هنا – **وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم فِي مَرضاتِهِ وَصَبَرتُم عَلى ما أَصابَكُم فِي جَنبِهِ** ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ**﴾ ربيون يعني ربانيين نسبةً إلى الربّ ﴿**فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُم فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ هذه المرتبة الأولى من مراتب الصبر والتي يمكننا أن ننالها نحنُ ﴿**وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُم: الوهن هو الضعف ﴿**فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُم فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ هذه المنزلة الأولى منزلة عدم الوهن، منزلة التحمل ﴿**فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُم فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا**﴾ يعني أنهم تحمَّلوا، لم ينكسروا، لم يَذِلّوا هذه المرتبة الأولى من مراتب الصبر، هناك مرتبةٌ أعلى، هذه المرتبة ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ يحبُّ الصابرين بكل درجاتهم فالدرجة الأقل مشمولة في هذا العنوان لذلك صار هذا العنوان عنواناً للدرجة الأقل ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ يعني جميع أنواع الصابرين، يعني جميع درجات الصابرين، فالآية ناظرة إلى أضعف درجات الصبر ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ**

﴿الصَّابِرِينَ﴾ فهذه الدرجة الأولى من درجات الصبر.

الدرجة الثانية في سورة القَصَص في الآية الرابعة والخمسين ومرت الإشارة إليها في يوم أمس ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ الآية الثانية والخمسون وما بعدها ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ بسبب إيمانهم، النصارى بسبب إيمانهم بالمسيح ثم آمنوا بِمُحَمَّد فإنهم يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا، هذا عنوانٌ للصبرِ على التضحية والثبات والبحث عن الحقيقة ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا هذه درجة أعلى من درجات الصبر، وهم الذين يُضاعف لهم الأجر مرتان ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ بسببِ كَدِّهم وسعيهم وبحثهم عن الحقيقة وثباتهم على أمر الله وتسليمهم لأمر الله، هذه درجة، هناك درجة أعلى من هذه الدرجة، هذه الدرجة ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾.

هناك في سورة الزمر في الآية العاشرة ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هؤلاء يُوفون أجرهم بغير حساب، يعني ليس مرتين أو ثلاثة من دون حساب، حساب مفتوح لا يُسألون عمَّا جرى عليهم لشدة ما صبروا، حتى في رواياتنا أنه في يوم القيامة حين يؤتى بالصابرين من هذه المرتبة فلا يحاسبون لأن الآية تقول ﴿يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بدون أن يُحاسبوا بدون أن يُسألوا، يتمنى الناس أن لو يعودوا إلى الدنيا ويُقَرَّضوا بالمقاريض حتى يصبروا وينالوا مثل هذا الأجر، هذه مرتبة أعلى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هناك مرتبة أعلى وأرقى، هذه المرتبة الأولى والثانية والثالثة يمكننا أن نصل إليها ولكن هل هي موجودة عندنا أو لا؟ ذلك أمرٌ آخر، لكن يمكن لنا ولأمثالنا من أشياع أهل البيت أن يصلوا إلى هذه المرتبة، أما هناك مراتب أخرى أصلاً لا نستطيعُ أن نتصورَ مضمون هذا الصبر.

إذا نذهب إلى سورة المعارج، في الآية السابعة والخطاب ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ هذا صبرٌ لربك ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾

هذه درجة من الصبر نحنُ لا نستطيع أن نتصور بُعدها ونتصور عمقها ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصبِر﴾ هذه من تجليات المعنى الحُسيني: ولأصبرُ حتى يَمِلَّ الصبرُ من صبري، أبو عبد الله كان يقول يوم عاشوراء: ولأصبرُ حتى يَمِلَّ الصبرُ من صبري، نحن نتلمَّسُ في صبرنا شيئاً من حقيقة الصبر، الصبر حقيقة مخلوقة، الصبر هو من مجالي أسم الصبور، والصبور من أسماء الله سبحانه وتعالى وهو حقيقةٌ مخلوقة، الصبر، الشُكر، هذه حقائق مخلوقة في العوالم العلوية المقدسة، لها مجالي وانعكاسات في نفوس الخلائق وحتى في نفوس الحيوانات، أبو عبد الله هنا يقول: حتى يَمِلَّ الصبرُ من صبري، يعني حتى تَمِلَّ حقيقةُ الصبر في عوالمها العلوية، حتى يَمِلَّ الصبرُ من صبري، نحن نحاول أن نتلمس شيئاً من فُتات موائد الصابرين، ولكن هل تصل أيدينا إلى فُتات هذه الموائد، فأين صبرُ أهل البيت من صبرنا وهذا صبرٌ في المقام البشري، أما صبرٌ في المقامات العليا فذلك له دلالة أخرى ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصبِر﴾.

إذا نذهب إلى سورة الأنفال الآية السادسة والأربعون ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُم وَاصبِرُوا﴾ ماذا يترتب؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ إنَّ الله، الله بذاتهِ مع الصابرين ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ليس وبشر الصابرين، ليس يؤتون أجرهم مرتين، ليس يوفون أجرهم بغير حساب، ليس إن الله يحب الصابرين ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ هناك معية، وهذه المرتبة أعلى من مرتبة ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصبِر﴾ هذا تجلي أعلى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ هُم مع الله والله معهم، هذه مرتبة من أعلى مراتب الصبر، هذه المراتب نحن لا نعرف حقيقتها، لكننا يمكن أن نتلمَّس شيئاً من معانيها من خلال كلمات أهل البيت وليس الحديث معقوداً عن الصبر إنما هي إشاراتٌ سريعة أطوي فيها الكلام طوياً.

هناك مرتبة أعمق من هذه المرتبة، لربما أيضاً ما جاء في سورة البقرة في الآية: 153 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا استَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ومرَّ علينا في معنى هذه الآية: الصبر هو رسول الله وهذا مجلى لحقيقة الصبر في العالم الأرضي، أنا قلت الصبر حقيقة في العوالم العلوية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا استَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلَاةِ﴾ الصبر نبوة مُحَمَّد، والصلاة ولاية عليٍّ فاستعينوا بهما ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ هذا المعنى يمكن أن يتجلى في أشياع أهل البيت وفقاً لهذا المنظور ولكن بحسبهم، الكلام في الآية السادسة والأربعين من سورة الأنفال ﴿وَاصبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وما يأتي بعد سورة الأنفال تأتينا مرتبةٌ أخرى أشارت إليها سورة النحل الآية السابعة والعشرون بعد المئة، وقبلها الآية السادسة والعشرون بعد المئة ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ هذا صبرٌ بالله، تقدَّمَ في سورة المدثر مرَّ علينا ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ هذا صبرٌ بالله ومرَّ علينا في سورة الأنفال ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ تلاحظون الفارق، الدقة في التعبير، في سورة المدثر ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ وفي سورة الأنفال ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وهنا ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فإنَّ صبرك بالله وهذا هو نفسُ المعنى الموجود في سورة الأنفال ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ وهذا هو الفِناءُ المُحَمَّدي في الحقيقة المُحَمَّدية الفانية في الذات الإلهية ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ خطاب صريح في الآية السابعة بعد العاشرة من سورة الأنفال ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ صبرك قائمٌ بالله كما أن رميكَ قائم بالله سبحانه وتعالى ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ من الذي رمى؟ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ والصبور من أسمائهِ سبحانه وتعالى، هذا المضمون يمكن أن نتلمسهُ في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، **يقول إمامنا الصادق: فمن صبر كُرهاً** – الرواية طويلة وجميلة جداً لكنني أرى أن الوقت يجري سريعاً وعندي مطلب مهم أريد أن أعطيه قسطاً مناسباً من الوقت، وإلا أنا شخَّصت العديد من الروايات في موضوع الصبر أتركها لوقتٍ آخر، تلاحظون هنا علائم شخصت فيها مجموعة من الروايات، وهذه الرواية طويلة، الرواية موجودة في الجزء الحادي والسبعين من بحار الأنوار صفحة: 90،91 – **فمن صبر كُرهاً ولم يشكو إلى الخلق** – من أمثالنا نحن نصبر كُرهاً، مُجبَر على الصبر، هناك فارق بينَ أن تصبر مُجبراً في طريق أهل البيت وهذا الكلام لشيعة أهل البيت، هناك فارق بين أن تصبر مُجبراً، يعني ما عندك حيلة، ما عندك وسيلة إلا أن تصبر وبين أن تختار الصبر مع أنه يوجد طريق آخر غير الصبر هؤلاء هم الصابرون الذين يوفون أجرهم بغير حساب، هؤلاء الصابرون الذين يُوفون أجرهم وأجورهم بغير حساب الذين اختاروا الصبر مع وجود طريقٍ آخر، الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، في طريق السلوكِ إلى أهل البيت الوصول إلى أهل البيت، الهجرة إلى أهل البيت، في طريق الجهاد في سبيل إعلاء كلمة أهل البيت الإنسان يلقى ما يلقى، في بعض الأحيان تجري عليهِ الأمور المُنَغِّصة فيصبر

قسراً لأنه لا طريق له إلا الصبر، وفي بعض الأحيان يكون أمامهُ طريقان طريق مريح وطريق فيه المُنَغِّصات ولكن في هذا الطريق تتحقق خدمةُ أهل البيت فيختار الصبر في هذا الطريق مع وجود اختيارات أخرى هذا هو الصبر الممدوح في جنب أهل البيت، هذا هو الصبر الذي أشارت إليه سورة العصر ﴿وَالعَصرِ﴾ وهو عصر الغيبة، هذا في روايات أهل البيت، العصر هو عصر الغيبة ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوا بِالحَقِّ﴾ الحق هو إمام زماننا، في الروايات وتواصوا بالحق وتواصوا بالعترة ﴿وَتَوَاصَوا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوا بِالصَّبرِ﴾ التواصي بالحق بالعترة بإمام زماننا، أوصيكَ بهذا كما قال مسلم بن عوسجة لَمَّا قال له حبيب بمن توصي، قال أوصيك بهذا وأشارَ إلى حُسينٍ ﴿وَتَوَاصَوا بِالحَقِّ﴾ الحق هو إمام زماننا ﴿وَتَوَاصَوا بِالصَّبرِ﴾ الصبر الذي يختارهُ المؤمن في طريق أهل البيت مع وجود اختيارات أخرى، هذا هو الصبرُ الممدوح.

وهذا هو الصبر نفسهُ الذي جاء في آخر سورة آل عمران، الوصية القرآنية الخالدة لِمحبِّي أهل البيت آخر آية، الآية مئتان من سورة آل عمران ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ اصبروا وصابروا، اصبروا: على الطاعات على طاعة أهل البيت وعلى ما تلقون في طريقهم، وصابروا: أعداءكم ورابطوا: إمامكم، المرابطة، ليس هذا التأويل من عندي هذه كلمات أهل البيت هذه رواياتهم، اصبروا على الطاعة وصابروا أعدائكم ورابطوا إمام زمانكم، المرابطة أعلى من المُصابرة والمُصابرة أعلى من الصبر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ بعد ذلك تأتي التقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ التقوى هنا هي ولاية عليٍّ، يعني بعد كُلِّ هذا حتى تستطيعون أن تصلوا إلى مرتبة ولاية عليّ إلى المعرفة النورانية، بعد الصبرِ على الطاعات وبعد مصابرة الأعداء والمرابطة، المرابطة الانتظار على الثغور على الحدود، ما المراد من المرابطة؟

إحياءُ أمر أهل البيت في هذا الزمن المُغبَر المُظلِم، في هذا الزمن الذي يكثرُ فيهِ الهجوم والاعتداء على أهل البيت من القريب ومن البعيد، اصبروا وصابروا ورابطوا، المرابطة والمصابرة والصبر هو بالاستقامة في طريق أهل البيت، هو بإخلاص القلوب، هو أن نتوجه بقلوبنا إلى أهل البيت وبعيوننا إلى أهل البيت، حين نخاطب الإمام الحجة: أينَ وجهُ الله الذي إليه يتوجهُ الأولياء، إما أن نكون صادقين وإما أن نكون كاذبين، هل وجوهنا متجهة إليه أو لا؟ حين نقرأ في الزيارة الجامعة: من أراد الله بدأ بكم، هل نبدأ بأهل البيت في كل شيءٍ نريدُ به الله أم نبدأ بكل الخزعبلات في هذه الحياة وبكل التفاهات، من أراد الله بدأ بكم في كل

شيء، يعني في كل شيءٍ تريدون الله به أبدأوا بأهل البيت، وإلا ما معنى هذا الكلام من أراد الله بدأ بكم؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾.

أعود إلى الرواية – **فمن صبر كُرهاً** – مُجبر، ولكن – **ولم يشكو إلى الخلق ولم يجزع بهتك سَترهِ** – وما كشف ما هو عليه من ألامٍ وأذى – **فهو من العام** – يعني من الصبر العام – **ونصيبهُ ما قال الله عزَّ وجلَّ** ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ **أي بالجنة والمغفرة، ومن استقبل البلاءَ بالرحب** – استقبل البلاء بالرحب يعني بالراحة، استقبله وهو فَرِح، هو يختار – **وصَبَرَ على سَكينةٍ ووقار فهو من الخاص ونصيبهُ ما قال الله عزَّ وجلَّ** ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ – وذلك ما أشرتُ إليهِ قبل قليل في ما جاء في سورة البقرة في الآية الثالثة والخمسين بعد المئة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا استَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ – **ومن استقبل البلاءَ بالرحب وصَبَرَ على سَكينةٍ ووقار فهو من الخاص** – من خواص شيعتنا – **ونصيبهُ ما قال الله عزَّ وجلَّ** ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

أما صبرُ أهل البيت فذلك شيءٌ آخر، صبرُ أهل البيت ذلك شيءٌ آخر يمكننا أن نتلمسهُ في سورة المعارج ﴿فَاصبِر صَبراً جَمِيلاً﴾ هذا هو الصبر الجميل ﴿فَاصبِر صَبراً جَمِيلاً﴾ صبرُ أهل البيت هو الصبر الجميل الذي، هذا الجمال يتناسب مع أي معنى؟ هذا الجمال يتناسب مع الآية الرابعة من سورة القلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا هو الجمال، هذا الصبر ﴿فَاصبِر صَبراً جَمِيلاً﴾ هذا الصبرُ الجميل من سورة المعارج ﴿تَعرُجُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيهِ فِي يَومٍ كَانَ مِقدَارُهُ خَمسِينَ أَلفَ سَنَةٍ * فَاصبِر صَبراً جَمِيلاً﴾ هذا الخطاب لإمام زماننا ﴿إِنَّهُم يَرَونَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ ﴿فَاصبِر صَبراً جَمِيلاً﴾ هذا الصبر الجميل هو الصبر المتفرع على هذه الآية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا الخُلُق العظيم الذي لا نستطيع أن نصفه، الله وصفه بالعظمة، صاحب هذا الخُلُق العظيم هو صاحب هذا الصبر الجميل فكيف أستطيعُ أن أصِفَ الصبرَ الجميل، الصبر الجميل صبرُ حسينٍ، ولأصبِرُ حتى يملَّ الصبرُ من صبري، وهذا الصبر الجميل هو المذكور في كتب المقاتل من أنَّ الحسين عليه السلام كلما ازداد عطشهُ وكُلما كَثُر القتل في أهل بيتهِ وأصحابهِ وكلما ازدادت جراحاتهُ وآلامه كان وجههُ يزداد إشراقاً ونوراً، حتى قال هذا الذي تقدَّمَ كي يذبحهُ لقد شغلني نور وجههِ عن الفكرةِ بقتله، هذا هو الصبرُ الجميل، أتريد مني أن أشرح هذا وأنَّى لي بذلك، الصبرُ الجميل لا

يمكنني أن أشرحه، هناك في اللغة وحتى في الروايات تعريف للصبر الجميل، يمكنني أن أورد المعاني اللغوية والأحاديث فما هي ببعيدةٍ عني، لكن تلكم المعاني وتلكم الإشارات ناظرة إلى حمل هذا المعنى على صبري وصبر غيري بنحوٍ من التجوز والمسامحة، الصبر الجميل صبرُ حسينٍ، الصبر الجميل صبرُ إمام زماننا، هذا الصبر المتفرع عن الخُلُق العظيم، فلا أعرف معنى الصبر الجميل ولا أعرف معنى الخُلُق العظيم، فحينَ نقرأُ في الزيارة الجامعة: **وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم فِي مَرضاتِهِ وَصَبَرتُم عَلى ما أَصابَكُم فِي جَنبِهِ** – حين نقرأ هذا المعنى أيُّ صبرٍ؟ هل هو الصبر العاشورائي، نعم هو أجلى معاني الصبر، الروايات تقول بأن الحسين عليه السلام قُتِلَ قتلة لم يُقتل أحدٌ قبلهُ ولا بعدهُ مثلها، لذلك نحن لا نستطيع أن نتصور الطريقة التي قُتِلَ بها الحسين وما جرى على الحسين، هذا كلامُ الأئمة أن الحسين قُتِلَ قتلة لم يُقتل أحدٌ قبلهُ ولا بعدهُ مثل هذه القتلة، الآن ليس الحديث عن مقتل الحسين عليه السلام لكن هذه إشارة سريعة أنَّهُ قُتِل قتلة لم يُقتل أحدٌ لا قبله ولا بعده مثل هذه القتلة، وأيضاً صَبَرَ صبراً لم يصبر أحد لا قبله ولا بعده مثل هذا الصبر، هذا هو الصبر الجميل، وهذا الصبرُ الأرضي لأهل البيت.

أما الصبر في المعاني السامية والعالية، حقيقةُ الصبر هي مشتقةٌ من نورِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، في العوالم القادسة العليا، صبرُ أهل البيت هو في تحقيقِ إرادة الباري سبحانه وتعالى، الله تجلى فيهم، يا أحمد خلقك لأجلي ولكن الحقيقة الأحمدية، الحقيقة المُحَمَّدية فاضت بهذا الخَلق وتجلت بكل هذه المراتب، هذه المراتب الطبيعية، كُل هذه المراتب، هذه المراتب الطبيعية هي مجالي للحقيقة الأحمدية – **وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم فِي مَرضاتِهِ** – حين نقرأ في الأحاديث: لا زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل، هذه الأحاديث التي جاءت عن نبينا عن أئمتنا الله سبحانه وتعالى يقول: حتى أكون رِجلهُ التي يسعى بها، الله يقول لهذا العبد الذي يتقربُ إلى الله بالنوافل، هذا العبد القريب من الله، حتى أكون يدهُ التي يبطش بها ورجلهُ التي يمشي يسعى بها، الله يقول هكذا، قطعاً لا بمعنى التجافي، والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ، وهناك أنَّ الله سبحانه وتعالى يجود بنفسهِ لعبدهِ لكن لا بهذا المعنى الساذج، هنا الجود لا بمعنى الحلول والاتحاد، هذا بنحو التجلي والتشريف وبنحو النور الساطع، الإنارة الساطعة والتجلي والتشريف الأكمل، فكأن الله هنا يجودُ بنفسهِ لعبدهِ، كنتُ رجلهُ التي يسعى بها، عينهُ التي يُبصِرُ بها، ويدهُ التي يبطشُ بها، كأن الله هنا يجود بنفسهِ لأجل عبدهِ وهو أقصى الجود، الجود بالنفسِ أقصى غاية الجود، الحقيقة المُحَمَّدية جادت بنفسها في سبيل تحقيق إرادة الله بأن تجلت في عالم الطبيعة في أسفل المراتب، وصبرُ الحقيقة المُحَمَّدية هو هذا في تجليها في أسفل المراتب، وهذا صبر ليس صبراً من قبيل الصبر النفسي هذا صبر له معنىً أعمق من كل هذه المعاني، حين تجلت الحقيقة المُحَمَّدية في كل هذه المراتب هو هذا صبرها على مراد الله – **وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم فِي مَرضاتِهِ** –

بذلتم أنفسكم أن أنوارهم سطعت، أنوار الحقيقة المُحَمَّدية سطعت حتى ظهرت في كل هذه المراتب في هذه المراتب العالية والسافلة من مراتب الوجود، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى أحَبَّ أن يُعرف، كنتُ كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أُعرف، ويا أحمد خلقتك لأجلي، خلقهُ لأجله لكنه جاد بنفسهِ، الحقيقة المُحَمَّدية جادت بنفسها فكان هذا الفيض – **وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم فِي مَرضاتِهِ** – هذا في البُعد الأعلى أمَّا في البُعد الأرضي فما جرى على حُسينٍ يكفي من المعنى – **وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم فِي مَرضاتِهِ وَصَبَرتُم عَلى ما أَصابَكُم فِي جَنبِهِ** – وهذه العبارات تشتمل على معانٍ أعمق وأعمق من كل هذه المعاني وكلُّ هذا موجودٌ في طوايا الآيات في طوايا الروايات لكن ماذا نصنعُ بسيف الوقت، سيف الوقت قاطع ولا ندري متى تنتهي ساعات حياة المرء، نحنُ في سباقٍ مع الزمن لِذلك يلجأُ الإنسان دائماً العاقل الذي يملكُ أدنى شيءٍ من الحكمة إلى هذه الحكمة النورية من كلمات عليٍّ ما لا يُدركُ كُلُّه لا يُترَكُ كُلُّهُ، كُلُّ هذه العبارات كُلُّ هذه العناوين في هذا المقطع تشتمل على نفس هذه السلسلة من المضامين والفحاوى والمعاني – **وَآتَيتُم الزَّكاةَ وَأَمَرتُم بِالمَعرُوفِ وَنَهَيتُم عَنِ المُنكَرِ وَجاهَدتُم فِي الله حَقَّ جِهادِهِ – وَوَكَّدتُم مِيثاقَهُ وَأَحكَمتُم عَقدَ طاعَتِهِ** – وكل العبائر الأخرى، لكنني أكتفي بهذه الأمثلة وأشير إلى قضية مهمة.

القضية المهمة التي أريد أن أشير إليها: عن الحكمة في أن العبارات في هذا المقطع وحتى في المقاطع الآتية لأنني هنا أريد أن أبين شيئاً بمثابة قاعدة، ما أشرتُ إليه في يوم أمس ما سميته بالطي والنشر، الآن هذه العبارات في هذه المقاطع في هذا المقطع الذي قسّمتهُ إلى مقاطع، تخضع لقانون الطي والنشر، أنا أُقرِّب المعنى ما المراد من الطي والنشر؟ وهذه قضية مهمة، ما المراد من الطي والنشر؟ الطي واضح يعني الجمع والنشر وهو عكسهُ وهو البث أن تبثهُ أن تفرِّقهُ، يعني هناك جمع وتفريق، الطي جمع والنشر تفريق، أنا أُقرِّب المعنى من حياتنا الشخصية، مثلاً الآن إنسان هو يقوم بنفسهِ يشتري أرضاً من مالهِ الخاص من ماله الذي جناه بجهدهِ وتعبه فيشتري أرضاً، ثم هو يُصلِح هذه الأرض بنفسهِ بشخصهِ يُصلِح هذه الأرض وينفق عليها من مالهِ الذي هو قد اقتناه واجتناه بنفسهِ ويأتي بِمحراثٍ هو يصنعهُ بيدهِ يحرث الأرض، ثم يأتي بحبوبٍ يزرعها هذه الحبوب هو قد أنتجها من زراعةٍ سابقة ويسقي ويحرس ويحصد ثم يُنَقي ويطحن ويخبز كل هذه الأمور يعملها بيدهِ ثم يخبز الخبز ويشوي الخبز في التنور ويهيء الطعام ويُربي الأغنام يربي الدجاج في حقلهِ وتنشأ هذه الأغنام والدواجن على حقلهِ ومما يُطعمها من كَدّهِ وجهدهِ ويأكل خبزاً ولحماً هو يطبخهُ بيدهِ ويضع هذا الطعام في أوانٍ صنعها بيدهِ ويأكل الطعام فيلوك الطعام بأسنانهِ فيمرُ إلى معدتهِ، المعدة تهضم الطعام يتحول إلى مادة الكيموس، الدم يمتص هذه المادة ينقل هذه المادة خلاصة الأغذية إلى جميع أجزاء البدن إلى العضلات إلى الأعضاء، والعضلات تشتمل على أنسجة، والأنسجة تشتمل على

خلايا، والخلايا تشتمل كل خلية على نواة على نوى والنواة على نوية وهكذا، فيأتي هذا الإنسان فيقول أنا أطعمتُ نفسي هذا يسمى طي، فقد طوى كل هذه المعاني بكلمة واحدة فقال أنا أطعمتُ نفسي، مرةً أخرى يقول أنا حرثتُ الأرض وأنا زرعت وأنا سقيت وأنا حصدت وبالتالي إلى أن يصل وأنا طبخت ثم يقول وأنا لِكتُ الطعام وأنا بلعتهُ في مريئي وأنا هضمتهُ في معدتي وحولتهُ إلى هذه المادة الحليبية مادة الكيموس وأنا الذي نقلتهُ إلى جميع العضلات والأنسجة وجميع أعضاء البدن وإلى الخلايا وإلى النويات يقول هذا الكلام، هذا نشر، حين قال أطعمتُ نفسي طوى كل المعاني في هذه العبارة، بعد ذلك الكلام الأول صحيح لكنه محكوم بقانون الطي، والكلام الثاني صحيح لكنه محكوم بقانون النشر، في بعض الأحيان يكون النشر كُلي وبعض الأحيان يكون النشر جزئي، النشر الكلي أن يبدأ من حراثة الأرض إلى وصول الطعام إلى النويات داخل الخلايا، أما النشر الجزئي قد يتناول جانباً يقول مثلاً أنا طحنتُ الحبوب وأنا عجنت وأنا طبخت وأنا أكلت، هذا الموجود من هذا القبيل وهذه القضية ليست فقط قضية لفظية حتى في الجانب التكويني، في الجانب التكويني الآن ما قام به البدن مثلاً من عملية الهضم في الفم في جوف الفم وعملية اللعاب وهذه عمليات الهضم ربما الكثير منكم درسها ويعرفها وتبدأ من الفم عمليات الهضم إلى المعدة بعد ذلك حينما يأتي الدم ويأخذ مادة الكيموس ينشرها مرة واحدة إلى البدن إلى الخلايا فكأنه هناك عملية طي وعملية نشر هذا في الجانب التكويني.

هناك مثال قد يُقرِّب المعنى بشكل وبصيغة أخرى، ما جاء في سورة النمل في قصة آصف ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ إلى آخر الآيات ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أنا جئت بالقرآن كمثال حتى لا تُكَذَب الحقائق، هذه حقيقة قرآنية وإلا روايات أهل البيت مشحونة بمثل هذه المضامين، هنا طيٌ للزمان والمكان، العرش كان في اليمن وسليمان وآصف كانا في فلسطين مسافة شاسعة ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قبل أن يرتدَّ إليك طَرفُك يعني حين تنظر إلى شيء، يعني الآن نحن حينما ننظر إلى شيء مباشرةً ننظر إليه لا يوجد هناك وقت، قبل أن يرتد إليك طرفك حينما تنظر إلى أي شيءٍ فإنك تراه، يعني هنا ينتهي الوقت ينتهي المكان، هناك عملية طي للزمان وللمكان، حينما نذهب إلى الروايات مثلاً:

هذا هو تفسير البرهان، **الرواية عن جابر عن أبي جعفرٍ عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر، قال: قلتُ**

لهُ: جُعِلتُ فِداك قولُ العالم ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أَن يَرتَدَّ إِلَيكَ طَرفُكَ﴾ – قول العالم يعني قال الذي عنده علمٌ من الكتاب، الذي عنده علمٌ من الكتاب – **فقال: يا جابر إن الله جعل اسمهُ الأعظم على ثلاثةٍ وسبعين حرفاً فكان عند العالم منها حرفٌ واحد فانخسفت الأرض ما بينه وبين السرير** – السرير هو العرش، انخسفت طُويت، الانخساف هنا ليس هذا الخسف اللغوي، يعني المقصود الطوي – **فانخسفت الأرض ما بينه وبين السرير والتفت القطعتان** – أي قطعتان؟ يعني التفت فلسطين باليمن، يعني التفت قطعة الأرض التي كان يقف عليها آصف مع قطعة الأرض التي كان ينتصب عليها العرش – **والتفت القطعتان وجعل من هذه على هذه** – جعل من هذه على هذه يعني جعل هذا العرش من على أرض اليمن على أرض فلسطين – **فانخسفت الأرض ما بينه وبين السرير والتفت القطعتان** – اختلطت أرض اليمن بأرضِ فلسطين – **وجعل من هذه على هذه** – يأتي هنا سؤال: يعني هل أنَّ أرضَ اليمن في تلك اللحظة انتقلت إلى أرض فلسطين؟ الرواية هكذا تقول – **والتفت القطعتان وجعل من هذه على هذه** – من هذه يعني من أرض اليمن، على هذه أرض فلسطين سأوضح المعنى، نستمر في قراءة الروايات.

الرواية **عن عبد الرحمن بن كثير الهاشمي عن أبي عبد الله عليه السلام** ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلمٌ مِّنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أَن يَرتَدَّ إِلَيكَ طَرفُكَ﴾ – عنده علمٌ من الكتاب – **قال: ففَرَّج أبو عبد الله أصابعهُ فوضعها على صدره ثم قال: وعندنا والله علم الكتاب كله** – إذا كان آصف عنده حرف فعندنا علم الكتاب كله، يعني حتى الحرف الثالث والسبعون الذي استُثني في بعض الروايات، مداراةً للسامعين استُثني وإلا يقول: **وعندنا والله علم الكتاب كله.**

عن زرارة قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما زاد صاحبُ سليمان – يعني آصف – **على أن قال بأصبعهِ هكذا فإذا هو قد جاءَ بعرش صاحبة سبأ، فقال له حمران: كيف هذا أصلحك الله؟ فقال: إن أبي كان يقول: إن الأرض طُويت له إذا أراد طواها** – يعني إذا أراد آصف أن يطوي الأرض طواها، فهو طيٌّ للزمان والمكان، هناك أيضاً بحث في المعارف الإلهية في نشر الزمان والمكان نحن الآن لسنا بصدد كل هذه التفصيلات.

والتفت القطعتان وجعل من هذه على هذه – ابن عربي ومن يتذوق مشرب ابن عربي فسَّر القضية بانقطاع الفيض، قال: بأن آصف قطع الفيض في اليمن وأوجدهُ في فلسطين، في كلام أهل البيت الكلام ليس هكذا، قطع الفيض باعتبار أنه ما من شيءٍ إلا وهو قائمٌ في وجودهِ بفيضٍ من وجود الله سبحانه وتعالى، فآصف بما أن عنده حرف واحد من علم الكتاب بسبب هذا الحرف الواحد عنده ولاية على الفيض

بحسب تصوير ابن عربي ومن يعتقد بقولهِ، فإنه قطع الفيض هناك ونقل الفيض، يعني هو ما نقل العرش وإنما كأنه أعدم العرش، قطع الفيض عن وجودهِ وأعاد وجودهُ ثانيةً في فلسطين في نفس اللحظة، أصلاً في أقل من اللحظة لأن الزمن قد طوي وكأنه انعدم، أما في روايات أهل البيت لا، الروايات هكذا تقول، تقول: فانخسفت الأرض ما بينه وبين السرير، يعني نفس السرير جاء، لم ينقطع الفيض وأُعيدَ وجودهُ مرة ثانية، فانخسفت الأرض ما بينه وبين السرير والتفت القطعتان وجعل من هذه على هذه، وكأن أرض اليمن صارت أرض فلسطين وأرض فلسطين أرض اليمن وهذا هو الطي – **إن أبي كان يقول: إن الأرض طُويت له إذا أراد طواها** – قبل قليل أنا أشرت إلى مثال الطي في الكلام، الطي والنشر وأيضاً الطي والنشر حتى في داخل عمليات الهضم كمثال أخذنا هذه القضية وإلا بقية الأمور أيضاً يجري عليها قانون الطي والنشر في داخل الجسم البشري، وهذا تصرف من وليٍّ من أولياء الله من وصي نبيٍ عنده حرف واحد من الأسم الأعظم، حرف واحد من علم الكتاب، هذا هو البُعد الرابع، هناك بُعدٌ رابع للأشياء والذي قد يصطلح عليه البعض هذا الاسم البُعد الرابع أو البُعد المُجرَّد، البُعد الرابع أو البُعد المُجَرَّد فهناك، يعني الذين كانوا يعيشون في ذلك الزمان في اليمن أو في فلسطين هل أحسوا بأن أرض اليمن انتقلت إلى فلسطين؟

أبداً، وإنما هناك البُعد الرابع، هناك بُعدٌ رابع وهناك أكثر من البُعد الرابع، أنا أُقَرِّب الكلام، أُقَرِّب الكلام بهذه الصورة: كيف المراد من البُعد الرابع؟ الآن نحنُ مثلاً على سبيل المثال نأتي بقنينة ونأتي بقطعة ثلج كبيرة هل نستطيع أن نُدخِل قطعة الثلج في هذه القنينة؟ لا نستطيع لأنه فوهة القنينة ضيقة وإن كانت كبيرة يمكن أن تشتمل على كمية من الماء أكثر من الماء الموجود في قطعة الثلج، لكن قطعة الثلج لا يمكن أن تدخل عبر هذه الفوهة الصغيرة، فقطعة الثلج لا يمكن أن تمر عبر الفوهة الصغيرة إلى داخل القنينة، لكننا لو أذبناها وحولناها إلى ماء سائل فإننا نستطيع أن نُدخِلها، غَيَّرنا طبيعة المادة الطبيعة الخارجية للمادة، المادة لها طبيعة خارجية الشكل الخارجي الفيزيائي ولها طبيعة داخلية وهي الطبيعة الكيميائية التركيب الداخلي للجزيئات والذرات، هناك طبيعة كيميائية في المادة وهناك طبيعة فيزيائية، الآن هذه الطبيعة الفيزيائية قطعة الثلج إذا غَيّرنا الطبيعة الفيزيائية لقطعة الثلج وحولناها إلى سائل نستطيع أن نُدخِل السائل في داخل القنينة، لو حولنا هذا السائل إلى حالة غازية هل نستطيع أن نحتفظ به في داخل القنينة؟ لا نستطيع، لو كان هناك يعني مثلاً شُبّاك ومُغلق هل نستطيع أن نُخرِج الماء من خلال الشُباك؟ لكن إذا تحول إلى حالة غازية يمكن للغاز أن ينفذ حتى من المنافذ التي لا نراها بأعيننا في بعض الأحيان، لا نُشَخِّصُها بالعين، المادة هنا بسبب ولايتي عليها غيرتها من الثلج إلى السائل فاستطعت أن أدخلها في داخل القنينة، وبولايتي عليها أنا مقتدر على تغييرها سلطت قوة النار عليها فحولت السائل إلى غاز إلى حالة بخارية وأخرجتهُ من منافذ لا يمكن أن يخرج منها الماء، هذا الوضع الوجه الظاهري للمادة، هناك بُعد رابع غير هذه الأبعاد، غير هذا البُعد

المحسوس البُعد الظاهري، ما يسمى بالبُعد المُجرّد، البُعد المحسوس للمادة، البُعد الجسمي البُعد المحسوس الذي يكون قابلاً للقسمة وللتجزئة، محكوم بقوانين وله طِباع معينة، لكن هناك ما ورائية المادة وهو البُعد الرابع، البُعد المُجَرَّد، البُعد المُجَرَّد له سُلطة على المادة أكثر من سُلطة البُعد المحسوس، المتصرف في هذا البُعد الرابع يستطيع أن يتصرف بالمادة بأنحاء أخرى، آصف جاء بعرش بلقيس لولايتهِ على البُعد الرابع ولا تذهبوا بعيداً الآن توجد مؤسسات في الولايات المتحدة الأمريكية ومعاهد علمية لدراسة البُعد الرابع للعالم الدنيوي للعالم الأرضي، هناك من يفكر من يسيطر على البُعد الرابع وهذه من الدراسات المستقبلية من دراسات الغرب من دراسات الفكر الأمريكي لمستقبل العالم.

الإنسان الآن لَمَّا هو على الأرض، الإنسان على الأرض ليس هو كائن قائم بنفسهِ معزول عمَّا حولهِ أبداً، يعني الآن الطاقة الموجودة في الأرض هذه القوة قوة الجاذبية، هذه قوة الجاذبية هي السبب في انتظام حياة الإنسان في جهة من الجهات، يعني الآن قوة الجاذبية لو زادت عن النسبة الموجودة في الأرض ربما الإنسان لا يستطيع الحركة إذا زادت زيادة عالية سيلتصق في مكانهِ لأنه سيكون ثقيلاً، ثقل ووزن الإنسان ووزن الأشياء متأتٍ من قوة الجذب، وزن الأشياء إنما هو في حقيقتهِ هو مقدار قوة الجذب في الأرض وهذه قضايا علمية ثابتة ومعروفة ومن بديهيات العلم، لو زادت قوة الجذب في الأرض لثَقُلت الأجسام إلى درجة لا تستطيع أن تتحرك ولو قلَّت قوة الجذب لطارت الأجسام وصارت خفيفة، وهذه القضية صارت واضحة حينما صعد الإنسان على القمر لأن قوة الجذب في القمر تعدل سدس قوة الجذب في الأرض، لذلك وزن الإنسان على القمر يعادل واحد على ستة من وزنهِ على الأرض، قوة الجذب لها تأثير، القضية لا تقف عند قوة الجذب، الهواء المحيط بالإنسان له تأثير، درجة الحرارة، طبيعة الطعام والشراب، حتى المياه، المياه يختلف تركيبها من بلد إلى بلد، كُلُّ هذه الأشياء المحيطة بالإنسان لها تأثير على الإنسان، أشعة الشمس لها تأثير على الإنسان، موجات الطاقة الآتية من الفضاء عبر الغلاف الغازي، الطاقة الشمسية يعني هي فقط لإنارة الأرض؟ هذا أحد فوائدها، الطاقة الشمسية مثل ما هي لها مدخلية في بناء الهيكل العظمي للإنسان، ولها مدخلية في تكون البشرة الظاهرة لأجسام الحيوانات والإنسان وغير الإنسان، ولها مدخلية في تكوين الطعام في النباتات وفي الحيوانات وفي الأرض وفي كل مكان، الطاقة الشمسية لها مدخلية أيضاً مثل ما قوة الجذب لها تأثير على ثقل الإنسان ووزن الإنسان واستقرار الإنسان الطاقة الشمسية لها تأثير على الحالة النفسية والذهنية والفكرية للإنسان، الطاقة الآتية من الأرض قوة الجذب لها تأثير في البُعد البدني وحتى التأثير على البُعد البدني له تأثير على البُعد الكيميائي الذي يتعانق مع البُعد النفسي والروحي للإنسان.

الإنسان منظومة ما بين جانب مادي وبين تفاعلات كيميائية وحالات نفسانية وبُعد نوري معنوي وبُعد جبروتي أيضاً، الإنسان فيه صورة من عالم الجبروت كما فيه صورة من عالم الملكوت كما فيه صورة من عالم

الناسوت العالم الأرضي، الطاقة الآتية أشبه بطاقة الصواعق، طاقة الصواعق الآن مانعة الصواعق التي توضع على البنايات لها هيئة معينة حينما تنزل الصاعقة وهي طاقة، من جهة الغيوم مانعة الصواعق تمتص هذه الطاقة، الإنسان في بدنهِ هناك ممتصات للطاقة الآتية من الشمس لذلك إمامنا الحُجَّة عليه السلام حين يتحدث عن الانتفاع به في غيبتهِ قال: كانتفاع الناس بالشمس يُجللها السحاب، لأن الانتفاع بالشمس ليس فقط بوصول الضوء والأشعة فوتونات الضوء إلى الأرض، والغلاف الغازي بطبقاتهِ التي تصل إلى ستة ألاف كيلومتر، هل تعلم بأن الغلاف الغازي، ارتفاع الغلاف الغازي المحيط بالأرض يصل إلى ستة ألاف كيلومتر وربما أكثر، هذا هو بمثابة مصانع وفلاتر ومعامل لتهيئة الطاقة النازلة من الفضاء ومن الشمس ومن القمر نازلة على الأرض وعلى الإنسان حتى الإنسان يمتص هذه الطاقة لتوازن الحياة النفسية والمادية والمعنوية، ولذلك هؤلاء العلماء يفكرون نتيجة البحث، نتيجة التجارب يقولون بأن الطاقة الآتية من الفضاء عبر الغلاف الغازي هي التي تؤجه المنظومة الفكرية للإنسان، ولذلك هذا الكلام له أصول، الكلام الذي يقولهُ المنجمون ويربطون الطبيعة البشرية بالأبراج هذا له شيء من الصحة لكن لا كما يقولون هم، هذه التقسيمات الموجودة والتنبؤات وكَذِبَ المنَجِمون ولو صَدَقوا، لأنهم بنوا على عقيدة خاطئة.

لكن هناك ترابط بين هذا الإنسان وبين سائر المنظومة في المجموعة الشمسية وفي سائر الكواكب الأخرى، هناك ترابط، مثل ما هناك ترابط بين قوة الجذب الموجودة في الأرض وبين الإنسان، وهناك ترابط بين قوة الجذب الموجودة في الأرض وبين القمر، وللقمر تأثيرات حتى على الحالات الفسلجية والبيولوجية، الآن المرأة وقضية العادة الشهرية أليس هناك علاقة فيما بين حركة القمر وبين العادة الشهرية للمرأة، وهناك مسائل أخرى كثيرة أنا لست بصدد الدخول في هذه التفاصيل، أريد أن أصل إلى هذه القضية أن هناك بُعد رابع للتصرف في الأشياء، هؤلاء العلماء تلمَّسوا شيئاً من أن هناك طاقة آتية من خارج الأرض عبر الشمس عبر الفضاء هذه الطاقة هي التي تنظم الحالة الفكرية في بعض اتجاهاتها، فيقولون بأن الذي يسيطر على هذه الطاقة ويتمكن من توجيهها سيسيطر على التوجيه الفكري للبشر سواء تمكنوا من ذلك أم لم يتمكنوا ففي كلامهم هذا الكثير من الصواب، هذا جانب من البُعد الرابع، أنا أردت أن أقرب القضية، البُعد الرابع أعمق من هذا.

البُعد الرابع لا يكون إلا مع علم الكتاب مع حروف الأسم الأعظم وذلك شيءٌ لا يستطيع الإنسان العادي أن يصل إليه بالأسباب الطبيعية إنما هو مِنحةٌ وعطاءٌ من الله، لأنه إذا استطاع الإنسان أن يصل إلى هذه الأعماق سيعبث بخلق الله، سيعبث بالوجود حينئذٍ، والإنسان لا يملك الحكمة الكاملة التي يستطيع إذا ما وصل إلى مثل هذه العلوم أن يتصرف بها بالشكل المناسب، هذه مسؤولية كبيرة ولا يستطيع الإنسان أن يتحمّلها، لأن هذه قضية خروج عن الحالة الطبيعية الموجودة في الحياة اليومية، لذلك مثلاً على

سبيل المثال: عمر بن حنظلة من أصحاب إمامنا الباقر والصادق هو يقول: **قلتُ لأبي جعفر** – للإمام الباقر – **إنّي أظنُّ أن لي عندك منزلة، قال: أجل** – لك منزلة عندي – **قال: أجل، قال: قلتُ: فإنَّ لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: قلتُ: تُعلِّمني الأسم الأعظم** – يطلب الأسم الأعظم بالكامل، وهذا يدل على عدم معرفتهِ بمعنى الأسم الأعظم – **قلتُ: تُعلِّمني الأسم الأعظم، قال: وتُطيقهُ؟** – تستطيع أنت تحتمل هذه القضية – **وتُطيقهُ؟ قلتُ: نعم** – وهذا أكثر يدل على جهلهِ المُطبق بالأسم الأعظم – **قال: فادخل البيت، قال: فدخلتُ** – يعني أدخله إلى داخل الغرفة، هو جالس معهُ في البيت أدخله إلى غرفة خاصة – **قال: فادخل البيت، قال: فدخلتُ، فوضع أبو جعفر عليه السلام يدهُ على الأرض فأظلم البيت** – لابد أن يدخل في حالة أخرى، التعامل مع بُعد آخر – **فأظلم البيت فأُرعِدت فرائص عُمر** – خاف، ظلام ليس كالظلام العادي يعني أن ينطفئ الضوء – **فقال: ما تقول أُعَلِّمُك؟ فقلتُ: لا، قال: فرفعَ يدهُ فرجعَ البيتُ كما كان** – الحديث هنا ومثل هذه الرواية روايات أخرى في مثل هذا المضمون أو قريبة من هذا المضمون تتحدث عن بُعد آخر.

هذا البُعد الرابع الذي عَملَ بهِ آصف أما أهل البيت لهم بُعد خامس وهو البُعد الإحاطي ذلك بُعدٌ آخر، ولذلك الإمام الصادق عليه السلام لَمَّا سُئل عن آصف وضع يدهُ على صدرهِ قال: فَرَّج أصابعه وقال نحنُ عندنا علم الكتاب كله ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ آخر آية من سورة الرعد المباركة، هذا البُعد الرابع هو الذي كانت فيه ولاية آصف بن برخيا، ربما هناك الكثير من الشباب من الشابات من أبنائي وبناتي من مُحبّي أهل البيت أنا أُقَرِّب لهم مثال ربما البعض منكم شاهد مجموعة أفلام ماتركس، هذه مجموعة أفلام ماتركس هي تعبير عن قضية البُعد الرابع وتَمَكُّن الإنسان من التصرف في البُعد الرابع لكنه في عالم التخييل في عالم السينما، وهذا إنما هو في السينما لأن هناك مؤسسات تبحث في هذه القضية كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام ما في الجنان ما في القلب يظهر على فلتات اللسان، ولسان الحضارة الأمريكية والغربية هو هوليود، ما في الجَنان يظهر على فلتات اللسان، لسان الحضارة الأمريكية والحضارة الغربية هو هوليود، هذه المجموعة مجموعة أفلام ماتركس تتحدث عن البُعد الرابع ولذلك تلاحظون الحركة عبر الجدران المشي على الهواء، تجاوز البُعد المحسوس للمادة والانتقال إلى ما ورائية المادة وهو البُعد المُجرّد فانتقال العرش، هذا تقريب وهذه أمثلة، كُلُّ ما سُقتهُ أمثلة والأمثلة تُقَرِّب من وجه وتُبَعِّد من وجه، نحنُ لا نستطيع أن نتصور المعنى الذي كان فيه آصف إلا أن نكون بدرجة آصف وإنما هذا هو اقتناص للمعاني من خلال الآيات والروايات من هنا ومن هناك، لذلك لا تستغربون إذا قرأتم في روايات الدجال بأنه يفعل هذه المعجزات الهائلة وإن شاء الله نتحدث عن الدجال في شهر شعبان في برنامج الحجة

بن الحسن العسكري موضوعات جديدة ومباحث جديدة انتظروني إن شاء الله أيام شعبان إذا بقينا أحياء ووُفقنا لذلك بعونٍ من الله وتوفيقٍ من إمام زماننا الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، الموضوع واسع وأنا إلى الآن الحقيقة ما دخلتُ في النصوص لأن النصوص كثيرة، فقط أشير إلى هذا النص:

هذا هو بصائر الدرجات لشيخنا الصفار أبو جعفر رضوان الله تعالى عليه، بسندهِ – **عن أبان بن تغلب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه رجلٌ من أهل اليمن** – ويبدو إنه ممن يملكون علوماً خاصة – **فقال: يا أخا أهل اليمن عندكم علماء؟** – يعني علماء بشكلٍ خاص – **قال: نعم، قال: فما بلغَ من علم عالِمُكم؟ قال: يسيرُ في ليلة مسيرة شهرين يزجر الطير** – يزجر الطير يعني يعرف المستقبل، يعرف المستقبل بالجملة – **ويقفو الأثر** – يعني يعرف الماضي – **ما بلغَ من علم عالِمُكم؟ قال: يسيرُ في ليلة مسيرة شهرين يزجر الطير ويقفو الأثر، فقال أبو عبد الله عليه السلام: عالمُ المدينةِ** – وهو يشير إلى نفسهِ – **عالِمُ المدينة أعلمُ من عالِمكم، قال: فما بَلَغ من علم عالِم المدينة؟ قال: يسيرُ في ساعةٍ من النهار مسيرة شمس سنة** – مسيرة شمس سنة يعني المسيرة الضوئية بسرعة الضوء، وأنت احسب، إذا نريد نحسب هذه القضية أعداد هائلة تكون، ولكن إذا عندك حاسبة واحسب سرعة الضوء في مسيرة شمسٍ لسنةٍ كاملة – **يسيرُ في ساعةٍ من النهار مسيرة شمس سنة حتى يقطع اثني عشر ألف مثل عالمكم هذا ما يعلمون إن الله خلق آدم ولا إبليس، قال: فيعرفونكم؟ قال: نعم** – هنا في الرواية نسخ، خطأ في الطباعة – **إنَّ الله خلقهم قبل خلق آدم وإبليس، قال: فيعرفونكم؟ قال: نعم ما افترض عليهم إلا ولايتنا والبراءة من عدونا** – الآن ليس الحديث في تفاصيل الرواية وإنما الحديث: **يسيرُ في ساعةٍ من النهار مسيرة شمس سنة حتى يقطع اثني عشر ألف مثل عالمكم.**

هذا هو البُعد الإحاطي، البُعد الإحاطي هو أبعد من البُعد المُجَرَّد، البُعد الإحاطي الذي إليهِ الإشارة، تأتينا تتمة الحديث إن شاء الله في الحلقة القادمة، لكن البُعد الإحاطي إليه الإشارة في هذه الكلمة: **فمن أعطاهُ الله هذا الروح فقد أبانهُ من الناس** – أبانهُ يعني جعلهُ مختلفاً عن الناس – **وَفَوَّضَ إليهِ القُدرة وأحيا الموتى وعَلِمَ بما كان وما يكون وسار من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق في لحظة عين وعَلِمَ ما في الضمائرِ والقلوب وعَلِمَ ما في السماوات والأرض** – هذا هو البُعد الإحاطي لأهل البيت، وتفاصيل أخرى إن شاء الله تأتينا في الحلقة القادمة، الربط بشكل سريع وأوضح الكلام أكثر في الحلقة القادمة، الربط بين هذا الموضوع وبين عبارات الزيارة الجامعة الربط هنا أن الزيارة هنا تتحدث عن أهل البيت بطريق الطي والنشر فمرةً تطوي خصائصهم ومرةً تنشر خصائصهم، وحينما تنشر خصائصهم مرةً تخاطبهم: أنَّكُم الأئمةُ الراشدون بهذا الخطاب، وأخرى تقول: اصطفاكم بعلمهِ وارتضاكم لغيبهِ، وأخرى

تقول: فعظَّمتم جلاله وأكبرتم شأنه، هذا الاختلاف بصيغ التعبير هو من جملة مصاديق الطي والنشر في اللفظ والذي يكشف عن طيٍّ ونشر في الحقيقة، وإنما أنا أوردت هذه الأمثلة لأجل أن يتضح المقصود من مرادي، ما هو المراد من الطي والنشر. وإن شاء الله تتمة الحديث تأتينا في الحلقة القادمة، يوم غد ما عندنا حلقة إن شاء الله اليوم ترون على شريط أخبار القناة موعد الحلقة القادمة ومواعيد البرامج الأخرى، إن شاء الله في الأسبوع القادم وسترون على شريط القناة موعد الحلقة القادمة، بالنسبة لبرنامج ملفُّ العصمة سنشرعُ فيه إن شاء الله في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب، بقية الأيام من شهر رجب سأخصصها لشرح الزيارة الجامعة الكبيرة وأحاول أن أختصر الكلام حتى أُتمَّ الكلام بقدر ما أتمكن في هذا النص الشريف، وإذا كانت هناك مطالب مهمة بحاجة إلى توضيح أكثر إن شاء الله في مناسبات أخرى نتحدث عن هذه المطالب، ووالله ما هذا بشيءٍ من فضل أهل البيت، إنما هذا على قدري على قدرنا على قدر عقولنا، أهل البيت أكبر وأعظم وأسمى من كل هذه المعاني، هذه بضاعةٌ كاسدة إذا ما قيست ببضاعة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، لكننا ماذا نصنع؟ اللغة القاصرة والعقول المحدودة والوقت الضيق والأفهام المحدودة ماذا نستطيع أن نقول؟ هُم قالوا، هذا هو الكافي، نذهب ونعود ونطوف ونرجع إلى الكافي هم قالوا، هذا إمامنا الرضا وهو يتحدث عن الإمام المعصوم يقول:

وكَيفَ يُوصَفُ بِكُلّه أو يُنعَتُ بِكُنهه أو يُفهَمُ شيءٌ من أمره.

الإمام الرضا يقول هكذا، فهل يستطيع أحد أن يدّعي وأن يقول بأنه يفهم شيئاً من أمرهم؟ هو هكذا يقول، يقول: **وكَيفَ يُوصَفُ بِكُلّه أو يُنعَتُ بِكُنهه أو يُفهَمُ شيءٌ من أمره.** إذا كان الإمام الرضا يقول لا يستطيعُ أحدٌ أن يفهم شيئاً من أمرهِ فهل أستطيع أنا أن أدّعي بأنني قد فهمت شيئاً من أمرهم، أنا أو غيري أو أيُّ أحد، إنما نحنُ ندور وندور في فَلَك الحقيقة، نحنُ نتلمَّسُ شيئاً من الحقيقةِ من خلالِ كتابهم ومن خلال حديثهم ما بين الكتاب والعترة.

أحباب عليٍّ وآل عليّ أعتذرُ عن قصوري وتقصيري أسألكم الدعاء ألقاكم إن شاء الله في الأسبوع القادم في حلقة جديدة من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، ألقاكم على مودّة إمام زماننا الحجة بن الحسن، دعائي لكم أن تُوفقوا لمعرفة إمام زمانكم وألتمسكم الدعاء أن أوفقَ لِمعرفة إمام زماني أسألكم الدعاء جميعاً في أمان الله.

الحلقة السادسة والعشرون

معنى اَشْهَدُ اَنْ لا اِلهَ اِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ . . . وَاَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ . . .

وَاَشْهَدُ اَنَّكُمُ الاَئِمَّةُ الرّاشِدُونَ . . . . .

فَالرّاغِبُ عَنْكُمْ مارِقٌ، وَاللاّزِمُ لَكُمْ لاحِقٌ، وَالْمُقَصِّرُ فى حَقِّكُمْ زاهِقٌ، وَالْحَقُّ مَعَكُمْ . . .

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركات أحبابَ عليٍّ وآل عليّ، الحلقة السادسة والعشرون من برنامجنا الزيارةُ الجامعة الكبيرة، بعد أن تمَّ الكلام في المقاطع الخمسة التي تُفتَتَحُ بها الزيارةُ الجامعة الكبيرة شرعتُ في المَقاطِعُ التي تلي تلكم المقاطع، وتحدَّثتُ فيما مضى في جوانبَ من معاني ما جاء مذكوراً في الزيارة الجامعة الكبيرة وإن كان بنحوٍ موجز ومُجمَل وذلك لضيق الوقت، وحينَ أقولُ ضيقُ الوقت مُرادي أننا محكومون بزمان محدود والزيارة الجامعة الكبيرة نَصٌّ طويل إذا أردنا أن نقفَ عند كُلِّ عنوان عند كُلِّ فقرة عند كُلِّ عبارة طويلاً فهذا يحتاجُ إلى وقتٍ طويل، ولِذا أحاولُ أن أُسَلِّطَ الضوء على أهم المطالب التي تناولها هذا النَصُّ الشريف.

المَقطع الذي لا زلنا بصددهِ، المقطع الذي يبدأُ: **أَشهَدُ أَن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفسِهِ وَشَهِدَت لَهُ مَلائِكَتُهُ وَأُولُو العِلمِ مِن خَلقِهِ، لا إلهَ إلاّ هُوَ العَزِيزُ الحَكيمُ**. وتقدم الكلام في هذا، ثم جاءت الشهادة الثانية: **وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المُنتَجَبُ، وَرَسُولُهُ المُرتَضى، أَرسَلَهُ بِالهُدى وَدينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ**. وجاءَ الكلامُ في الشهادة الثانية وما جاء في آخر الفقرة في آخر الآية من الإشارة إلى إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه – لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ – ثُمَّ جاءت الشهادة الثالثة: **وَأَشهَدُ أَنَّكُمُ الأَئِمَّةُ الرّاشِدُونَ**. الراشدون الكاملون الذين إذا ما عَمِلوا عملاً فإنهم يأتون به على أحسن وجه، على أكملِ وجه، ولا يستطيع الإنسان أن يقومَ بعملٍ كامل ما لم يكن كاملاً ففاقدُ الشيء لا يُعطيه – **وَأَشهَدُ أَنَّكُمُ الأَئِمَّةُ الرّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ المَعصُومُونَ المُكَرَّمُونَ المُقَرَّبُونَ المُتَّقُونَ** – وأشرتُ إلى أن التقوى هنا ليست المعنى الذي يصدقُ علينا، التقوى في هذه المنازل في هذه المراتب لها دلالات ومعاني أعمق من هذا المعنى الذي يصدق علينا في قضية الإتيانِ بِما يُريدهُ الله سبحانه

وتعالى في التشريعات وكذلك الانتهاء عمَّا لا يريدهُ سبحانه وتعالى في مقام التشريع – **المُقَرَّبُونَ المُتَّقُونَ الصّادِقُونَ المُصطَفَونَ المُطيعُونَ للهِ** – المُطيعون لله لا في مقام التشريع وإنما في مقام التشريعِ وفي مقام التكوين، في مقام عالم الشهادةِ وفي مقام عالم الغيب، في مقام عالم الطبيعة وفي مقام عالم الملكوت – **القَوّامُونَ بِأَمرِهِ، العامِلُونَ بِإرادَتِهِ** – العاملون بإرادته نفسُ المعنى الذي تَقَدَّمَ ذِكرُه في الزيارة المُطلقةِ الأولى بحسب ترتيب كتاب مفاتيح الجنان المروي عن إمامنا الصادق عليه السلام والتي رواها شيخنا الكُليني في الكافي – **إرَادةُ الرَبِّ في مَقَاديرِ أمورِهِ تَهبِطُ إليكم وتَصدُرُ من بيوتِكُم** – العامِلونَ بإرادته بهذه الإرادة التي تهبطُ إليهم – **العامِلُونَ بِإرادَتِهِ، الفائِزُونَ بِكَرامَتِهِ، اصطَفاكُم بِعِلمِهِ، وَارتَضاكُم لِغَيبِهِ** – وارتضاكم لغيبه نفس المعنى الذي مَرَّ في الشهادة الثانية: **وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المُنتَجَبُ، وَرَسُولُهُ المُرتَضى** – والإشارةُ في ذلك إلى ما جاء في سورة الجن، في الآية السادسة والعشرين وفي الآية السابعة والعشرين ﴿عَالِمُ الغَيبِ فَلَا يُظهِرُ عَلَى غَيبِهِ أَحَداً﴾ على الغيب الخاص بالله سبحانه وتعالى ﴿إِلَّا مَنِ ارتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ .

وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المُنتَجَبُ، وَرَسُولُهُ المُرتَضى – وما كان لأولهم فهو لآخرهم – **اصطَفاكُم بِعِلمِهِ، وَارتَضاكُم لِغَيبِهِ** – هُم الحقائق التي ارتضاها الباري سبحانه وتعالى أن تكون خُزّانةً ومَقَرّاً لغيبه – **وَاختارَكُم لِسِرِّهِ، وَاجتَباكُم بِقُدرَتِهِ** – والاجتباءُ أخَصُّ من الاختيار – **وَأَعَزَّكُم بِهُداهُ** – والعِزَّةُ هنا لا بهذا المعنى اللغوي والأدبي وإنَّما أعزَّهُم بِهُداه، أعزَّهم جعلَ لهم العزَّةَ وهي السُلطةُ على كل موجود وسيأتينا في الزيارة الجامعة وذَلَّ كُلُّ شيءٍ لكم، ذَلَّ كُلُّ شيءٍ لهم لأن الله سبحانه وتعالى قد أعزهم بعزته وما من شيءٍ إلا وهو ذليلٌ أمام العزة الإلهية لأنه أعزهم بعزته فَذَّلَ كُلُّ شيءٍ لهم – **وَأَعَزَّكُم بِهُداهُ، وَخَصَّكُم بِبُرهانِهِ** – البرهانُ قد يكون هو القرآن، البرهانُ قد يكونُ هو العلم، البرهان قد يكونُ هو النور الإلهيُ الساطع في قلوبهم وفي أرواحهم، البرهانُ قد تكون هي الولايةُ والقُربُ من الله سبحانه وتعالى، البرهانُ له دلائل ومصاديق كثيرة – **وَخَصَّكُم بِبُرهانِهِ، وَانتَجَبَكُم لِنُورِهِ** – والانتجاب أخَصُّ من الاجتباء، هناك عندنا اصطفاء، هناك عندنا اختيار، هناك عندنا اجتباء وهناك انتجاب – **وَانتَجَبَكُم لِنُورِهِ، وَأَيَّدَكُم بِرُوحِهِ** – فهم نورهُ وهم الذين سطعت فيهم أنوار الله سبحانه وتعالى وهم كذلك روحُ الله الذين ظهرت فيهم وتجلت فيهم روح الله – **وَخَصَّكُم بِبُرهانِهِ، وَانتَجَبَكُم لِنُورِهِ، وَأَيَّدَكُم بِرُوحِهِ، وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ في أَرضِهِ، وَحُجَجاً عَلى بَرِيَّتِهِ، وَأَنصاراً لِدينِهِ، وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ** – كُلُّ هذه المعاني تتعانق فيما بينها وتترابطُ رباطاً وثيقاً – **وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ، وَخَزَنَةً لِعِلمِهِ، وَمُستَودَعاً لِحِكمَتِهِ، وَتَراجِمَةً لِوَحيِهِ** – لأن وحيهُ لأن قرآنهُ إن كان في

ظاهرِهِ أو إن كان في باطنهِ، حقائقُ الوحي تحتاجُ إلى تَرجُمان، والترجمان هُم صلوات الله عليهم – **وَتَراجِمَةً لِوَحيِهِ، وَأَركاناً لِتَوحيدِهِ** – هم أركانُ التوحيد إن كانَ الحديثُ عن علم التوحيد وعمَّا يعتقدهُ الناس فإن عقيدة التوحيد لا تَتَمُّ إلا بالأخذِ عنهم ولا تَتَمُّ إلا بالاعتقادِ بولايتهم وإمامتهم، أو أن المعنى يذهبُ إلى أبعد من ذلك كما جاء في دعاء شهر رجب: **فَبِهِم مَلأتَ سماءَكَ وأرضَك حتى ظَهَرَ أن لا إلهَ إلاَّ أنت** – وهذه هي أركانُ التوحيد الحقيقية – **فَبِهِم ملأت** – بحقيقتهم، حقيقتهم ساطعة في كُلِّ زاويةٍ من زوايا هذا الوجود – **فَبِهِم مَلأتَ سماءَكَ وأرضَك حتى ظَهَرَ أن لا إلهَ إلاَّ أنت** – هذا الكلامُ هو نفسهُ الذي نجدهُ واضحاً وصريحاً في دعاء كميل رضوان الله تعالى عليه الذي يرويه عن سيد الأوصياء: **وبأسمائِكَ التي مَلأت أركانَ كُلِّ شيء**، إذاً أركانُ كُلِّ شيء مُلِئت بأسمائهِ، بأسمائه سبحانه وتعالى، ومَن أسمائهُ؟

أسمائهُ هُم مجالي الأسم الأعظم الذي خلقهُ، فالأسماءُ مخلوقة، والأسمُ الأعظم مخلوق، إذاً هذه الأسماء غيرُ الله فهي مخلوقة والأسم الأعظم مخلوق إذاً هو غيرُ الله – **وباسمك الأعظمِ الأعظم الأعظم الأعزَّ الأجلِّ الأكرم الذي خلقتهُ فاستقرَّ في ظِلِّك فلا يَخرُجُ مِنكَ إلى غيرك** – الأسم الأعظم مخلوق وسائرُ الأسماء هي مجالي للأسم الأعظم فالأسماء مخلوقة – **وبأسمائِكَ التي مَلأت أركانَ كُلِّ شيء** – هو صادقهم يقول: **نحنُ الأسماء الحُسنى**، والدعاء في شهر رجب: **فَبِهِم مَلأتَ سماءَكَ وأرضَك حتى ظَهَرَ أن لا إلهَ إلاَّ أنت**، إلى غير ذلك من النصوص والمضامين الواضحة الصريحة التي جاءت في كلماتهم النورية القدسية.

إذا كان البعضُ من أشياع أهل البيت يستغربُ من ذلك، فذلك لجهلهِ بالحديث ولعدم مُمارستهِ الطويلة مع أدعية أهل البيت ومع زياراتهم ومع خُطَبهم وأحاديثهم ورواياتهم وكلماتهم القِصار، كُلُّ ذلك فإنَّه يَنضَحُ بهذه المعاني، ورائحةُ هذه المضامين العالية تفوحُ من كُلِّ جانبٍ من جوانب آيات الكتاب الكريم ومن كل جانب من جوانب كلمات أهل البيت إن كانت في الأدعية والزيارات أو كان ذلك في الخُطب والروايات وفي الكلمات القصيرة – **وَأَركاناً لِتَوحيدِهِ، وَشُهَداءَ عَلى خَلقِهِ، وَأَعلاماً لِعِبادِهِ، وَمَناراً في بِلادِهِ** – المنار المكان الذي يعلو وتعلو أنوارهُ فيكونُ سبباً لهداية الناسِ في ظلام الليل وفي الليالي الحوالِك – **وَمَناراً في بِلادِهِ، وَأَدِلاّءَ عَلى صِراطِهِ** – هم صراطُ الله وهم أدلاَّء على صراط الله على صراطهِ في الدنيا وعلى صراطهِ في الآخرة، الصراطُ بمعنى جادة الشريعة، والصراطُ بمعنى الإمام المعصوم والصراط بمعنى صراط جهنم وكُلُّ ذلك أهلُ البيتِ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يرتبطون بهذه المعاني من أولها إلى آخرها، لولاهم لَمَا يستطيع الذي يعبر على صراط جهنم إلا بدلالتهم، ولولاهم لا يستطيع الذي يريد أن يسير على صراط جادة الشريعة في هذه الدنيا إلا بدلالتهم ومعرفتهم ومَحَبَّتِهم ومَودَّتِهم، والصراطُ المستقيم في حقيقة معناه هو الإمام المعصوم الحقيقة الجامعة والحقيقة القويمة والمستقيمة، والإمام المعصوم هو الصراط المستقيم، فالصراط

المستقيم هو أقصر خَطٍّ بين نقطتين، أقصر طريقٍ يوصلنا إلى الله هو الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، هذا الطريق الذي ليسَ فيهِ أيُّ نوعٍ من أنواع الانحناءات وأيُّ نوعٍ من أنواع التَعَرُّج وأيُّ نوعٍ من أنواع المتاهات، صراطٌ مستقيم – **أينَ السَببُ المُتَّصِلُ بينَ الأرضِ والسّماء، أينَ وجهُ الله الذي إليهِ يتوجَهُ الأولياء** – حين نتوجه إليهم فنحن قد توجهنا إلى الله فهم وجه الله الباقي بعد فناء الأشياء – **وَأَدِلاّءَ عَلى صِراطِهِ، عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ، وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ، وَأَذهَبَ عَنكُمُ الرِّجسَ وَطَهَّرَكُم تَطهيراً** – وتلك هي عصمة آل مُحَمَّد – **عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ** – الزَّلَل، الزلل لذلك يُقال زلزال، والزلزالُ هو الاهتزازُ الجسميُ الكبير، الزَلّل هو الخطأ الذي يقعُ فيه الإنسان بجوارحهِ، أفعال الإنسان وأقوالُ الإنسان الصادرة من جوارحهِ هو هذا الزلل – **عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ** – الزلل خطأ البَدَنِ، خطأ الجوارح، خطأُ الأقوال والأفعال هو هذا الزلل – **عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ** – فأنتم معصومون أنتم ملتجئونَ إلى الله، ملتصقونَ بالله، لا تسبوا عليَّاً فإنَّهُ ممسوسٌ في ذات الله، ذواتهم ممسوسةٌ في ذات الله، فلأنها ممسوسةٌ في ذات الله فهي بعيدةٌ عن الزَلِلِ وعن الخَطلِ في القول وفي الفعل – **وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ** – الفِتَنُ هنا إنَّما هي ما يطرأُ على قلبِ الإنسان وعلى عقل الإنسان وعلى خيال الإنسان، ما يَجولُ في الجانب الجوانحي في قلوب الناس في قلوب العباد في عقلوهم.

هناك للإنسان جارحة وهناك جانحة، جوارح الإنسان هي التي يصدر منها الزلل وجوانح الإنسان هي التي تغوصُ في الفتن، الفتنةُ تبدأُ من القلب، الفتنةُ تبدأُ من العقل، الفتنةُ في أصلها مسألةٌ جانحية وليست جارحية – **وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ** – من الفِتَن مما يدور في القلوب والعقول، فقلوبكم صافية مُصفاة، نقية مُنقّاة وعقولكم كذلك – **وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ** – الدَنَس النجاسة المادية، فَكُلُّ شيءٍ في أبدانهم طاهر، كُلُّ شيءٍ يتعلق بذواتهم الجسمية طاهرة، دمائهم طاهرة، أبدانهم طاهرة، لحومهم طاهرة كُلُّ شيءٍ فيهم طاهر ولا يصدر إلا الطُهر وإلا الطهور – **وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ، وَأَذهَبَ عَنكُمُ الرِّجسَ** – كُلُّ أنواع النجاسات المعنوية، كل أنواع النجاسات، لأن النجاسات المعنوية على درجات مثل ما النجاسات البدنية على درجات – **عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ** – الزلل في القول والفعل ما يصدرُ من الإنسان من قولٍ ومن فعل – **وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ** – أيضاً ما يصدر من الإنسان في مستوى النوايا، في مستوى الأوهام والخيال، في مستوى العقول والقلوب، ما يفعلهُ الإنسان في داخلهِ – **وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ** – لوازم الدَنَس البدني الموجودة عند غيرهم – **وَأَذهَبَ عَنكُمُ الرِّجسَ** – لوازم النجس والنجاسات المعنوية الموجودة عند غيرهم، ثم بعد ذلك – **وَطَهَّرَكُم تَطهيراً** – وهذا تطهيرٌ مؤكدٌ ومُشدّد، هذا التطهير هو التطهيرُ الإلهي أن كانوا موجودات ربانية موجودات إلهية، هذه طهارةٌ ربانية طهارةٌ إلهية لهذه الذوات المقدسة أولئك هم أهل البيت.

وأنا أُقِرُّ بذلك وأشهدُ بذلك وتلك عقيدتي يا آل مُحَمَّد – **عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ** – من كل خطأٍ في القول أو في الفعل يصدرُ من الناس من كل المخلوقات، من الإنس من الجن من الملائكةِ ومن كل أحد – **وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ** – من كل أنواع الفِتَن التي تجول في قلوب وعقول الخلائق من كل المراتب – **وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ** – من كل أنواع النجاسات المادية في ظواهر الأبدانِ وفي بواطنها، ما يتعلق بها وما يصدر منها – **وَأَذهَبَ عَنكُمُ الرِّجسَ** – كل أنواع النقائص من الشك ومن الجهلِ ومن الغفلة ومن السهوِ ومن كل شيءٍ من هذا القبيل، ممن ليس للإنسان مدخلية في إيجادهِ لأن الفِتَن كان الحديث عن نجاساتٍ معنوية للإنسان مدخلية في إيجادها أما الحديث عن الرجس هنا عن نقائص موجودة في الإنسان، عن الشك عن الجهل هذه نقائص موجودة في الإنسان ويجب على الإنسان أن يُكَمِّلها، أما هم فيهم فهي كاملة ولا نقص فيهم، وبعد كُلّ ذلك الكمال يأتي – **وَطَهَّرَكُم تَطهيراً** – والفعل مُشَدَّد هنا، طَهَّرَكُم يعني طَهَرَكُم وطَهَرَكُم، وتطهيراً مفعولٌ مُطلق من نفس لفظ الفعل، حينما يكون المفعول مطلق من نفس لفظ الفعل فهو يعني معنى الفعل، يعني هناك وطَهَرَكُم وطَهَرَكُم وطَهَرَكُم، تطهيرٌ للذات وتطهيرٌ للصفات وتطهيرٌ للأفعال، فذواتهم إلهية وصفاتهم إلهية وأفعالهم إلهية.

﴿وَمَا رَمَيتَ إِذ رَمَيتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾ ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى: هذا الرمي صادرٌ من ذات وصفات وأفعال ﴿وَمَا رَمَيتَ إِذ رَمَيتَ﴾ الرمي إذا أردنا أن نُحَلِّلَهُ مرجعيتهُ إلى ذات الرامي إلى صفاتهِ وإلى فعل الرامي ﴿وَمَا رَمَيتَ إِذ رَمَيتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾ وذلك هو الإشراق الإلهي والتجلي الإلهي في هذه الذات الرامية في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حينَ تتجلى الأنوار الإلهية في ذاتٍ فإنها تُطهرها في أعلى درجات التطهير ﴿وَطَهَّرَكُم تَطهيراً﴾ – **عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ، وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ، وَاَذهَبَ عَنكُمُ الرِّجسَ وَطَهَّرَكُم تَطهيراً** – وأعتقد أن هذه العبارة تكفي لتبين لنا منزلة المعصوم في هذه الدنيا وتبين لنا جانباً من شؤونهِ، وذلك إنَّما هو بحسبِ ما نستطيع أن نتصورهُ أو أن نتفهمّه، وإلا إمامنا الرضا يقول: **وكَيفَ يُوصَفُ بِكُلِّه أو يُنعَتُ بِكُنهِه أو يُفهَمُ شيءٌ من أمره.** سادتي آلَ مُحَمَّد: **عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ، وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ، وَأَذهَبَ عَنكُمُ الرِّجسَ وَطَهَّرَكُم تَطهيراً، فَعَظَّمتُم جَلالَهُ** – وكيف لا يُعَظِّمون جلاله وهم وجهه الباقي بعد فناء الأشياء – **فَعَظَّمتُم جَلالَهُ، وَأَكبَرتُم شَأنَهُ** – وأميرُ المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يقول: أنا قلبُ الله الواعي، أميرُ المؤمنين هو قلبُ الله الواعي، مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله هو قلب الله الواعي – **فَعَظَّمتُم جَلالَهُ، وَأَكبَرتُم شَأنَهُ، وَمَجَّدتُم كَرَمَهُ، وَأَدَمتُم ذِكرَهُ** – إدامة الذكر هو وجودهم، ليس الحديث هنا عن إدامة

الذكر بالمعنى العبادي، قطعاً هذا المعنى متحقق فيهم صلوات الله عليهم، وليس بمعنى الذكر القلبي وليس بمعنى الذكر الفعلي أنَّ الإنسان حين يريد أن يَقدِمَ على أمر يذكر الله فيذكر ما يريد منه الله، هذه كلها متحققة فيهم، أما إدامة الذكر هنا فإنها تشير إلى معنىً أبعد من ذلك، وجودهم ووجود الكائنات بوجودهم هو هذا إدامة ذكرِهِ، هذه الكائنات المُسَبِّحة بذكر الله، هذه الكائنات قائمة بهم صلوات الله عليهم وتسبيحها – **بِكُم تُسَبِّحُ الأرضُ التي تحملُ أبدانكم** – إدامة الذكر بمعنىً عميق جداً وحتى هذا المعنى فهو بحسب ما نُدركهُ وبحسب ما نفهمهُ من إشاراتِ كلماتهم، وإلا القضية أعمق وأعمق وأعمق من ذلك بكثير – **وَأَدَمتُم ذِكرَهُ، وَوَكَّدتُم ميثاقَهُ، وَأَحكَمتُم عَقدَ طاعَتِهِ** – والمعاني كلها تلتقي في تلكم الجذور العميقة – **وَنَصَحتُم لَهُ في السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ** – في السر والعلانية، في السر والعلانية إشارة إلى مظاهرهم التي لا نهاية لها، لهم مظاهر في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، هناك مظاهر تقع في أفق العلانية ومظاهر تقع في أفق السر، وحينما أقول في أفق العلانية ليس بالضرورةِ أن تكون منكشفةً لنا وإنَّما هي في أفق العلانية بحسب كُلِّ عالمٍ من العوالم، وهي في أفق السر أيضاً بحسب كُلِّ عالمٍ من العوالم، ما يكون علنياً في هذا العالم يكونُ مناسباً لهذا العالم، وما يكون سرياً في هذا العالم يكون مناسباً لهذا العالم، في عوالم أخرى قد يكون العلني فيها بالنسبة لهذا العالم سرياً وهكذا كُلُّ مرتبةٍ بحسبها.

وَنَصَحتُم لَهُ في السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ، وَدَعَوتُم إلى سَبيلِهِ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ، وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم في مَرضاتِهِ. وبينت هذا المعنى – **وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم في مَرضاتِهِ** – ليس المُراد القضية في حد الجهاد والشهادة وما يقوم به الإنسان في العالم الدنيوي هذه صورة مصغّرة عن بذل أنفسهم في مرضاته، فهم بذلوا أنفسهم في مرضاته إشارة إلى المعنى في الحقيقة المُحَمَّدية التي جادت بكل جودها فكان هذا الوجود – **وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم في مَرضاتِهِ** – لأنه أحبَّ أن يُعرَف فجادت الحقيقة المُحَمَّدية بكل مجالي القدرة كي تُعرف قدرته وكي يتجلى نورهُ سبحانه وتعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرض﴾ هذا النور الذي أشرق في كل جانبٍ من جوانب الوجود، كان نوراً مُشرقاً من الحقيقة المُحَمَّدية الأولى – **وَبَذَلتُم أَنفُسَكُم في مَرضاتِهِ، وَصَبَرتُم عَلى ما أَصابَكُم في جَنبِهِ** – وتقدم الكلام فيها – **وَأَقَمتُمُ الصَّلاةَ، وَآتَيتُمُ الزَّكاةَ، وَأَمَرتُم بِالمَعرُوفِ، وَنَهَيتُم عَنِ المُنكَرِ، وَجاهَدتُم في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ** – وكل هذه العبارات في وجهٍ من وجوهها تشير إلى المعنى الذي يتناسبُ مع العالم الأرضي، وفي الوجوه الأخرى تتناسب مع كل عالمٍ من العوالم الأخرى بحسبهِ – **وَجاهَدتُم في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ حَتّى أَعلَنتُم دَعوَتَهُ، وَبَيَّنتُم فَرائِضَهُ** – والفرائض هي الأمور المفروضة الواجبة، وهذه الفرائض قد تقع في دائرة التشريع وقد تقع في دائرة التكوين، فما المرادُ من التبيين؟ هل هو التبيينُ التشريعي أم التبيينُ التكويني؟

وَبَيَّنتُم فَرائِضَهُ، وَأَقَمتُم حُدُودَهُ – الحدود هي النهايات، والمراد من النهايات الجهات التي تنتهي عندها قوانينُ الباري سبحانه وتعالى – **وَأَقَمتُم حُدُودَهُ** – نهايات مرضاته ونهايات غضبهِ وسَخَطه وتلك هي قوانينهُ وآدابهُ وأعرافهُ وتشريعاتهُ – **وَنَشَرتُم شَرايعَ أحكامِهِ، وَسَنَنتُم سُنَّتَهُ، وَصِرتُم في ذلِكَ مِنهُ إلى الرِّضا، وَسَلَّمتُم لَهُ القَضاءَ** – لأنكم أنتم صورتهُ ولأنكم أنتم وجههُ ولأنكم أنتم يدهُ ولسانهُ وعينهُ الناظرة وأذنه الواعية ولأنكم أنتم نعمتهُ السابغة ونقمته الدامغة كُلُّ هذه المعاني نحنُ نُخاطِبُ بها مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد في زياراتهم الشريفة – **وَصِرتُم في ذلِكَ مِنهُ إلى الرِّضا** – حينَ تتجلون في مظهر النعمة السابغة فهذا من أوضح مصاديقِ معنى الرضا الذي وصلتم إليه، وحين تتجلون في مظهر النقمة الدامغة فذلك أيضاً مصداقٌ آخر ما بينَ الجمالِ والجلال – **وَصِرتُم في ذلِكَ مِنهُ إلى الرِّضا، وَسَلَّمتُم لَهُ القَضاءَ، وَصَدَّقتُم مِن رُسُلِهِ مَن مَضى** – التصديقُ ليس محصوراً بالتصديقِ اللفظي الذي يتفرَّعُ عن التصديق القلبي في العالم الأرضي، فيما بيّنهُ لنا القرآن في حدودهِ اللفظية وما بينهُ لنا النبي الأعظم في سنتهِ الملفوظة، في سُنتهِ الملفوظة أعني بذلك ما يُصطلحُ عليه في علم الأصول بالقول والفعل والتقرير، فالقول والفعل والتقرير كله جاءنا بطريقة اللفظ كيفَ وصلَ إلينا، مرادي من السُنَّة الملفوظة بكل أركانها المعروفة بين المتخصصين في هذا الباب – **وَصَدَّقتُم مِن رُسُلِهِ مَن مَضى** – والتصديقُ الذي أشرتُ إليهِ هو أول مظاهر التصديق أمَّا التصديقُ في المعنى الأعمق أنهم كانوا الحُجَّة والدليل والآية.

معاجز الأنبياء وكرامات الأنبياء إنما هي من فيض مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد والروايات في ذلك كثيرةٌ جداً، معاجز الأنبياء إنما هي من الحقيقة العلوية، كنتُ مع الأنبياء باطناً، أدلتهم، معاجزهم، بيناتهم متفرعة من هذه الحقيقة وذلك هو من أوضح معاني التصديق، بل إننا نجدُ في رواياتنا إن الله سبحانه وتعالى حينَ يُحاسِبُ الأنبياء فإنَّ الأنبياء شُهداء على أُممهم، حينَ يحاسب الأنبياء وحين ترفضُ الأمم بأن تشهد لأنبيائها في مقطعٍ من مقاطع الحساب الله سبحانه وتعالى يطالب كُلَّ أُمَّة بالشهادة لنبيها، فبعض الأنبياء ترفض أممهم أن تشهد لهم فيشهد لهم بذلك مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد صلوات الله عليهم والروايات في كتبنا موجودةٌ بهذا المعنى وبهذا المضمون، لا أريد الدخول في التفاصيل لضيق الوقت، فذلك هو صورةٌ أخرى من صور تصديقهم لهؤلاء الأنبياءِ ولهؤلاء الأولياء والأوصياء – **وَصَدَّقتُم مِن رُسُلِهِ مَن مَضى** – إلى أن تستمر الزيارة في عباراتها – **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ، وَاللاّزِمُ لَكُم لاحِقٌ، والمُقَصِّرُ في حَقِّكُم زاهِقٌ** – الراغب عنكم الذي أعرض عنكم، أعرض عن إمامتكم، أعرض عن توحيدكم، أعرض عن ولايتكم، أعرض عن عقيدتكم، رغبتُ في الشيء يعني تعلقتُ فيه، رغبت عنه يعني أعرضتُ عنه وابتعدت عنه فلا أريدهُ – **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ** – بعد كُلِّ هذه المقامات وبعد كُلِّ هذه الأوصاف وبعد كُلّ هذه الحُجَج الزيارة هنا تحدّثت عن أوصاف

الأئمة وعن مقاماتهم وعن علاقتهم بالله، حين ابتدأت: **وَأَشهَدُ أَنَّكُمُ الأَئِمَّةُ الرّاشِدُونَ**، بعد كُلِّ هذه الأوصاف – **وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ في أَرضِهِ** – الله سبحانه وتعالى جعلهم خلفاء في أرضه وحُججاً على بريته، ثُمَّ تستمر الزيارة فتقول: **عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ**، إلى آخر ما مرَّ من الكلام وهي تتحدَّثُ عن كمالهم، فكيف لا تتحققّ حجيتهم على الخلائق؟! ثُمَّ أنَّهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ماذا فعلوا؟ **فَعَظَّمتُم جَلالَهُ، وَأَكبَرتُم شَأنَهُ**، وتقول الزيارة: **وَدَعَوتُم إلى سَبيلِهِ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ**، وتقول: **حَتّى أَعلَنتُم دَعوَتَهُ، وَبَيَّنتُم فَرائِضَهُ، وَأَقَمتُم حُدُودَهُ**، إلى آخر ما جاء مذكوراً في العبارات السابقة، بعد كل هذه البيانات وبعد كل هذه الأفعال وما أقامه آلُ مُحَمَّدٍ من الحُجَج فهناك من يرغب عنهم، الزيارة تقول: **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ**، المارق: السهم حين يمرق يعني حين يخرج، مَرَقَ السهم حين يخرج من قوسهِ، المارِق هو الخارج المُنفلِت الذي لا يكون منضبطاً – **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ** – مارق يعني خارج، يعني خارج من جادة الله من طريق الله من فطرة الله سبحانه وتعالى – **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ** – هذا واضح، الحديث هنا عن المُخالفين عن النواصب بكل درجاتهم.

الروايات واضحة عندنا، حين يسألون الأئمة من هو الناصبي؟ لا أريد أن أدخل في التعاريف الفقهية، الفقهاء لهم تعاريفهم ويختلفون في هذه القضية، في حديث أهل البيت، أهل البيت وضعوا لنا ميزاناً واضحاً، الرواية في وسائل الشيعة وغير وسائل الشيعة، الروايات عن أهل البيت أنَّهُ من فَضَّلَ الأول والثاني على عليٍّ، مَن فَضَّلَ غير عليٍّ على عليٍّ من الصحابة فهذا هو الناصب، هذا المعنى واضح في روايات أهل البيت، يأتي الفقهاء يجعلون النصب درجات، يُجَمِّلون هذا المعنى، يضيفون شيء، يحذفون شيء هذه قضية في كتب الفقه ويمكن أن نتناولها في مقامٍ آخر لكن القضية الواضحة الصريحة الجلية البينة أيُّ إنسان يُفَضِّلُ أي شخص من الصحابة على عليٍّ فهو ناصبي، هذا المعنى واضح في كلمات أهل البيت، لا يحتاج إلى جدال الروايات صريحة وأنا هنا لستُ بصدد إيراد الروايات، لكن هذا المعنى واضح في كلمات أهل البيت – **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ** – من رَغِبَ عن أهل البيت فهوَ مارِق، والمارق هنا هو الذي خرج من طريق الله خرجَ من ساحة الله، هؤلاء هم الذين ابتعدوا عن أهل البيت – **وَاللاّزِمُ لَكُم لاحِقٌ** – اللازم يعني المُلتصِق بكم المُلازِم لكم، هذه المُلازمة تقتضي أن تكون مُلازمة عقلية وملازمة قلبية ووجدانية وملازمة بدنية ملازمة بالحواس وبالبدن، معنى التقوى، أمير المؤمنين ماذا يقول؟ التقوى: أن يجدك الله في مواضع طاعته، وما هي مواضع الطاعة؟ أليس مُحَمَّد وآل مُحَمَّد؟ وأن يفتقدك عن مواضع معصيته، أن تكون الأبدان بأفعالها والألسنة بأقوالها في ساحة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في خدمةِ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وتلك هي التقوى، وحين نقول بأنَّ عليّاً إمام المتقين المتقون هم هؤلاء الذين يتصفون بهذا الوصف – **وَاللاّزِمُ لَكُم لاحِقٌ** – لاحقٌ بكم وإلا

ليس منكم وإنما هو لاحقٌ مُلحقٌ بكم، فأنتم أنتم ونحنُ نَحنُ، أهل البيت هُم هُم ونَحنُ نَحنُ، حينَ نلتزمُ أهل البيت فإننا سَنُلحَقُ بهم سنكون ملاحق تابعة لهم – **وَاللاّزِمُ لَكُم لاحِقٌ، والمُقَصِّرُ** – المُقَصِّر من هو؟ من شيعة أهل البيت، وإلاّ المخالفون لأهل البيت: **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ**، هؤلاء رغبوا عن أهل البيت، بأي درجة من درجات الرغبة، هناك من يبغض أهل البيت فلا يرغب في أهل البيت، وهناك من يبغض منهج أهل البيت يقول أنا أحب أهل البيت ولكنني أُعرِض عن منهجهم يذهب إلى منهجٍ آخر، وهناك من يبغض أشياعهم، فإنَّكَ لا تجدُ في الناس أحداً يقول إني أبغض مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد، ليس الناصب من أبغض مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد، هكذا تقول رواياتهم، فإنَّكَ لا تجدُ في الناس من يقول بأني أبغض مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد وإنما الناصب من نَصَبَ العداء لكم يا شيعتنا وهو يعلم بأنكم تتولونا وتتبرءون من أعدائنا، هذا المطلب بحاجة إلى تفصيل أنا لا أريد الخوض فيه ربما سيأتينا في الحلقات القادمة الحديث عن قضية الولاية والبراءة – **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ** – هذا الراغب عنكم بكل درجات الرغبة عنهم.

وَاللاّزِمُ لَكُم لاحِقٌ – المُلتَصِق بكم، القول مني قول آل مُحَمَّد فيما أسروا وما أعلنوا أنا ملتصق بهم، من أراد أن يستكمل الإيمان كُلَّ الإيمان فليقل القولُ مني ما قاله آل مُحَمَّد فيما أسروا وما أعلنوا فيما بلغني عنهم وما لم يبلغني، أنا ملتصق بهم، فليقولوا ما يقولوا وليكن ما يكن أنا ملتصقٌ بهم مُلازِمٌ لهم فيما أسروا وما أعلنوا فيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني، أنا حين أعرف أن مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد بهذه الصفة: **عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ، وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ، وَأَذهَبَ عَنكُمُ الرِّجسَ وَطَهَّرَكُم تَطهيراً**، كيف لا ألتصق بهم؟! العقل يدفعني لذلك، الوجدان والضمير والقلب والفطرة وكل ما هو منطقي يدفعني لأن أكون ملتزماً بهم – **وَاللاّزِمُ لَكُم لاحِقٌ والمُقَصِّرُ في حَقِّكُم زاهِقٌ** – الزاهق هو الباطل هو الخارج عن جادة الحق، هناك حق وهناك باطل والزاهق هو الباطل – **والمُقَصِّرُ في حَقِّكُم زاهِقٌ** – أي أنه قد خرج عن الحق عن جادة الحق، دائماً صفة الزهق والزهوق تأتي صفةً للباطل إن كان في الكتاب الكريم أو في كلمات أهل البيت – **والمُقَصِّرُ في حَقِّكُم زاهِقٌ** – من هو المُقَصِّر في حقِّهم؟

المُقَصِّر هو الذي لا يكون حاملاً لصفة اللازم، تقدم الكلام في معنى اللازم، الذي يكون ملاصقاً لهم بعقلهِ وقلبهِ ووجدانهِ وببدنهِ وحواسهِ بكل ما يتمكن، المُقَصِّر في حقهم زاهق، المُقَصِّر هو الذي يُقَصِّر في هذه اللازمية، ليس لازماً لهم في كل شؤونهِ وأحوالهِ، ومن مصاديق هذا المقصِّر هناك الكثير من الشيعة ممن يرسمون حدوداً لأهل البيت بحسب ما يعتقدون هُم لا بحسب ما يقول أهل البيت فيرفضون هذه المقامات وهذه المعاني، نحنُ الآن حين نقرأ في الزيارة الجامعة ونرى هذه المقامات الشامخة لأهل البيت، هُم يُعَرِّفوننا بأنفسهم، القلوب المؤمنة القلوب المُخبِتة هي التي تمتلئ فرحاً وسروراً كلما ازدادت معرفة بمقامات

أهل البيت، أولئك هم اللازمون لأهل البيت الملتزمون بهم، أمَّا المُقَصِّرون أولئك الذينَ يَزِنون الأمور بمقاييس لا ندري من أين جاءوا بها، وكأنهم يقيسون بنفس مقاييس مُخالفي أهل البيت وأولاء كثيرٌ في وسطنا الشيعي، ماذا يقول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في حديث المعرفة بالنورانية؟ يقول وهو يخاطب سلمان الفارسي وأبا ذرٍ الغِفاري:

يا سلمان ويا جُندَب – وجُندب هو أبو ذر – **قالا: لبيكَ يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: من آمنَ بما قلتُ** – وسآتي على كلامهِ الذي قاله، نفس المضامين التي مرت في الزيارة الجامعة وما يأتي منها – **من آمنَ بما قلتُ وصَدَّقَ بما بيّنتُ وفَسَّرتُ وشرحتُ وأوضحتُ ونَوَّرتُ وبرهنتُ فهو مؤمن** – من آمنَ بكل هذه التفاصيل – **من آمنَ بما قلتُ وصَدَّقَ بما بيّنتُ وفَسَّرتُ وشرحتُ وأوضحتُ ونَوَّرتُ وبرهنتُ فهو مؤمن امتحنَ الله قلبهُ للإيمان وشَرَح صدرهُ للإسلام وهو عارِفٌ مستبصر قد انتهى وبَلغ وكَمُل** – من أرادَ أن يستكمل الإيمان، كما مرَّ قبل قليل في الحديث – **قد انتهى وبَلغ وكَمُل** – ومرَّ علينا في رواية أبي بصير، الإمام حين سألهُ: هل عرفت إمامك؟ قال: قبل أن أخرج من الكوفة، قال: حسبك إذاً – **قد انتهى وبَلغ وكَمُل ومن شَكَّ وعَنَدَ وجَحَدَ وَوقفَ وتحَيَّرَ وارتابَ فهو مُقَصِّرٌ وناصب** – الكلام هنا: **والمُقَصِّرُ في حَقِّكُم زاهِقٌ**، المُقَصِّر هو هذا، ممن هو في دائرة الشيعة لكن الحال هذا حالهُ – **ومن شَكَّ وعَنَدَ وجَحَدَ وَوقفَ** – هذه درجات من الناس، هناك من يُشكِّك، هناك من يُعانِد، هناك من يجحد، هناك من يقف على أساس أنه محتاط الأخ – **وتحَيَّرَ** – وهناك من هو متحير، وهناك من هو مرتاب على أساس مُحَقق ومُدقق، فهو مُقَصِّرٌ وناصبي – **ومن شَكَّ وعَنَدَ وجَحَدَ وَوقفَ وتحَيَّرَ وارتابَ** – على أساس مُجَدِّد ومُنفَتِح على عصرهِ، وهذا الفهم الذي يسود طائفة من الناس هذا الفهم الانفتاحي والفهم الحركي وسمي ما شئت من هذه التسميات، يبقى ما بين حركيةٍ وانفتاح وينفتحُ من جهةٍ إلى جهةٍ أخرى ولا ندري إلى أين سيذهب هذا الانفتاح، لأننا تارةً بحسب ما يقولون تارةً نَنفتحُ على القرآن وأخرى ينفتح القرآن علينا، وتارةً ننفتحُ على المخالفين لأهل البيت وأخرى هم ينفتحون علينا، وتارةً ننفتحُ على الإنسانية جمعاه وأخرى الإنسانية جمعاه تنفتحٌ علينا، وكل ذلك في حركيةٍ مستمرة ولا ندري إلى أين ستقودنا هذه الحركية وهذا الانفتاح.

إلى هذا يشير أمير المؤمنين – **ومن شَكَّ وعَنَدَ وجَحَدَ وَوقفَ وتحَيَّرَ وارتابَ فهو مُقَصِّرٌ وناصب** – والزيارة هنا تقول: **والمُقَصِّرُ في حَقِّكُم زاهِقٌ** – الحديث ليس عن النواصب، لكن قد يصل إلى درجة النصب يقول: **فهو مُقَصِّرٌ وناصب** – وإلا النواصب مرَّ ذكرهم: **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ، وَاللاّزِمُ لَكُم لاحِقٌ، والمُقَصِّرُ في حَقِّكُم زاهِقٌ** – **والإمام يستمر يقول: يا سلمان ويا جُندب، قالا: لبيكَ يا أميرَ**

المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: أنا أُحيي وأُميت بإذن ربي، وأنا أُنبِئُكم بما تأكلون وما تَدَّخِرون في بيوتكم بإذن ربي وأنا عالمٌ بضمائر قلوبكم والأئمة من أولادي يعلمون ويفعلون هذا إذا أحَبَّوا وأرادوا – لِماذا؟ – **لأنَّا كُلَّنا واحد أولنا مُحَمَّد وآخِرُنا مُحَمَّد وأوسطنا مُحَمَّد وكُلُّنا مُحَمَّد فلا تُفَرِّقوا بيننا، ونحنُ إذا شئنا شاء الله وإذا كَرِهنا كَرِهَ الله الويلُ كُلُّ الويل لِمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربُّنا لأن من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عزَّ وجلَّ ومشيتهُ فينا** – إلى آخر كلامهِ سنأتي على ذكر مقاطع أخرى من حديث أمير المؤمنين المعروف من حديث المعرفة بالنورانية.

سادتي آلَ مُحَمَّد: فالراغبُ عنكم واللهِ مارق واللازم لكم والله لاحق والمُقَصِّرُ في حقكم واللهِ زاهق – **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ، وَاللاّزِمُ لَكُم لاحِقٌ، والمُقَصِّرُ في حَقِّكُم زاهِقٌ** – علينا أن نتفحص عقائدنا وأديانا من أي صنفٍ نحنُ، هل نحنُ من الراغبين عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد والويل لنا إن كُنَّا كذلك – **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ** – أم نحنُ من اللازمين لهم – **وَاللاّزِمُ لَكُم لاحِقٌ** – أم نحنُ من المقصرين في حقهم – **والمُقَصِّرُ في حَقِّكُم زاهِقٌ** – الزيارة تقول بعد ذلك: **وَالحَقُّ مَعَكُم وَفيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم** – لِماذا لا نلتزمهم؟ لذلك الذين رَغِبوا عنهم مارقون والمقصرون في حقهم ممن يقولوا بأننا شيعة ونُحِبُّ أهل البيت زاهقون، لماذا؟ الزيارة تقول: **وَالحَقُّ مَعَكُم وَفيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم** – العبارة مستمرة – **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ، وَاللاّزِمُ لَكُم لاحِقٌ، والمُقَصِّرُ في حَقِّكُم زاهِقٌ، وَالحَقُّ مَعَكُم** – تلاحظون مُجاورة كلمة الحق لكلمة زاهق، لأن هذا الزاهق هو الذي ابتعد عن الحق – **والمُقَصِّرُ في حَقِّكُم زاهِقٌ، وَالحَقُّ مَعَكُم** – يا آلَ مُحَمَّد – **وَفيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم وَاَنتُم أهلُهُ وَمَعدِنُهُ** – ما المرادُ من الحق؟ هل هو القرآن؟! نعم الحق معهم، عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، عليٌّ مع الحق والحقُّ مع عليّ يدورُ معهُ حيثما دار، هل الحق هو القرآن؟ نعم القرآن حق، في ظاهرهِ وفي باطنه، هل الحق هو الإسلامُ والإيمان؟ نعم الإسلام والإيمان هو الحق، هل الحق هو النور الإلهي المُتجلي في كل موجود؟ نعم هو هذا الحق معهم وفيهم وتحت سيطرتهم وذَلَّ كُلُّ شيءٍ لَكُم، هل الحق هو النور الساطعُ في قلوبهم؟ نعم هذا هو الحق أيضاً، هل الحق هو تجلي الله سبحانه وتعالى في الحقيقة المُحَمَّدية والعلوية؟ نعم هذا هو الحق أيضاً.

الحق كُلُّ ما يرتبطُ بذات الحق، الحقُّ في معناه الأصلي والحقيقي وفي أعمق معانيه هو الله سبحانه وتعالى، الحق هو الله، كُلُّ مجالي الله هي الحق – **وَالحَقُّ مَعَكُم وَفيكُم** – وما رأيتُ شيئاً كما يقول سيد الأوصياء، إلا ورأيت الله معه، ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعدهُ ومعه وفيه، وهم بالدرجة الأولى يرون أنفسهم وذواتهم، إذا كان أمير المؤمنين ما يرى شيئاً إلا ويرى الله قبلهُ وبعدهُ ومعهُ وفيه فبالدرجة الأولى هم يرون

أنفسهم يرون ذواتهم – **وَالحَقُّ مَعَكُم وَفيكُم وَمِنكُم وَإلَيكُم وأَنتُم أَهلُهُ** – هم أهلُ الله هم أهل الحق – **وَمَعدِنُهُ** – وهم معدنُ الحق، كُلُّ معاني الحق في التشريعِ وفي التكوينِ، في عالم الطبيعةِ وفي العوالم العليا، في الملأ الأسفلِ وفي الملأ الأعلى عَبِّر ما شئت من العبارات، في العرش وفي الاستواء على العرش وما بعدَ العرشِ وفي حُجُبِ النور، كُلُّ مظهرٍ من مظاهر الحق هي معهم وفيهم وإليهم صلوات الله عليهم، ويظهرُ ذلك لهم وفيهم في كُلِّ عالَمٍ من العوالم بحسب ذلك العالم – **وَالحَقُّ مَعَكُم وَفيكُم وَمِنكُم وَإلَيكُم وَأَنتُم أَهلُهُ وَمَعدِنُهُ، وَميراثُ النُّبُوَّةِ عِندَكُم وَإيابُ الخَلقِ إلَيكُم** – ميراث النبوة كل النبوات، نبوة النبي هي النبوة الجامعة لكل النبوات وهم وَرِثوا هذه النبوة – **وَميراثُ النُّبُوَّةِ عِندَكُم** – وميراث النبوة هو ميراث العلم والولاية هو ميراث الحقيقة – **وَميراثُ النُّبُوَّةِ عِندَكُم، وَإيابُ الخَلقِ إلَيكُم، وَحِسابُهُم عَلَيكُم** – إيابُ الخلقِ إليكم وحسابهم عليكم، هذا في عالم الدنيا وهذا في عالم الآخرة بل في كل عالمٍ من العوالم، الخلق هنا ليس مخصوصاً بالبشرِ أو بالجنِ أو بالملائكة وإنما بكل مراتب الخلق – **وَإيابُ الخَلقِ إلَيكُم، وَحِسابُهُم عَلَيكُم.**

في سورة الغاشية في الجزء الثلاثين من أجزاء الكتاب الكريم في الآية الخامسة والعشرين وفي الآية السادسة والعشرين ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ الحديث هنا عن البشر، حديث عن الإنس والجن لأن الآية تتحدث عن المجموعات التي مرَّ الكلامُ عنها ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ إلى أن يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ الحديث عن وجوه عاملة ناصبة وعن وجوه ناعمة لسعيها راضية، حديث عن البشر، حديث عن الجان عن الإنس والجن ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ أما الحديث هنا في الزيارة الجامعة الكبيرة أوسع من ذلك، حديث عن كُلّ الخلق – **وَإيابُ الخَلقِ إلَيكُم، وَحِسابُهُم عَلَيكُم** – الزيارة هنا تصدق القرآن والقرآن يصدق الزيارة، أما أولئك الذين قد يتصورون أن تعارضاً بين القرآن والزيارة فهذا من قلة فهمهم للقرآن ومن قلة فهمهم لِما قاله أهل البيت، نحن كيف نفهم القرآن؟ نفهم القرآن هكذا بِمزاجيةٍ أو بمعلوماتٍ نتعلمها من هذا المنهج المخالف لأهل البيت أو من ذلك المنهج البعيد عن أهل البيت؟! أم نرجع إلى أهل البيت لنرى كيف يفهمون القرآن؟!

هذا هو الجزء الثامن من كتاب الكافي الشريف، وهذا هو حديث أهل البيت، الرواية **عن جابرٍ الجعفي عن أبي جعفرٍ عليه السلام عن باقر العلوم قال: قال: يا جابر إذا كان يوم القيامة** – الإمام يحَدِّث جابراً الجعفي – **يا جابر إذا كان يوم القيامة جَمَعَ الله عزَّ وجلَّ الأولينَ والآخرين** – الأولينَ والآخرين

من الجنِ والإنس والملائكة ومن كل ما يمكن أن يُحاسب في يوم القيامة – **جَمَعَ الله عزَّ وجلَّ الأولينَ والآخرين لفصل الخطاب** – لفصل الخطاب يعني لطرح القول الفيصل – **جَمَعَ الله عزَّ وجلَّ الأولينَ والآخرين لفصل الخطاب، دُعيَ رسول الله ودُعيَ أميرُ المؤمنين فيُكسى رسول الله حُلَّةٌ خضراء تَضيءُ ما بين المشرق والمغرب ويُكسى عليٌّ مثلها ويُكسى رسول الله حُلَّةً ورديةً يُضيء لها ما بين المشرق والمغرب ويُكسى عليٌّ مثلها ثُمَّ يصعدانِ عندها** – بعد أن يُكسوانِ الحُلَّة الخضراء والحُلَّة الوردية – **ثم يصعدانِ عندها** – يصعدان إلى المقام المحمود – **ثُمَّ يُدعى بِنا** – يُدعى بآل مُحَمَّد – **فيُدفَعُ إلينا حساب الناس فنحنُ والله نُدخِلُ أهل الجنَّةِ الجنَّة وأهلَ النارِ النَّار، ثُمَّ يُدعى بالنبيين فيُقامونَ صفين عند عرش الله عزَّ وجلَّ حتى نفرغ من حساب الناس فإذا دخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّة وأهلُ النارِ النار بعثَ ربُّ العزةِ عليَّاً فأنزلهم منازلهم من الجنَّة** – له الولاية في الدنيا وفي الآخرة، هو قسيمُ الجنة والنار – **فأنزلهم منازلهم من الجنَّة وزوّجهم** – إمامنا الباقر يقول: **فَعليٌّ واللهِ الذي يُزوِّجُ أهل الجنَّةِ في الجنَّة وما ذاكَ إلى أحدٍ غيره، كرامةً من الله عزَّ ذكره وفضلاً فَضَّلهُ الله بهِ ومَنَّ بهِ عليه، وهو واللهِ يُدخِلُ أهل النار النار، وهو الذي يُغلِقُ على أهل الجنَّةِ إذا دخلوا فيها أبوابها لأن أبواب الجنَّةِ إليه وأبواب النارِ إليه** – يا قسيم الجنَّةِ والنار أدركني يا أبا الغيث يا عليّ أغثني، لكن ماذا نصنعُ للناس وما شأننا والناس.

رواية عن إمامنا الصادق مذكورة في نفس الصفحة في الجزء الثامن، لاحظوا الناس وهذا في كل زمان والتقية لها درجات، ماذا يقول إمامنا الصادق وهو يتحدَّث عن طبقاتٍ من الناس – **إياكم** – وماذا؟– **إياكم وذِكرُ عليٍّ وفاطمة** – لا تذكروا عليَّاً وفاطمة، لِماذا؟ – **فإنَّ الناسَ ليسَ شيءٌ أبغض إليهم من ذكر عليٍّ وفاطمة** – وهذا يمكننا أن نتلمَّسهُ في المُخالفين لأهل البيت في كل مكان، وكذلك يمكننا أن نتلمَّسهُ حتى في أشياع أهل البيت إذا ذكرنا عليَّاً وفاطمة ليس وفقاً للصورة التي هم رسموها لعليٍّ وفاطمة، حين نذكر عليَّاً وفاطمة بحسب الصورة التي رسمها أهل البيت لنا يرفضون عليَّاً وفاطمة، فعليَّ وفاطمة عندهم غير عليٍّ وفاطمة عندنا، هناك من يرسم صورةً لعليٍّ وفاطمة غير الصورة التي رسمها عليٌّ وفاطمة لأنفسهم، هذا هو القول البليغ الكامل، علمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً أقوله إذا زرت واحداً منكم فعلَّمهُ الإمام الهادي المعصوم العاشر من المعصومين صلوات الله وسلامه عليه ما يقولهُ مُخاطباً لآل مُحَمَّدٍ في هذا النص الشريف الذي بين أيدينا، عليٌّ وفاطمة، مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد هذه صورتهم، أمَّا أنتم أيُّها المُقَصِّرون من شيعة أهل البيت ترسمون صورةً أخرى لعليٍّ وفاطمة، هذه الصورة من نسيج خيالكم لا من علم مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد – **وَإيابُ الخَلقِ إلَيكُم، وَحِسابُهُم عَلَيكُم** – إيابُ الخلقِ إليهم لِماذا؟ وحسابهم عليهم لِماذا؟ وهذا ليس

في عالم الآخرة فقط، هذا في عالم الدنيا وفي عالم الآخرة وفي كُلِّ عالمٍ من العوالم لماذا؟ لأنَّ لكلِ موجودٍ زِمام وأزمَّةُ الموجودات هي بأيديهم، ومن يمسك أزمَّة الموجودات فإنَّه هو الذي سيرجعُ إليه كل شأنٍ من شؤونها وسيكون الحساب على يديه وبيديه، الذي يمسك بزِمام الفرس هو الذي سترجعُ إليهِ الفرس، لأن الزِمام بيدهِ وهو الذي سيكون متصرفاً بشأنها ويكون مُحاسباً لها في كل أمورها، لأن لكل موجودٍ زِمام، آخِذٌ بناصيتها، هناك أخذٌ لناصية كل موجود، آخِذٌ بناصيتها، الله سبحانه وتعالى آخِذٌ بناصيةِ كُلِّ موجود، والأخذُ بناصية كُل موجود هو الأخذُ بزِمامه، الناصية ما هي؟

الناصية هي الجبهة أو مُقَدَّمُ الشعر الموجود في رأس الإنسان فحينما يؤخذُ بناصية الإنسان يُجَرُّ من شعرهِ، حينما نمسك بشعر الإنسان من مقدم رأسهِ ونجرهُ فهو بشكلٍ لا إرادي سيأتي معنا سينجَرُّ باتجاهنا، ناصيةُ الموجود هو زِمامهُ هو سنخية وجودهِ، أليس بين العلة والمعلول هناك سنخية، ما يسمى بقانون السنخية، وحدة السنخية بين العلة والمعلول، ناصية كُلِ موجود هي سنخيتهُ هي السنخية الموجودة فيه، يعني العلاقة التي تربطه بالعلة هناك شيءٌ ذاتي في المعلول وهو السنخية تربطهُ بالعلة هذه هي ناصية الموجود زمام الموجود، وهم يمسكون بأزمَّة الموجودات فلذلك القضية غير مرتبطة بيوم القيامة، قضية يوم القيامة هذا شأنٌ من شأنِ إيابِ الخلقِ إليهم، القضية أبعد من ذلك وأوسع - **وَإِيابُ الخَلقِ إلَيكُم، وَحِسابُهُم عَلَيكُم** - سيقولون هذا غُلُو فليقولوا، ليس مُهمّاً، هذا كلامُ آلُ مُحَمَّد - **وَإِيابُ الخَلقِ إلَيكُم، وَحِسابُهُم عَلَيكُم، وَفَصلُ الخِطابِ عِندَكُم** - فصل الخطاب: القول الفيصل، القول القاطع، القول البيّن - **وَآياتُ اللهِ لَدَيكُم** - آياتُ الله لديهم وهم آياتُ الله لكنَّ لهذه الآيات مظاهر سيأتينا الكلام عن المظاهر وتَعَدُّد المظاهر ربما في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى - **وَآياتُ اللهِ لَدَيكُم، وَعَزائِمُهُ فيكُم** - العزائم قد تكون أسماً لمجموعة من السور في القرآن تسمى بسور العزائم، لها أحكام معروفة في الكتب الفقهية، السور التي وردت فيها آيات يجبُ إذا ما قُرئت هذه الآيات يجب على قارئ هذه الآية أن يسجد، السجدات الواجبة في القرآن هناك أحكام شرعية مرتبطة بالسور العزائم، العزائم قد تُطلق على سور معينة في القرآن تسمى بالسور العزائم، والعزائم تُطلق كذلك على كُلِّ الآيات القرآنية الواضحة والصريحة وهي المُحكمات التي بيّنت لنا الحدود الواجبة إن كان في جانب العقيدة أو في جانب الأخلاق أو في جانب الأحكام الشرعية.

العزائم يعني الفرائض، والعزائم في دلالةٍ أعمق وأبعد غوراً العزائم هو كُلُّ حقيقةٍ لابد منها، كُلُّ شيء ذاتي لابد منه هو عزيمة - **وَعَزائِمُهُ فيكُم** - لأن الكلام كان قبل قليل عن أنهم يمسكون بأزمَّة الموجودات، يأخذون بنواصي الموجودات - **وَعَزائِمُهُ فيكُم** - عزائمهُ فيكم هي هذه الجهة التي بسببها الله سبحانه وتعالى وضعَ عزائمهُ أي وضعَ قُدرتهُ الواجبة التي تتعلق بها كُلُّ الأزمَّةِ فتنقادُ إليهم، ولذلك في الزيارة

الرضوية: **بهم تَحَرَّكت المُتحرِّكات وسَكنت السواكِن، بهم سكنت السواكن وتحرَّكت المُتحركات،** ونَحنُ نَزورُ بها الإمام الرضا: بهم سكنت السواكن وتحرَّكت المُتحركات، إشارة إلى أن أزِمَّة الأشياء، سواكن مُطلق ومتحرك مُطلق، مُطلق المتحركات ومطلق السواكن، بهم سكنت السواكن وتحرَّكت المُتحركات يعني أنَّ أزِمَّة السواكن وأزِمَّة المُتحرِكات بأيديهم وتلك هي عزائمُ الباري فيهم، أن الله سبحانه وتعالى وضع فيهم الحقيقة التي يجب على كل الموجودات أن تنقاد إليهم – **وَآياتُ اللهِ لَدَيكُم، وَعَزائِمُهُ فيكُم، وَنُورُهُ وَبُرهانُهُ عِندَكُم** – وفي كل طبقةٍ من طبقات الوجود، أنا إذا وقفت عند كل كلمة وشرحت كل كلمة فذلك يحتاج إلى وقتٍ طويلٍ جداً لكنني أعتمدُ على ذكائكم يا أحباب عليٍّ وآل عليّ ولا يوالي عليَّاً وآل عليّ إلا الأذكياء، ولا يعرف عليَّاً وآل عليّ بهذه المعرفة إلا الأذكياء الذين نَوَّرَ الله قلوبهم وبصائرهم، أنا أعتمد على ذكائكم في فهم بقية المعاني وإن شاء الله إذا سنحت فُرَص أخرى أتناول بعضاً من هذه التفاصيل.

وَآياتُ اللهِ لَدَيكُم، وَعَزائِمُهُ فيكُم، وَنُورُهُ وَبُرهانُهُ عِندَكُم – وبعبارةٍ مختصرة: **وَأَمرُهُ إلَيكُم** – كُلُّ هذا الذي مَر يمكن أن نختصرهُ في هذه الكلمة، وهذا هو فصل خطابٍ في الزيارة، قبل قليل مَرَّ علينا: **وَفَصلُ الخِطابِ عِندَكُم** – أليسَ هذا هو كلامُ الإمام العاشر صلوات الله عليه؟! من جملة فصل الخطاب هي هذه الكلمة: **وَأَمرُهُ إلَيكُم** – أمرهُ كُلُّ أمره إليكم، أمرهُ إليكم، ما تقدمَ كُلُّه تفصيل، عبارة وأمرهُ إليكم هو طي لكل المعاني المتقدمة، تقدمَ الكلامُ في الطي والنشر ولم أُكمِل الحديث أحاول أن أُكمِل الحديث في معنى الطي والنشر في قانون الطي والنشر في القسم الثاني من هذه الحلقة – **وَأَمرُهُ إلَيكُم** – أمره إليكم هذه الكلمة هذه الجملة طوت كل ما تقدم من المعاني، حينَ نقول: **وَميراثُ النُّبُوَّةِ عِندَكُم، وَإيابُ الخَلقِ إلَيكُم، وَحِسابُهُم عَلَيكُم، وَفَصلُ الخِطابِ عِندَكُم، وَآياتُ اللهِ لَدَيكُم، وَعَزائِمُهُ فيكُم، وَنُورُهُ وَبُرهانُهُ عِندَكُم** – كيف نجمع هذه المعاني؟ نجمعها بهذه الكلمة، وهذا هو مصداق من مصاديق فصل الخطاب عند أهل البيت – **وَأَمرُهُ إلَيكُم** – من فصل الخطاب اللفظي، فصل الخطاب له معانٍ، لكن من مصاديق فصل الخطاب اللفظي عند أهل البيت هذه العبارة: **وَأَمرُهُ إلَيكُم**، أنا يمكنني أن أكتفي فأقول يا آلَ مُحَمَّد وأمرُ الله إليكم، وينتهي كُلُّ شيء، كُلُّ المعاني المتقدمة فإنها تُطوى في هذه الفقرة: **وَأَمرُهُ إلَيكُم**، لذلك بعد هذا النشر والطي في البداية نُشِرت المعاني ثم طُويت فانتقلت الزيارة إلى حقيقة واضحة – **مَن والاكُم فَقَد والَى اللهَ** – موالاتكم هي موالاتهُ ومُعاداتكم هي معاداته، فأنتم وجههُ وعينه وقلبه صلوات الله عليكم.

مَن والاكُم فَقَد والَى اللهَ، وَمَن عاداكُم فَقَد عادَى اللهَ، وَمَن أَحَبَّكُم فَقَد أَحَبَّ اللهَ، وَمَن أَبغَضَكُم فَقَد اَبغَضَ اللهَ – أمرهُ إليكم، لا فرق بينك وبينها إلاّ أنَّهم عبادك وخلقك، هم أحبائه وهم أدلائه وهم أمنائه وهم آياته وهم وهم والعبارات تنتهي وفضلُ آلُ مُحَمَّدٍ لا ينتهي، العبارات تنتهي وأنا أنتهي وأنت

تنتهي والخلائق تنتهي والعلم ينتهي والفضل ينتهي والدنيا تنتهي وكل شيءٍ ينتهي وآلُ مُحَمَّد لا ينتهون ﴿ وَيَبقَى وَجهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكرَامِ ﴾ ﴿ كُلُّ مَن عَلَيهَا فَانٍ * وَيَبقَى وَجهُ رَبِّكَ ﴾ وهم وجه ربك الباقي بعد فناء الأشياء – **مَن والاكُم فَقَد والَى اللهَ، وَمَن عاداكُم فَقَد عادَى اللهَ، وَمَن أَحَبَّكُم فَقَد أَحَبَّ اللهَ، وَمَن أَبغَضَكُم فَقَد اَبغَضَ اللهَ** – ثُمَّ تأتي عبارة فتجمع هذا المعنى، نشرٌ وطي، هذا نشر: من والاكم، من عاداكم، من أحبَّكُم – **وَمَنِ اعتَصَمَ بِكُم فَقَدِ اعتَصَمَ بِاللهِ** – هذا الاعتصام، كيف نعتصمُ بشيءٍ ونحن لا نُحِبُّهُ؟! كيف نعتصم بشيءٍ ونحنُ نُبغِضُهُ؟! كيف نعتصم بشيءٍ ونحنُ لا نواليه؟! كيف نعتصم بشيءٍ ونحن نُعاديه؟! نحن لا نستطيع أن نعتصم بشيءٍ إلا ونحنُ نُحِبُّهُ ونُحِبُّ من يُحِبُّه، ولا نستطيع أن نعتصم بشيءٍ، اعتصام التصاق لجوء تمَسُّك، لا نستطيع أن نفعل ذلك حتى نُحِبَّ ذلك الذي نعتصم به ونوالي ذلك الذي نعتصم به، نوالي أوليائه ونُعادي أعدائه ونُحِبُّ أحبّته ونُبغِضُ مبغضيه، لذلك هذا نشرٌ: **مَن والاكُم** – آلَ مُحَمَّد – **فَقَد والَى اللهَ، وَمَن عاداكُم فَقَد عادَى اللهَ، وَمَن أَحَبَّكُم فَقَد أَحَبَّ اللهَ، وَمَن أَبغَضَكُم فَقَد اَبغَضَ اللهَ، وَمَنِ اعتَصَمَ بِكُم فَقَدِ اعتَصَمَ بِاللهِ** – من اعتصم بهم فقد اعتصم بالله لأنهم عينُ العصمةِ وحقيقة العصمة.

ليس العصمة يا أحباب أهل البيت أن نتحدَّث أن المعصوم يترك الأولىَ أو لا يترك الأولىَ، هل أنَّه يقع في مخالفة النهي الإرشادي أو النهي التنزيهي أو النهي التعريضي هذه معاني سطحية من العصمة، هذه هي عصمة أهل البيت، أنَّ من أحبَّهم أحبَّ الله، أهلُ البيت لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك، هذه هي عصمة أهل البيت، وسيتضحُ هذا الكلام في ملفِّ العصمةِ إن شاء الله تعالى بعد أيام قلائل إن بقينا أحياء ووفقنا لبيان هذه الحقائق بتوفيقٍ من إمام زماننا من بيدهِ أزِمَّة الموجودات صلوات الله وسلامه عليه – **وَمَنِ اعتَصَمَ بِكُم فَقَدِ اعتَصَمَ بِاللهِ** – ثُمَّ تُبين لنا الزيارة الشريفة – **أَنتُمُ الصِّراطُ الأقوَمُ** – وفي بعض النُسَخ: **أَنتُمُ السّبيلُ الأَعظَم والصّرِاطُ الأَقوَم وَشُهَداءُ دارِ الفَناءِ وَشُفَعاءُ دارِ البَقاءِ**، دارُ الفناء ليس المراد منها الدنيا فقط وإنما هذا العالم فيه مراتب تسمى بدار الفناء وفيه مراتب تسمى بدار البقاء، هناك جانب من هذا العالم سيفنى وهناك جانب من هذا العالم سيبقى، جانب من الوجود سيفنى وجانبٌ من الوجودِ سيبقى، فهم شهداء دار الفناء وهم شفعاءُ دار البقاء، حين أقول يفنى فإنَّه يتبدل ويتغير، هناك جزءٌ من هذا الوجود سيفنى ذلك الجزء ليكون بشكلٍ آخر ليترقى ويرتقي إلى شكلٍ آخر، تفنى مراتبهُ السابقة وتبقى مراتبه اللاحقة.

هم شهداءُ دار الفناء، المراتب الفانية هم شهدائها وهم شفعاء المراتب الباقية – **وَشُهَداءُ دارِ الفَناءِ، وَشُفَعاءُ دارِ البَقاءِ، وَالرَّحمَةُ المَوصُولَةُ** – الرحمة التي لا انقطاع لها، رحمتي سبقت غضبي وكان هذا الوجود

موجوداً برحمة الله سبحانه وتعالى، حين نقرأ في دعاء كميل، الدعاء المَروي عن سيد الأوصياء: **اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك بِرَحمَتِكَ التي وَسِعَت كُلَّ شيء**، نفس الدعاء يقول: **وبأسمائك التي مَلأت أركانَ كُلَّ شيء**، نفس الدُّعاء يقول: **وبِنورِ وجهكَ الذي أضاء له كُلُّ شيء** – وجهه هم – **وبأسمائك التي ملأت** – أسماء الله هم، ورحمة الله هم – **اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك بِرَحمَتِكَ التي وسعت كل شيء** – هذه الرحمة الموصولة هم، وهم الذين ملئوا أركان كل شيء، بأسمائك – **وَبنورِ وَجهِكَ الّذي أضاءَ لَهُ كُلُّ شيء** – حتى صار الوجود مُشرِقاً يسطعُ – **يا نورُ يا قُدوس** – هذا هو نداءُ الموجودات حين أضاءت بنور وجهك المُشرِق – **وبنور وجهك الذي أضاء له كُلُّ شيء، يا نورُ يا قُدوس يا أول الأولين ويا آخر الآخرين** – هذا النور الذي أضاء في جنبات الوجود فسبَّحَ الوجودُ بكُلّهِ.

يا نورُ يا قُدوس – **وَالرَّحمَةُ المَوصُولَةُ** – اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ برحمتكَ التي وَسِعت كُلَّ شيء – **وَالآيَةُ المخزُونَةُ** – هم آية مخزونة في كُلِ موجود، حين يقول عليٌّ صلوات الله عليه: ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ الله قبله وبعدهُ ومعه وفيه، وقبل قليلٍ ونحنُ نقرأُ في الزيارة: **وَالحَقُّ مَعَكُم** – والحقُّ هو الله – **وَالحَقُّ مَعَكُم وَفيكُم وَمِنكُم وَإلَيكُم** – الحقُّ هو الله وكُلُّ مجالي الله هو الحق، ما تجلى من الله فهو الحق، ليس هناك في هذا الوجود إلا مجاليه سبحانه وتعالى، هل يوجد له شريك؟ هل يوجد له نظير؟ هل يوجد له نِد سبحانه وتعالى؟ كُلُّ شيءٍ راجعٌ إليه وكلّ شيءٍ عائدٌ إليه وكُلُّ شيءٍ بيدهِ، وما من مخلوقٍ وما من موجودٍ إلا وهو آخذٌ بناصيته جلَّت قُدرتهُ وتعالى شأنه وتقدَّس، وقد تجلَّت هذه القدرة في الحقيقة المُحَمَّدية التي أشرقت بكل هذه المعاني التي نتحسسها والتي لا نتحسسها، التي نعلمها والتي لا نعلمها، فكانت هناك دارُ الفناء وكانت هناك دارٌ للبقاء، فكان أهل البيت هم شهداءٌ لدار الفناء وهم شفعاءٌ لدار البقاء، الآية المخزونة هي حقيقتهم المُتجلية في كُلِّ موجود، فهم آية الله المَخزونة في باطن الأشياء وأنا أتحدَّثُ عن نوريتهم الأولى لا أتحدَّثُ عن وجودهم الأرضي البشري الذي كان يدورُ في تأريخٍ معين.

أئمتنا الذين ولدوا في تواريخ معينة وتوفوا في تواريخ معينة استشهدوا، الذين وُلدوا من آباء معينين وأمهات معينات هؤلاء هم الصورة الأسمى لتلكم الحقائق النورية، حقائقهم الأولى لا يمكن أن تكون في العالم الأرضي، العالم الأرضي عالم ضيق فحين أتحدَّث إني أتحدَّث عن الكلمة الأولى التي تجلت فيها كُلُّ قدرة الباري، الله سبحانه وتعالى حين أحَبَّ أن يُعرف فبأي شيءٍ يُعرف؟ لابد أن يتجلى بما يتناسب وشأن الباري، الذي يتناسب وشأن الباري أن يتجلى بكل جماله، اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك من جمالك بأجملهِ وأجمل الجمال أين تجلى؟ هل تجلى فينا نحنُ أم تجلى في الحقيقة الأولى، أجمل الجمال تجلى في الحقيقة الأولى، ثُمَّ الحقيقة الأولى الحقيقة المُحَمَّدية تجلَّت بكل شيء في كُلِ عالمٍ بحسبهِ، لا يذهبُ بكم التصور بأنني أتحَّدث

عن أجسامٍ أرضية، الأجسام الأرضية أيضاً لها فضلها ومنزلتها وهي أبوابٌ توصلنا إلى هناك، الأجسام الأرضية أهل البيت في عالمهم الأرضي محكومون بهذا العالم الأرضي ومع ذلك فإنَّ الكثير من المعاني الموجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة تتحدث عن وجودهم في العالم الأرضي، لكنَّ وجودهم في العالم الأرضي إنما هو بابٌ يوصلنا إلى حقائقهم النورية الأولى والتي هي أسمُ الله الأعظم الذي خلقهُ فاستقرَّ في ظِلِّهِ فلا يخرجُ منهُ إلى غيره – **وَالرَّحمَةُ المَوصُولَةُ، وَالآيَةُ المخزُونَةُ، وَالأمانَةُ المحفُوظَةُ** – الأمانة المحفوظة أيَّةُ أمانة هذه؟

عهد الولاية أمانة محفوظة في رِقابنا وفي أعناقنا، عهد النبوة والإمامةِ والولاءِ لِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد عقيدةٌ محفوظةٌ وأمانةٌ محفوظةٌ في قلوبنا، هُم آيةٌ مخزونة وأمانةٌ محفوظة، هذه الأمانة التي عُرِضت على السماوات والأرض وعُرِضت على كُلِ الوجود، هذه الأمانة عُرِضت على السماوات والأرض فوجدت السماوات والأرض بسبب هذه الأمانة، هناك عرضٌ آخر للأمانة حين أبينَ أن يحملنها، حين عُرِضت الأمانة على السماوات والأرض وأبينَ أن يحملنها هذا عرضٌ متأخر، العرض الأول للأمانة على السماوات والأرض الذي كان سبباً لوجودها لولا أن السماوات والأرض قَبِلت بالأمانة لَمَا وُجِدت، هذه أمانة الوجود وتلك أمانةٌ محفوظةٌ في كل موجود – **وَالآيَةُ المخزُونَةُ، وَالأَمانَةُ المحفُوظَةُ، وَالبابُ المُبتَلى بِهِ النّاسُ** – هم بابٌ أمتُحِنَ به الناس، امتحانُ خيرٍ لا امتحان شر – **وَالبابُ المُبتَلى بِهِ النّاسُ** – الابتلاء ليس دائماً يُنظَرُ إليه في عنوان الضيق والأذى، نحن حين نتحدَّث مع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم في نفس الزيارة الجامعة الكبيرة: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي كَيفَ أَصِفُ حُسنَ ثَنَائِكُم وَأُحصِي جَمِيلَ بَلائِكُم**، جميلَ البلاء يعني جميل جمالهم يعني جميل حُسنهم جميل فضلهم، ليس البلاء دائماً يُراد منه ما يكون عنواناً للأذى، هذا أحد معاني البلاء: كَيفَ أَصِفُ حُسنَ ثَنَائِكُم وَأُحصِي جَمِيلَ بَلائِكُم – **وَالبابُ المُبتَلى بِهِ النّاسُ** – الباب الجميل الذي يُمتَحَنُ به الناس لكن ماذا تصنع لأُناسٍ يبحثونَ عن المزابل، ذوقهم في المزابل، ماذا تصنع لهؤلاء؟

ماذا تصنع لأُناسٍ يتركون الرياحين والورود والرياض الغنَّاء فيذهبونَ إلى المراحيض، ماذا تصنع لهم، وكُلُ جنسٍ لاحقٌ بجنسهِ، كُلُّ جنسٍ لاحقٌ بجنسهِ هذه قضية طبيعية يشهد بها الواقع، ومن باعُ دُرَّاً على الفَحَّام ضَيَّعَهُ، أنتَ إذا تعطي درة إلى الفَحَّام ما إن يُمسكها بيدهِ حتى يُسَخِّم هذه الدُّرة تصبح سوداء من السخام والسواد والوسخ الموجود بيدهِ من الفحم، إذا وقعت على ثيابه اسودّت الدُرة، الدُّرة هي اللؤلؤة، اللؤلؤة البيضاء، إذا وقعت في دُكانهِ اسودّت، إذا أمسكها بيدهِ اسودّت، إذا وقعت على ثيابهِ اسودّت، إذا وقعت على الفحم الذي يعملُ به اسودّت، إذا وقعت في أي جزءٍ من أجزاء هذا الفحَّام ودُكانهِ ومحله ومعملهِ فإنَّ

الدُّرة ستضيع، من باع دُراً على الفَحَّام ضيَّعه، ما أن يمسك بها حتى تصبح سوداء يتصور أنها فحمة صغيرة ليس لها قيمة – **وَالبابُ المُبتَلى بِهِ النّاسُ** – الباب الجميل باب الحُسن باب البهاء ولكن ماذا تصنع لأُناسٍ هُم عديموا الذوق، لأُناس يستأنسون بالروائح الكريهة لا يحبُّون الروائح الطيبة، وللناس فيما يعشقون مذاهب ألا يقول هذا الشاعر:

إني أحبها شمطاء شاب وليدها

شمطاء يعني عجوز، عجوز قبيحة في غاية القُبح، شمطاء شاب وليدها يعني وليدها يعني أصغر أطفالها هو شايب، إني أحبها شمطاء شاب وليدها، وللناس فيما يعشقون مذاهبُ، إذا كان إنسان ذوق (سرّ) ماذا تصنع له؟ – **وَالبابُ المُبتَلى بِهِ النّاسُ** – تستمر الزيارة بعد ذلك – **مَن أَتاكُم نَجا، وَمَن لَم يَأتِكُم هَلَكَ** – هذا نتركهُ للحلقة القادمة في يوم غد، هذا بيان مختصر وموجز لهذه العبارات من الزيارة الجامعة الكبيرة وإلا المطلب بحاجة إلى توضيح أكثر من هذا لكنني أحاول أن ألملم أطراف الحديث حتى أَصِلَ بكم إلى نهاية الزيارة مع نهايات ومع نهاية حلقات هذا البرنامج، في قابل الأيام إذا جرت الأمور بأسبابها وكان لنا توفيق أن نعود مرة ثانية لأن نفصل أكثر في الأجزاء التي لم يسمح المقام بتفصيل القول فيها أتمنى أن يكون ذلك وأفَصّل القول أكثر وأكثر في الأجزاء التي طويتُ كشحاً عنها.

قبل قليل أشرت وقلت بأنني سأجعل الجزء الثاني من البرنامج وإن كان وقت البرنامج كما تُشيرُ إليَّ الساعة بأنه صار قريباً وشيكاً من النهاية ولكنني سأحاول بقدر ما أتمكن من الحديث في هذه المسألة وربما أتجاوز الوقت، هناك الكثيرون يقولون بأنني أطيل الكلام في برامجي وهذه حقيقة وأنا أعلمُ بذلك ولكن ماذا نصنعُ للوقت وكيف نستطيع أن نُبين هذه الحقائق، إني لآسفُ كثيراً على الكثيرين من شيعة أهل البيت أن يعيشوا في هذه الدنيا ولا يسمعون بمثل هذه المعاني وبمثل هذه المضامين التي وضعها لنا أهل البيت ونقلها لنا رواة حديث أهل البيت وسُفِكت دمائهم وطارت الرؤوس في سبيل هذه الأحاديث التي ضُيِّعت في هذا العصر والذين ضيعوها هم الشيعة أنفسهم.

كانَ الحديثُ في مسألة الطي والنشر ومرت مصاديق وهذا القانون قانون الطي والنشر يمكن أن نجد له مصاديق في حديث أهل البيت في زياراتهم في أدعيتهم في خُطَبهم في كلماتهم في كلِّ ما جاءنا عنهم، أنا تحدثت عن مسألة الطي والنشر وذكرتُ مثالاً بشكل سريع حتى يكون الكلام متسلسل، ذكرتُ مثالاً قولياً فقلتُ بأنَّ الإنسان الذي يبدأ بعملية الزراعة بنفسهِ وجميع المراحل حتى يصل إلى مرحلة الطبخ يطبخ الطعام ويأكله، يعني من بداية الزراعة إلى الطبخ كُل هذه العمليات قام الإنسانُ بها بنفسهِ، فمرةً يقول الإنسان إنَّي أطعمتُ نفسي وهذا هو الطي، طوى كُلَّ المعاني في هذه العبارة ومرةً يقول: إني حرثتُ الأرض وزرعت وسقيت وَ ... وَ ... إلى أن يقول وطبخت وأكلت، وصببت الطعام في الإناء ثم أكلته ولِكتهُ، وحتى يمكن

أن يقول وهضمت الطعام في معدتي إلى آخر ما يمكن أن يقول وهذا نشر، كما مرَّ قبل قليل علينا، مثلاً: من والاكم، من أحبكم، من عاداكم، من أبغضكم ثُمَّ جُمِع هذا الكلام: ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله، أو ما مرَّ علينا قبل قليل: وأمرهُ إليكم، هذه العبارة طوت جميع ما قبلها، وذكرت مثالاً تكوينياً بالنسبة للإنسان حينما ينزل الطعام في معدتهِ وحتى يصل إلى مرحلة الكيموس وبعد ذلك يأتي الدم فيأخذ هذا الطعام فينشره يقوم بعملية نشر إلى كل خلية، فهناك طيٌّ وهناك نشر، ما قامت به المعدة بمثابة الطي وما قام به الدم بمثابة النشر، هناك طيٌّ ونشر في عالم التكوين، ثم تحدثت بعد ذلك عن قضية آصف بن برقيا أو برخيا في قضية نقلهِ لعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين وكان الحديث عن طي الزمان والمكان، فهناك طيٌّ للزمانِ والمكان وهناك نشرٌ للزمانِ والمكان، طي الزمان والمكان هو تصرفٌ في البُعد المُجرد للمادة.

المادة لها أكثر من بُعد وذكرت مثال قضية قطعة الثلج التي لا نستطيع أن ندخلها في القنينة مع أن القنينة كبيرة لكن لأن فوهة القنينة صغيرة، ألا يقال في عنق الزجاجة أن القضية وصلت إلى عنق الزجاجة يعني في مكان ضيق، لكننا لو جئنا إلى قطعة الثلج فعرضناها للحرارة وحولناها إلى حالة سائلة حينئذٍ يمكننا أن نُدخِلَ الماء في هذه القنينة، لماذا؟ تعاملنا مع البُعد السائل، البُعد الأول كان البُعد الجامد للمادة حينما كان الماء ثلجاً، في بُعدها الجامد لا نستطيع أن نتعامل معها، بحكم الولاية التكوينية الموجودة عندنا، الله مكننا أعطانا القدرة تكويناً على أن نُحَوِّل الماء الجامد إلى ماء سائل، فاستعملنا الولاية التكوينية الموجودة عندنا وبحَسبِنا، الولاية التكوينية على درجات، فنقلنا الماء من بُعدهِ الجامد إلى البُعد السائل أدخلناه في القنينة، الآن لو أردنا أن نُحَوِّل الماء من بُعدهِ حالتهِ السائلة إلى الحالة الغازية فإنه سوف لن يكون محفوظاً وباقياً في القنينة، لماذا؟

لأنَّهُ تَحَوَّلَ إلى بُعد آخر، أيضاً بولايتنا التكوينية حولناه إلى بخار إلى بخار ماء إلى غاز إلى حالة غازية، مثل ما علماء الفيزياء والكيمياء وصلوا في حال من الحالات إلى معرفة أسرار المادة في بُعدها الجزيئي وفي بُعدها الذري ثم تطورت القضية إلى أن الإنسان ذهب إلى البُعد النووي للمادة ففجَّر الطاقة النووية من الذرات ومن النواة والنوية من خلال تفجير طاقة محتويات الذرة بإلكتروناتها وبروتوناتها ونيوتروناتها وسائر ما فيها من طاقة، الإنسان وصل إلى البُعد النووي تعامل مع البُعد النووي، الآن الإنسان وصل إلى البُعد النانوي، البُعد النانوي للمادة حين يصل إلى تقسيم المادة إلى نسبة واحد إلى مليار من المتر، حين نقسم المتر إلى مليار جزء، واحد من المليار هو هذا الذي يسمى النانوميتر، إذا تُقَسَّم المادة إلى هذا البُعد يستطيع الإنسان أن يغير المادة إلى نحوٍ آخر هذا بُعدٌ آخر، وهناك البُعد الليزري، البُعد الليزري الآن هو قيد الدراسة وهو حينما تخضع المادة لقدرة أشعة الليزر يمكن نقل المادة من مكان إلى آخر، يعني أن تضع شيئاً، أن تضع مثلاً صخرة أو حجراً أو إنساناً أو مخلوقاً فَتُسَلَّط عليه حُزمة من الضوء الليزري فيمكن أن يُنقل عن طريق الضوء

الليزري من هذا المكان إلى مكانٍ آخر، والقضية قيد الدراسة وهناك تجارب أُجريت لاقت شيئاً من نجاح في هذا الطريق والموضوع موضوع علمي معروف، البُعد الليزري وأبعاد أخرى في هذه المادة أنا هنا لا أريد الحديث عن الفيزياء أو عن الكيمياء أو عن النانو تكنولوجي أو عن أي شيءٍ آخر، هذه أمثلة مُقَرِّبة، أريد أن أقول بأن المادة لها أبعاد كثيرة، مثل ما للمادة أبعاد مادية هناك أبعاد مجردة، يعني هذا البُعد النانوي والبُعد الليزري يكاد أن يكون بُعداً برزخياً بين المادة والبُعد المُجَرَّد، قريب من البُعد المُجَرَّد، هناك أبعاد مُجردة البعض يصطلح عليها البُعد الرابع، وأنا الحقيقة لا أريد أن أقول البُعد الرابع يشيرون إلى البُعد المُجرَّد لأن المادة فيها أبعاد كثيرة، هؤلاء الذين يقصدون بالبُعد الرابع في مقابل الطول والعرض والارتفاع، المادة فيها أكثر من هذه الأبعاد هذه أبعاد هندسية.

الطول والعرض والارتفاع أبعاد هندسية ونحن نتحدث عن المادة في كل أبعادها، البعد النووي بُعد في المادة، البُعد النانوي بُعدٌ في المادة، البُعد الليزري وأبعاد أخرى، وهناك بُعد مُجَرَّد أبعاد مُجَرَّدة، عملية النشر والطي حدثت في البُعد المُجَرَّد في قصة آصف بن برقيا، لذلك الرواية ماذا قالت؟ التقت القطعتان، يعني أنَّ أهل اليمن لم يكونوا قد انتقلوا إلى فلسطين ليست هناك قطعة من أرضٍ يمانية انتقلت إلى فلسطين، يعني أنَّ أهل اليمن ما أحسوا بشيء وأهل فلسطين ما أحسوا بشيء، قبل أن يرتد إليه طرفه كان عرش بلقيس حاضراً، هذا تصرف في البُعد المجرد للمادة، عملية الطي والنشر تحدث في هذا البُعد، مثل عملية مثلاً مشي عيسى على الماء مشي الأنبياء والأولياء أصحاب الكرامات على الماء فإنَّ الماء لم يجمد، يعني لو مشى شخص آخر في نفس اللحظة التي مشى فيها عيسى سيغرق لماذا؟ لأنَّ الماء لم يكن قد جَمَد لم يكن قد تحول إلى أرض يابسة، ولو أمسك شخص برجل عيسى فإنَّ رجل عيسى ما تحولت إلى سائل فسال على الماء، رِجل عيسى على حالها والماء على حالهِ، إذاً أين كانت القضية؟ كانت القضية التعامل مع البُعد المجرد للمادة، مثل ما نحن تعاملنا مع البُعد الصلب فحوَّلناه إلى بُعد سائل فدخل في القنينة انتقل إلى حالة تكوينية أخرى، البُعد الغازي بشكل آخر، البُعد النووي بشكل آخر، البُعد النانوي بشكل آخر، هناك بُعد مجرد، يعني الآن حينما نقسم المادة بالبُعد النانوي هل تبقى المادة كما هي؟ ستتقسم الأجزاء إلى شكل آخر، البُعد المُجرد هو بُعد آخر للمادة فحينما يأتي النبي يأتي المعصوم يأتي الولي يأتي الوصي فيمشي على الماء أو يمشي على الهواء هذا تعامل مع البُعد المُجرَّد، وهذا هو معنى أنَّ الأنبياء عندهم حروف من الأسم الأعظم.

أمَّا أهل البيت فعندهم الحروف كاملة، علم الكتاب بكله، صحيح في بعض الروايات اثنان وسبعون حرف لكن روايات أخرى بينت لنا حتى هذا الحرف أُعطي لهم، والقرآن يصدق ذلك أنهم عندهم علم الكتاب كُلِّ الكتاب، لَمَّا عندهم علم الكتاب كُلِّ الكتاب يعني كل الحروف عندهم، فهم عندهم بُعد إحاطي

بالأشياء، أنا بينت هذه القضية لأي شيءٍ؟ لأجل أن تُفهم الزيارة، في بُعدها اللفظي هناك طيٌّ ونشر وفي بُعدها المعنوي حينما نتحدث: وَذَلَّ كُلُّ شيءٍ لَكُم في الزيارة وكُل المعاني متفرعة عن هذه القاعدة عن قاعدة وذَلَّ كُلُّ شيءٍ لَكم، أهم قاعدة موجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة قاعدة وذَلَّ كُلُّ شيءٍ لكم، هذه القاعدة لا يمكن أن تُفهَم إلا بهذه الإطار بهذا الفهم وهو أن لأهل البيت بُعد إحاطي بالكائنات، بُعد إحاطي بهذا الوجود، وهذا البُعد الإحاطي الله سبحانه وتعالى هو الذي منحهم إياه، أليس قادراً على أن يمنح مخلوقاً من مخلوقاتهِ أيَّ شيء؟ هو قادر، وهذا المخلوق أقرب المخلوقات وأحَبُّ المخلوقات إليه، أليسَ من المنطقي أن يمنحهُ كُلَّ شيء، مَنَحَهُ هذه القدرة وأعطاه هذه العزة: وأعَزَّكُم بِهُدَاه، في مقابل وأعزَّكم بِهُداه: وَذَلَّ كُلُّ شيءٍ لَكُم.

في بصائر الدرجات مَرَّ علينا الرواية التي تتحدث عن هذا المعنى أعيد قراءتها حتى يترابط الموضوع: **عن أبان بن تغلب قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليهِ رجلٌ من أهل اليمن فقال: يا أخا أهل اليمن عندكم علماء؟ قال: نعم، قال: فَما بَلَغَ من علمِ عالِمِكُم؟** – والذي يبدو من القرائن الموجودة في الرواية أنَّ هذا الرجل كان على علمٍ ومن العلوم الخاصة ليس من هذه العلوم المتعارفة، ربما يسميها الناس بالعلوم الغريبة – **يا أخا أهل اليمن عندكم علماء؟ قال: نعم، قال: فَما بَلَغَ من علمِ عالِمِكُم؟ قال: يسيرُ في ليلة مسيرة شهرين يزجرُ الطير ويقفو الأثر، فقال أبو عبد الله عليه السلام:** – يزجر الطير ويقفو الأثر أي عندهُ من المقدرة على معرفة ما يقع في المستقبل وما يقع في الماضي، يزجر الطير إشارة إلى ما يقع في مستقبل الأيام، ويقفو الأثر إشارة إلى ما وقع فيما مر باعتبار أثر وقد وقع فيما مر من الأيام – **قال: يسيرُ في ليلة مسيرة شهرين يزجرُ الطير ويقفو الأثر، فقال أبو عبد الله عليه السلام: عالِمُ المدينة أعلمُ من عالِمكُم** – وهو يشير إلى نفسهِ صلوات الله عليه – **قال: فما بلغَ من علم عالِم المدينة؟ قال: يسيرُ في ساعة من النهار مسيرة شمسٍ سنة حتى يقطع اثني عشر ألف مثل عالِمكُم هذا، ما يعلمون أن الله خلقَ آدمَ ولا أبليس، قال: فيعرفونكم؟ قال: نعم ما افتُرِضَ عليهم إلا ولايتنا والبراءة من عدونا** – البراءة من عدوهم لأنهم في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود يدينُ لهم الخلائق بالولاية وبالبراءة.

هذا هو البُعد المُجرَّد للوجود وهو البُعد الإحاطي البُعد الخاص بأهل البيت بولايتهم – **يسيرُ في ساعة من النهار مسيرة شمسٍ سنة حتى يقطع اثني عشر ألف مثل عالِمكُم هذا ما يعلمون أن الله خلقَ آدمَ ولا أبليس، قال: فيعرفونكم؟ قال: نعم ما افتُرِضَ عليهم إلا ولايتنا والبراءة من عدونا** – هذه رواية من الروايات التي تتحدث عن هذا المضمون عن قضية البُعد المُجرَّد للمادة وفيها إشارة أيضاً إلى البُعد

الإحاطي لأهل البيت صلوات الله عليهم.

الرواية عن عبد الله بن سنان وهو من خيرة فقهاء أصحاب الإمام الصادق – **عن عبد الله بن سنان قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام فقال: لي حوض ما بين بُصرة إلى صنعاء** – هذا التعبير إشارة إلى الشيء الكبير، صنعاء مدينةٌ في اليمن معروفة وهي عاصمة اليمن في زماننا هذا، وبُصرة مدينةٌ في الشام، مدينة عامرة كانت وهي حاضرة الغساسنة في زمانهم في الجاهلية – **فقال: لي حوض ما بين بُصرة إلى صنعاء** – يعني ما بين الشام إلى اليمن تعبير عند العرب إشارة إلى سعة الشيء – **فقال: لي حوض ما بين بُصرة إلى صنعاء** – حوض يعني مكان يجتمعُ فيه الماء وقد تكثر حولهُ الأشجار، العرب تقول حياض، حياض لغدران المياه التي تتجمع فيها المياه وتكثر حولها الأشجار – **لي حوض ما بين بُصرة إلى صنعاء أَتُحِبُّ أن تراه** – أينَ هذا الحوض هل هو في البُعد العادي للمادة أم في البُعد المجرد؟!

في البُعد المجرد – **لي حوض ما بين بُصرة إلى صنعاء أَتُحِبُّ أن تراه؟ قلتُ: نعم جُعِلتُ فِداك، قال: فأخذَ بيدي وأخرجني إلى ظهر المدينة ثم ضرب برجله فنظرت إلى النهر يجري** – إلى هذا الحوض – **لا يُدرَكُ حافتيه** – حوض واسع لا تُدرَك حافتاه – **فنظرت إلى النهر يجري لا يُدرك حافتيه إلا الموضع الذي أنا فيه** – أنا أرى فقط هذا المكان – **إلاّ الموضع الذي أنا فيه قائم فإنَّهُ شبيهٌ بالجزيرة فكنتُ أنا وهو وقوفاً فنظرتُ إلى نهرٍ يجري جانبهُ ماءٌ أبيض من الثلج** – فيه ماء في هذا النهر – **ومن جانبهِ هذا لبنٌ أبيض من الثلج وفي وسطه خمرٌ أحسن من الياقوت فما رأيتُ شيئاً أحسن من تلك الخمر بين اللبن والماء** – من جهة اللون والجمال والصفاء – **فقلتُ له: جُعِلتُ فِداك من أين يخرجُ هذا ومجراه؟ فقال: هذه العيون التي ذكرها الله في كتابهِ أنهارٌ في الجنة عينٌ من ماء وعينٌ من لبن وعينٌ من خمر تجري في هذا النهر ورأيت حافتيه عليهما شجر فيهنَّ حورٌ معلقات** – معلقات يعني صاعدات على الشجر متعلقات بالشجر – **برؤوسهنَّ شعر ما رأيت شيئاً أحسن منهن وبأيديهن آنية ما رأيت آنية أحسن منها ليست من آنية الدنيا فدنى من إحداهنَّ فأومى بيدهِ تسقيه فنظرت إليها وقد مالت** – لأنها على الشجرة – **وقد مالت لتغرف من النهر فمالَ الشجرُ معها فاغترفت، فمالت الشجرة معها ثم ناولتهُ فَشَرِبَ ثم ناولها وأومأ إليها** – مرة ثانية أن تملأ القَدَح – **فمالت لتغرف فمالت الشجرة معها ثم ناولتهُ فناولني فشربتُ فما رأيتُ شراباً كان ألينَ منه ولا ألذَّ منه وكانت رائحتهُ رائحة المسك فنظرتُ في الكأس فإذا فيهِ ثلاثةُ ألوانٍ من الشراب فقلتُ له: جُعِلتُ فِداك ما رأيتُ كاليوم قَط ولا كنت أرى أنَّ الأمر هكذا، فقال لي: هذا أقل ما أعَدَّهُ الله لشيعتنا، إنَّ المؤمن إذا توفي صارت روحهُ إلى هذا النهر** – هذا ليس في الجنة هذا في عالم البرزخ هذا في عالم البُعد المُجرَّد للمادة –

إذا توفي صارت روحهُ إلى هذا النهر ورَغِبَ في رياضهِ وشَرِبت من شرابه وإنَّ عدونا إذا توفي صارت روحهُ إلى وادي برهوت – وادي برهوت في حضرموت، موجود الآن معروف لكن إذا ذهبت إليه لا ترى إلا أرض يبابَ، لماذا؟ لأن القضية تتحدَّث عن البُعد المُجرد للمادة – **صارت روحهُ إلى وادي برهوت فأُخلِدت في عذابه** – ولا يعني أنَّ البُعد المُجرَّد هو بعيد عن التذوق الحسي أبداً ولكنه بعيد عن التذوق الحسي المادي بالنحو المادي بأبعادهِ المادية المحسوسة – **إذا توفي صارت روحهُ إلى وادي برهوت فأُخلِدت في عذابه وأُطعِمت من زَقّومه** – إطعام – **وأُسقيت من حميمه فاستعيذوا بالله من ذلك الوادي** – نعوذُ بالله من ذلك الوادي، نعوذُ بعليٍّ وآل عليٍّ من ذلك الوادي، بِمَحَبَّة عليٍّ وآل عليٍّ نحتمي من ذلك الوادي، ومثل هذا كثيرٌ في روايات أهل البيت، هذا نموذج ومثال، هذا النموذج والمثال يُحَدِّثُنا عن البُعد المُجرَّد وعن البُعد الإحاطي طبعاً الأبعاد المجردة ليست محصورة في بُعدٍ واحد الأبعاد المُجرَّدة بعدد حروف الأسم الأعظم، حروف الأسم الأعظم أيضاً ليست متساوية ربما يأتي حرفٌ واحد فيكون أوسع من كل الحروف، الحرف الثالث والسبعون المذكور في الروايات بأنه مخزونٌ عند الله في عالم غيبهِ هذا الحرف هو أوسع من كل الحروف الباقية، وهذا الحرف أُعطي لآل مُحَمَّدٍ أيضاً وقد تقدم الحديثُ عن هذا المطلب في بيان قول الزيارة الجامعة: وخُزَّانَ العِلم، ذكرتُ الروايات التي تتحدث عن هذه الحقيقة.

الزيارة الجامعة الكبيرة بنصوصها وبألفاظها خاضعة لقانون الطي والنشر في طي المعاني وفي نشرها، وقانون الطي والنشر في بعض الأحيان هناك نشرٌ كلي وفي بعض الأحيان هناك نشرٌ جزئي، ما يُصطلح عليه بينَ العلماء بجانب المسكوت عنه من الحقيقة، حينما يتحدث الإنسان في بعض الأحيان عن موضوعٍ ما ويسكت لمصلحةٍ من المصالح عن جانب من هذا الموضوع والذي يسمى عنه بالجانب المسكوت منه من الحقيقة هذا الشيء موجود في تعابير البشر وفي طريقة الكلام عند كُلِّ حكيمٍ، هذا موجود أيضاً في كلام أهل البيت، لذلك في بعض الأحيان يكون النشر نشراً كُليَّاً وفي بعض الأحيان يكون النشر نشراً جزئياً، فهناك جانبٌ مسكوتٌ عنه من الحقيقة يمكننا أن نستجلي ذلك الجانب من نصوص أخرى من زيارات أخرى، لذلك تلاحظون بعض المعاني تحتاج إلى إيرادِ روايات وزيارات ونصوص أخرى لشرحها وتوضيحها بشكل أكثر، مع العلم أنَّ هذا النص هو القولُ البليغُ الكامل لكن حتى البلاغة في القول والكمال في القول هي قضية نسبية، ما زالت المعاني الواسعة نريد أن نحصرها في ألفاظ وفي قوالب فهذه قضية نسبية لأنَّ هذه قضية جمالية والقضية الجمالية في العالم الدنيوي قضية نسبية، ومع كل ذلك فإنَّ نص الزيارة الجامعة كما جاء في مقدمتهِ بأنَّهُ قولٌ بليغٌ كامل يشتمل على أهم الحقائق وأهم المضامين. المعاني الموجودة هنا في الحديث عن أهل البيت هي أيضاً خاضعة لهذه الحقائق لقانون الطي والنشر ومسألة الأبعاد المجردة

ومسألة البُعد الإحاطي في ولاية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

إذا نذهب إلى حديث معرفة بالنورانية لنرى ماذا يقولُ سيد الأوصياء، في حديث المعرفة بالنورانية: **قال الله عزَّ وجلَّ:** ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ – هذه الآية من سورة غافر أو من سورة المؤمن، في بعض المصاحف تُكتب سورة غافر وفي بعض المصاحف تُكتب سورة المؤمن – **قال الله عزَّ وجلَّ:** ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ **وهو روحُ الله** – هذا الروح المُلقى على من يشاء من عباده وهو روح الله، ومرت الإشارة في ذلك إلى الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَأَيَّدَكُم بِرُوحِهِ، وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ في أَرضِهِ – وَانتَجَبَكُم لِنُورِهِ، وَاَيَّدَكُم بِرُوحِهِ.**

وهو روحُ الله لا يُعطيه ولا يُلقي هذا الروح إلا على مَلَكٍ مُقَرَّب أو نبي مُرسل أو وصيٍ مُنتَجَب – وقطعاً هذه الروح ليست على مرتبة واحدة كُلٌّ بحسبه – **فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانهُ من الناس** – أبانهُ يعني جعله مختلفاً يختلف حتى في قدرتِهِ التكوينية في قدراتِهِ الخلقية في مواهبه في إبداعاتِهِ في حواسه، حاسة السمع مختلفة عنده، حاسة النظر مختلفة وهكذا – **فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانهُ من الناس** – جعله مختلفاً عن الناس – **وَفَوَّضَ إليهِ القدرة وأحيا الموتى** – كما في عيسى عليه السلام – **وأحيا الموتى وعَلِمَ بما كان وما يكون** – ولكن كُلٌّ بحسبهِ، بحسب ما أعطاه من هذا الروح من حروف الأسم الأعظم – **فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانهُ من الناس وَفَوَّضَ إليهِ القدرة وأحيا الموتى وعَلِمَ بما كان وما يكون وسارَ من المشرقِ إلى المغرِب ومن المغربِ إلى المشرق في لحظة عين وعَلِمَ ما في الضمائرِ والقُلُوب وعَلِمَ ما في السماوات والأرض** – وهذا هو البُعد الإحاطي.

هذا البُعد لم يكن متسنياً للأنبياء وللأوصياءِ من غير مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وإنما جاء ذكر المَلَك المُقَرَّب والنبي المُرسل والوصي المنتجب لأجل تقريب المعنى إلى أذهان السامع وإلا هذه الأبعاد أبعادٌ خاصة لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وهذا هو البُعد الإحاطي – **فَوَّضَ إليهِ القدرة وأحيا الموتى وعَلِمَ بما كان وما يكون وسارَ من المشرقِ إلى المغرِب ومن المغربِ إلى المشرق في لحظة عين وعَلِمَ ما في الضمائرِ والقُلُوب وعَلِمَ ما في السماوات والأرض** – ثم يستمر في بيان حقيقة أنه كانَ مع الأنبياء باطناً – **يا سلمانُ ويا جُندَب: قالا: لبيكَ يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: أنا الذي حملتُ نوحاً في السفينة بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي، وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمرانَ البحر بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت إبراهيم من النار بإذن ربي، وأنا الذي أجريتُ أنهارها وفَجَّرتُ عيونها وغرستُ أشجارها بإذن ربي** – هذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الأنوار لشيخنا المجلسي وهذه

صفحة خمسة من صفحات هذا الجزء وما بعدها، في الصفحة السادسة يقول: **إنّي لأسمعُ كُلَّ قومٍ الجبارينَ والمنافقين بلغاتهم** – حين نقول له: السلام عليكَ يا أُذُنَ الله الواعية ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ كما يقول القرآن، وأهل البيت فسَّروا الأذن الواعية بعليٍّ بالإمام المعصوم، الأذن الواعية التي تسمعُ كُلَّ شيء – **إنّي لأسمعُ كُلَّ قومٍ الجبارينَ والمنافقين بلغاتهم وأنا الخِضرُ عالِمُ موسى** – هنا لا على نحو التناسخ ولا على نحو الاتحاد والحلولية وإنما هو معنى الإشراق كما مرَّ علينا قبل قليل بأنَّ أزمَّة الموجودات وقياد الموجودات بأيديهم صلوات الله عليهم – **وأنا الخِضرُ عالِمُ موسى وأنا مُعَلِّمُ سُليمَان بن داوود وأنا ذو القرنين وأنا قدرةُ الله عزَّ وجلَّ، يا سلمان ويا جُندب أنا مُحَمَّدُ ومُحَمَّدٌ أنا، وأنا من مُحَمَّدٍ ومُحَمَّدٌ مني، قال الله تعالى:** ﴿مَرَجَ البَحرَينِ يَلتَقِيَانِ * بَينَهُمَا بَرزَخٌ لَا يَبغِيَانِ﴾ **يا سلمانُ ويا جُندَب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين** – الآيات التي جاءت في سورة الرحمن المباركة ﴿مَرَجَ البَحرَينِ يَلتَقِيَانِ * بَينَهُمَا بَرزَخٌ لَا يَبغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخرُجُ مِنهُمَا اللُّؤلُؤُ وَالمَرجَانُ﴾ مرج البحرين، البحران في رواياتنا مُحَمَّدٌ وعليّ، يلتقيان أنا من مُحَمَّد ومُحَمَّدٌ مني ﴿بَينَهُمَا بَرزَخٌ لَا يَبغِيَانِ﴾ هذا البرزخ الحقيقة الرابطة بين النبوة والولاية فاطمة صلوات الله عليها ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ هذه ألاء الله وآياته ﴿يَخرُجُ مِنهُمَا اللُّؤلُؤُ وَالمَرجَانُ﴾ الحسن والحسين هكذا حدَّثتنا كلمات أهل البيت.

يا سلمان ويا جُندب: أنا مُحَمَّدُ ومُحَمَّدٌ أنا وأنا من مُحَمَّدٍ ومُحَمَّدٌ مني، قال الله تعالى: ﴿مَرَجَ البَحرَينِ يَلتَقِيَانِ * بَينَهُمَا بَرزَخٌ لَا يَبغِيَانِ﴾ **يا سلمان ويا جُندب: قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إنَّ ميتنا لم يمت وغائبنا لم يغب وإنَّ قتلانا لن يُقتلوا** – غائبكم غائبٌ شاهد، إمام زماننا لم يغب هو مطّلعٌ على كل صغيرةٍ وكبيرة – **يا سلمان ويا جُندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إنَّ ميتنا لم يمت وغائبنا لم يغب وإنَّ قتلانا لن يُقتلوا** – إنَّ ميتنا، لا يعترض أحد فيقول إنَّكَ ميتٌ وأنهم ميتون هذا المعنى واضحٌ من البديهيات، نحن نتحدث عن البُعد المجرد للمادة والبُعد الإحاطي، الكلام هنا في البُعد المجرد للمادة، فيما وراء المادة – **إنَّ ميتنا لم يمت وغائبنا لم يغب وإنَّ قتلانا لن يُقتلوا، يا سلمان ويا جُندَب، قالا: لبيك صلوات الله عليك، قال عليه السلام: أنا أميرُ كُلِّ مؤمنٍ ومؤمنة ممن مضى وممن بقي وأُيِّدُت بروح العَظَمة وإنما أنا عبدٌ من عبيد الله لا تسمونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم** – لِماذا فُتِحَ لنا الباب، فُتِحَ لنا البابُ بالقول – **وإنما أنا عبدٌ من عبيد الله لا تسمونا أرباباً وقولوا في**

فضلنا ما شئتم – لماذا؟ – **فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كنّه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر** – معشار العشر يعني واحد بالمئة، النسبة المئوية ما كانت معروفة، العُشر هو واحد إلى عشرة، معشار العشر أن تُقَسِّم العُشُر إلى عشرة فتضرب عشرة في عشرة يساوي مئة، يعني واحد إلى مئة، إذا أردنا أن نحسب بالحساب الرياضي بالنسبة المئوية – **وإنما أنا عبدٌ من عبيد الله لا تسمونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر** – ولا واحد بالمئة، قبل قليل المقطع الذي قرأتهُ ومن شَكَّ وعَنَد هو يأتي بعد هذا المقطع – **ومن شَكَّ وعَنَدَ وجَحَدَ ووقفَ وتحيَّرَ وارتاب فهو مُقَصِّرٌ وناصب** – هذا الكلام جاء بعد هذه المقاطع المتقدمة.

ثم يقول: يا سلمانُ ويا جُندَب، قالا: لبيكَ يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: لقد أعطانا الله ربنا ما هو أجل وأعظم وأعلى وأكبر من هذا كله – فماذا أعطاكم يا آلَ مُحَمَّد؟ حتى لو بيَّنَ لنا الأمير فإننا لن ندرك فضلهم هو قال قبل قليل: فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كنه ما جعل الله لنا ولا معشار العشر، ما يوجد مقدار أصغر من معشار العُشر لو وُجِد لذكرهُ لنا أمير المؤمنين، حينما قال: ولا معشار العشر يعني حتى أقل من واحد بالمئة نحن لا نُدرك، لكن هذا هو أقل مقياس موجود في لغة العرب – **يا سلمانُ ويا جُندَب، قالا: لبيكَ يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: لقد أعطانا الله ربنا ما هو أجلّ وأعظم وأعلى وأكبر من هذا كله، قلنا يا أمير المؤمنين ما الذي أعطاكم ما هو أعظم وأجل من هذا كلهِ؟ قال: قد أعطانا ربنا عزَّ وجلَّ** – ماذا أعطانا – **قد أعطانا ربنا عزَّ وجلَّ علمنا للأسم الأعظم** – للأسم الأعظم بكله ما قال لبعضه، يعني للحروف الثلاثة والسبعين، للأسم الأعظم – **علمنا للأسم الأعظم الذي لو شئنا** – ماذا يفعلون؟ – **لو شئنا خرقتُ أو خرقنا السماوات والأرض والجنَّة والنار ونعرجُ بهِ إلى السماء ونهبط به الأرض ونُغَرِّب ونُشَرِّق وننتهي بهِ إلى العرش** – هذا بُعد إحاطي.

هذا حتى أوسع من الأبعاد المجردة للمادة التي يتعامل بها آصف بن برخيا وغيرهُ من الأولياء والأنبياء – **قد أعطانا ربنا عزَّ وجلَّ عِلمنا للأسم الأعظم الذي لو شئنا نخرق السماوات والأرض والجنَّة والنار ونعرجُ بهِ إلى السماء ونهبط به الأرض ونُغَرِّب ونُشَرِّق وننتهي بهِ إلى العرش فنجلسُ عليه بين يدي الله عزَّ وجلَّ ويُطيعُنا كُلُّ شيء** – كُلُّ شيء يطيعنا، ويطيعنا كل شيء، هذه هي معنى أنَّ أزمَّة الموجودات بأيديهم – **ويُطيعُنا كُلُّ شيء حتى السماوات والأرض والشمسُ والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار والجنة والنار** – هي مطيعةٌ لهم – **أعطانا الله ذلك كله بالأسم الأعظم الذي علَّمنا وخَصَّنا بهِ** – يعني الأنبياء عندهم حروف تجليات من تجليات الأسم الأعظم – **أعطانا الله ذلك كله** – بل

هم الأسم الأعظم، وأسألُك بالأسم الأعظم باسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأعز الأجل الأكرم الذي خلقتهُ، أنا أكرر هذه العبارات حتى تُحفظ، هذه قواعد وقوانين لعقيدتنا، الذي خلقته فاستقرَّ في ظلك فلا يخرجُ منكَ إلى غيرك هو هذا الأسم الأعظم – **أعطانا الله ذلك كله بالأسم الأعظم الذي علَّمنا وخَصَّنا بهِ ومعَ هذا** – الإمام يقول: – **ومع هذا كُلِّهِ نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا** – هذا البُعد المحسوس للمادة، هذه الأبعاد المحسوسة – **ومع هذا كُلِّهِ نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا ونحن عبادُ الله المُكرَمون الذينَ لا يسبقونهُ بالقولِ وهم بأمرهِ يعملون** – فهم عبيدٌ وعبادٌ لله – **وجعلنا معصومين مُطَهَّرين** – هذا الكلام الآن في مقاماتهم في العالم الأرضي – **ومع هذا كُلِّهِ نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا** – إلى أن يقول: – **وجعلنا معصومين مُطَهَّرين وفَضَّلنا على كثيرٍ من عبادهِ المؤمنين فنحن نقول: الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وحقت كلمة العذابِ على الكافرين** – من هم الكافرين؟ الإمام يقول: – **أعني الجاحدينَ بكل ما أعطانا الله من الفضل والإحسان** – الإمام هنا يسميهم بالكافرين، قبل قليل كانت التسمية مقصر وناصب، هذه تسمية أخرى لهم – **وحقت كلمة العذابِ على الكافرين أعني الجاحدينَ بكل ما أعطانا الله من الفضل والإحسان، يا سلمانُ ويا جُندب: فهذه معرفتي بالنورانية فتمسك بها راشداً فإنَّهُ لا يبلغ أحدٌ من شيعتنا حد الاستبصار حتى يعرفني بالنورانية** – الشيعة المستبصرون هم الذين يعرفون عليّاً بالنورانية، أصحابُ البصائر – **فإنَّهُ لا يبلغ أحدٌ من شيعتنا حد الاستبصار حتى يعرفني بالنورانية فإذا عرفني بها كان مستبصراً بالغاً كاملاً قد خاض بحراً من العلم وارتقى درجةً من الفضل وأطلعَ على سرٍ من سر الله ومكنون خزائنهِ.**

ليس يدري بِكُنهِ ذاتِكَ ما هو يا ابـن عَـمَ النبـي إلا الله

هذا البيت من قصيدة للسيد باقر الهندي قصيدة جميلة جداً

ليس يدري بِكُنهِ ذاتِكَ ما هو يا ابـن عَـمَ النبـي إلا الله
ممكنٌ واجبٌ قديـمٌ حديثٌ عنك تُنفى الأنداد والأشباهُ

إلى أن يقول:

قلتُ للقـائلين في أنَّكَ الله أفيـقـوا فالله قـد سـوّاهُ
هو مشكاة نورهِ والتجلـي سِـرُّ قُـدسٍ جهلتـمُ معنـاهُ

السيد علي النقي الهندي رضوان الله تعالى عليه أيضاً عنده قصيدة ميلادية جميلة يباري بهذه القصيدة قصيدة الشاعر اللبناني من شعراء المهجر الأمريكي إيليا أبو ماضي القصيدة اللا أدرية المعروفة، قصيدة

طويلة للسيد علي النقي الهندي، موجودة في كتاب الغدير لشيخنا الأميني موجودة في مصادر أخرى، أنا أشير فقط إلى هذين البيتين:

كيف أدري وهو سرٌّ فيه قد حار العقول

يتحدث عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

كيف أدري وهو سرٌّ فيه قد حار العقول
حادثٌ في اليوم لكن لم يزل أصل الأصول
مظهرٌ لله لكن لا اتحادٌ لا حُلول
غاية الإدراك أن أدري بأني لستُ أدري

أي والله لستُ أدري ...

غاية الإدراك أن أدري بأني لستُ أدري
وُلِدَ الطُهر عليٌّ من تسامى في عُلاه

هذه أيام الميلاد ...

وُلِدَ الطُهر عليٌّ من تسامى في عُلاه
فاهتدى فيهِ فريقٌ وفريقٌ فيه تاه
ضّلَّ أقوامٌ فظنوا أنَّه حقاً إله
أم جنون العشقِ هذا لا يُجازى لستُ أدري
غاية الإدراك أن أدري بأني لستُ أدري

لستُ أدري يا أمير المؤمنين، القولُ مني ما قاله آلُ مُحَمَّد فيما أسرَّوا وما أعلنوا فيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني، قولي هو قولُ آلُ مُحَمَّدٌ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، علمت بذلك أم جَهِلتُ بذلك، كنتُ حياً أم كنتُ ميتاً، قولي هو قولُ آلُ مُحَمَّدٍ، من أراد أن يستكمل الإيمانَ كُلَّ الإيمان فليقل القولُ مني ما قاله آلُ مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كان بودي أن أطيل أكثر لكن وقت البرنامج انتهى وزدت عليه شيئاً من الوقت، بقية الحديث إن شاء الله وهي بقيةُ خيرٍ تأتينا يوم غد على شاشة قناة المودة الفضائية نفس البرنامج نفس الموعد نفس القناة الفضائية ونفس خادمكم، أسألكم الدعاء جميعاً ملتقانا غداً على محبَّة الزيارة الجامعة الكبيرة وعلى محبَّةِ من عَلَّمنا الزيارة الجامعة الكبيرة إمامنا الهادي، غداً نلتقي على محبتهِ ومودتهِ أسألكم الدعاء وفي أمان الله.

الحلقة السابعة والعشرون

معنى مَنْ اَتاكُمْ نَجا ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ، اِلَى اللهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ . . . . .

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركات أحباب عليٍّ وآل عليّ، الحلقة السابعة والعشرون من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، حلقاتنا متواصلة في هذه الأيام في نفس الوقتِ وفي نفس الموعد.

في الحلقة الماضية وصل بنا الكلامُ إلى قول إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه وهو يُعَلِّمُنا كيفية مُخاطبة أئمتنا عليهم أفضل الصلاة والسلام – **أَنتُمُ الصِّراطُ الأَقوَمُ** – سادتي آلَ مُحَمَّد – **وَشُهَداءُ دارِ الفَناءِ وَشُفَعاءُ دارِ البَقاءِ وَالرَّحمَةُ المَوصُولَةُ وَالآيَةُ المَخزُونَةُ وَالأَمانَةُ المَحفُوظَةُ وَالبابُ المُبتَلى بِهِ النَّاسُ** – إلى هنا تَمَّ الكلامُ في الحلقة الماضية.

أُتِمُّ كلامي من حيثُ انتهيت تستمرُ الزيارة الشريفة: **مَن أَتاكُم نَجا وَمَن لَم يَأتِكُم هَلَكَ** – هذا الكلامُ هو تفريعٌ لِما مَرَّ في البيانات المُتَقَدِّمة، فنحنُ حين نُخَاطِبُهم بأنَّكم أنتم الصراطُ الأقوم وأنتم السبيلُ الأعظم وبأنكم الآية المخزونة في كُلّ جزءٍ من أجزاءِ هذا الوجود، وتقدّمَ أيضاً في الحديثِ عن عصمتهم وطهارتهم الإلهية – **عَصَمَكُم اللهُ مِنَ الزَّلَلِ وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ وَأَذهَبَ عَنكُمُ الرِّجسَ وَطَهَّرَكُم تَطهِيراً** – هذه الأوصافُ وغيرها، ما تقدم من أمهات المعاني في المقاطع الخمسة التي افتُتِحت بها الزيارة الشريفة وما جاء بعد ذلك من غزير المعاني في المقاطع التي مرَّ الحديث عنها كُلُّ ذلك يتفرَّعُ عليهِ أنَّ من أتاكم نجا، أتاكم نجا والمراد من الإتيان هنا الإتيان العقائدي وليس هو الإتيانُ البدني في انتقال البدن من مكانٍ إلى مكانٍ آخر، من أتاكم نجا من أتاكم بقلبهِ، حين يتعلقُ القلبُ بهم، وحين يُقِرُّ ويُذعِنُ العقل لهم، وحين تعترفُ كُلُّ مدارك الإنسان بحواسهِ وعقلهِ وقلبهِ ووجدانهِ وضميرهِ وفطرته وفي الواقع الذي يعيشهُ أن تكون نيتهُ كاملةً معهم صلوات الله عليهم حينئذٍ يكون هذا الإتيانُ سبباً للنجاة – **مَن أَتاكُم نَجا وَمَن لَم يَأتِكُم هَلَكَ** – وتلك هي النيةُ التي خَلَدَ بها أهل الجنان في جنانهم وخَلَد بها أهل النيران في نيرانهم، فإنَّ أهل الجنان نيتهم ما داموا على وجه الحياةِ وما داموا أحياء فإنهم على الطاعةِ حتى لو خُلِّدوا فإنهم سيخلدون على الطاعةِ لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، سيخلدون على البقاء في فناء مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وأمَّا أهلُ النيران فإنَّ نيتهم حتى لو خَلّدوا في هذه الدنيا لو خلّدوا في هذه الحياة أو في كُلّ مقطعٍ من مقاطع هذا الوجود

فإنهم باقون على اغترابهم وابتعادهم وهجرتهم لِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد – **مَن أَتاكُم نَجا وَمَن لَم يَأتِكُم هَلَكَ** – الإتيانُ بالعقول وبالقلوب والضمائر قبلَ الإتيانِ بالأبدان، نحنُ مطلوبٌ منا أن نأتي مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد بالعقولِ والقلوب أولاً، وبالنيات والضمائرِ والوجدانِ والفطرةِ قبلَ أن نأتيهم بأبداننا وأموالنا – **مَن أَتاكُم نَجا وَمَن لَم يَأتِكُم هَلَكَ** – ثُمَّ تُفَرِّعُ الزيارة أن النجاة والهلاك يدورانِ مدار هذه العناوين، أيُّ العناوين؟ – **إِلى الله تَدعُونَ** – أنتم سببُ نجاتنا، لِماذا؟ – **إِلى الله تَدعُونَ وَعَلَيهِ تُدُلُّونَ** – دعوتكم لله سبحانه وتعالى حين تدعونَ الخلائق ولو كان الكلامُ في الأفق البشري، مرَّ علينا بأنَّ دعوةَ أهل البيت وبأنهم الدعوة الحُسنى هي دعوةٌ في كُلّ مراتب هذا الوجود، ولكن فليكن الكلامُ في الأفق البشري – **إِلى الله تَدعُونَ وَعَلَيهِ تُدُلُّونَ** – إنَّ دعوتكم لله سبحانه وتعالى دعوةٌ موسومةٌ بالدلالة فأنتم تدلون عليه.

الدليل هو الذي يعرفُ الطريقَ بدقة، بعبارةٍ أخرى عندهُ من العلم والمعرفة وعندهُ من الإنارةِ ما يستطيع أن يصلَ إلى نهاية الطريق بأمنٍ وأمان – **إِلى الله تَدعُونَ وَعَلَيهِ تُدُلُّونَ** – لأن الهداية والدلالة تشتملُ على مرتبتين: هناك مرتبةُ الإراءة وهناك مرتبة الإيصال، الدليل في معناه الحقيقي هو الذي يُوصل، الدليلُ الأضعف هو الذي يُري دلالتهُ للآخرين، وأهل البيت يقومون بالدورين، هُم يُرونَ الناس ويُرشِدونَ الناس وفي الوقت نفسه هم يوصلونهم إلى الهدفِ وإلى الغاية، فالدلالةُ بحسب مقامها، هناك دلالةٌ في أفق الإراءة وهناك دلالةٌ في أفق الإيصال، تارةً نَهدي شخصاً نُريهُ الطريق وأخرى نُمسِكُ بيدهِ ونوصلهُ إلى الهدف – **مَن أَتاكُم نَجا وَمَن لَم يَأتِكُم هَلَكَ إِلى الله تَدعُونَ وَعَلَيهِ تُدُلُّونَ** – دعوتكم مصحوبةٌ بالدلالة بدلالة الإراءة في بعض الأحيان بحسب ما يُناسبُ المقام وما يناسبُ الأشخاص وما يناسبُ المَخلوق، وتارةٌ أخرى تكون هذه الدلالةُ بالإيصال وإنما تكون الدلالة بالإيصال عن طريق التوفيق، فقانون التوفيق والخُذلان هو بيد مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، التوفيقُ الإلهي إنما يصلُ إلى العباد من طريق هذا الباب، هم النعمة السابغة وهم النقمة الدامغة، فالخُذلان يأتي من هذا الباب والتوفيق يأتي من هذا الباب، ولا يأتي الخذلانُ لشخصٍ إلا كان مستحقاً لذلك الخذلان، ولا يأتي التوفيق لشخصٍ إلا بفضلٍ من الله سبحانه وتعالى – **إِلى الله تَدعُونَ وَعَلَيهِ تُدُلُّونَ وَبِهِ تُؤمِنُونَ وَلَهُ تُسَلِّمُونَ** – وهذا الإيمان الذي قد تَشَرَّبَ فيكم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم لسيد الأوصياء: والإيمانُ مُخالِطٌ لحمَكَ ودَمَك كَما خَالطَ لحمي ودَمَي، في واقعة الأحزاب في واقعة الخندق كلمة النبي الخاتم واضحةٌ صريحة، حين برز سيدُ الأوصياء إلى ابن عبد ود العامري ماذا قال خاتمُ الأنبياء؟

بَرَزَ الإيمانُ كُلُّه إلى الشرك كُلِّه، هذا هو الإيمانُ المُتَحَرِّكُ على الأرض، والإيمانُ مُخالِطٌ لحمَكَ ودَمَك كَما خَالطَ لحمي ودَمَي – **وَبِهِ تُؤمِنُونَ** – وهذا الإيمانُ هو التسليمُ، إيمانٌ مُشبَعٌ بالتسليم، إيمانٌ منقوعٌ بالتسليم

– **وَبِهِ تُؤمِنُونَ وَلَهُ تُسَلِّمُونَ وَبِأَمرِهِ تَعمَلُونَ وَإِلى سَبِيلِهِ تُرشِدُونَ وَبِقَولِهِ تَحكُمُونَ** – كُلُّ هذه الصفات، كُلُّ هذه الأوصاف المُتَجَليَّة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه الصفات الواضحة التي تشيرُ إليها الرواية الشريفة في الكافي الشريف، الرواية يرويها شيخنا الكليني بسندهِ: **عن ابن صبّاح قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ الله خلقنا فأحسن خلقنا وصوّرنا فأحسنَ صورنا وجعلنا عينهُ في عباده ولسانهُ الناطق في خلقه ويدهُ المبسوطةَ على عِباده بالرأفة والرحمة ووجههُ الذي يؤتى منه وبابهُ الذي يدل عليه وخُزَّانَهُ في سمائهِ وأرضه** – إلى بقية الرواية.

والأحاديثُ في هذا المضمون كثيرةٌ وفيرةٌ جَمَعَ الشيخُ الكليني الكثيرَ منها في كتاب الكافي الشريف، كتب حديثنا تَعجُ بهذه المضامين المنقولة عن مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد التي تُحَدِّثُنا عن كَمالِهم وعن فضلهم وعن عُلو شأنهم وتمام رتبتهم، بسبب كُلّ ذلك هو الذي أوصلنا إلى هذه النتيجة: **مَن أَتاكُم نَجا وَمَن لَم يَأتِكُم هَلَكَ إِلى الله تَدعُونَ وَعَلَيهِ تَدُلُّونَ وَبِهِ تُؤمِنُونَ وَلَهُ تُسَلِّمُونَ وَبِأَمرِهِ تَعمَلُونَ وَإِلى سَبِيلِهِ تُرشِدُونَ وَبِقَولِهِ تَحكُمُونَ** – فمن لم يكن تابعاً لهؤلاء الذينَ يتصفون بهذه الأوصاف فإنَّهُ هالِكٌ لا محالة، لأنَّ الذي يتبعُ من يحملُ هذه الأوصاف فهو الناجي وهو الفائز ولذلك تستمر الزيارة فتقول: **سَعَدَ مَن وَالاكُم** – السعيدُ هو هذا الذي يتبعُ أولياءَ وأئمة هي هذه أوصافهم: إلى الله يدعون وعليه يدلون وبه يؤمنون وله يُسَلِّمون وبأمرهِ يَعمَلون وإلى سبيلهِ يُرشِدون وبقولهِ يحكمون، من يتبعُ هؤلاء فهو السعيدُ حقاً، ولذلك في كلمات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: ألا أُخبِرُكُم بالسعيد كُلِّ السعيد حَقِّ السعيد إنَّه من والى عليَّاً في حياتي وبعد مماتي، النبي صلى الله عليه وآله يُعَرِّفُ لنا السعيدَ حَقَّ السعيد كُلَّ السعيد هو من والى عليَّاً في حياتهِ في حياة خاتم الأنبياء وبعد وفاتهِ صلى الله عليه وآله – **سَعَدَ مَن وَالاكُم وَهَلَكَ مَن عاداكُم – مَن أَتاكُم نَجا وَمَن لَم يَأتِكُم هَلَكَ** – بنحوٍ عام من لم يأتكم هَلَك إن كان بنحو العداءِ أو بنحو عدم العداء، هو ما أتاكم – **مَن أَتاكُم نَجا وَمَن لَم يَأتِكُم هَلَكَ** – هذا هو حُكم العقلِ والمنطق، إنَّ من لا يأتي إلى أُناسٍ يحملون هذه الأوصاف، والمراد لا يأتي بقلبهِ وعقلهِ ووجدانهِ وضميرهِ فهو هالِكٌ بحكم المنطقِ والعقل، أمَّا الكلام هنا: **سَعَدَ مَن وَالاكُم وَهَلَكَ مَن عاداكُم** – فهوَ بحكم العقلِ والشرع، فمن عاداكم فهو هالِكٌ – **وَهَلَكَ مَن عاداكُم** – ومُعاداةُ أهل البيت لها مراتب ومراتبها كثيرة ولربما يَحسَبُ البعض أنَّهُ من شيعتهم وهو في حقيقة الأمرِ واقعٌ في خانة أعدائهم ولِذا سَيُسلَبُ حُبُّهم منه حينَ الممات.

أليس هناك إيمان مستقر وإيمانٌ مستودع، الإيمانُ المستقر هو الذي يُبعَثُ مع الإنسان ويُحشَرُ الإنسان عليه يوم القيامة، أمَّا الإيمانُ المستودع فهو الذي يُسلَبُ من الإنسان، قد يُسلبُ حين الموت وقد يُسلبُ كذلك في قبره، فهناك فتنةُ القبر وهناك رومان فتان القبور وهناك فتنةُ الدجال التي تدخلُ إلى القبور.

في سورة الغاشية في الجزء الثلاثين من أجزاء الكتاب الكريم الآية الأولى بعد البسملة وما بعدها ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ والغاشيةُ كما هو معروفٌ من أسماء يوم القيامة، وإن كانت هناك لها دلالاتٌ أخرى في روايات أهل البيت ولكنَّ هذه دلالةٌ من دلالاتها ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ وُجُوهٌ يَومَئِذٍ خَاشِعَةٌ: هذا الخشوع هو خشوع الخوفِ وخشوع الوحشةِ وخشوع المَذَلَّة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ هذه الوجوه ما هي أوصافها؟ ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ أولئك الذينَ ينصبون العداءَ لعليٍّ وكانوا يعملونَ في الحياة، في الحياة الدنيا ويتوقعون بأنهم سينجون بعملهم هذا.

في روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا هو الجزء الثامن من أجزاءِ تفسير البرهان لسيدنا هاشم البحراني ينقل الرواية عن تفسير القمي، في قولهِ تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ **يعني قد أتاكَ يا مُحَمَّد حديث القيامة ومعنى الغاشية أي تغشى الناس** – تغشى الناس أي تكونُ محيطةً بهم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ الرواية تقول بحسب تفسير القمي، علي بن إبراهيم – **نَزَلت في النُصّاب وهم الذينَ خالفوا دينَ الله وصلّوا وصاموا ونصبوا لأمير المؤمنين عليه السلام وهو قولهُ تعالى:** ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ **عَملوا ونَصَبوا فلا يُقبَل منهم شيءٌ من أفعالهم** – الناصب الأمر بالنسبة له سيان صلى أم زنا لا تُقبلُ أعمالهُ، هذه هي قاعدةُ أهل البيت التي عَلَّموها لنا، صلّى أم زنا لا فرق في ذلك، لأن جوهر قبول العمل مسلوبٌ منه، ومسلوبٌ منه ما سلبهُ أحدٌ منه إنما هو الذي استلبَ نفسه وهو الذي حَرَم نفسهُ من ذلك ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ تلك الوجوه التي تعمل وتعملُ في هذه الحياة وهي تظنُ بأنها ستنجو بأنها تفعلُ حَسَناً، وهذا الوصفُ ينطبقُ على أكثر الذينَ يُقال عنهم بأنهم من أهل القِبلة، أكثر الذين يتوجهونَ إلى القِبلةِ في صلواتهم وفي عباداتهم تنطبقُ عليهم هذه الأوصاف بأنهم عاملةٌ ناصبة، يَعمَلون ويتصورون بأنهم سينجحون في عملهم هذا سيوفقون في عملهم هذا ولكنَّ النتيجة هو البُطلان ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ يعملون وهم يحملون النَصبَ لعليٍّ وآل عليّ – **سَعَدَ مَن وَالاكُم وَهَلَكَ مَن عاداكُم** – إنما هَلَك ببطلان عملهِ حتى لو كان مُحسِناً في تصورهِ وفي توهمهِ بأنه مُحسِن – **وَهَلَكَ مَن عَاداكُم وَخابَ مَن جَحَدَكُم** – والخيبة هي المعنى الواضح المُضاد للنجاحِ وللفلاح – **سَعَدَ مَن وَالاكُم**

وَهَلَكَ مَن عاداكُم وَخابَ مَن جَحَدَكُم – والجَحد هو الإنكار – **وَضَلَّ مَن فارَقَكُم** – أمَّا الذي فارقكم حتى لو كانَ معترفاً بكم بلسانهِ حتى لو كان عارفاً بشأنكم لكنه فارقكم، فارقكم بعملهِ، فارقكم بقولهِ، فارقكم بنيتهِ، ليس مستعداً أن يتحمَّل في طريق خدمتكم وفي طريق ولايتكم ما يكون سبباً لأذاه وسبباً لنكد العيشِ ولضيقِ العيش، وسبباً للبلايا التي تترا عليهِ في هذا الطريق ففارقكم لذلك فإنَّهُ قد وقعَ في دائرة الضلالة، الذي يسعدُ هو من والاكم – **سَعَدَ مَن وَالاكُم وَهَلَكَ مَن عاداكُم وَخابَ مَن جَحَدَكُم وَضَلَّ مَن فارَقَكُم** – من هو الفائز؟ – **وَفازَ مَن تَمَسَّكَ بِكُم** – الذي يتمسكُ بكم هو الفائز هو الذي سيفوز وأمِنَ من لجأ إليكم لأنكم الحِصنُ الآمن ولأنكم الفِناءُ الآمن – **وَأمِنَ مَن لَجَأَ إِلَيكُم** – والأمانُ هنا الأمانُ من غضبِ الله سبحانه وتعالى وإلا ما قيمةُ الأمان أن يأمن الطواغيت في قِلاعهم الحصينة وفي قصورهم العالية وفي أبراجهم الشامخة وغضبُ الله سبحانه وتعالى مُحيطٌ بهم من كل جانب، هذا أمانٌ دنيويٌ محدود ينتهي بينَ لحظةٍ وأخرى.

ونحنُ نُشاهِد طواغيت الدنيا يقعون الواحد بعد الآخر فلا نفعتهم قصورهم ولا أسلحتهم ولا أموالهم، كانوا يعيشون في ظل أمنٍ هم اصطنعوه لأنفسهم، وهذا كله في حدودٍ دنيويةٍ ضيقة، الأمنُ الحقيقي الأمن مع الله سبحانه وتعالى، الاطمئنانُ الحقيقي الاطمئنان مع الله، ألا بذكرِ الله تطمئنُ القلوب، وما ذكرُ الله إلا مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد صلوات الله عليهم، الذكر اللفظي ما هو إلا مظهرٌ من مظاهر ولاية عليٍّ وآل عليّ، ألا بذكر الله تطمئنُ القلوب، الاطمئنان والإيمانُ ونحنُ نناجي الباري في مُناجياتنا: يا أمانَ الخائفين، هو أمان الخائفين، الله سبحانه وتعالى هو الجهةُ التي نَفِرُّ إليها من كُلِّ خوفٍ بل نفرُ إليها منها، نحنُ نَفِرُّ إلى الله من الله ونعوذُ بالله سبحانه وتعالى من سخطِ الله – **وَأمِنَ مَن لَجَأَ إِلَيكُم** – من يلجأ إليكم سادتي آلَ مُحَمَّد فإنَّه قد لجأ إلى الله، لجأ إلى الأمنِ والأمان وإلى السلامةِ والسلام – **وَفازَ مَن تَمَسَّكَ بِكُم وَأمِنَ مَن لَجَأَ إِلَيكُم وَسَلِمَ مَن صَدَّقَكُم** – سَلِمَ من صدقكم التصديقُ هو الإذعانُ والإخباتُ، أن تُخبِتَ العقول وأن تُذعِن القلوب وأن تهش وتبُش لِحديث مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد ولأمر مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – **وَسَلِمَ مَن صَدَّقَكُم** – هذه سلامة الدين، هذه سلامة القلوب، ألاّ من أتى الله بقلبٍ سليم، القلب السليم كما في كلمات إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه القلبُ الذي ليس فيهِ إلا الله هو هذا القلب السليم، ولا يمكننا أن نتصور قلباً بهذه الصفة ما لم يكن هذا القلبُ مرتبطاً ومشدوداً لـمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد – **سَعَدَ مَن وَالاكُم** – سادتي أهل البيت – **وَهَلَكَ مَن عاداكُم وَخابَ مَن جَحَدَكُم وَضَلَّ مَن فارَقَكُم وَفازَ مَن تَمَسَّكَ بِكُم وَأمِنَ مَن لَجَأَ إِلَيكُم وَسَلِمَ مَن صَدَّقَكُم** – من صدقكم هو السالم السليم، هو الذي يسلمُ قلبهُ لله سبحانه وتعالى، وهو الذي يُسَلِّمُ عقله لله سبحانه وتعالى، التسليمُ لله والسلامةُ لله لن تتحققَ إلا بالتسليم

لإمام زماننا الحجة بن الحسن لأنه هو الحجة المطلقة على من في الأرضِ وعلى من في السماء بل على كل موجودٍ أوجدهُ الباري سبحانه وتعالى، كما مرَّ في يوم أمس بأنَّ أزمَّة الموجودات بيد الحجةِ الذي ينصبهُ الباري سبحانه وتعالى الذي هو قلب عالم الإمكان هو روح عالم الإمكان، الذي هو يمثل حقيقةَ ملكوت عالم الإمكان، وعالم الإمكان هو كلُّ الوجود الذي صدرَ من الكلمة الأولى من الحقيقة الأولى، وحتى الحقيقة الأولى فهي في ضمنِ عالم الإمكان لكنَّ المُمكِنَ على مرتبتين:

هناك المُمكِن الأعلى وهي الكلمةُ الأولى.

وهناك المُمكِن الأدنى وهو ما صدر عن الكلمة الأولى أي عن الحقيقة المُحَمَّدية.

وَسَلِمَ مَن صَدَّقَكُم وَهُدِيَ مَن اعتَصَمَ بِكُم – ومرَّ الكلامُ في الزيارة الجامعة – **وَمَن اعتَصَمَ بِكُم فَقَد اعتَصَمَ بِاللهِ** – من اعتصم بكم من التجأ إليكم وجعل نفسهُ في حصنكم، من اعتصم بكم – **وَهُدِيَ مَن اعتَصَمَ بِكُم** – كيف يعتصمُ الإنسان بهم؟ الاعتصامُ بهم أن نجعلَ عقولنا تفكرُ وفقاً للموازين التي يريد لنا أهل البيت أن نفكر وفقاً لها فتلك هي عصمة العقول، كيف تعتصم عقولنا؟ أن نربي عقولنا وأن نروض عقولنا على أن تفكر في ضمن الموازين التي يريد لنا أهل البيت أن نفكر فيها، أن تكون عقولنا تسبحُ في بحر أهل البيت، أن تكون عقولنا ترعى في خمائل أهل البيت وفي حقول أهل البيت، وأمَّا عصمة القلوب فأن نجعل الولاية والبراءة، أن نجعل المحبة والبُغض، وحينَ أتحدثُ عن المحبة والبغض لا أتحدث عن محبة أشخاصٍ فقط وإنما أتحدثُ عن محبَّةِ كُلِّ ما يمكن أن يُحَبّ، وعن بُغض كل ما يمكن أن يُبغض، إن كان ذلك في الأشخاص، إن كان ذلك في الحيوانات، إن كان ذلك في النباتات، إن كان ذلك في المطعومات والمشروبات وهكذا في كل شيءٍ يتعلقُ به الحُبُّ والبُغض، هذا هو اعتصام القلوب.

أمَّا اعتصام الحواس واعتصامُ الأبدان فذلك هو الإلتزام بأحكامهم الشرعية إلى أبعد حد، الإلتزامُ بالواجب والانتهاءُ عن المُحرَّم، الواجبُ الذي بَيَّنهُ لنا أهل البيت والمُحرَّمُ الذي بَيَّنه لنا أهل البيت، مُراعاة المندوبات والمكروهات، مُراعاة السُنن والآداب والأخلاق التي سَنَّها لنا أهل البيت صلوات الله عليهم هذا هو معنى الاعتصام بأهل البيت، فهو اعتصامٌ للعقول في مدارجِ تفكيرها واعتصامٌ للقلوب في مدارج عواطفها ومحبتها وبغضها وانفعالها، واعتصامٌ للحواسِ والأبدان وذلك بالإلتزامِ بفقههم وبأحكامهم الشرعية – **وَهُدِيَ مَن اعتَصَمَ بِكُم** – من جَعلَ عقله معتصماً بهذا النحو وقلبهُ وبدنهُ وحواسهُ فإنه قد ضَمِنَ الهداية كما تقول هذه الزيارة الشريفة – **وَهُدِيَ مَن اعتَصَمَ بِكُم، مَنِ اتَّبَعَكُم فَالجَنَّةُ مَأواهُ** – من اتبعكم من حَقَّقَ المعاني السابقة التي أشارت إليها الزيارة: **سَعَدَ مَن وَالاكُم** – موالاتكم هي أول مراتب اتّباعكم – **وَفازَ مَن تَمَسَّكَ بِكُم** – والتمسك – **وَأمِنَ مَن لَجَأَ إِلَيكُم** – واللجوء إليهم – **وَسَلِمَ مَن صَدَّقَكُم** –

والتصديق بهم ولهم، وهُديَ من اعتصم بهم، من اتصف بهذه الأوصاف الزيارة تقول: **مَنِ اتَّبَعَكُم فَالجَنَّةُ مَأواهُ وَمَن خالَفَكُم فَالنَّارُ مَثواهُ** – المأوى هو المكان الذي يهدأُ فيهِ بالُ الإنسان، حين يكونُ الإنسان مُتعباً، حين يكون الإنسان قادماً من سفرٍ شاق أو من عملٍ مُتعِب فيأوي إلى بيتٍ مريح هو هذا المأوى، أمَّا المثوى فهو المكان الذي يمكث فيه الإنسان قد يكون مريحاً وقد لا يكونُ مريحاً، ولذلك لم تستعمل الزيارة كلمة المأوى هنا، وإن كان يمكن استخدامها أيضاً بحسب موازين الاستخدام العربي ولكن الزيارة أرادت أن تُفَرِّق بين هذين الاستعمالين بينَ المأوى والمثوى – **فَالجَنَّةُ مَأواهُ** – من هو هذا؟ – **مَنِ اتَّبَعَكُم فَالجَنَّةُ مَأواهُ وَمَن خالَفَكُم فَالنَّارُ مَثواهُ وَمَن جَحَدَكُم كافِرٌ** – من جحدكم أي من أنكركم، من أنكر وجودكم، من أنكر إمامتكم، من أنكر فضلكم، من أنكر مقاماتكم الغيبية بعنادٍ، هناك من أشياع أهل البيت ربما من ينكر المقامات الغيبية لأهل البيت لكن ليس عن عنادٍ وإنَّما لشبهةٍ، يتصور بأنَّ هذه المقامات الغيبية هي درجة من درجات الغلو، الذي يكونُ على شُبهةٍ فهو معذور، معذور ما دامت هذه الشبهة مستحكمة في عقلهِ وعليه أن يبحثَ عن الحقيقة – **مَنِ اتَّبَعَكُم فَالجَنَّةُ مَأواهُ وَمَن خالَفَكُم فَالنَّارُ مَثواهُ وَمَن جَحَدَكُم كافِرٌ وَمَن حارَبَكُم مُشرِكٌ وَمَن رَدَّ عَلَيكُم فِي أَسفَلِ دَرَكٍ مِنَ الجَّحِيمِ** – هذه أوصاف ومنازل ومراتب لأولئك الذينَ يُخالفون أهل البيت – **وَمَن خالَفَكُم فَالنَّارُ مَثواهُ** – هؤلاء الذين ستكون النار مثوىً لهم ما هي أوصافهم؟

الوصف الأول: **وَمَن جَحَدَكُم كافِرٌ**، الوصف الثاني: **وَمَن حارَبَكُم مُشرِكٌ**، وقطعاً الشرك قد يكون في بعض الأحيان أشد من الكُفر، والكفر في بعض الأحيان يكون أشد من الشرك، القضية هنا ليست على سبيل ما هو السيئ والأسوأ، السيئ والأسوأ تُشَخِّصهُ النوايا، يُشَخِّصهُ الفهم، تُشَخِّصهُ الحالة النفسية والوجدانية للإنسان، فقد يكون هناك كافر أسوأ من مُشرك وقد يكون هناك مُشرك أسوأ من كافر – **وَمَن جَحَدَكُم كافِرٌ وَمَن حارَبَكُم مُشرِكٌ وَمَن رَدَّ عَلَيكُم فِي أَسفَلِ دَرَكٍ مِنَ الجَّحِيمِ، أَشهَدُ أَنَّ هذا سابِقٌ لَكُم فِيما مَضى وَجارٍ لَكُم فِيما بَقِيَ** – سابقٌ لكم فيما مضى في الأمم الماضية في القرون الأولى في القرون الخالية، في القرون الخالية يعني في كل مراتب الوجود، هذا الأمر هو جارٍ لأهل البيت لأنَّه ما من نبيٍ نُبئ وما من رسولٍ أُرسِل وما من وصيةٍ نزلت إلى وصيٍ من الأوصياء إلاّ وهي تستندُ في حقيقتها إلى نبوة نبينا وولاية عليٍّ وآل عليّ، وهذه حقيقةٌ واضحة بديهيةٌ في فكر أهل البيت وفي حديثهم وكلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ما نجدهُ في رواياتنا وفي حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية يرويها شيخنا المجلسي وهذا هو الجزء السابع والعشرون الصفحة الخامسة والأربعون، **عن عجلان أبي صالح قال: سألتُ أبا عبد**

الله عليه السلام عن قبة آدم – المراد بقبة آدم، هذا العنوان يتحدَّثُ عنه أهل البيت، قبة آدم يعني هذه الدنيا التي نعيشُ فيها وهذه السماء المحيطة بهذه الدنيا هي قبة آدم، قبة آدم العالم الذي نحيا فيه – **سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قبة آدم فقلتُ له: هذه قُبَّةُ آدم؟ فقال: نعم وللهِ قِبابٌ كثيرة** – يعني أنَّ في هذا الوجود وأنَّ الله سبحانه وتعالى قد أوجد قَباباً كثيرة، هذا العالم الذي نعيشُ فيه هو عالم أبينا آدم – **وللهِ قِبابٌ كثيرة أَمَا إنَّ خلفَ مغربكم هذا** – وخلف مغربكم هذا ليس الإشارة هنا إلى جهة المغربِ بالنحو الدقي، وبالمناسبة فإنَّ الجهات هي مسألةٌ نسبية لا يوجد هناك مغربٌ بنحوٍ مُطلق ولا يوجد هناك مشرقٌ بنحوٍ مُطلق، ما يكون مغرباً في مكانٍ من الأمكنة لن يكون هو نفسهُ مغرباً لمكانٍ آخر، المغرب مسألةٌ نسبية، الجهات كلها، الجهات الفوق والتحت والمغرب والمشرق اليمين واليسار وكُلُّ الجهات الأخرى إنما هي قضيةٌ نسبية، المراد من المغرب أي ما وراء هذا العالم، مغرب الشيء هو ما وراء هذا الشيء – **أما إنَّ خلفَ مغربكم هذا تسعةً وثلاثينَ مغرباً أرضاً بيضاء مملوة خلقاً يستضيئون بنورنا لم يعصوا الله طُرفة عين لا يدرون أخلقَ الله آدم أم لم يخلقهُ يتبرؤون من فلانٍ وفُلان** – فُلان وفلان هذه عناوين للطواغيت الذينَ يجبُ على المؤمن أن يتبرأ منهم – **أما إنَّ خلفَ مغربكم هذا تسعةً وثلاثينَ مغرباً أرضاً بيضاء مملوة خلقاً يستضيئون بنورنا** – وهذا هو المعنى الذي أرددهُ كثيراً في قضية وجود مظاهر لهم في كل طبقةٍ من طبقاتِ هذا الوجود – **خلقاً يستضيئون بنورنا لم يعصوا الله طَرفة عين لا يدرون أخلقَ الله آدم أم لم يخلقهُ يتبرأون من فلانٍ وفُلان، قيلَ له: كيفَ هذا؟! يتبرؤون من فلانٍ وفلان وهم لا يدرونَ أخَلَقَ الله آدم أم لم يخلقه؟! فقال للسائل: أتعرف إبليس؟ قال: لا إلا بالخبر، قال: فأُمِرتَ باللعنةِ والبراءة منه؟ قال: نعم، قال: فكذلك أمرُ هؤلاء.**

الرواية الأخرى: **عن جابرٍ عن أبي جعفرٍ عليه السلام** – جابر هو الجعفي – **قال: سمعتهُ يقول: إنَّ من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس** – عين يعني شمس بكاملها، حقيقة شمس يعني – **إنَّ من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس ما بين شمسٍ إلى شمس أربعونِ عاماً** – والحديث هنا عن السنون لا بالمقاييس الأرضية – **فيها خلقٌ كثير ما يعلمون أنَّ الله خلقَ آدم أو لم يخلقه وإنَّ من وراء قمركم هذا أربعينَ قمراً ما بينَ قمرٍ إلى قمر مسيرة أربعينَ يوماً فيها خلقٌ كثير ما يعلمون أنَّ الله خلقَ آدمَ أو لم يخلقه قد أُلهِموا كما أُلهِمت النحل لعنةَ الأول والثاني في كل وقتٍ من الأوقات وقد وُكِّلَ بهم ملائكة متى لم يلعنوهما عُذِّبوا.**

روايةٌ أخرى: عن سليمان بن خالد قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: **ما من شيءٍ ولا من آدمي ولا إنسي ولا جني ولا مَلَكٍ في السماوات إلاَّ ونَحنُ الحُجَجُ عليهم وما خَلَقَ الله خلقاً إلاَّ وقد**

عَرَضَ ولايتنا عليهِ واحتجَّ بِنا عليهِ فمؤمنٌ بنا وكافرٌ وجاحد حتى السماوات والأرض والجبال – الروايات في هذا المضمون كثيرةٌ جداً.

وهذا نموذجٌ آخر من رواياتهم ومن أحاديثهم، ينقلهُ الشيخ المجلسي عن شيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه عن كتابهِ الخصال، **عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه: إنَّ للهِ عزَّ وجلَّ إثني عشر ألف عالَم، كُلُّ عالَمٍ منهم أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين، ما يرى عالَمٌ منهم أنَّ للهِ عزَّ وجلَّ عالَماً غيرهم وإنّي الحُجَّة عليهم** – إشارات واضحة وبينة في الروايات إلى أن لهم مظاهر في كل طبقةٍ من طبقاتِ هذا الوجود والزيارة تُشيرُ إلى هذا المعنى: **أَشهَدُ أَنَّ هذا سابِقٌ لَكُم فِيما مَضى وَجارٍ لَكُم فِيما بَقِيَ**، وهذا القانون يتضحُ في عالَمِنا الأرضي وفي عالَمِنا التُرابي.

الرواية يرويها شيخنا المجلسي عن كنز الفوائد للمُحَدِّث الكراجكي بسندهِ: **عن سليمانَ الأعمش عن جعفر بن مُحَمَّدٍ عن آبائهِ عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ أنتَ أميرُ المؤمنين وإمامُ المُتقين، يا عليّ أنتَ سيدُ الوصيين ووراثُ عِلم النبيين وخيرُ الصديقين وأفضلُ السابقين، يا عليّ أنتَ زوجُ سيدة نساء العالمين وخليفة خير المرسلين، يا عليّ أنت مولى المؤمنين والحُجَّة بعدي على الناس أجمعين، أستوجب الجنَّة من تولاك واستوجب دخول النارِ من عاداك، يا عليّ والذي بعثني بالنبوة واصطفاني على جميع البرية لو أنَّ عبداً عَبَدَ الله ألف عام ما قُبِلَ ذلك منه إلا بولايتك وولاية الأئمة من ولدك وإنَّ ولايتك لا تُقبَلُ إلا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من وُلدك بذلك أخبرني جبرئيل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** – هذا هو قانون الولاية والإمامة الذي أرادهُ الله ويريدهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** – الميزانُ ولاية عليٍّ وآل عليّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **أَشهَدُ أَنَّ هذا سابِقٌ لَكُم فِيما مَضى وَجارٍ لَكُم فِيما بَقِيَ** – سابقٌ في كل طبقات الوجود في كل مراتب الوجود، هذا السبق ليس سبقاً زمانياً، السبق الزماني يدخلُ فيه ولكن الحديث هنا عن سبقٍ في مراتب الوجود – **وَجارٍ لَكُم فِيما بَقِيَ** – فيما بقي ليسَ بالعنوان الزماني وإنَّما بعنوان مراتب الوجود وما يقع بالعنوان الزماني فهو منطوٍ ومنضوٍ تحت هذا العنوان.

السبق في مراتب الوجود يختلف عن السبق في المراتب الزمانية، حينما أقول الآن مثلاً، حينما أقول حَرَّكتُ هذا الخاتم في أصبعي حَرَّكتهُ بيدي، من الجهة الزمانية حركة اليد وحركة الخاتم في نفس الوقت لكن من الجهة الوجودية فإنَّ حركة اليد سابقة وأعلى رُتبة من حركة الخاتم لأنَّ حركة اليد هنا، اليد هي العلة والحركة في الخاتم هي المعلول والعلة سابقة وجوداً في مراتب الوجود في مراتب الفاعلية والتأثير على المعلول، الحديث هنا

في السبق إنَّما هو حديث عن السبق في المراتب الوجودية ليس الحديث في السبق عن المراتب الزمانية وإنَّما يدخلُ بضمنها، لأنَّ المراتب الزمانية إنَّما هي في وعاء الأرض في وعاء العالم الدنيوي، فالزمان ينشأ من حركة الأرض ومن حركة الشمس والقمر، من حركة الأفلاك في هذه المجموعة الشمسية حتى في هذه المجموعة الشمسية كُلُّ كوكبٍ من كواكب المجموعة له زمانه الخاص به، ليله نهاره يومه سنته فصوله تختلف عمَّا عليه في الأرض، القمر نفس الشيء، الشمس نفس الشيء، وهكذا كُلّ كوكب كُلّ جرمٍ سماوي له زمانه الخاص به، فحينما تقول الزيارة: **أَشهَدُ أَنَّ هذا سابِقٌ لَكُم فيما مَضى، وَجارٍ لَكُم فيما بَقِيَ** – الحديث عن المراتب الوجودية وبالضمن تدخل المراتب الزمانية – **وَأَنَّ أَرواحَكُم وَنُورَكُم وَطينَتَكُم واحِدَةٌ، طابَت وَطَهُرَت بَعضُها مِن بَعض** – هذا قانونٌ واضح وقانونٌ صريح – **وَأَنَّ أَرواحَكُم وَنُورَكُم وَطينَتَكُم واحِدَةٌ** – الأرواح مظهرٌ من مظاهر وجودهم والنورُ مظهرٌ من مظاهر وجودهم والطينة مظهرٌ من مظاهر وجودهم، الطينة هي النوريةُ الأولى التي أشرق منها نورهم في هذا الوجود، هذه العبارات هي لتقريب معنى أنهم حقيقةٌ واحدة، ولكن هذه الحقيقة لها مظاهر.

الكلمة الأولى حقيقةٌ بسيطة أقرب ما تكون إلى المعنى البسيط فهي الأسم الأعظم والأسم الأعظم أقرب ما يكون إلى معنى البساطة، بسيطُ الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى الذات المُنَزّهة عن كُلّ تركيبٍ وعن كُلّ نقص، الذات البسيطة هي ذاته سبحانه وتعالى التي ذاته عين صفاته وصفاته عين ذاته، الكُلّمة الأولى أقرب ما تكون إلى البساطة لكنها مُركبة، مركبة من جهة أنها مخلوقة، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك، ما أشرق من الكلمة الأولى الكائنات كُلّها مركبة، وكلما ابتعد الكائن وابتعد الموجود في دائرة القرب عن الله سبحانه وتعالى كلما اشتدت فيه صفات التركيب ودرجات التركيب، فكلما ابتعد الموجود في درجة القرب وفي درجة الشرافة وفي درجة المنزلة من الله سبحانه وتعالى كلما تعقد فيه التركيب وكان بعيداً وكان منفعلاً وضعفت فيه الفاعلية، الكلمة الأولى لها مظاهر ولها صور وفي كُلّ طبقةٍ من طبقات هذا الوجود لها صور، والحديث هنا: **وَاَنَّ أَرواحَكُم وَنُورَكُم وَطينَتَكُم واحِدَةٌ، طابَت وَطَهُرَت بَعضُها مِن بَعض،** حين يقول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: **حُسينٌ مني وأنا من حسين،** أو في روايةٍ أخرى: **أنا من حسينٍ وحسينٌ مني،** وحين يقول: **أنا من عليٍّ وعليٌّ مني،** وحين يقول سيد الأوصياء: **أنا من مُحَمَّد ومُحَمَّد مني،** وحين يقول: **أنا من مُحَمَّد كالضوء من الضوء،** وحين يخاطب سيد الأوصياء ولده الأكبر الحسن السبط: **وجدتك بعضي لا بل وجدتك كُلّي،** وحين يقول سيد الأوصياء: **أولنا مُحَمَّد أوسطنا مُحَمَّد آخرنا مُحَمَّد كُلّنا مُحَمَّد،** كُلّ ذلك يشيرُ إلى هذه الحقيقة الواحدة إلى هذه الطينة الواحدة، هذه الطينة التي تميزت عن كُلّ طينة، طينة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، ماذا يحدثنا أمير

المؤمنين عن هذه الطينة المقدسة؟

هذا هو الجزء الخامس من كتاب بحار الأنوار وهذه هي الصفحة السابعة والعشرون، الرواية طويلة وسأقرأ منها أيضاً مقطعاً طويلاً لأنني إذا أردت أن أقرأ الرواية بتمامها هذا يحتاج إلى وقتٍ طويل، سأكتفي بموطن الحاجة وإن كان طويلاً أيضاً، أمير المؤمنين يقول:

كانَ الله ولا شيء معه فأول ما خلق نور حبيبه مُحَمَّد صلى الله عليه وآله قبل خَلِق الماء والعرش – الماء هو ماء الفيض، هو ما الوجود، خلق النبي صلى الله عليه وآله – **قبل خلق الماء والعرش والكرسي والسماوات والأرض واللوح والقلم والجَنة والنّار والملائكة وآدم وحواء بأربعة وعشرين وأربع مئة ألف عام** – وهذه الأرقام ليست أرقاماً بالنحو الحسابي والرياضي الذي يحسب به في عالمنا الدنيوي، الحديث عن الخلقة الأولى قبل الزمان وقبل المكان وقبل الحسابات والأرقام – **فلمَّا خلق الله تعالى نور نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله بقي ألف عامٍ بين يدي الله عزَّ وجلَّ** – هذه طينة محّمَّدٍ وآل مُحَمَّد، استمعوا لأوصاف هذه الطينة – **فلمَّا خلق الله تعالى نور نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله بقي ألف عامٍ بين يدي الله عزَّ وجلَّ واقفاً يسبحه ويحمده والحقُّ تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول: يا عبدي أنت المُرادُ والمُريد** – الله يخاطب نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، يخاطب الطينة، الطينة المُحَمَّدية، الحقيقة المُحَمَّدية – **يا عَبدي أنتَ المُرادُ والمُريد وما رَميتَ إذ رَميت** – هذا الخطاب هو نفسه الذي كان في العالم الأرضي هو صورةٌ وتجلٍ لذلك الخطاب في عالم النور الأول – **يا عبدي أنت المُرادُ والمُريد وأنت خيرتي من خلقي وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت الأفلاك، من أحبك أحببته** – لولاك ما خلقت الأفلاك الحديث هنا لا يشير إلى أن الأفلاك قد خُلقِت وإنما ستخلق، ولكن هذا هو علم الله، علم الله لا يوجد فيه لا شيء ماضي ولا حاضر ولا مستقبل – **من أحبك أحببته ومن أبغضك أبغضته فتلألأ نوره وأرتفع شعاعه فخلق الله منه اثني عشر حِجاباً** – من هذا النور – **أَوّلُها حِجابُ القُدرة ثُمَّ حِجابُ العَظَمة ثُمَّ حِجابُ العِزّة ثُمَّ حِجابُ الهيبة ثم حِجابُ الجبروت** – هذه الحجب التي مراراً أتحدّث عنها بأنها ما فوق العرش – **ثم حِجابُ الرحمة ثم حِجابُ النبوة ثم حِجابُ الكبرياء ثم حِجابُ المنزلة ثم حِجابُ الرفعة ثم حِجابُ السعادة ثم حِجابُ الشفاعة، ثم إن الله تعالى أمر نور رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدخل في حِجابُ القدرة فدخل وهو يقول سبحان العلي الأعلى وبقي على ذلك اثني عشر ألف عام، ثم أمره أن يدخل في حِجابُ العظمة فدخل وهو يقول سبحان عالم السر وأخفى أحد عشر ألف عام، ثم دخل في حِجابُ العزة وهو يقول سبحان الملك المنان عشرة آلاف عام ثم دخل في حِجابُ الهيبة وهو يقول سبحان من هو غنيٌّ لا يفتقر تسعة آلاف عام، ثم دخل في**

حِجابُ الجبروت وهو يقول سبحان الكريم الأكرم ثمانية آلاف عام، ثم دخل في حِجابُ الرحمة وهو يقول سبحان رب العرش العظيم سبعة آلاف عام، ثم دخل في حِجابُ النبوة وهو يقول سبحان ربك رب العزة عمَّا يصفون ستة آلاف عام، ثم دخل في حِجابُ الكبرياء وهو يقول سبحان العظيم الأعظم خمسة آلاف عام، ثم دخل في حِجابُ المنزلة وهو يقول سبحان العليم الكريم أربعة آلاف عام، ثم دخل في حِجابُ الرفعة وهو يقول سبحان ذي المُلكِ والملكوت ثلاثة آلاف عام، ثم دخل في حِجابُ السعادة وهو يقول سبحان من يزيل الأشياء ولا يزول ألفي عام، ثم دخل في حِجابُ الشفاعة وهو يقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ألف عام – هذه طينةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، هذه الطينةُ التي تتحدث عنها الزيارة الجامعة الكبيرة، ويستمر أمير المؤمنين فيقول:

ثُمَّ إن الله تعالى خلق من نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله عشرين بحراً من نور – هذه هي المظاهر، هذه مظاهر الحقيقة المُحَمَّدية في عالم الحُجُب الذي هو أعلى بكثيرٍ وأرقى رتبةً من عالم العرش – **ثُمَّ إن الله تعالى خلق من نور مُحَمَّد عشرين بحراً من نور في كُلّ بحرٍ علوم لا يعلمها إلا الله تعالى، ثم قال لنور مُحَمَّد انزل في بحر العزة فنزل ثم في بحر الصبر ثم في بحر الخشوع ثم في بحر التواضع ثم في بحر الرضا ثم في بحر الوفاء ثم في بحر الحلم ثم في بحر التقى ثم في بحر الخشية ثم في بحر الإنابة ثم في بحر العمل ثم في بحر المزيد ثم في بحر الهدى ثم في بحر الصيانة ثم في بحر الحياء حتى تقلب في عشرين بحراً** – بالله عليكم هل نستطيع أن نتصور هذه المعاني؟!

هذه مجرد إشارات ورموز لحقيقة الطينة المُحَمَّدية ولا يقف الحديث عند هذا الحد – **فلمَّا خرج من آخر الأبحر قال الله تعالى: يا حبيبي ويا سيد رسلي ويا أول مخلوقاتي ويا آخر رسلي أنت الشفيع يوم المَحشر فخرَّ النور ساجداً ثم قام فقطرت منه قطرات كان عددها مئة ألف وأربع وعشرين ألف قطرة فخلق الله تعالى من كُلّ قطرة من نوره نبياً من الأنبياء** – وهؤلاء الأنبياء هم مظاهره، مظاهر الحقيقة المُحَمَّدية – **فلمَّا تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور مُحَمَّد** – أنوار الأنبياء تطوف حول كعبتها الحقيقية – **فلمَّا تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله كما تطوف الحُجاج حول بيت الله الحرام** – وهذا هو أحد أسرار الحج – **وهم يسبحون الله ويحمدونه ويقولون سبحان من هو عالِمٌ لا يجهل سبحان من هو حليمٌ لا يعجل سبحان من هو غنيٌّ لا يفتقر فناداهم الله تعالى تعرفون من أنا؟!**

فسبق نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله قبل الأنوار ونادى أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ربُّ الأرباب وملك الملوك، فإذا بالنداء من قِبل الحق أنت صفيي وأنت حبيبي وخيرُ

خلقي، أُمَّتُكَ خيرُ أُمَّةٍ أُخرِجت للناس – وأُمَّةُ مُحَمَّد هم آل مُحَمَّد صلوات الله عليهم كما بينت لنا أخبارهم وأحاديثهم – **أُمَّتُكَ خيرُ أُمَّةٍ أخرجت للناس ثم خلق من نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله جوهرة وقسمها قسمين فنظر إلى القسم الأول بعين الهيبة فصار ماءً عذباً** – وهذا هو ماءُ عالم الإمكان، الماءُ الذي أشرق منه الوجود – **فنظر إلى القسم الأول بعين الهيبة فصار ماءً عذباً ونظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منها العرش فاستوى على وجه الماء، فخلق الكرسي من نور العرش، وخلق من نور الكرسي اللوح، وخلق من نور اللوح القلم وقال له أكتب توحيدي فبقي القلم ألف عامٍ سكران من كلام الله تعالى فلمَّا أفاق قال: أكتب، قال: يا ربي وما أكتب؟**

قال: أكتب لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله، فلمَّا سمع القلم اسم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله خرَّ ساجداً وقال سبحان الواحد القهار سبحان العظيم الأعظم ثم رفع رأسه من السجود وكتب لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله ثم قال: يا ربي ومَن مُحَمَّد الذي قرنت اسمه باسمك وذكره بذكرك؟ قال الله تعالى يا قلم فلولاه ما خلقتك ولا خلقتُ خلقي إلا لأجله وهو بشيرٌ ونذير وسراجٌ منير وشفيعٌ وحبيب فعند ذلك أنشق القلمُ من حلاوة ذكر مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، ثم قال القلم: السلام عليك يا رسول الله فقال الله تعالى وعليك السلامُ مني ورحمة الله وبركاته فلأجل هذا صار السلام سنة والرد فريضة – وتستمر الرواية إلى أن يقول سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه في مقطعٍ آخر من هذه الرواية الطويلة:

ثم خلق الله تعالى العرش من ضياءين أحدهما الفضل والثاني العدل ثم أمر الضياءين فانتفسا بنفسين فخلق منهما أربعة أشياء العقل والحلم والعلم والسخاء، ثم خلق من العقل الخوف، وخلق من العلم الرضا، ومن الحلم المودة، ومن السخاء المحبة ثم عجن هذه الأشياء في طينة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ثم خلق من بعدهم أرواح المؤمنين من أُمَّة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ثم خلق الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والضياء والظلام وسائر الملائكة من نور مُحَمَّدٍ – الحديث عن نور مُحَمَّد في كُلّ طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، حينما يأتي ذكره هنا فهو الحديث عن مظهرٍ من مظاهره في طبقةٍ من طبقات هذا الوجود التي لا تُعَدّ ولا تحصى، إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها – **فلمَّا تكاملت الأنوار سكن نور مُحَمَّد تحت العرش** – هذه مرتبة من مراتبهم والتي أشارت إليها الزيارةُ الجامعة الكبيرة: فَجَعَلَكُم بِعَرشِهِ مُحدِقِينَ، هذه من المراتب المتأخرة وإلا فالعرشُ متأخرٌ عن الحُجُب والحُجُب متأخرة عن نوره صلى الله عليه وآله في أصل الطينة الإلهية – **فلمَّا تكاملت الأنوار سكن نور مُحَمَّد تحت العرش ثلاثةً وسبعين ألف عام ثم أنتقل نوره إلى الجنة فبقي سبعين ألف عام ثم أنتقل إلى سدرة المنتهى فبقي سبعين ألف**

عام ثم أنتقل نوره إلى السماء السابعة ثم إلى السماء السادسة ثم إلى السماء الخامسة ثم إلى السماء الرابعة ثم إلى السماء الثالثة ثم إلى السماء الثانية ثم إلى السماء الدنيا فبقي نوره في السماء الدنيا إلى أن أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام – إلى آخر الرواية.

الروايةُ بهذا التفصيل الجميل تتحدث عن المظاهر التي لا حصر لها للحقيقة المُحَمَّدية، والرواية هنا تحدثت عن جانبٍ من أوصاف هذه الطينة وهذه النورية الإلهية – **وَأَنَّ أَرواحَكُم وَنُورَكُم وَطينَتَكُم واحِدَةٌ** – هي هذه الطينة الإلهية المقدسة التي حدثنا عنها أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه – **وَأَنَّ أَرواحَكُم وَنُورَكُم وَطينَتَكُم واحِدَةٌ طابَت وَطَهُرَت بَعضُها مِن بَعض، خَلَقَكُمُ اللهُ أنواراً فَجَعَلَكُم بِعَرشِهِ مُحدِقينَ** – محدقين أي محيطين وهذه مرتبةٌ من مراتبهم هي مرتبة إحاطتهم بالعرش، والروايات تحدثنا بأن العرش في هذه المرتبة الله سبحانه وتعالى زَيّنة بالحسن والحسين، زينة العرش الحسن والحسين، قرطا العرش كما تقول الروايات إن الله سبحانه وتعالى زين العرش بقرطين، والقرط واضحٌ معناه هو الحُلي التي تلبسها المرأة وتضعها في أذنها، قرطا العرش الحسن والحسين، زينة العرش، وقنديل العرش كما في الروايات فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، قنديل العرش المشرق هي الزهراء، وأقراط زينة العرش حسنٌ وحسين، والأنوار المُحَمَّديةُ والعلويةُ والمهدويةُ محدقةٌ ومحيطةٌ بالعرش هذا في طبقةٍ من طبقات الوجود وإلا فأنوارهم سبقت العرش وسبقت الحجب وأنوارهم هي النور الأول هو نور الأنوار الذي أشرقت منه كُلّ الأنوار.

وَأَنَّ أَرواحَكُم وَنُورَكُم وَطينَتَكُم واحِدَةٌ طابَت وَطَهُرَت بَعضُها مِن بَعض، خَلَقَكُمُ اللهُ أنواراً فَجَعَلَكُم بِعَرشِهِ مُحدِقينَ حتى مَنَّ عَلَينا بِكُم –من علينا بكم في هذا العالم الأرضي، ومن قبل في عالم الذر عرضت ولايتهم وأنوارهم علينا – **حتى مَنَّ عَلَينا بِكُم، فَجَعَلَكُم في بُيُوت أَذِنَ اللهُ أَن تُرفَعَ وَيُذكَرَ فيهَا اسمُهُ** – هذه البيوت بيوت النبي وآل النبي، وهذه البيوت في مظهرٍ من مظاهرها هي بيوتهم التي نسعى إليها ونستأذن للدخول فيها وإليها، ولكن المظهر الأعمق هم هذه البيوت المقدسة، هم بيوت الله العامرة، في رواياتنا إن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم أن يبني له بيتاً فبنى بيتاً، عمّر بيتاً، عمّر مسجداً، وثانيةً عمر وثالثةً ويأتي الأمر إلى إبراهيم أن يا إبراهيم عمّر لي بيتاً، قال يا ربي قد عمّرت بيوتاً، قال البيت الذي أقصده هو القلب قلب المؤمن، عمّر لي بيتاً، البيت الذي يريده الله سبحانه وتعالى الذي يطفح بالعمران هو القلب، ولذلك سماواتي وأرضي ما وسعتني ووسعني قلب عبدي المؤمن، البيوت الحقيقية هم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولذلك في رواياتنا هذا هو المجلد الخامس من تفسير البرهان والحديثُ عمّا جاء في سورة النور المباركة، آية النور الله نور السموات والأرض، وهي الآيةُ الخامسة والثلاثون ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ

فيهَا مِصبَاحٌ المِصبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيتُونِةٍ لَّا شَرقِيَّةٍ وَلَا غَربِيَّةٍ يَكَادُ زَيتُهَا يُضِيءُ وَلَو لَم تَمسَسهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضرِبُ اللَّهُ الأَمثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾ وتستمر الآية السادسة والثلاثون ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرفَعَ وَيُذكَرَ فِيهَا اسمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ هذه البيوت هي التي يحدثنا عنها أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الرواية: **عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت جالساً في مسجد الرسول فدخل رجلٌ فسلم فقال: من أنت يا عبد الله؟ فقلت: رجلٌ من أهل الكوفة فما حاجتك؟ فقال لي: أتعرف أبا جعفر مُحَمَّد بن علي؟ فقلت: نعم، فما حاجتك إليه: قال: هيأت له أربعين مسألة أسأله عنها فما كان من حقٍّ أخذته وما كان من باطلٍ تركته، قال أبو حمزة: فقلت له: هل تعرف ما بين الحق والباطل؟! قال: نعم، قلت: فما حاجتك إليه؟!** إذا كنت تعرف بين الحق والباطل، **فقال لي: يا أهل الكوفة أنتم قومٌ ما تطاقون إذا رأيت أبا جعفر فأخبرني، فما انقطع كلامه حتى أقبلَ أبو جعفرٍ عليه السلام وحوله أهل خراسان وغيرهم يسألونه عن مناسك الحج، فمضى حتى جلس مجلسه وجلس الرجل قريباً منه، قال أبو حمزة: فجلست حيثُ أسمع الكلام وحوله عالمٌ من الناس، فلمّا قضى حوائجهم وانصرفوا ألتفت إلى الرجل فقال له: من أنت؟**

قال: أنا قتادة بن دعامة البصري، فقال أبو جعفر: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إن الله عزَّ وجلَّ خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حُجَجاً على خلقه فهم أوتادٌ في أرضه قُوّامٌ بأمره نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه أظلةً عن يمين عرشه قال: فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام بن عباس فما اضطرب قلبي قدام واحدٍ منهم ما اضطرب قدامك، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك ؛ أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي بيوتٍ أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فأنت ثَم يا قتادة – يعني فأنت في هذه البيوت – **ونحن أولئك** – هذه البيوت نحن – **ونحن أولئك، فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين** – هذه البيوت المذكورة في هذه الآية ما هي بيوت حجارة ولا طين – **فقال له قتادة** – قتادة ألتفت إلى دقة المعنى في الآية، نحن أيضاً إذا التفتنا إلى الآية ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرفَعَ وَيُذكَرَ فِيهَا اسمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لَّا تُلهِيهِم تِجَارَةٌ﴾ هذه البيوت

في حقيقتها ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ – **قال: فأنت ثَم يا قتادة** – في هذه البيوت – **ونحن أولئك، فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك واللهِ ما هي بيوت حجارة ولا طين.**

الزيارة هنا تشير إلى هذه المضامين تشير إلى هذه المعاني – **فَجَعَلَكُم في بُيُوت أَذِنَ اللهُ أَن تُرفَعَ وَيُذكَرَ فيهَا اسمُهُ** – هذه البيوت في مظهرٍ من مظاهرها هي بيوتهم التي نسعى إليها، وبيوتهم بالمعنى الأعمق كما تقول الروايات عن إمامنا الباقر عليه السلام إن مُحَمَّداً وعليَّاً وفاطمة والحسن والحسين لا يجدون سقفاً لبيوتهم غير عرش الرحمن، تلك بيوتٌ لها دلالةٌ أخرى، قطعاً بيوتهم التي كانت في العالم الأرضي بيوت مسقفة بالقصب وبالأعمدة والطين والخشب واللَبِن ولكن هذه البيوت التي يتحدث عنها باقر العترة بأنهم لا يجدون لبيوتهم سُقُفَاً غير عرش الرحمن تلك دلالةٌ أخرى أعمق وأبعد من كُلّ هذه المعاني – **فَجَعَلَكُم في بُيُوت أَذِنَ اللهُ أن تُرفَعَ وَيُذكَرَ فيهَا اسمُهُ، وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيكُم وَما خَصَّنا بِهِ مِن وِلايَتِكُم طيباً لِخَلقِنا، وَطَهارَةً لأنفُسِنا، وَتَزكِيَةً لَنا، وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا** – هنا الحديث في الزيارة الجامعة عن آثار ولاية أهل البيت على نفوسنا وعلى أبداننا وعلى قلوبنا وعلى عواقب أمورنا – **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيكُم** – الصلاة عليهم قد يراد منها الصلاة حينما نقول اللهم صل على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وقد يراد منها كُلّ معاني التكريم والتبجيل والتقديس والتنزيه لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وقد يراد منها زياراتنا لهم من قريبٍ ومن بعيد، زياراتنا باللفظ الظاهري وباللفظ الخفي، وقد يراد من هذه الصلاة النية الثابتة في قلوبنا للتسليم وللاستسلام وللسالمية لهم وللقطع ولليقين بأننا سنفي لهم بعقود الإمامة والولاية – **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيكُم وَما خَصَّنا بِهِ مِن وِلايَتِكُم** – هذه الولاية في بُعدها العقائدي القلبي وهذه الصلاة في بعدها اللفظي وفي بعدها العملي، لأن الصلاة ليست لفظاً فقط، الصلاة ألفاظ، الصلاة نوايا والصلاة عمل.

من لم يقدر على صلتنا كما في الروايات فليصل صالحي موالينا، صلة أهل البيت وصلة صالحي مواليهم هي مصداقٌ واضح من مصاديق الصلاة على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيكُم وَما خَصَّنا بِهِ مِن وِلايَتِكُم طيباً لِخَلقِنا** – هذه آثارٌ تكوينية، هذا هو قانون التكوين والتشريع، العلاقة الوثيقة بين التكوين والتشريع – **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيكُم وَما خَصَّنا بِهِ مِن وِلايَتِكُم طيباً لِخَلقِنا** – وإنما يطيب الخلق لأي شيءٍ؟ يطيب الخلق لأجل أن تكون مادة هذا الخلق صالحة لأن تستقر في الجِنان، وما معنى الشفاعة إلا هو نحوٌ من أنحاء تطييب الخلقة للإنسان حتى يكون بإمكانه أن يدخل إلى عالم الجنان فعالم الجنان عالم له قوانين عالم له خصائص وشرائط، الطينةُ الطاهرة هي الطينة التي يمكن أن تكون في جنان رب العالمين، أما الطينة النجسة فهي التي لها محلٌ آخر وهو محل النيران – **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيكُم وَما خَصَّنا بِهِ مِن وِلايَتِكُم**

طيباً لِخَلقِنا، وَطَهارَةً لأنفُسِنا – هذه الطهارة بنية الاستسلام والتسليم لأهل البيت – **وَطَهارَةً لأنفُسِنا وَتَزكِيَةً لَنا** – التزكية ما هو أعلى وأرقى من الطهارة – **وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا** – المعنى الذي نقرأه في زيارة إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه ونحن نخاطب الإمام الحُجّة في زيارته الشريفة:

أشهدُ أنَّ بولايتك تُقبَلُ الأعمَال، وتُزكىَّ الأفعَال، وتُضَاعَفُ الحَسَنات، وتُمحى السّيئات فَمَن جَاء بولايتكَ وأعترَف بإمامَتِك قُبِلت أعمَالُه وصدّقت أقوالُه وتَضَاعفت حَسَناتُه ومُحيت سيّئاتُه ومَن عَدَلَ عَن ولايتك وجَهِلَ مَعرِفَتك واستبدل بِكَ غَيرُك كَبّه الله على مَنخَرِه في النّار ولم يَقبَل الله له عَمَلاً ولم يُقِم لهُ يومَ القيامةِ وزناً أُشهِدُ الله وأُشهِدُ ملائكته وأُشهِدُك يا مولاي بهذا ظاهرهُ كباطِنه وسرّه كعلانيته وأنتَ الشاهِدُ عَلى ذَلِك وهوَ عَهدي إليك وميثَاقي لَديك إذ أنتَ نِظامُ الدّين ويَعسوب المُتَقين وعِزُّ المُوحِدين وبذلك أمرَني رَبُّ العالمين – هذه المعاني فُصلت بنحوٍ أكثر في زيارة الإمام الحُجّة صلوات الله وسلامه عليه – **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيكُم وَما خَصَّنا بِهِ مِن وِلايَتِكُم طيباً لِخَلقِنا، وَطَهارَةً لأنفُسِنا، وَتَزكِيَةً لَنا، وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا، فَكُنّا عِندَهُ مُسَلِّمينَ بِفَضلِكُم** – كنا عنده بعلمه وبعلم ملائكته وبعلم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد – **فَكُنّا عِندَهُ مُسَلِّمينَ بِفَضلِكُم** – نحنُ نسلم لكم بعقولنا وبقلوبنا وبكُلّ ما هو في مداركنا وبكُلّ ما هو في وجودنا – **فَكُنّا عِندَهُ مُسَلِّمينَ بِفَضلِكُم، وَمَعرُوفينَ بِتَصديقِنا إيّاكُم** – معروفين في الملأ الأعلى.

الروايات تحدثنا عن الملائكة وكيف يتابعون أولياء أهل البيت، الروايات تحدثنا أن الملائكة تنزل إلى الأرض فتصعد، أفواجٌ من الملائكة تنزل إلى الأرض فتصعد، فحينما يصعدون تهب منهم رائحة طيبة لم يعهدها أهل السماء، ملائكة آخرون يقولون من أين هذه الرائحة؟ يقولون لقد نزلنا إلى مجلسٍ جلس فيه أشياع أهل البيت وتحدثوا بفضلهم وذكروا شيئاً من مقاماتهم ومن مناقبهم كانوا يذكرون أهل البيت كان حديثهم في أهل البيت صلوات الله عليهم فتطيبنا من طيب تلكم المجالس، يقولون لهم أرشدونا في أي بقعةً من الأرض؟ قالوا لقد تفرقوا، قالوا أرشدونا إلى المكان الذي كانوا قد اجتمعوا فيه لنذهب ونتطيب من نفس هذه الأمكنة، الروايات عن أهل البيت تحدثنا بأن أشياع أهل البيت يضيئون في الأرض للملائكة كما تُضيء هذه النجوم في السماء، أن الملائكة يرون نور أشياع أهل البيت، وهذا النور ليس للشيعة وإنما لِما يحملونه من عقيدتهم بأهل البيت، هذا هو نور أهل البيت المُشرق في أشياعهم وفي أولياءهم – **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيكُم وَما خَصَّنا بِهِ مِن وِلايَتِكُم طيباً لِخَلقِنا، وَطَهارَةً لأنفُسِنا، وَتَزكِيَةً لَنا، وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا، فَكُنّا عِندَهُ مُسَلِّمينَ بِفَضلِكُم، وَمَعرُوفينَ بِتَصديقِنا إيّاكُم** – ثم تبدأ الزيارة ويبدأ الزائر بهذا الدعاء وهو مصداقٌ من مصاديق الصلاة قبل قليل قرأنا – **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيكُم** – والصلاةُ في معنىً من معانيها دعاءٌ

ورحمة – **فَبَلَغَ اللهُ بِكُم أَشرَفَ مَحَلِّ المكَرَّمينَ، وَأعلى مَنازِلِ المقَرَّبينَ، وَاَرفَعَ دَرَجاتِ المرسَلينَ** – لأن هذه المعاني هي أعلى ما نعرفه من المراتب – **فَبَلَغَ اللهُ بِكُم اَشرَفَ مَحَلِّ المكَرَّمينَ، وَأعلى مَنازِلِ المُقَرَّبينَ، وَاَرفَعَ دَرَجاتِ المُرسَلينَ، حَيثُ لا يَلحَقُهُ لاحِقٌ، وَلا يَفُوقُهُ فائِقٌ، وَلا يَسبِقُهُ سابِقٌ، وَلا يَطمَعُ في إدراكِهِ طامِعٌ** – إلى أعلى المنازل، حينما نقول اللهم صل على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد هذه الكلمة تحدثنا وتعبرُ عن أي معنىً، عن أي دلالة؟ عن أنهم قد وصلوا إلى الله، وهم الصلة فيما بيننا وبين الله، هذه الفقرات هي تشرح معنى الصلاة على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في وجهٍ من وجوهها، لأن الزيارة قبل قليل قالت: **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيكُم** – الآن الزيارة تشرح مضمون هذه الصلاة في وجهٍ من وجوهها – **فَبَلَغَ اللهُ بِكُم أَشرَفَ مَحَلِّ المُكَرَّمينَ، وَأعلى مَنازِلِ المُقَرَّبينَ** – والمكرمون هم، والمقربون هم، وأعلى المنازل هم في هذه المنازل، لكننا لا نجد عبارات تعبر عن ما وراء هذه المعاني.

الزيارة هي قولٌ بليغٌ كاملٌ صادرٌ عن المعصوم عليه السلام لكن تبقى الألفاظ محدودة بقوانين الألفاظ، وتبقى اللغة والجُمَل والعبارات والكلمات محدودة بقوانين اللغة واللغة محكومة أيضاً بأعرافها اللغوية وبأعرافها المجتمعية وبأعرافها الثقافية، لكُلّ لغة أعراف لغوية وأعراف مجتمعية وأعراف ثقافية تنشأ من نفس اللغة من نفس المجتمع الذي يتكلم بهذه اللغة ومن نفس الثقافة التي تسيطر على أبناء ذلك المجتمع، اللغة عبارة عن منظومة فيها مجموعة من القواعد مجموعة من الأعراف مجموعة من القوانين، منها ما يتعلق بنفس اللغة بما هي لغة، ومنها ما يتعلق بنفس المجتمع وأساليب الحياة في المجتمع، ومنها ما يتعلق بثقافة ذلك المجتمع – **فَبَلَغَ اللهُ بِكُم أَشرَفَ مَحَلِّ المُكَرَّمينَ، وَأعلى مَنازِلِ المُقَرَّبينَ وَاَرفَعَ دَرَجاتِ المُرسَلينَ، حَيثُ لا يَلحَقُهُ لاحِقٌ** – لا يلحقه لاحق نحن مر علينا في حلقة يوم أمس – **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ، وَاللاّزِمُ لَكُم لاحِقٌ** – وقلت بأن اللاحقية هنا بدرجةٍ تتناسب وذلك المخلوق الذي يلحق بهم، الحقيقة نحن لا نستطيع أن نلحق بهم، هذه اللاحقية مجازية هنا – **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ، وَاللاّزِمُ لَكُم لاحِقٌ** – لذلك الزيارة تشير إلى هذه الحقيقة – **حَيثُ لا يَلحَقُهُ لاحِقٌ** – من الذي يكون بدرجة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد؟ – **حَيثُ لا يَلحَقُهُ لاحِقٌ وَلا يَفُوقُهُ فائِقٌ** – الفائق هو المتفوق، والمتفوق هو الذي يحمل الصفات النادرة، يحمل أجمل الصفات – **وَلا يَفُوقُهُ فائِقٌ، وَلا يَسبِقُهُ سابِقٌ، وَلا يَطمَعُ في إدراكِهِ طامِعٌ** – أصلاً مهما أوتي الإنسان من قدرةٍ على الطمع فإنه لن يستطيع أن يطمع في تلكم المنازل لأنه على وجه اليقين والقطع بأنه لن ينال شيئاً، لأن الطمع لابد أن يكون له سبب أو مُبرر يجعل الإنسان يطمع في هذا الشيء، وإلا إذا كان الإنسان يطمع بشي لا يستطيع أن يصل إليه فذلك لا يقال له طمع وإنما هو ضرب من ضروب الجنون أو مرضٌ نفسي.

فَبَلَغَ اللهُ بِكُم أَشرَفَ مَحَلِّ المُكَرَّمينَ، وَأعلى مَنازِلِ المُقَرَّبينَ وَاَرفَعَ دَرَجاتِ المُرسَلينَ، حَيثُ لا يَلحَقُهُ لاحِقٌ وَلا يَفُوقُهُ فائِقٌ، وَلا يَسبِقُهُ سابِقٌ، وَلا يَطمَعُ في إدراكِهِ طامِعٌ، حتى لا يَبقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرسَلٌ، وَلا صِدّيقٌ وَلا شَهيدٌ، وَلا عالِمٌ وَلا جاهِلٌ، وَلا دَنِيٌّ وَلا فاضِلٌ، وَلا مُؤمِنٌ صالح، وَلا فاجِرٌ طالح، وَلاجَبّارٌ عَنيدٌ، وَلا شَيطانٌ مَريدٌ – أعتقد أن العبارات والكلمات هنا واضحة لكن بعض الألفاظ قد تكون غير واضحة أبين معناها – **حتى لا يَبقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ** – الملائكة المقربون هم الملائكة الكروبيون، الملائكة الروحانيون، هؤلاء هم الملائكة المقربون بحسب ما بينت لنا روايات أهل البيت – **حتى لا يَبقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرسَلٌ، وَلا صِدّيقٌ وَلا شَهيدٌ** – الصديق الذي بلغ أعلى درجات اليقين وليس بنبي – **وَلا شَهيدٌ** – والمراد من الشهيد هنا ليس الذي استشهد في معارك الجهاد، المراد من الشهيد الذي له مرتبة الشهادة على أُمَّته، وهؤلاء هم الأولياء، الأنبياء، الأوصياء ومن كان في درجتهم – **حتى لا يَبقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرسَلٌ، وَلا صِدّيقٌ وَلا شَهيدٌ، وَلا عالِمٌ وَلا جاهِلٌ، وَلا دَنِيٌّ وَلا فاضِلٌ** – الدني هو الذي يحملُ صفة الدناءة وصفة الدناءة هي الحقارة – **وَلا دَنِيٌّ وَلا فاضِلٌ، وَلا مُؤمِنٌ صالح، وَلا فاجِرٌ طالح، وَلا جَبّارٌ عَنيدٌ** – الجبار العنيد هذا الاستعمال إن كان في الفهم القرآني أو في فهم حديث أهل البيت هم أولئك الجبابرة الذين ادعوا الإلوهية وأمروا الناس بعبادتهم، الطواغيت – **وَلا جَبّارٌ عَنيدٌ، وَلا شَيطانٌ مَريدٌ** – المريد هو الشديد المرادة، والشديد المرادة هو شديد الخُبث وشديد الشر – **وَلا شَيطانٌ مَريدٌ، وَلا خَلقٌ فيما بَينَ ذلِكَ شَهيدٌ** – هذه كُلّ الاحتمالات الممكنة بحسب اللغة بحسب الأعراف الإنسانية ومع ذلك بقيت الاحتمالات مفتوحة – **وَلا خَلقٌ فيما بَينَ ذلِكَ شَهيدٌ** – جميع المراتب كما مر علينا قبل قليل من أنهم حُجَجَ الله على جميع الموجودات في السموات وفي الأرض وما بعد السموات والأرض.

حتى لا يَبقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرسَلٌ، وَلا صِدّيقٌ وَلا شَهيدٌ، وَلا عالِمٌ وَلا جاهِلٌ، وَلا دَنِيٌّ وَلا فاضِلٌ، وَلا مُؤمِنٌ صالح، وَلا فاجِرٌ طالح، وَلا جَبّارٌ عَنيدٌ، وَلا شَيطانٌ مَريدٌ، وَلا خَلقٌ فيما بَينَ ذلِكَ شَهيدٌ إلاّ عَرَّفَهُم جَلالَةَ أَمرِكُم وَعِظَمَ خَطَرِكُم، وَكِبَرَ شَأنِكُم وَتَمامَ نُورِكُم، وَصِدقَ مَقاعِدِكُم، وَثَباتَ مَقامِكُم، وَشَرَفَ مَحَلِّكُم وَمَنزِلَتِكُم عِندَهُ، وَكَرامَتَكُم عَلَيهِ، وَخاصَّتَكُم لَدَيهِ، وَقُربَ مَنزِلَتِكُم مِنهُ – هذا هو نهاية المقطع الذي نتناوله في هذه الحلقة، كُلّ هذه المراتب الخلقية التي مرت الإشارة إليها والتي يمكن أن نتصورها، وكُلّ المراتب الخلقية الأخرى التي لا نستطيع أن نتصورها وإنما جاء ذكرها – **وَلا خَلقٌ فيما بَينَ ذلِكَ شَهيدٌ** – ولا خلقٌ فيما بين ذلك شهيد على أي شيءٍ يشهد؟ يشهد على حقيقة ما ألهمه الله سبحانه وتعالى وأوجده في أصل الكائنات، لأن هذه الكائنات ما وجدت إلا لأنها أشرق فيها نور مُحَمَّدٍ

صلى الله عليه وآله وسلم – **إلاّ عَرَّفَهُم جَلالَةَ أَمرِكُم** – متى يكون هذا التعريف؟ هذا التعريف هو في باطن حقائق الأشياء، ولذلك هذه الأشياء حتى الخلق الذين يُظهِرون المعصية بظاهر خلقهم هم في باطن حقائقهم ينقادون لولايتهم التكوينية، حتى أعداء أهل البيت صحيح في الطبقة الدنيوية وفي الطبقة الترابية للعالم البشري هناك عنادٌ من أعدائهم لكن بما أنهم موجودات هم ينقادون لولايتهم التكوينية، لو أراد أهل البيت أن يتصرفوا بولايتهم التكوينية في هذه الموجودات المعادية وهناك مصاديق كثيرة في حياتهم حدثت، وكتب الحديث والأخبار تتحدث عن مصاديق كثيرة تتناول هذا المعنى وتدور حول هذا المضمون.

هذا التعريف يكون في أصل الخلقة، وهذا التعريف سيكون في مقاطع من هذه الحياة وكُلّ بحسبه، وهذا التعريف سيكون في يوم القيامة حين تتجلى الحقائق وتتكشف الأمور ويكون هذا التعريف في كُلّ عالم بحسبه وفي كُلّ طبقةٍ من طبقات هذا الوجود بحسب تلكم الطبقة – **إلاّ عَرَّفَهُم جَلالَةَ أَمرِكُم وَعِظَمَ خَطَرِكُم** – والخطر هو المنزلة والمكانة، والخطر في أصله هو وعاء، الخطر من جملة معاني الخطر هو الوعاء – **وَعِظَمَ خَطَرِكُم** – وعظم وعاءكم، وعِظَم منزلتكم – **إلاّ عَرَّفَهُم جَلالَةَ أَمرِكُم، وَعِظَمَ خَطَرِكُم، وَكِبَرَ شَأنِكُم وَتَمامَ نُورِكُم** – ومر علينا في المقاطع الخمسة الأولى حينما سلَّمنا عليهم – **وَالتّامّينَ في مَحَبَّةِ اللهِ وَالمخلَصينَ في تَوحيدِ اللهِ** – وإنما كانوا تامين لتمامية نور الله الظاهرة فيهم – **وَتَمامَ نُورِكُم، وَصِدقَ مَقاعِدِكُم، وَثَباتَ مَقامِكُم** – هذه المقامات التي جاءت الإشارة إليها في دعاء شهر رجب:

أسألك بما نَطَقَ فيهم مِن مشيتك فجعلتَهم مَعادِن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كُلّ مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك – حين نقرأُ هنا: **وَثَباتَ مَقامِكُم** – ثبات هذه المقامات وهنا المشار إليه في هذا الدعاء الشريف المروي عن الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه – **أسألك بما نطق فيهم من مشيتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها** – مقامات ثابتة، نقرأ هنا: **وَثَباتَ مَقامِكُم – ومقاماتك التي لا تعطيل لها** – لا تعطيل لها يعني مقامات ثابته، لا تعطيل لها في كُلّ مكان، وإنما هي ثابتةٌ في كُلّ مكان – **يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك** – إلى أن يستمر الدعاء فيقول: **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت فبذلك أسألك وبمواقع العز من رحمتك وبمقاماتك وعلاماتك** – هناك مقامات وعلامات لله سبحانه وتعالى، وتلك المقامات والعلامات هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومر علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَأعلاماً لِعِبادِهِ، وَمَناراً في بِلادِهِ** – هناك علامات وهناك مقامات – **وَثَباتَ مَقامِكُم، وَشَرَفَ مَحَلِّكُم وَمَنزِلَتِكُم عِندَهُ، وَكَرامَتَكُم عَلَيهِ، وَخاصَّتَكُم لَدَيهِ، وَقُربَ مَنزِلَتِكُم مِنهُ** – نحن نقرأ في دعاء علقمة المروي عن إمامنا الباقر صلوات

الله وسلامه عليه والذي يُقرأُ بعد زيارة عاشوراء، نقرأ في هذا الدعاء.

أسألك بحق مُحَمَّد خاتم النبيين وعليٍّ أمير المؤمنين وبحق فاطِمَة بنت نبيك وبحق الحسن والحسين فإني بِهم أتوجه إليك في مَقامي هذا وبهم أتوسل وبهم أتشفع إليك وبحقهم أسألك وأُقسِمُ وأعزم عليك وبالشأن الذي لهم عندك وبالقدر الذي لهم عندك وبالذي فضلتهم على العالمين وباسمك الذي جعلته عندهم وبه خصصتهم دون العالمين – هذا الاسم الجامع للحروف الثلاثة والسبعين – **وبأسمائك الذي جعلته عندهم وبه خصصتهم دون العالمين** – لا يملكه أحدٌ من الخلائق دونهم صلوات الله عليهم – **وباسمك الذي جعلته عندهم وبه خصصتهم دون العالمين وبه أبنتهم وأبنت فضلهم** – يعني جعلتهم خلقةً أخرى، منزلةً أخرى – **وبه أبنتهم وأبنت فضلهم من فضل العالمين حتى فاق فضلهم فضل العلمين جميعاً** – هو نفس هذا الكلام الموجود هنا: **حتى لا يَبقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرسَلٌ** – إلى أن تقول الزيارة – **وَلا خَلقٌ فيما بَينَ ذلِكَ شَهيدٌ إلاّ عَرَّفَهُم جَلالَةَ أَمرِكُم، وَعِظَمَ خَطَرِكُم وَكِبَرَ شَأنِكُم وَتَمامَ نُورِكُم، وَصِدقَ مَقاعِدِكُم، وَثَباتَ مَقامِكُم، وَشَرَفَ مَحَلِّكُم وَمَنزِلَتِكُم عِندَهُ، وَكَرامَتَكُم عَلَيهِ، وَخاصَّتَكُم لَدَيهِ، وَقُربَ مَنزِلَتِكُم مِنهُ** – هذه العبارة هنا: **وَقُربَ مَنزِلَتِكُم مِنهُ،** هذه تطوي كُلّ المعاني التي نُشِرت في العبارات السابقة، فهم لهم المنزلة القريبة ولهم المنزلة الخصيصة ولهم الدرجة الخاصة – **وَقُربَ مَنزِلَتِكُم مِنهُ** – حينما يُذكر الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون باعتبار هم النماذج التي نحن نعرفها بأنهم أفضل النماذج في خلق الله سبحانه وتعالى.

حين نقرأ في روايات وأحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إمامنا العسكري ماذا يقول؟ هذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الأنوار لشيخنا المجلسي، ماذا يقول إمامنا العسكري؟ – **إن ولاية مُحَمَّدٍ هي الغَرَضُ الأقصى والمُراد الأفضل ما خَلقَ الله أحداً من خلقه ولا بعث أحداً من رسله إلا ليدعوهم إلى ولاية مُحَمَّدٍ وعليٍّ وخلفائه ويأخذ به عليهم العهد ليقيموا عليه وليعمل به سائر عوام الأمم** – الكلام واضح – **إن ولاية مُحَمَّدٍ هي الغَرَضُ الأقصى والمُراد الأفضل.**

في الرواية عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه، الرواية طويلة أذكر منها موطن الحاجة وهو يتحدث عن قصة أبينا آدم، آدم عليه السلام بعد أن رأى الأشباح المقدسة، **فقال: ما هذه الأشباح يا رب؟ فقال: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي وبرياتي، هذا مُحَمَّد وأنا الحميدُ المحمود في أفعالي، شققت له اسماً من اسمي، وهذا عليٌّ وأنا العلي العظيم شققت له اسماً من اسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرضين فاطم أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي وفاطم أوليائي عمَّا يعتريهم ويشينهم فشققت لها اسماً من اسمي، وهذا الحسنُ وهذا الحسينُ وأنا المحسن المجمل شققت لهما اسماً**

من اسمي، هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أُثيب، فتوسّل إلي بهم يا آدم وإذا دهتك داهيةٌ فأجعلهم إلي شفعائك – إلى آخر الكلام – **هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب** – وإلى هذا تشير الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَخاصَّتَكُم لَدَيهِ، وَقُربَ مَنزِلَتِكُم مِنهُ.**

الرواية عن إمامنا العسكري صلوات الله وسلامه عليه، الروايةُ طويلةٌ أخذ منها موطن الحاجة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم برواية الإمام العسكري عليه السلام – **لمَّا بعث الله عزَّ وجلَّ موسى بن عمران واصطفاه نجيا وفلق له البحر ونجى بني إسرائيل وأعطاه التوراة والألواح رأى مكانه من ربّه عزَّ وجلَّ فقال: يا رب لقد أكرمتني بكرامةٍ لم تُكرم بها أحداً قبلي، فقال الله جلا جلاله: يا موسى أما علمت أن مُحَمَّد أفضلُ عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي، قال موسى: يا ربي فإن كان مُحَمَّدٌ أكرم عندك من جميع خلقك فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟ قال الله جلَّ جلاله: يا موسى أما علمت أن فضل آل مُحَمَّد على جميع آل النبيين كفضل مُحَمَّد على جميع المرسلين، فقال موسى: يا ربي فإن كان آل مُحَمَّد كذلك فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أمتي؟ ظللّت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المن والسلوى وفلقت لهم البحر، فقال الله جلَّ جلاله: يا موسى أما علمت أن فضل أمة مُحَمَّد على جميع الأمم كفضله على جميع خلقه، فقال موسى: يا ربي ليتني كنت أراهم فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه يا موسى إنّك لن تراهم فليس هذا أوان ظهورهم ولكن سوف تراهم في الجِنان جنات عدن والفردوس بحضرة مُحَمَّد في نعيمها يتقلبون وفي خيراته يتبحبحون، أفتحب أن أسمعك كلامهم؟ فقال: نعم إلهي، قال الله جلَّ جلاله: قم بين يدي وأشدد ميزرك قيام العبد الذليل بين يدي المَلك الجليل، ففعل ذلك موسى، فنادى ربنا عزَّ وجلَّ يا أمة مُحَمَّد فأجابوه كلهم وهم في أصلاب آباءهم وأرحام أمهاتهم: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، قال: فجعل الله عزَّ وجلَّ تلك الإجابة شعار الحج.**

روايةٌ وأكتفي بها كي أختم الحديث، الرواية عن إمامنا الرضا ينقلها شيخنا المجلسي عن الشيخ الصدوق بأسانيده: **عن الإمام الرضا عن آبائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن موسى سأل ربه عزَّ وجلَّ فقال: يا ربي اجعلني من أُمَّة مُحَمَّد فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إنك لا تَصِل إلى ذلك** – لا تصل إلى ذلك يعني إنك لا تصلُ إلى أعلى المراتب في أُمَّة مُحَمَّد، وإلا فموسى من أمة مُحَمَّد ومن أشياع مُحَمَّد وآل مُحَمَّد – **إنك لا تصل إلى ذلك** – لا تصل إلى أعلى المراتب في أُمَّة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأحاديث أهل البيت في هذه المضامين وفي هذه الفحاوى كثيرةٌ جداً، كتب الحديث إذا أردنا أن نراجعها على سبيل المثال إذا أردنا أن نراجع الكتب الأربعة الكافي، الفقيه، التهذيب، الاستبصار، فإننا سنجد الكثير من هذه المعاني في هذه الكتب الأربعة، إذا أردنا أن نراجع كتب الشيخ الصدوق، المجاميع التي كتبها الشيخ الصدوق مثل كتاب التوحيد، مثل كتاب الخصال، معاني الأخبار، كمال الدين وتمام النعمة وغير ذلك من كتبه، هناك مجموعة كبيرة من كتب الحديث جمعها الشيخ الصدوق وهي مشحونة بهذه الأحاديث، كتب الحديث التي جمعها الشيخ المفيد، ابن قولويه، ابن أبي زينب النعماني، الشيخ الطوسي وأضرابهم كوالد الشيخ الصدوق، كتب الحديث هذه كُلّها مشحونةٌ بمثل هذه المضامين، المجاميع الحديثية مثل وسائل الشيعة، مستدرك الوسائل، الوافي للفيض الكاشاني، وحتى المستدركات التي كتبت على مستدرك الوسائل، بحار الأنوار، مستدركات بحار الأنوار، مثل سفينة البحار وما استدركه المحدث النماذ الشهرودي أيضاً، عوالم العلوم وسائر الكتب الحديثية الأخرى مثل المجامع التفسيرية، مثل تفسير البرهان للمحدث السيد هاشم البحراني أو نور الثقلين للمحدث الحويزي العروسي رضوان الله تعالى عليه، وغير ذلك من كتب التفسير المعروفة كتفسير علي بن إبراهيم القمي أو تفسير العياشي أو تفسير فرات بن إبراهيم أو غير ذلك من كتب التفسير ومن كتب الحديث، المزارات كتب الزيارات وكتب الأدعية، الصحائف السجادية، الصحائف العلوية وسائر كتب المزارات التي جمعها علمائنا رضوان الله تعالى عليهم، كُلّ هذه النصوص بما فيها نهج البلاغة ومستدركات نهج البلاغة وخطب أمير المؤمنين المبثوثة والمنتشرة في الكتب المختلفة، كُلّ ذلك مشحونٌ بمثل هذه المعاني وبمثل هذه المضامين، هذه الروايات التي أوردتها والتي أوردها ليست روايات يتيمة أو مفردة كتب الحديث وهذه المجامع الحديثية مشحونة بمثل هذه الروايات، إذا كان هناك البعض يجهل بسبب عدم إطلاعه على كتب الحديث هذه فما ذنبنا نحن؟ وما ذنب أهل البيت؟

أهل البيت صلوات الله عليهم تحدثوا الكثير الكثير عن مثل هذه المضامين – **إلاّ عَرَّفَهُم جَلالَةَ أمرِكُم** – سادتي آل مُحَمَّد – **وَعِظَمَ خَطَرِكُم، وَكِبَرَ شَأنِكُم وَتَمامَ نُورِكُم، وَصِدقَ مَقاعِدِكُم، وَثَباتَ مَقامِكُم، وَشَرَفَ مَحَلِّكُم وَمَنزِلَتِكُم عِندَهُ، وَكَرامَتَكُم عَلَيهِ، وَخاصَّتَكُم لَدَيهِ، وَقُربَ مَنزِلَتِكُم مِنهُ** – بهذا يتم الكلام في هذه الحلقة وهي السابعة والعشرون، يوم غد إن شاء الله الحلقة الثامنة والعشرون أتناول مقطعاً جديداً من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة، أحباب عليٍّ وآل علي ألقاكم على محبة ومودّة الزيارة الجامعة الكبيرة، ألقاكم على مودّة ومحبة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله عليهم جميعاً أسألكم الدعاء، في أمان الله.

الحلقة الثامنة والعشرون

معنى بِأَبِي أَنتُم وَأُمّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتي . . . . .

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركات أحباب عليٍّ وآل عليّ أشياعَ الحُجّة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، بين أيديكم الحلقة الثامنةُ والعشرون من برنامجِ الزيارة الجامعة الكبيرة، أتناولُ في هذه الحلقة مقطعاً جديداً من زيارتنا الجامعة الكبيرة، إذا كان الكلامُ الذي تقدمَ يتناولُ جوانبَ من مقامات أهل بيت العصمة وشيئاً من شؤوناتهم الغيبية المقطعُ الذي سأتناوله في هذه الحلقة يتحدث عن شيعتهم وبعبارةٍ دقيقة المقطع هذا هويةُ التشيُّع، كما أنَّ الزيارة الجامعة الكبيرة قولٌ بليغٌ كامل في بيانِ منازل أهل البيت فإنها قولٌ بليغٌ كامل في توضيح معنى الشيعي، من هو الشيعي؟ الشيعيُ هو الذي يرسمُ هذا المقطع صورتهُ الكاملة، لنستمع إلى الزيارة ولنتدبر في فقرات هذا المقطع:

بِأَبِي أَنتُم وَأُمّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتي، أُشهِدُ الله وَأُشهِدُكُم أَنّي مُؤمِنٌ بِكُم وَبِما آمَنتُم بِهِ كافِرٌ بِعَدُوِّكُم وَبِما كَفَرتُم بِهِ مُستَبصِرٌ بِشَأنِكُم وَبِضَلالَةِ مَن خالَفَكُم مُوالٍ لَكُم وَلأولِيائِكُم مُبغِضٌ لأَعدائِكُم وَمُعادٍ لَهُم، سِلمٌ لِمَن سالَمَكُم وَحَربٌ لِمَن حارَبَكُم مُحَقِّقٌ لِما حَقَّقتُم مُبطِلٌ لِما أَبطَلتُم مُطِيعٌ لَكُم عارِفٌ بِحَقِّكُم مُقِرٌّ بِفَضلِكُم مُحتَمِلٌ لِعِلمِكُم مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم مُعتَرِفٌ بِكُم مُؤمِنٌ بِإِيابِكُم مُصَدِّقٌ بِرَجعَتِكُم مُنتَظِرٌ لأَمرِكُم مُرتَقِبٌ لِدَولَتِكُم، آخِذٌ بِقَولِكُم عامِلٌ بَأمرِكُم مُستَجِيرٌ بِكُم زائِرٌ لَكُم لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُم مُستَشفِعٌ إِلى الله عَزَّ وجَلَّ بِكُم وَمُتَقَرِّبٌ بِكُم إِلَيهِ وَمُقَدمُكُم أمامَ طَلِبَتِي وَحَوائِجِي وَإِرادَتِي فِي كُلِّ أحوالِي وَأُمُورِي، مُؤمِنٌ بِسِرِّكُم وَعَلانِيَتِكُم وَشاهِدِكُم وَغائِبِكُم وَأَوَّلِكُم وَآخِرِكُم وَمُفَوِّضٌ فِي ذلِكَ كُلِّهِ إِلَيكُم وَمُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُم، وَقَلبِي لَكُم مُسَلِّمٌ وَرأيِي لَكُم تَبَعٌ وَنُصرَتِي لَكُم مُعَدَّةٌ حَتّى يُحيِي الله تَعالى دِينَهُ بِكُم وَيَرُدَّكُم فِي أَيَّامِهِ وَيُظهِرَكُم لِعَدلِهِ وَيُمَكِّنَكُم فِي أَرضِهِ، فَمَعَكُم مَعَكُم لا مَعَ غَيرِكُم آمَنتُ بِكُم وَتَوَلَّيتُ آخِرَكُم بِما تَوَلَّيتُ بِهِ أَوَّلَكُم وَبَرِئتُ إِلى الله عَزَّ وجَلَّ مِن أَعدائِكُم، وَمِنَ الجِبتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّياطِين وَحِزبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُم الجاحِدِينَ لِحَقِّكُم وَالمارِقِينَ مِن وِلايَتِكُم وَالغاصِبِينَ لإِرثِكُم الشَّاكِّينَ فِيكُم المُنحَرِفِينَ عَنكُم وَمِن كُلِّ وَلِيجَةٍ دُونَكُم وَكُلِّ مُطاعٍ سِواكم، وَمِنَ الأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَدعُونَ إِلى النَّارِ، فَثَبَّتَنِي الله أَبَداً ما حَيِيتُ عَلى مُوالاتِكُم وَمَحَبَّتِكُم وَدِينِكُم وَوَفَّقَنِي لِطاعَتِكُم وَرَزَقَنِي

شَفاعَتَكُم وَجَعَلَنِي مِن خِيارِ مَوالِيكُم التَّابِعِينَ لِما دَعَوتُم إِلَيهِ، وَجَعَلَنِي مِمَّن يَقتَصُّ آثارَكُم وَيَسلُكُ سَبِيلَكُم وَيَهتَدِي بِهُداكُم وَيُحشَرُ فِي زُمرَتِكُم وَيَكِرُّ فِي رَجعَتِكُم وَيُملَّكُ فِي دَولَتِكُم وَيُشَرَّفُ فِي عافِيَتِكُم وَيُمَكَّنُ فِي أَيّامِكُم وَتَقِرُّ عَينُهُ غَداً بِرُؤيَتِكُم.

صلوات الله عليكم ولعنة الله على أعدائكم والشاكين فيكم والمنحرفين عنكم ومن كل وليجة دونكم، سادتي آلَ مُحَمَّد سيدي بقية الله إمام زماني صلوات الله عليك هذا هو ديني ومعتقدي وهذه هي هويتي، هذه هي هويةُ التشيع، أيُّ شيعيٍ لا يجدُ هذه المعاني في نفسهِ وفي قلبه فليُراجع تشيُّعه، هذه صفةُ الشيعي، وهذه الصورةُ هي الصورةُ الشيعية الكاملة لا في أعلى الرُتب وإنَّما في أدنى الرُتَب، أليس هناك صور تُرَكَّب من أجزاء، هناك الكثيرُ من الصور واللوحات في حياة الناس تُرَكَّب من أجزاء وإذا لم تجتمع كُلُّ هذه الأجزاء ولم يَكُن كُلُّ جزءٍ في مَحَلِّهِ الصحيح فإنَّ الصورة سَتكون مُشَوَّهة، الصورة الكاملة التي تجتمع أجزائها بشكلٍ هندسيٍ صحيح بحيث يكون كُلُّ جزءٍ من أجزاء هذه الصورة في موقعهِ المُلائم والمناسب هي هذه الصورة الشيعية هوية التَشَيُّع، هويةُ التَشيُّع هذه المعاني والأوصاف، يا أشياعَ الحُجَّةِ بن الحسن إذا أردتم أن تَزِنوا تَشيُّعَكُم فهذه هي الزيارة الجامعة الكبيرة قولُ إمامكم الهادي وهذا هو القول البليغُ الكامل في وصفِ الأئمة وفي وصف أشياعهم، إذا أردتم أن تَزِنوا تَشيُّعَكُم فهذا هو الميزان، وهذه هي الصورة في حدها الأول، الدرجةُ الأولى المرتبةُ الأولى للتشيع هو هذه الصورة الكاملة وبعد ذلك تأتي المراتب الأرقى، حينَ نُسَلِّمُ على سلمانَ الفارسي فنقولُ: **السَّلامُ عليكَ يا صَاحِبَ العَاشِرة**، وهي الدرجة العاشرة من درجات الإيمان، أولُ هذه الدرجات هي هذه الصورة الموجودة، إذا كان التشيع الذي نحملهُ لا يتصفُ بهذه الأوصاف ولا يشتملُ على هذه الأجزاء فذلك تشيعٌ مثقوب فذلك تشيعٌ مَعيب فذلك تشيعٌ ناقص، التشيع في صورتهِ الكاملة وفي الدرجة الأولى في أقل المراتب هو هذه المعاني التي أشارت إليها الزيارة الجامعة الكبيرة.

نحنُ في يوم أمس مَرَّ علينا ونحنُ نُخاطِبُ الأئمة: **وَفازَ مَن تَمَسَّكَ بِكُم** – من تَمَسَّك بكم هو الفائز – **وَأمِنَ مَن لَجَأَ إِلَيكُم** – الذي يلجأُ إليكم هو الآمِن – **وَسَلِمَ مَن صَدَّقَكُم وَهُدِيَ مَن اعتَصَمَ بِكُم** – هذه الأوصاف كيف تتحققُ عملياً؟ عملية الفوز – **وَفازَ مَن تَمَسَّكَ بِكُم** – كيفَ يتحقق معنى التمَسُّك بهم حتى يترتبُ عليهِ معنى الفوز – **وَفازَ مَن تَمَسَّكَ بِكُم** – التمَسُّك أولاً يأتي بعدهُ الفوز – **وَأمِنَ مَن لَجَأَ إِلَيكُم** – اللجوء إليهم أولاً ثُمَّ يأتي الأمنُ والأمان – **وَسَلِمَ مَن صَدَّقَكُم** – التَصديقُ أولاً فتأتي السلامةُ والساليةُ بعد ذلك – **وَهُدِيَ مَن اعتَصَمَ بِكُم** – الاعتصامُ بهم أولاً وقرأنا في المقاطع التي قبل هذه العبارات: **وَمَن اعتَصَمَ بِكُم فَقَد اعتَصَمَ بِاللهِ** – مَرَّدُ كُلُّ ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، إذاً كيفَ نتَمَسَّكُ بأهل البيت؟ وكيف نلجأُ إليهم وكيفَ نُصَدِّقُهم وكيف نعتصمُ بهم، المقطع هنا الذي قرأتهُ على مسامعكم

هو الذي يُفَصِّلُ لنا هذه المعاني، العبارة السابقة كانت عبارة عن طيٍّ للمعنى والمقطع هذا هو عبارة عن نشرٍ لتلكم المعاني التي طويت في تلكم العبارة المختصرة – **وَفازَ مَن تَمَسَّكَ بِكُم وَأمِنَ مَن لَجَأَ إِلَيكُم وَسَلِمَ مَن صَدَّقَكُم وَهُدِيَ مَن اعتَصَمَ بِكُم** – هذا طَيٌّ نشرهُ هو هذا الذي قرأتهُ على مسامعكم، المقطع يبتدئ: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي**، وسَنُلاحظ بأنَّ ما بقيَ من الزيارة الجامعة الكبيرة هو عبارة عن مقطعٍ أتناولهُ اليوم وعن مقطعين أتناولُ الثاني غداً والمقطع الأخير أتناولهُ إن شاء الله تعالى في يوم السبت، كُل مقطع من هذه المقاطع المتبقية يبتدئ بهذه العبارة: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي**، هذا المقطع يبتدئ بهذه العبارة، المقطع الثاني الذي سأشرعُ فيه في يوم غد أيضاً يبتدئ بالعبارة: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي**، وكأن هذه العبارة فاصلة لبداية مقطعٍ جديد ولبداية حُزمةٍ جديدة من المعاني، والمقطع الثالث أيضاً يبدأ: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي**.

المقطع الذي بين أيدينا: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي**، الكلام هنا عن الأب، عن الأم، عن الأهل والأهل هم الأسرة العائلة، ومالي وأسرتي، الأهل في بعض الأحيان تستعمل في الأسرة الخاصة يعني العائلة الصغيرة القريبة من الشخص عائلتهُ الخاصة زوجتهُ أولادهُ، وفي بعض الأحيان تستعمل في أكثرِ من هذا المعنى في دائرةٍ أوسع – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي** – هنا يُراد من الأهل هم الأرحام من الدرجة الأولى – **وَمالِي وَأُسرَتِي** – الأسرة هي الأسرة الخاصة بالشخص زوجتهُ وأولادهُ، أما أهلي فهم أرحامي من الدرجة الأولى كالإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات والأجداد والجدات هؤلاء الطبقة الأولى وما يتفرَّع عنهم بعد ذلك ستكون هناك طبقات، الكلام هنا لا عن طبقات المواريث، طبقات المواريث لها خصوصياتها، إنَّما أتحدث عن طبقات الأرحام في النسبة الاجتماعية والنسبة الرحمية – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي** – يعني أرحامي – **وَمالِي وَأُسرَتِي** – مالي كُلُّ شيءٍ أملكهُ، المال هنا لا تُطلق على الشيء المادي، تُطلق على الشيء المادي وحتى على الشيء المعنوي، فما عند الإنسان من جاهٍ ومن كرامةٍ وكذلك ما عنده من عافيةٍ وصحةٍ وسلامة وما عندهُ وما عندهُ وما عنده مما مَنَّ الله بهِ عليه في جانب المادةِ أو في جانب المعنى كُلُّه يقع تحت هذا العنوان.

هذه هي الأشياءُ التي تعتمدُ عليها حياةُ الناس، وفي الغالب فإن الأشياء هي العلاقة الأولى الدرجة الأولى من العلائق اليومية إنما تدور حولَ هذه العناوين: العواطف والاهتمام والحفظ والحماية والسعي لتحقيق كل هذه المعاني حولَ هذه العناوين: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي** – وواضح التقدير هنا أفديكم أئمتي وسادتي – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي** – قطعاً هنا ليس مُساواة بين الأئمة وبين الإنسان كيف يُعبِّر عن حُبِّهِ لأهل البيت وعن استعدادهِ بالتضحيةِ بِكُلِّ غالٍ ونفيس فهو يحتاجُ إلى ألفاظ ويحتاجُ إلى معانٍ تعارف عليها الناس، تعارف الناس على أن يُفَدّوا العزيز الأعز بما هو عزيزٌ وغالٍ عندهم، وأعزُّ ما

عند الإنسان هي هذه العناوين: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي** – وهذا الخطابُ هو خطابُ التفديةِ الذي يكشفُ عن عِزَّةِ أهل البيت وعن غلاء أهل البيت عند هذا الزائر الذي يُخاطبهم وذلك يكشفُ عن حُبِّهم، هذا خِطابٌ إنَّما ينشأُ ويتفرَّعُ عن الحُبِّ وعن الرحمة، فهناك حُبٌّ في قلوب الأولياءِ أولياء أهل البيت اتجاه أهل البيت وهناك رحمةٌ، هناك حُبٌّ هُناكَ مَودَّةٌ هُناكَ رحمةٌ اتجاه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأننا أيضاً نستشعرُ مودّة أهل البيت لنا ونستشعرُ حُبَّ أهل البيت لنا ونستشعرُ رحمةَ أهل البيت لنا وعطفَ أهل البيت لنا وشفقة أهل البيت علينا، كُلُّ هذه المعاني نحن نستشعرها وإنما هُم يبادلوننا بما هو أعظم وما هو أكبر مما في نفوسنا الضيقة ومما في عواطفنا المحدودة.

بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي أُشهِدُ اللهَ وَأُشهِدُكُم، لماذا أُشهِدُهُم؟ لأنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي قَرَن شهادتهم بشهادتهِ ﴿**قُل كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَينِي وَبَينَكُم وَمَن عِندَهُ عِلمُ الكِتَابِ**﴾ الله سبحانه وتعالى هو الذي قَرَنَ شهادتهم بشهادتهِ ﴿**وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ**﴾ الله سبحانه وتعالى قَرَن رؤيتهُ لأعمالنا برؤيتهم صلوات الله عليهم ولذلك قَرَنَ شهادتهُ بشهادتهم، الشاهد لابد أن يكون حاضراً، لابد أن يكون عالِماً، لابد أن يكون رائياً وسامعاً، ولذلك هُم في هذه المنزلة في هذا المقام هم في مقام من لا تشتبهُ عليه الأصوات، وإلا كيف نُشهِدُهُم؟

حين نخاطبهم: **أُشهِدُ اللهَ وَأُشهِدُكُم**، هذا الخطاب أوجههُ إلى رسول الله إلى أمير المؤمنين إلى الزهراء وأولاد الزهراء إلى ابن الزهراءِ في أيامنا هذه إلى الحُجَّة بن الحسن – **أُشهِدُ اللهَ وَأُشهِدُكُم** – لأنني أُقِرُّ وأوقِنُ بأنَّكم تسمعونَ كلامي بل تعلمون بهِ قبل أن يصدرَ من لساني، سادتي آلَ مُحَمَّد، إنَّكم تعلمون ما أريدُ أن أقول، إنَّكم تعرفون وتُحيطون بكل نيةٍ أنا أنويها – **أُشهِدُ اللهَ وَأُشهِدُكُم** – رؤيتكم مُحيطة ﴿**وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ**﴾ لو لم تكن رؤيتكم محيطة لصار كلامُ القرآن لَغواً، كيفَ يُخاطبنا القرآن بأنَّ المؤمنين هؤلاء سيرون أعمالنا مع الله ومع رسولهِ، لو لم تكن رؤيةُ رسول الله ورؤية هؤلاء المؤمنين رؤية إحاطية، كيفَ يُخاطبنا القرآنُ بهذا الخطاب، إن لم تكن كذلك فإنَّ كلام القرآن سيكون لَغواً حينئذٍ وحاشا للقرآن أن يكون كذلك، لهذه الرؤية الإحاطية كانت هناك الشهادة ﴿**قُل كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَينِي وَبَينَكُم وَمَن عِندَهُ عِلمُ الكِتَابِ**﴾ ذلك الذي مرت الروايات في الحلقات الماضية التي حَدّثتنا بأن الذي عندهُ عِلمُ الكتاب ذلك الذي عندهُ الأسم الأعظم بكل خصائصهِ وبكل أسرارهِ وذلك أمرٌ خاصٌ بهم بل هم في المجلى الأصلي وفي المجلى الأول هم الأسم الأعظم، لكننا حين نقول بأنهم يملكون الأسم الأعظم وبأنَّ

عندهم الأسم الأعظم إنَّما نتحدث عن وجودهم في العالم الأرضي وعن مقام إمامتهم الأرضية – **أُشهِدُ الله وَأُشهِدُكُم** – سادتي آلَ مُحَمَّد – **أَنِّي مُؤمِنٌ بِكُم** – قدرةُ الإدراك الموجودة عندي متعلقةٌ بكم، قدرةُ الإدراك، إن كان ذلك في عقلي، إن كانَ في عقلي الذي هو في مقام الحُجّة وإن كان هو في مقام العقل التجريبي وإن كان ذلك في قلبي ووجداني وضميري وإن كان ذلك في بصيرتي وإن كان ذلك فيما أملكهُ من حواسٍ ومن أي نوعٍ من أنواع الإدراك، من علمٍ حصوليٍ أو من علمٍ حضوري بنفسي وما يدورُ في نفسي، كُلُّ هذه تُقِرُّ وتذعِنُ لكم وبكم وإليكم وعليكم، تُقِرُّ عليكم بتوكلي عليكم وباعتمادي عليكم وبلجوئي إليكم، أنا حينَ أُخاطِبُ إمام زماني صلوات الله وسلامه عليه، كيفَ أُخاطِبهُ؟ أُخاطِبُ إمام زماني:

فَلو تَطاولَت الدّهور وتَمادت الأعمار لم أزدد فيكَ إلاّ يقيناً ولَكَ إلاَّ حُبَّاً وعليكَ إلاَّ توَكُّلاً واعتِماداً ولظهوركَ إلاَّ توقُّعاً وانتظاراً ولجهادي بينَ يديكَ إلاَّ تَرَقّباً فأبذِلُ نَفسي ومالي وولَدي وأهلي وجَميع ما خَوّلني ربّي بين يديك والتَصَرُّف بين أمرك ونهيك، مولاي فإن أدركتُ أيامكَ الزَاهِرة وأعلامَكَ الباهِرة فها أنا ذا عَبدُك المُتَصَرِّفُ بينَ أمرك ونهيك، أرجو بهِ الشهادة بين يديك والفوزَ لديك، مَولاي فإن أدرَكني الموتَ قبل ظهورك فإنَّي أتوسّل بِكَ وبآبائك الطاهرين إلى الله تعالى وأسألهُ أن يُصلي على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وأن يجعل لي كَرَّةً في ظهورك ورَجعةً في أيامك لأبلُغَ من طاعتِكَ مُرادي.

أُشهِدُ الله وَأُشهِدُكُم أَنِّي مُؤمِنٌ بِكُم وَبِما آمَنتُم بِهِ، إني مؤمنٌ بكم آل مُحَمَّد وبما آمنتم به، أنا مُسَلِّمٌ لكم، القولُ مني قولكم فيما بلغني عنكم وفيما لم يبلغني، فيما أسررتم وفيما أعلنتم – **أَنِّي مُؤمِنٌ بِكُم وَبِما آمَنتُم بِهِ** – حتى لو لم أعلم بأي شيءٍ آمنتم به، لأنني لا أستطيعُ أن أؤمن بكل ما آمنتم به، أيُّ قلبٍ وأيُّ عقلٍ يستطيع أن يؤمن بكل ما تؤمنون به، لكنني أُسَلِّمُ بعقلي وبقلبي لِما تؤمنون – **أُشهِدُ الله وَأُشهِدُكُم أَنِّي مُؤمِنٌ بِكُم وَبِما آمَنتُم بِهِ** – علمت بذلك أم لم أعلم، استطاع عقلي وقلبي ومداركي أن تُحيطَ علماً به في يومٍ من الأيام أم لم أستطع ذلك – **أَنِّي مُؤمِنٌ بِكُم وَبِما آمَنتُم بِهِ** – لأنني على يقينٍ بأنكم وجهُ الله ولأنني على يقينٍ بأنَّ من أراد الله فلا بُد أن يبدأ بكم، ومن قصد الله سبحانه وتعالى فلابد أن يتوجه بكم، ومن أرادَ الله سبحانه وتعالى ووحدهُ فلابد أن يقبلَ منكم، أنتم الباب الذي فتحهُ الله لنا وأنتم النور الإلهي الذي يُرشدنا في كل زاويةٍ من زوايا حياتنا، إليكم أنظارنا وإليكم قلوبنا وإليكم عقولنا، نُسَلِّمُ لكم ونُذعِنُ لَكُم ونعتذرُ إليكم من قصورنا وتقصيرنا في حبنا لكم وفي معرفتنا بكم، مهما أحببناكم فحُبُّنا قاصر، ومهما عرفناكم فمعرفتنا قاصرة، ومهما سعينا إلى التقرُّبِ إليكم فإننا مقصرون سادتي آلَ مُحَمَّد.

قالوا غداً نأتي ديـار الحِمَى وينـزلُ الركبُ بمَغناهُـمُ

فَكُلٌّ من كـان مُطيعـاً لهـم أصبحَ مسروراً بِلُقياهُـمُ
قلتُ: فلي ذنبٌ فمـا حيلتي بـأيِّ وجـهٍ أتلقـاهُـــمُ
قالوا: أليسَ العفوُ من شأنهم لا سـيما عمَّـن ترجاهُمُ
فجئتهـم أسـعى إلى بابهـم أرجوهُمُ طوراً وأخشاهُمُ

أُشهِدُ الله وَأُشهِدُكُم أَنِّي مُؤمِنٌ بِكُم وَبِما آمَنتُم بِهِ كافِرٌ بِعَدُوِّكُم وَبِما كَفَرتُم بِهِ مُستَبصِرٌ بِشَأنِكُم – كافِرٌ بِعَدُوِّكُم وَبِما كَفَرتُم بِهِ، كافرٌ بكلِّ ما هو مُخالِفٌ لشأنكم ولطريقتكم من الجنِ من الإنسِ من الشجر من الحجرِ من أي شيءٍ – **كافِرٌ بِعَدُوِّكُم وَبِما كَفَرتُم بِهِ** – سواء كنتُ عالِماً بهذا الذي كفرتكم به أم لم أكن عالِماً، إني مؤمنٌ بكم وبما آمنتم به وكافرٌ بعدوكم وبما كفرتم به، أنتم الإيمانُ كُلُّه وأغياركم الكُفرُ كُلُّه، برزَ الإيمانُ كُلُّه إلى الشرك كُلّه، أنتم الإيمانُ كُلُّه وأغياركم في أي درجةٍ من درجات الغَيرية والأغيارية هُم الشركُ كُلُّه والكفر كله والنجاسةُ كُلُّها، إنَّكم الطهارةُ كُلُّها فأغياركم النجاسة كُلُّها – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي، أُشهِدُ الله وَأُشهِدُكُم أَنِّي مُؤمِنٌ بِكُم وَبِما آمَنتُم بِهِ كافِرٌ بِعَدُوِّكُم وَبِما كَفَرتُم بِهِ مُستَبصِرٌ بِشَأنِكُم** – وإلاَّ كيف أكونُ شيعياً إن لم أكن مستبصراً بشأنكم، الاستبصار المعرفة التي تُخبت لها القلوب.

في الجزء السادس والعشرين من بحار الأنور وفي حديث المعرفة بالنورانية والذي قرأتُ أجزاءً منه في الحلقات الماضية، سيدُ الأوصياء وهو يُخاطب سلمان وأبا ذر – **قال سلمان: قلتُ: يا أخا رسول الله ومن أقامَ الصلاة أقامَ ولايتك؟ قال: نعم يا سلمان، تصديقُ ذلك قولهُ تعالى في الكتاب العزيز:** ﴿وَاستَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ﴾ **فالصبرُ رسول الله والصلاة إقامةُ ولايتي، فمنها قال الله تعالى:** ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ **ولم يَقُل وإنَهُما لكبيرةٌ لأن الولاية كبيرةٌ حملها إلاّ على الخاشعين والخاشعون هم الشيعة المستبصرون** – هذا كلامُ عليٍّ – **والخاشِعون هُم الشيعة المستبصرون** – الشيعة المستبصرون الذين يعرفون أئمتهم بالمعرفة النورانية.

مُستَبصِرٌ بِشَأنِكُم وَبِضَلالَةِ مَن خالَفَكُم مُوالٍ لَكُم وَلأولِيائِكُم – ومَرَّ علينا الكلامُ في الزيارة الجامعة الكبيرة: **مَن وَالاكُم فَقَد وَالى الله وَمَن عاداكُم فَقَد عادى الله،** إلى آخر ما جاء فيها، الزيارة هنا في تحديد هوية الشيعي لتفعيل المعاني العقائدية النظرية المتقدمة، كيفَ تُفَعَّل؟ تُفَعَّل بهذه الطريقة: **مُستَبصِرٌ بِشَأنِكُم وَبِضَلالَةِ مَن خالَفَكُم مُوالٍ لَكُم وَلأولِيائِكُم** – سابقاً كان العنوان العام: **مَن وَالاكُم فَقَد وَالى الله وَمَن عاداكُم فَقَد عادى الله** – الحديث الآن ننقله إلى الواقع العملي وما سميتهُ قبل قليل بهوية الشيعي

– **مُوالٍ لَكُم وَلأولِيائِكُم** – وحذاري يا أشياع عليٍّ من أن تُبغِضوا أولياء عليٍّ حذاري وحذاري، روايات أهل البيت تُحَدِّثُنا بأننا إذا أبغضنا أولياء عليٍّ ونحنُ نعلم بأنَّهم يُحبّون عليّاً ويتبرءون من أعدائهِ إذا عَلِمنا بذلك فعاديناهم وأبغضناهم وقُلنا فيهم ما قُلنا حذاري فإنَّ هذا يكونُ سبباً لسلب الإيمانِ عندَ الموت، هناك إيمانٌ مستقر وهناك إيمانٌ مستودع، مُعاداة أولياء عليٍّ يا أشياعَ عليٍّ في أجواء السياسة المقيتة وفي أجواء القيل والقال وفي أجواء التجارة بكرامة أشياع أهل البيت وسمعة أهل البيت وسمعة أشياعهم في مثل هذه الأجواء تكونُ الشُبهات، حذاري من هذا الأمر فإنَّ ذلك يقودُ الإنسانَ في أحيانٍ كثيرة إلى أن يُسلبَ منه الإيمان عند موته، ويمكن أن تُسلبَ مَحَبَّةُ أهل البيت عندَ الموت، ولذلك نحنُ نقرأُ في أدعية أهل البيت: **اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ إيماناً لا أجلَ له دونَ لقائك** – إيماناً يُقبَرُ مع الإنسان، يُحشَرُ مع الإنسان، يُبعَثُ مع الإنسان – **أسألُكَ إيماناً لا أجلَ له دونَ لقائك** – لأنَّ هناك من الإيمانِ ما له أجل يُسلبُ من الإنسان ولذلك ندعو بهذا الدعاء، وما معنى العديلة حينما نقول: وأعوذُ بِكَ من العديلةِ عندَ الموت، العديلة عند الموت أنَّ الإنسان يعدلُ عن أهل البيت إلى غيرهم، ما يسمى بدعاء العديلة هو تلقينٌ، مضمون هذا الدعاء هو تلقينٌ للمُحتَضِر بعقائد أهل البيت وبِحُبِّ أهل البيت، لِماذا؟ لأنَّ الإنسانَ عندَ الموت عند الاحتضار يمكن أن يعدل عن أهل البيت، ولذلك نقرأُ في الأدعية: **وأعوذُ بِكَ من العديلةِ عندَ الموت** – أحدُ أسباب هذه العديلة هو مُعاداة أولياء أهل البيت، لا تستعجلوا على أشياع أهل البيت فلربما زلَّت لهم قدمٌ فثبتت لهم قدمٌ أخرى، ولكن الحديث عن أشياع أهل البيت لا عن الذين يدّعونَ التشيع بلقلقة اللسان، الحديث عن أولياء أهل البيت.

نحنُ نقرأُ في أدعية شهر رمضان، الدعاء الذي يُقرأ في كُلِّ يوم الذي يسمى بدعاء الحج من أدعية شهر رمضان التي تقرأ كُلَّ يوم: **وأَسأَلُكَ أن تُكرِمَني بهَوانِ مَن شِئتَ مِن خَلقِك وَلا تُهِنّي بِكَرَامَةِ أَحَدٍ مِن أَولِيَائِك** – عبارة دقيقة جداً وعميقة – **وأَسأَلُكَ أن تُكرِمَني** – يعني إذا أهانني أيُّ أحدٍ فإنها كرامةٌ لي إذا كان ذلك البلاء بإرادتكَ يا ربي، وإذا كان ذلك البلاء يكونُ في محل أن أكون سبباً في إهانة أحد أولياء أهل البيت – **وأَسأَلُكَ أن تُكرِمَني بهَوانِ مَن شِئتَ مِن خَلقِك** – أكرمني بهذه الإهانة بدلاً من أن أكون أنا مُهيناً لأحدِ أولياء أهل البيت – **وأَسأَلُكَ أن تُكرِمَني بهَوانِ مَن شِئتَ مِن خَلقِك وَلا تُهِنّي بِكَرَامَةِ أَحَدٍ مِن أَولِيَائِك.**

مُستَبصِرٌ بِشَأنِكُم وَبِضَلالَةِ مَن خالَفَكُم مُوالٍ لَكُم وَلأولِيائِكُم مُبغِضٌ لأَعدائِكُم – نحنُ نقرأ في زيارة عاشوراء ونحنُ نُخاطِبُ سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه: **فأسأَلُ الله الذي أكرَمَني بِمَعرفَتِكُم ومعرفة أوليائكُم** – هذه كرامة، معرفة أولياء أهل البيت كرامة، نحنُ إمَّا أن نكون صادقين مع سيد الشهداء

أو كاذبين، هكذا نُخاطِب سيدَ الشهداء في زيارتهِ في زيارة عاشوراء: **فأسأَلُ الله الذي أكرمني بمعرفَتِكُم ومعرفة أوليائكم.**

مُستبَصِرٌ بِشَأنِكُم وَبِضَلالَةِ مَن خالَفَكُم مُوالٍ لَكُم وَلأولِيائِكُم مُبغِضٌ لأَعدائِكُم – كما أنَّ مداركي بِكُلِّها بعقلي وقلبي ووجداني وضميري تُعلِنُ الإيمانَ والمحبَّة لأهل البيت فإنها في نفس الوقت تُعلِنُ الكفرَ بأعداء أهل البيت وتُعلِنُ البغض والحقد عليهم – **مُبغِضٌ لأَعدائِكُم وَمُعادٍ لَهُم، سِلمٌ لِمَن سالَمَكُم وَحَربٌ لِمَن حارَبَكُم** – سِلمٌ لِمَن سالَمَكُم، أي سِلمٌ لأوليائكم، من الذينَ يُسالِمون أهل البيت؟ ما المراد سِلمٌ لِمن سالَمَكُم؟ والمعنى الواضح أنَّ المُسلِم من سَلِمَ الناس من لسانهِ ويده، هذه أول درجات السالمية، هل سلموا أولياء أهل البيت منا من ألسنتنا وأيدينا؟ **سِلمٌ لِمَن سالَمَكُم وَحَربٌ لِمَن حارَبَكُم** – هذه العبارات بحاجة إلى شرحٍ وبسطٍ في القول لكن المقامَ لا يسنح بتفصيل كُلِّ شيء وإنَّما أمرُّ عليها مروراً سريعاً أشيرُ إلى أهم النقاط – **مُبغِضٌ لأَعدائِكُم وَمُعادٍ لَهُم، سِلمٌ لِمَن سالَمَكُم وَحَربٌ لِمَن حارَبَكُم مُحَقِّقٌ لِما حَقَّقتُم** – حربٌ لِمن حاربكم على جميع المستويات وخصوصاً في زماننا هذا على المستوى الفكري والعقائدي، الحَربُ في أيامنا هذه ليست حرباً بالسيوف، الحربُ حربُ الإعلام والحربُ حربُ الثقافة والفِكر والحربُ حرب الكلمةِ والمنطق واللسان – **وَحَربٌ لِمَن حارَبَكُم مُحَقِّقٌ لِما حَقَّقتُم مُبطِلٌ لِما أَبطَلتُم** – محققٌ لِما حققتم مُثبِتٌ لِما أثبَتُّم، أيُّ شيءٍ تقولون عنه بأنَّه حق فإنِّي أقول بأنَّه حق، وأيُّ شيءٍ تقولون عنه بأنَّه باطل فإنّي أقول وبِكُلّ تفكيري ووجداني وضميري بأنه باطل – **مُحَقِّقٌ لِما حَقَّقتُم مُبطِلٌ لِما أَبطَلتُم مُطِيعٌ لَكُم** – بقدر ما أتمكن وإلا سادتي آلَ مُحَمَّد فإني قاصرٌ ومُقَصِّرٌ في هذه الجهة، مُطِيعٌ لَكُم بقدر ما أتمكن – **عارِفٌ بِحَقِّكُم مُقِرٌّ بِفَضلِكُم** – وجزءٌ من معرفتي بحقهم هو معرفتي بهذه الزيارة بالزيارة الجامعة الكبيرة.

حينَ نقرأُ هذه الزيارة ونتبصَّرُ في معانيها ونؤمنُ بالذي جاء فيها فذلك هو جزءٌ من معرفتي بفضلهم – **مُطِيعٌ لَكُم عارِفٌ بِحَقِّكُم مُقِرٌّ بِفَضلِكُم مُحتَمِلٌ لِعِلمِكُم** – محتملٌ لعلمكم أي مُسَلِّمٌ، الذي يحتمل الشيء الذي يحملهُ ولا يحمل الشيء حتى يقتنعَ بهِ حتى يكون مُحِبَّاً له، مُحتَمِلٌ لِعِلمِكُم أي أنني مُسَلِّمٌ ومُقِرٌّ ومُذعِنٌ لعلمكم الذي علمتموني إياه سمعتُ به أم لم أسمع به، ما أسررتم ما أعلنتم، ما كان من علومكم التي يمكن أن تظهر في هذا العالم وما كان من علومكم التي لا يمكن أن تظهرَ في هذا العالم، لأنها لا تتناسب وهذا العالم الضيق، الدنيا سجنُ المؤمن، هذا العالم هو سجن، سجنُ المؤمن من هو المؤمن؟ المؤمنُ عليٌّ، الدنيا سجنُ المعصوم، هذا عالَمٌ ضيق، هذه زنزانةٌ ضيقة، فهناك الكثيرُ من الحقائق التي سوف لن يبينها المعصوم صلوات الله عليه لأنها لا تتناسب وهذا العالم الضيق وهذا السجن الضيق – **مُحتَمِلٌ**

لِعِلمِكُم – لعلمكم بكل مراتبه التي أنتم تعلمونها لا أنا، وإنما أنا مُقِرٌّ لكل ما تعلمون، فإني عبدكم والعبدُ وما في يدهِ لمولاه، ونحن وما في عقولنا وما في قلوبنا لموالينا، فهم أولياء نعمتنا.

في بدايات الزيارة الجامعة الكبيرة ونحن نُسَلِّمُ عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: **وَقادَةَ الأُمَمِ وَأَولِياءِ النِّعَمِ** – هم أولياء نعمتنا صلوات الله عليهم – **مُحتَمِلٌ لِعِلمِكُم مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم** – محتجبٌ بذمتكم إن لم أكن محتجباً بذمتكم فبذمة من احتجب؟! بذمتكم يعني بجنابكم، بذمتكم يعني بشأنكم الخاص، بذمتكم يعني بساحة فضلكم – **مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم** – وذمةُ أهل البيت هي ذِمَّةُ الله سبحانه وتعالى، ذمَّتُهم هي ذِمَّةُ الله، هم جنبُ الله، هم وجهُ الله، نحنُ نأخذُ بِحُجزتهم وهم يأخذون بِحُجزةِ الله وهُم حُجزَةُ الله، هم وجه الله الباقي بعد فناءِ كُلِّ الأشياء – **مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم** – أنا أحتمي أحتجبُ بكم، أحتجبُ بكم فِراراً من جهلي وأحتجبُ بكم فِراراً من شكوكي ووساوسي أنتم سببُ اليقين، أنتم المرآة الصافية التي أرى فيها كُلَّ فضيلة وكُلَّ جمال، احتجبُ بكم عن كل قبيحٍ من قبائح هذه الحياة، احتجبُ بكم عن الضلالةِ، أنتم الحجابُ الذي احتجبُ بهِ عن الضلالةِ وعن الشركِ وعن الكفرِ وعن كُلِ جهلٍ وعن كُلِّ نجاسةٍ ودنيةٍ ورجاسة، احتجبُ بكم من بلاء الدنيا ومن بلاء الآخرة، احتجبُ بكم من ساعات الاحتضار وما يجري فيها، احتجبُ بكم ليلة الوحشة في قبري، احتجبُ بكم في كل مقامٍ من مقاماتي وفي كل مقالٍ من مقالاتي، وأنا أقرأُ في أدعيةِ شهر رجب في الزيارة الرجبية، أقرأُ في الزيارة الرجبية:

الحَمدُ للهِ الذي أشهَدَنا مَشهَدَ أوليائهِ في رَجب وأوجَبَ عَلينا مِن حَقّهم ما قد وَجَب وصلّى الله على مُحَمَّدٍ المُنتُجَب وعلى أوصيائهِ الحُجُب – أنا محتجبٌ بهؤلاء الحُجُب – **وصلّى الله على مُحَمَّدٍ المُنتَجَب وعلى أوصيائهِ الحُجُب** – هُم حُجُبٌ عن الضلال وحُجُبٌ عن الشركِ والكفر وحُجُبٌ عن الجهل وحُجُبٌ عن نار جهنم وحُجُبٌ عن أن نقعَ من على صراطِ جهنم في أعماق جهنم الغائرة، هم حُجُبٌ عن كل نقص – **اللَّهُمَّ إني أسألُكَ من جَمالِكَ بأجملهِ** – هم أجمل الجمال، هم الحجابُ الأجمل الذي نحتجبُ به عن أقبح القبائح، هم الخيرُ بكلهِ، نقرأُ في الزيارة الجامعة الكبيرة: **إن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ** – هي هذه العبارة لوحدها تكفي – **إن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ** – أنا أحتجبُ بهذه الحُجُب عن كُلِّ شرٍ، عن أول الشر وأصلهِ وفرعهِ ومعدنه ومأواه ومنتهاه – **وصلّى الله على مُحَمَّدٍ المُنتَجَب وعلى أوصيائهِ الحُجُب** – الإشارة إلى نفس المعنى: **مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم**.

في أدعية التعقيب في صلاة الفجر دعاء جميل جداً من المستحبات التي قد يغفل عنها الكثير بعد صلاة الفجر أن يقولَ الإنسان: **اللَّهُمَّ أحيني على ما أحييت عليهِ عليَّ بن ابي طالب وأمِتني على ما مات**

عليهِ عليُّ بن أبي طالب، أن يُكَرِّر هذه العبارة بعد صلاة الفجر، هذا في المفاتيح، أذهب إلى تعقيبِ صلاة الصبح ستجد في جملة التعقيبات هذا التعقيب: **اللَّهُمَّ أحيني على ما أحييت عليهِ عليَّ بن ابي طالب وأمِتني على ما مات عليهِ عليُّ بن أبي طالب.**

في تعقيب صلاة الفجر لنقرأ هذا الدعاء من الأدعية التي تُقرأُ بعد صلاة الفجر: **أصبَحتُ اللَّهُمَّ مُعتَصِماً بِذمامِكَ المنيع الذي لا يُطاولُ ولا يُحاول من شرِّ كُلِّ غاشمٍ وطارق،** الغاشم هو الظالم، والطارق هو الآتي بالشر الذي لا يكونُ متوقعاً – **أصبَحتُ اللَّهُمَّ مُعتَصِماً بِذمامِكَ المنيع الذي لا يُطاولُ ولا يُحاول من شرِّ كُلِّ غاشمٍ وطارق من سائر من خلقت وما خلقت من خلقك الصامتِ والناطِق في جُنَّةٍ من كُلِّ مَخوف** – هذه كُلُّ معاني الخوف كُلُّ معاني الشرور في هذا الدعاء – **من شرِّ كُلِّ غاشمٍ وطارق من سائر من خلقت** – من سائر من خلقت يعني من الجنِ والإنس ومن غيرهم من الكائنات العاقلة – **من خلقت وما خلقت** – من المخلوقات غير العاقلة بِما في ذلك الجراثيم الفايروسات الحيوانات وكُل ما يمكن أن يُتوقع – **من شرِّ كُلِّ غاشمٍ وطارق من سائر من خلقت وما خلقت من خلقك الصامتِ والناطِق** – بأي شيءٍ أحتمي؟ – **في جُنَّةٍ** – الجُنَّة هو الدرع – **في جُنَّةٍ من كُلِّ مَخوف بلباسٍ سابغة سابغة ولاء أهل بيت نبيك** – هذه اللباس السابغة ولاء أهل بيت نبيك هو هذا الحجاب، أنا محتجب بذمتهم – **بلباسٍ سابغة ولاء أهل بيت نبيك محتجباً من كُلِّ قاصدٍ لي إلى أذيةٍ بجدارٍ حصين** – ما هو هذا الجدار الحصين؟ – **الإخلاص في الاعتراف بحقّهم والتَمَسُّكِ بحبلهم موقِناً أنَّ الحقَّ لهم ومعهم وفيهم وبهم** – نفس ألفاظ الزيارة الجامعة الكبيرة.

تُلاحظون الأدعية والزيارات كُلُّها، والحَقُّ معهم مَرَّ علينا نفس هذه الألفاظ مرت علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَالحَقُّ مَعكُم وَفِيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم وَأَنتُم أَهلُهُ وَمَعدِنُهُ – موقِناً أنَّ الحقَّ لهم ومعهم وفيهم وبهم** – تلاحظون الوحدة المتكاملة حتى تعرفوا بأنَّ هؤلاء الذين يُشككون في زياراتنا من داخل الوسط الشيعي إنَّما يغطونَ في نومٍ عميق وقد ذهبوا في سُباتٍ من الجهلِ وعدم المعرفة – **محتجباً من كُلِّ قاصدٍ لي إلى أذية بجدارٍ حصين الإخلاص في الاعتراف بحقّهم والتَمَسُّكِ بحبلهم موقِناً أنَّ الحقَّ لهم ومعهم وفيهم وبهم، أوالي من والوا وأُجانِبُ من جانبوا فأعِذني اللَّهُمَّ بِهم من شرِّ كُلِّ ما أتقيه** – إلى آخر ما جاء في الدعاء، هذا مصداقٌ واضح من مصاديق الأدعية التي تؤكدُ هذا المعنى الذي أشارت إليه الزيارة الجامعة الكبيرة ومِراراً وتكراراً يأتي في الأدعية والزيارات مثلُ هذه المعاني – **مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم** – محتجبٌ بذمتكم في هذه اللحظة سادتي آلَ مُحَمَّد وفي كل لحظة، في الحياة وفي القبر وما بعد القبر وفي مواقف يوم القيامة، إن لم أحتجب بذمتكم فبذمة من سأحتجب – **مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم مُعتَرِفٌ بِكُم مُؤمِنٌ بِإيابِكُم**

مُصَدِّقٌ بِرَجعَتِكُم – مؤمنٌ بإيابكم بإياب أهل البيت صلوات الله عليهم، قد يُرادُ المعنى من إيابهم هو ظهور إمام زماننا فإنَّ الأمر سيؤوبُ إليهم، وقد يُراد المعنى الآخر من الإياب وهو الأوبة، الأوبة التي ستكون بعد الرجعة وإنَّما ذُكِرت قبلَ الرجعة لتأكيد العقيدةِ بأننا نعتقدُ بالأوبة كذلك نعتقدُ بالرجعة بل نعتقدُ بالأوبة قبل أن نعتقد بالرجعة، لأن لهم رجعة وبعد الرجعة لهم أوبة ولهم كرَّات، وعليٌّ هو الذي يقول: أنا صاحِبُ الكَرَّات، لهم كرَّاتٌ وكَرَّات وهذا التفصيل مذكور في رواياتهم الشريفة – **مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم مُعتَرِفٌ بِكُم مُؤمِنٌ بِإيابِكُم مُصَدِّقٌ بِرَجعَتِكُم مُنتَظِرٌ لأَمرِكُم** – مصدقٌ برجعتكم إنما أصدقُ برجعتكم لأنَّ القرآن قد تحدَّثَ كثيراً عن رجعة أهل البيت، قد تحدَّثَ كثيراً عن عقيدة الرجعة، لو نتصفَح القرآن وبنحوٍ سريع لا بنحوٍ أطيل الوقوف عند الآيات.

مثلاً الآية الثامنةُ والعشرون من سورة البقرة ﴿**كَيفَ تَكفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُم أَموَاتاً فَأَحيَاكُم ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يُحيِيكُم ثُمَّ إِلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾ وكنتم أمواتاً أي قبل أن تُخلقوا ﴿**فَأَحيَاكُم ثُمَّ يُمِيتُكُم**﴾ وهي الموتةُ الأولى ﴿**ثُمَّ يُحيِيكُم ثُمَّ إِلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾ ثُمَّ إليهِ تُرجَعون هذه حياة ثانية، هذا الترتيب ﴿**كَيفَ تَكفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُم أَموَاتاً فَأَحيَاكُم**﴾ ما موجودة هنا ثُمَّ ﴿**أَموَاتاً فَأَحيَاكُم**﴾ أي كنتم أمواتاً قبل أن تُخلقوا ﴿**فَأَحيَاكُم**﴾ فجعلكم أحياءً ﴿**ثُمَّ يُمِيتُكُم**﴾ وهو الموت الذي يموتهُ الإنسان كُلُّ نفسٍ ذائقةٌ الموت ﴿**ثُمَّ يُحيِيكُم**﴾ في الرجعة ﴿**ثُمَّ إِلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾ الآية واضحة ولا تحتاج إلى تطويلٍ في الكلام.

إذا نذهب إلى سورة غافر، الآية الحادية بعد العاشرة ﴿**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثنَتَينِ وَأَحيَيتَنَا اثنَتَينِ فَاعتَرَفنَا بِذُنُوبِنَا فَهَل إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ**﴾ فمتى ماتا مرتين ومتى أحييا مرتين ﴿**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثنَتَينِ**﴾ الموتة الأولى أو الميتة الأولى كانت حين نهاية عمر الإنسان، والموتة الثانية كانت عند الرجعة ﴿**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثنَتَينِ وَأَحيَيتَنَا اثنَتَينِ**﴾ الحياة الأولى هي هذه الحياة التي نحياها والحياة الثانية هي حياة الرجعة ﴿**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثنَتَينِ وَأَحيَيتَنَا اثنَتَينِ فَاعتَرَفنَا بِذُنُوبِنَا فَهَل إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ**﴾ أصلاً الرجعة موجودةٌ في حياتنا في كل يوم.

إذا نذهب إلى سورة الزمر الآية الثانية والأربعون ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِهَا وَالَّتِي لَم تَمُت فِي مَنَامِهَا**﴾ أي يُميتها في منامها أن يتوفاها في منامها، فالنوم هو صورةٌ تقريبيةٌ من صور الموت ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِهَا**

﴿وَالَّتِي لَم تَمُت فِي مَنَامِهَا فَيُمسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيهَا المَوتَ وَيُرسِلُ الأُخرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أصلاً هذه صورة قريبة من الرجعة، صور تُقَرِّب لنا معنى الرجعة، لا أريد أن أستدل بهذه الآية على الرجعة ولكن لتقريب معنى الرجعة.

الآية في سورة القصص، الآية الخامسة والثمانون ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيكَ القُرآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ في روايات أهل البيت هذه الآية لها أكثر من معنى، من جملة معاني هذه الآية هي رجعةُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيكَ القُرآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ إلى أي معادٍ؟ المعادُ هذا الذي تتحدث عنه الآيات بأنَّه مبعوثٌ إلى كل البشر.

إذا نذهب إلى سورة سبأ وإلى الآية الثامنة والعشرين ﴿وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ﴾ فهل تحققَ هذا المعنى في حياة النبي؟ لم يتحقق هذا المعنى، الآية صريحة ﴿وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ في روايات أهل البيت إنَّ هذا المعنى يتحقق في رجعة النبي صلى الله عليه وآله ﴿وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ﴾.

لذلك حين نذهب إلى سورة النمل، الآية الثالثة والثمانون ﴿وَيَومَ نَحشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُم يُوزَعُونَ﴾ هذا هو ليس يوم القيامة ﴿يَومَ نَحشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوجاً﴾ مجموعة من كل أُمَّة، لأن عقيدتنا في الرجعة أنَّ الراجعين هم من مَحضوا الإيمان ومن مَحضوا الكفر، وإلا إذا كان الحديث عن يوم القيامة فذلك يأتي واضحاً في سورة الكهف في الآية السابعة والأربعين ﴿وَيَومَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَتَرَى الأَرضَ بَارِزَةً﴾ وهذه من أحداث يوم القيامة ﴿وَحَشَرنَاهُم فَلَم نُغَادِر مِنهُم أَحَداً﴾ هذا هو يوم القيامة ﴿وَيَومَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَتَرَى الأَرضَ بَارِزَةً وَحَشَرنَاهُم فَلَم نُغَادِر مِنهُم أَحَداً﴾ لم نُغادر منهم أحداً الجميع يحشرون، أمَّا هذه الآية الثالثة والثمانون في سورة النمل ﴿وَيَومَ نَحشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ وآياتنا هنا أهلُ البيت، مرَّ علينا في الحلقات الماضية بحسب أحاديث أهل البيت بأنَّ الآيات المذكورة والآية والآيات المذكورة في القرآن هم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَيَومَ نَحشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾.

إذا نذهب إلى سورة البقرة، نذهب إلى الآية الخامسة والخمسين وما بعدها ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ ماتوا، وهذا المعنى واضح في رواياتنا وروايات غيرنا بأنهم ماتوا لَمَّا أخذتهم الصاعقة ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ والقرآن يقول، الآية التي بعدها ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ أليس هذه رجعة؟! ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ هذه القضية حدثت في زمان النبي موسى فَمَاتوا ثُمَّ بعثهم الله أحياء بعد الموت فهذا مصداق من مصاديق الرجعة.

إذا نذهب إلى الآية الحادية والسبعين وما بعدها من سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ هذا ميت قُتِل وقصتهُ معروفة في كتب التفسير، ضربوه بذيل البقرة فرجعَ حياً وبقيَ حي، كتب التفسير تُحَدِّثُنا بأنَّه بقيَ حياً إلى فترةٍ طويلة، رجع وتزوج ببنت عمهِ والقصة معروفة في كتب التفسير ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾ ذيل بقرة أرجع هذا الإنسان القتيل الميت أرجعهُ حياً فما بالك بقدرة الله سبحانه وتعالى إذا كانت متعلقة بأهل البيت.

إذا نذهب إلى الآية الثالثة والأربعين بعد المئتين ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ قصة الطاعون، المدينة التي أصابها الطاعون فخرج أهلها فِراراً منها ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ بعد ذلك عاشوا مرة ثانية، كتب التفسير تذكر لنا بأنَّ عظامهم بقيت على قارعة الطريق حتى كنسها الناس المارة وضعوها جانباً، الله أحياهم من جديد، حينَ مَرَّ نبيٌ من الأنبياء على تلك الآثار وطلبَ من الله أن يُعيدهم فأعادهم الله وهذه رجعة واضحة لقومٍ ولمدينة كاملة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ وما جرى في الأمم الماضية يجري في هذه الأُمَّة كما قال النبي صلى الله عليه وآله حذوَ النعلِ بالنعل، حذوَ القُذَّةِ بالقُذَّة.

إذا نذهب إلى الآية 259 من سورة البقرة ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي

هَذِهِ اللَّهُ بَعدَ مَوتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَم لَبِثتَ قَالَ لَبِثتُ يَوماً أَو بَعضَ يَومٍ قَالَ بَل لَّبِثتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُر إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَم يَتَسَنَّه وَانظُر إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُر إِلَى العِظَامِ كَيفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكسُوهَا لَحماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ بعد مئة عام، هذه ليس رجعة لإنسان وحتى لحمار، حمار رجع أيضاً ورجعة لطعام، الله أرجع طعامهُ وحمارهُ وأرجعهُ، النبي عُزير القصة معروفة.

في الآية: 260، نفس سورة البقرة بعد هذه الآية مباشرةً ﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيفَ تُحيِي المَوتَى قَالَ أَوَلَم تُؤمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطمَئِنَّ قَلبِي قَالَ فَخُذ أَربَعَةً مِّنَ الطَّيرِ فَصُرهُنَّ إِلَيكَ ثُمَّ اجعَل عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنهُنَّ جُزءاً ثُمَّ ادعُهُنَّ يَأتِينَكَ سَعياً وَاعلَم أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ هذه رجعة للطيور، رجعة للحمار، رجعة للطعام، رجعة لمدينة كاملة أصيبت بالطاعون، آيات القرآن واضحة، الله يحشر من كُلِّ أُمَّةٍ فوجاً، هؤلاء الذين يُنكرون الرجعة لا عقلَ لهم، لا معرفة لهم بالقرآن، لا يفهمون القرآن، ووالله هناك آيات كثيرة أخرى أيضاً تؤيد هذا المعنى أتناولها إن شاء الله في وقتٍ آخر، آيات كثيرة أكثر من هذه الآيات.

ماذا جاء في قصة إبراهيم؟ في قضية الطيور التي ذبحها لنقرأ ماذا جاء في قصة إبراهيم عليه السلام، الرواية: **عن معروف بن خربوث قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: إنَّ الله لَمَّا أوحى إلى إبراهيم أن خُذ أربعةً من الطير عَمَدَ إبراهيم فأخذَ النعامة والطاووس والوزة والديك** – وهي طيور مختلفة لا تتشابه لا في الحجوم ولا في الألوان ولا في الخصائص – **عَمَدَ إبراهيم فأخذَ النعامة والطاووس والوزة والديك فَنتَفَ ريشهُن بعد الذبح ثم جَمعهنَّ في مهراسة** – المهراسة يعني مثل الهاون كبير يُدَقُّ فيه اللحم فيُفرم فرماً – **ثم جَمَعهنَّ في مهراسة فهرسَهُنّ** – هذه اللحوم خُلِطت فيما بينها – **ثُمَّ فَرَقَهُنَّ على جبال الأردن وكانت يومئذٍ عشرة جبال** – جبال متباعدة لأنَّ لكل جبلٍ رأس وإنما وضع هذا اللحم المفروم على رؤوس الجبال لكي تكون هذه القطع متباعدة – **فهرسَهُنّ ثُمَّ فَرَقَهُنَّ على جبال الأردن** – جبال متباعدة – **وكانت يومئذٍ عشرة جبال فوضعَ على كُلِّ جبلٍ منهنَّ جزءاً** – من هذا اللحم المهروس من كل الطيور – **ثُمَّ دعاهُنَّ بأسمائهنَّ فأقبلنَّ إليه سعياً** – يعني مسرعات – **فقال إبراهيمُ عند ذلك: أعلمُ أنَّ الله على كل شيءٍ قدير** – رجعةٌ للطيور، رجعةٌ للطعامِ، رجعةٌ للحمار لحمار النبي عُزير، رجعةٌ ورجعةٌ ورجعة.

وحتى إذا ذهبنا إلى قصة أهل الكهف فإنَّها رجعة بعد 309 سنوات، إذا كان عُزير رجع بعد مئة فأهل الكهف رجعوا بعد 309 سنوات وسيرجعون مع إمام زماننا، الروايات تقول بأنَّهُ حينَ يمر على كهفهم فإنَّه سيستجيبون له سيخرجون من كهفهم وأولهم تَمّليخا وهو كبيرهم وسيدهم يخرج رافعاً رايته ورافعاً سيفه ويده

لنصرة الإمام الحجة، في سورة الكهف في الآية الخامسة والعشرين ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ الله سبحانه وتعالى أرجعهم في الآية التاسعة بعد العاشرة ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ إلى آخر ما جاء في قصتهم في سورة الكهف، وكما قلت قبل قليل هناك آيات كثيرة جداً تتحدث عن هذه العقيدة عن عقيدة الرجعة. إن شاء الله في وقتٍ آخر سأتحدث عن الآيات الأخرى وأحاول أن أجمع كل الآيات في الكتاب الكريم التي تتناول موضوع الرجعة.

مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم، مُعتَرِفٌ بِكُم، مُؤمِنٌ بِإيابِكُم، مُصَدِّقٌ بِرَجعَتِكُم، مُنتَظِرٌ لأمرِكُم – منتظرٌ لأمركم لأمر الحجة بن الحسن حين يصدر أمره – **مُنتَظِرٌ لأمرِكُم** – والروايات تقول بأن أشياعه سيجدون منشوراً تحت وسائدهم في الصباح مكتوبٌ عليها طاعةٌ معروفة – **مُنتَظِرٌ لأمرِكُم** – وهذا الأمر ينتظره أولياء أهل البيت صباح مساء – **مُصَدِّقٌ بِرَجعَتِكُم** – لأنهم هم أخبرونا قالوا لنا توقعوا الفرج صباح مساء نحن نتوقع أمره، نتوقع فرجه في كل لحظةٍ في كل ثانية، سادتي آل مُحَمَّد هذه هي حالتي هي حالة أولياء عليٍّ وآل عليّ – **مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم، مُعتَرِفٌ بِكُم، مُؤمِنٌ بِإيابِكُم، مُصَدِّقٌ بِرَجعَتِكُم، مُنتَظِرٌ لأمرِكُم، مُرتَقِبٌ لِدَولَتِكُم** – هذه العبارة – **مُنتَظِرٌ لأمرِكُم** – ليس منتظراً لِما يكون سبباً لراحة نفسي من منافع الدنيا وإنما منتظرٌ لتحقيق إرادتكم لتحقيق ما تريدون – **مُنتَظِرٌ لأمرِكُم، مُرتَقِبٌ لِدَولَتِكُم** – المرتقب هو المنتظر أيضاً ولكنه ينتظر بشوقٍ أكثر، مرتقب ستكون اليوم أو غداً بين لحظةٍ وأخرى مع الشوق – **مُنتَظِرٌ لأمرِكُم، مُرتَقِبٌ لِدَولَتِكُم، آخِذٌ بِقَولِكُم** – آخذٌ بقولكم بالدرجة الأولى في عقيدتي وفكري، آخذٌ بقولكم في معنى القرآن أفسر القرآن بقولكم لا أفسر القرآن بهذه المناهج التي جاءنا بها الناس من شرقٍ ومن غرب فعاد القرآن يفسر وفقاً لمناهج لا تمت إلى أهل البيت بصلة ويقول المفسرون بأنها مناهج أهل البيت، آخذٌ بقولكم في كل صغيرةٍ وكبيرة بقدر ما أتمكن – **آخِذٌ بِقَولِكُم، عامِلٌ بِأَمرِكُم** – هذه الكلمات هل هي حقيقية في حياتنا؟ هل نحن نتصفُ بهذه الأوصاف؟

نأخذ بأقوالهم نعمل بأوامرهم – **آخِذٌ بِقَولِكُم، عامِلٌ بِأَمرِكُم، مُستَجيرٌ بِكُم، زائِرٌ لَكُم، لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُم** – هذا هو حال أشياع أهل البيت، نحن نستجير بهم، العبارة التي مرت قبل قليل – **مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم** – هذه العبارة تطوي كل هذه المعاني – **مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم** – هذه العبارة عبارةٌ طويت فيها كل المعاني، كل هذه المعاني تدخل تحت هذا العنوان: **مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم**، إنما أحتجبُ بذمتكم متى؟ حين أعترف بكم، حين أؤمن بإيابكم، حين أصدق برجعتكم، حين أنتظر أمركم، حين أترقب دولتكم، حين

آخذ بقولكم، حين أعمل بأمركم، وحين أستجير بكم – **مُستَجيرٌ بِكُم** – محتمي بكم، بمن أحتمي وبمن أستجير إن لم أستجر بكم – **مُستَجيرٌ بِكُم** – ولذا الشيعةُ تستجيرُ بعليٍّ، تستجيرُ بعليٍّ في الحياة وعند الموت، نحن نستجيرُ بعليٍّ ففي كل شدةٍ ننادي يا عليّ، وهذه الكلمة تخرجُ من أفواهنا ومن قلوبنا قسراً لا ندري كيف تخرج، عند كل شدةٍ ننادي يا عليّ وعند الموت ننادي يا عليّ وإذا دفنا فإنا نريدُ أن ندفن عند عليّ وإذا حُشرنا فإنا نبحث عن عليّ، في يوم القيامة كل مجموعة تبحث عن إمامها، نحن في يوم القيامة نبحث عن عليّ، عليٌّ يعيشُ معنا ونحنُ نعيشُ مع عليّ ونموت مع عليّ ونبعث مع عليّ، نحنُ مستجيرون بعليٍّ صلوات الله وسلامه عليه ووالله فاز ونجح وانتصر ووصل إلى ما يريد مَن استجار بعليٍّ صلوات الله وسلامه عليه.

نحنُ نقرأ في زيارة سيد الأوصياء وما عَجَبٌ ذلك في زيارات أمير المؤمنين وزياراته مشحونةٌ بهذه المعاني الجليلة الفاضلة، نقرأُ في زيارته في الزيارة المطلقة السادسة من زيارات سيد الأوصياء: **السَّلامُ عَلَى صَاحِب الدِلالات والآيات الباهِرات والمُعجزات القاهِرات والمُنجي من الهلكات،** عليٌّ هو المنجي من الهلكات، هذه زيارته، هذه زيارات مروية عن الأئمة صلوات الله عليهم هكذا نسلم على عليٍّ صلوات الله عليه – **السلامُ عَلَى صَاحِب الدِلالات والآيات الباهرات والمُعجزات القاهرات والمُنجي من الهَلَكَات الذي ذَكَرَهُ الله في مُحكَمِ الآيات فقال تعالى:** ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ .

وعليٌّ عليّ ومن استجار بعليٍّ فهو عليّ – **والمُنجي من الهلكات** – **مُستَجيرٌ بِكُم** – أنا استجيرُ بعليٍّ وآل عليٍّ من الهلكات – **زائِرٌ لَكُم** – أزوركم من بعيدٍ ومن قريب، أزوركم باللفظ ومن دون اللفظ، أزوركم بالقلب وبالعقل، الزائر هو القاصد، أنا قاصدٌ إليكم، أزوركم في يقظتي في منامي، أزوركم في صحتي وفي مرضي، أزوركم في حياتي وفي حمَامِي، أولياء أهل البيت يزورون أهل البيت حتى بعد الموت.

الروايات تحدثنا بأن أولياء أهل البيت يزورون الحسين يزورون عليّاً صلوات الله عليه كمَا يزورون بيوتهم يزورون أئمتهم – **زائِرٌ لَكُم، لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُم** – لاحظوا الزيارة هذه هوية التشيع، نحن نلوذ ونعوذ بقبورهم لا كما يتحدث المتحدثون على المنابر، مِراراً أسمع بعض الخطباء من خطباء الشيعة بعض المشايخ بعض الشخصيات المعروفة بعض الخطباء المعروفين يتحدثون على المنابر يقولون إننا لا نزور جثثاً بالية أو عظاماً نخرة نحن حين نزور النجف أو نزور كربلاء إنما نزور الموقف، هذا كلامٌ وهابي لا يوجد عندنا في نصوصنا الشرعية زيارة للمواقف، ما معنى زيارة المواقف أو نحن نزور الرسالة، نحن نقدس الرسالة لا نقدس الرسول، كلامٌ وهابي واضح جداً، لا أدري كيف لا يلتفت إليه هؤلاء المتحدثون، نحن نخاطب الأئمة حين نخاطب سيد الشهداء نخاطبه بأنني أنا عبدك وابن عبدك، أخاطب الحسين أخاطب عليّاً بنفسه، الزيارة

تقول: نلوذُ ونعوذُ بقبورهم، هؤلاء لماذا نخشى من كلام هؤلاء البدو الجهلة، هم لهم حريتهم أن يقولوا ما يقولوا هؤلاء الجهلة، وأنتم تلاحظون على القنوات التلفزيونية وعلى مواقع الإنترنت في كل يومٍ تُكشفُ عن فضيحةٍ لمطعونٍ في عجانه ولغيره من الذين يهاجمون أشياع أهل البيت والحوادث موجودة راجعوا الأخبار راجعوا الإنترنت تابعوا البرامج على القنوات واسمعوا وشاهدوا، ما تشاهدون، لماذا نخشى من هؤلاء؟ الزيارةُ هي تقول لنا، هذه زاوية التشيع نحن نلوذ ونعوذ بالقبور – **لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُم** – لماذا نخاف من أن نطرح عقائدنا الحقة، نحن نلوذُ بقبر عليٍّ، نحنُ نلوذُ بترابٍ يكون قريباً من قبر عليٍّ، نحن لا نلوذُ بعليٍّ نحن نلوذ بقبر عليٍّ فليرضى من يرضى وليغضب من يغضب هذه عقائدنا – **زائِرٌ لَكُم، لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُم**.

الروايات الواردة عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هذا هو وسائل الشيعة وهذا هو الجزء الخامس من وسائل الشيعة، الرواية فيها تفصيل صاحب الوسائل ينقلها عن الشيخ الطوسي، أوردها الشيخ الطوسي في كتابه التهذيب أحد الأصول الأربعة أخذ موطن الحاجة، الرواية منقولة عن الإمام الصادق ينقلها عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله، النبيُّ يخاطبُ عليّاً صلوات الله عليه فيقول له: **فابشِر وبِشِّر أولياءَكَ ومُحبّيك مِن النَعيم وقُرّة العين بما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سَمِعَت ولا خَطَرَ عَلى قَلب بشر** – هذه بشارة من خاتم الأنبياء يقول لعليٍّ: **فابشِر وبِشِّر أولياءَكَ ومُحبّيك مِن النَعيم وقُرّة العين بما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سَمِعَت ولا خَطَرَ عَلى قَلب بشر ولكن** – هذا كلام رسول الله أيها الخُطباء المتحدثون – **ولكن حثالةٌ من الناس يعيّرون زُوّارَ قُبَوركم** – ما قال زوراكم، نحن نزور القبور برغم أنوفهم، هذه قبور أئمتنا، هذه قبور مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هذه قبور تختلف عن قبور الخلق، نحن هكذا نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمَالِي ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسمَاؤُكُم** – إلى أن تقول الزيارة – **وَقُبُورُكُم فِي القُبُورِ فَمَا أَحلَى أَسمَاءَكُم وَأَكرَمَ أَنفُسَكُم** – قبورهم مميزة ليست كبقية قبور الخلق، قبوركم ما هي بقبور موتى، نحن قرأنا في حديث المعرفة بالنورانية يا أشياع عليٍّ وآل عليّ، هذا عليُّكُم هو الذي يقول: **يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إن ميتنا لم يمت وغائبنا لم يغب** – نحن ما نزور قبور موتى لا كما يقول هذا المتحدث أو ذاك بأننا لا نزور جثثاً بالية.

أنا أقول لهذا المتحدث أيها المتحدث أنت أبوك جدك وأنا وأبي وجدي إذا متنا نكون جثثاً بالية، ليس الحسينُ يكون جثةً بالية فنزور موقفاً من المواقف، أنت وجدك وأبوك وأجدادك إلى، إلى المالا نهاية، وأنا وأبي وجدي إلى المالا نهاية نكون عظاماً نخرة في قبورنا أمَّا الحسين فليس بعظامٍ نخرة – **إن ميتنا لم يمت** – هذا قول عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه وهو قول القرآن ﴿أَحيَاء عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ﴾ قول عليٍّ هو قول القرآن

﴿أَحيَاء عِندَ رَبّهِم يُرزَقُونَ﴾ – **ولكن حثالة من الناس يعيرون** – الحثالة هؤلاء الذين تتحدث القنوات الفضائية عن أُبنَتِهِم هؤلاء هم الحثالة – **ولكن حُثالةَ من الناس يُعيّرون زُوّار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها أولئك شِرارُ أُمَّتي لا أنالهُم الله شفاعتي ولا يَرِدون حَوضي** – نحن زوار قبور آل مُحَمَّد، لِماذا نخشى من ذلك؟ – **ولكن حثالة من الناس يُعيّرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها أولئك شِرارُ أُمَّتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يَرِدون حَوضي** – هؤلاء زوار القبور ما هو جزاءهم؟ – **فَابشِر وبَشّر أولياءك ومُحبّيك مِن النّعيم وقُرّة العَين ما لا عَينٌ رأت ولا أذنٌ سمِعَت ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَر** – نحن نلوذ ونعوذ بقبور آل مُحَمَّد من قريبٍ ومن بعيد، نحن هنا ومن هذا الغرب نلوذ ونعوذ بقبورهم، لأن هذه القبور نُسِبت إليهم، نحن لا نلوذ ونعوذ بهم نلوذ ونعوذ بقبورهم صلوات الله عليهم، هذه مرتبة أرقى أن نلوذ وأن نعوذ بهم، أمّا نحن فنعتقد بأننا نلوذ ونعوذ بقبورهم وهذه زيارتهم الجامعة الكبيرة تصرّح بذلك، وكل زيارات أهل البيت تُصرّح بذلك – **زائِرٌ لَكُم، لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُم** – هذا التأكيد لائذٌ وعائذٌ بقبوركم، أنا ألوذ بقبوركم وأعوذ بها من قريبٍ ومن بعيد.

هذا هو الجزء الحادي بعد المئة من كتاب بحار الأنوار لشيخنا المجلسي رضوان الله تعالى عليه، والشيخ المجلسي هنا ينقل الرواية عن كامل الزيارة لابن قولويه – **ذريح المحاربي قال: قلت لأبي عبد الله** – لإمامنا الصادق – **ما ألقى من قومي ومن بنيَّ إذا أنا أخبرتهم بما في إتيان قبر الحسين من خير إنهم يكذبون ويقولون إنك تكذب على جعفر بن محَمَّد** – حين يحدثهم عن فضيلة زيارة قبر الحسين، الإمام ماذا يقول له؟ – **قال: يا ذريح دَع الناس** – إن كانوا أبناءك إخوانك ليس مهماً هذا – **يا ذريح دَع الناس يذهبون حيث شاءوا** – وأنتم يا أشياع أهل البيت تعالوا إلى قبورنا هو هذا مقصود الإمام – **يا ذريح دع الناس يذهبون حيث شاءوا والله إن الله ليباهي بزائر الحسين** – إلى آخر الحديث الشريف.

وفي حديثٍ آخر أيضاً ذكره نقلاً عن كامل الزيارة الحديثُ منقولٌ عن إمامنا الصادق يرويه عبد الله بن حماد البصري ماذا يقول الإمام؟ – **ثم قال:** – يسأله – **بَلَغني أنَّ قَوماً يأتونَهُ مِن نَواحي الكوفَة** – يأتون قبر الحسين – **ونَاساً مِن غَيرِهم ونِساء** – من الرجال والنساء من شيعة أهل البيت – **يَندُبنَه وذَلِكَ في النِصفَ مِن شَعبان** – والزيارة الشعبانية على الأبواب – **فمِن بَينِ قَارِئٍ يِقرَأ وقَاصٍّ يَقص ونَادِبٍ يَندُب وقَائِلٍ يَقولُ المَرَاثي فَقُلتُ لَه: نعم** – وهذا هو حال أشياع أهل البيت، هذا الكلام في زمان الإمام الصادق – **بَلَغني أنَّ قَوماً يأتونَهُ مِن نَواحي الكوفَة ونَاساً مِن غَيرِهم** – من غير أهل الكوفة – **ونِساء يَندُبنَه وذَلِكَ في النِصفَ مِن شَعبان فمِن بَينِ قَارِئٍ يِقرَأ وقَاصٍّ يَقص ونَادِبٍ يَندُب وقَائِلٍ يَقولُ المَرَاثي فَقُلتُ لَه: نعم جُعِلتُ فِدَاك قَد شَهِدتُ بَعضَ ما تَصِف، فَقالَ: الحَمدُ للهِ الذي جَعَل في**

النّاسِ مَن يَفِدُ إلينا ويمدَحُنا ويَرثي لنَا وجَعَل عَدوّنَا مَن يَطعنُ عَليهِم مِن قَرَابَتِنا أو غَيرِهم – يعني هناك من أعداءنا من هم من الهاشميين – **مِن قَرَابَتِنا** – من السادات – **وجَعَل عَدوّنَا مَن يَطعنُ عَليهِم مِن قَرَابَتِنا** – لذلك لا تتعجبوا أن تجدوا من يلبسون العمائم السوداء أن يقوموا بهذا الدور، هذا ليس غريباً، هذا هو كلام إمامكم الصادق – **الحَمدُ للهِ الذي جَعَل في النّاسِ مَن يَفِدُ إلينا ويمدَحُنا ويَرثي لنَا وجَعَل عَدوّنَا مَن يَطعنُ عَليهِم مِن قَرَابَتِنا أو غَيرِهم يَهدِرُونَهم** – يهدرون دماءهم – **ويقبحون ما يَصنَعون** – ودعاء الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه الذي ينقله معاوية بن وهب دعاء معروف وكان الإمام في حالة سجود ودموعه تجري على وجهه الشريف ويقول، في جملة ما قاله في هذا الدعاء: **اللَّهُمَّ إنَّ أعدَاءنا عَابوا عَليهم خُرُوجَهم** – إلى زيارة القبور – **اللَّهُمَّ إنَّ أعدَاءنا عَابوا عَليهم خُرُوجَهم فَلَم يُنهِهُم ذَلِكَ** – ما نعبأ نحن بهؤلاء، لِماذا تعبئون أيها الذين تصعدون على المنابر أيها المتحدثون في الفضائيات لِماذا تعبئون بهذه الحثالات؟

اللَّهُمَّ إنَّ أعدَاءنا عَابوا عَليهم خُرُوجَهم فَلَم يُنهَهُم ذَلِكَ عَن النهوضِ والشُخُوصِ إلينا خِلافاً عَليهم – نحن نتقرب إلى أهل البيت بالخلاف على أعداءهم لعنة الله عليهم، ثم يقول الإمام: **فَارحم تِلكَ الوجوه** – هذه الوجوه التي عاب عليها الأعداء، الإمام يدعو لها – **فَارحم تِلكَ الوجوه التي غَيّرتها الشّمس** – نحن هنا نتحدث والآن وفود الشيعة متجهة إلى الكاظمية، الأعداد الكثيرة الضخمة متجهة إلى الكاظمية في حرارة هذا الصيف اللاهب، هذه أصداء هذا الدعاء الشريف تتجلى في أشياع أهل البيت وهم يتوجهون الآن إلى الكاظمية – **فَارحم تِلكَ الوجوه التي غَيّرتها الشّمس وارحم تلك الخدود التي تَقَلّبَت على قَبرِ أبي عبد الله وارحَم تِلكَ الأعين التي جَرَت دُموعها رَحمةً لنا وارحم تِلكَ القُلُوب التي جَزَعت واحترقت لنا وارحم تِلكَ الصّرخَة التي كانت لنا اللَّهُمَّ إنّي استودِعُكَ تلك الأنفس وتلك الأبدان** – هذه الأنفس والأبدان التي جاءت في ذلك الحر اللاهب تسعى إلى قبور أهل البيت، نحنُ إما أن نصدق مع أهل البيت وإما أن نكذب على أهل البيت، حين نقول: **زائِرٌ لَكُم، لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُم،** أنا زائرٌ لكم لكن من جملة مراسم هذه الزيارة أن ألوذ وأعوذ بقبوركم، الزيارة لكم، لكن مراسم هذه الزيارة كيف تكون؟ أنني ألوذ وأعوذ بقبوركم – **مُستَجيرٌ بِكُم، زائِرٌ لَكُم، لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُم** – هذه المحاولات التي يحاولها البعض من الفصل بين حُبِّ أهل البيت وطاعتهم فيخرج علينا خارجٌ فيقول بأن طاعة أهل البيت واجبة، هذا الكلام في الوسط الشيعي أنا لا أعبأ بأقوال النواصب، أتحدث عن الذين يتحدثون في الوسط الشيعي ومن أصحاب العمائم.

يخرج علينا خارج فيقول إن حب أهل البيت ليس بواجب أمرٌ مستحب وإنما طاعتهم واجبة، ويخرج خارجٌ

آخر فيقول إننا لا نقدس الرسول في شخصه وإنما نقدس الرسول في رسالته، نقدس الرسالة، إننا لا نقدس البطل، بطل الخط وإنما نقدس خط البطل هكذا يقولون هذا الكلام كلامهم، ويخرج خارجٌ آخر فيقول إننا نزور الموقف ولا نزور القبر، لا نحن نزور القبر برغم أنفك أيها القائل وبرغم أنف من لا يقبل بهذا، هذا إمامنا الهادي يقول: **زائِرٌ لَكُم** – فكيف أزور؟ ألوذ وأعوذ بقبوركم – **زائِرٌ لَكُم، لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُم، مُستَشفِعٌ إلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُم** – الشفيع هو الثاني الشفيع كلمة الشفيع تعني الثاني، الثاني الذي يكون سبباً لتكميل نقص الأول، هناك شفيع وهناك مُشَفّعٌ فيه، الذي يكون مشفّعاً فيه هو الأول والشفيع هو الثاني الذي يكون سبباً لتكميل نقص ذلك الذي يحتاج إلى شفاعة، ونحن في كل أحوالنا في حالة نقصٍ، نحن في كل أحوالنا نحتاج إلى أهل البيت – **مُستَشفِعٌ إلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُم** – في جميع الأحوال ليس فقط في يوم القيامة في كل الأحوال حتى حينما نصلي حينما نصوم في أفضل الطاعات هذه الطاعات ناقصة، نحن ناقصون وأعمالنا ناقصة تحتاج إلى مُكَمِّل المُكَمِّل هو الإمام المعصوم – **مُستَشفِعٌ إلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُم** – أعمالنا باطلة ما لم نجعل الإمام الحُجّة هو الشفيع في كل عملٍ نقوم به، ما لم نجعل الإمام الحجة نصب أعيننا في كل عمل في كل طاعة، لابد أن ترتبط الأعمال ارتباطاً مباشراً بإمام زماننا حتى تكون هذه الأعمال صحيحة – **مُستَشفِعٌ إلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُم، وَمُتَقَرِّبٌ بِكُم إلَيهِ** – وكذلك تقربي لن يكون بعملي، مَن أنا حتى أكون متقرباً إلى الله، النقص الذي يحيطني.

نحن نقرأ في دعاء كميل ماذا نقرأ في دعاء كميل؟ **اللَّهُمَّ اغفِر ليَّ الذُنوبَ التي تَهتِك العِصَم** – ذنوبٌ تهتك العِصَم – **اللَّهُمَّ اغفِر ليَّ الذُنوبَ التي تُنزِلُ النِقَم، اللَّهُمَّ اغفِر ليَّ الذُنوبَ التي تُغَيّرُ النِعَم، اللَّهُمَّ اغفِر ليَّ الذُنوبَ التي تحبِسُ الدعاء، اللَّهُمَّ اغفِر ليَّ الذُنوبَ التي تُنزِلُ البلاء، اللَّهُمَّ اغفِر ليَّ كُلَّ ذَنبٍ أذنَبتُه وكُلَّ خَطيئةٍ أخطأتها.**

وحين نذهب إلى دعاء أبي حمزة الثمالي الذي يُقرأ في أسحار شهر رمضان: **أَنا يَا رَبي الّذي لَم أستَحيكَ في الخَلاء** – في الخلاء حين لا يكون أحد لا استحيي منك – **أَنا يا ربي الّذي لَم أستَحيكَ في الخَلاء** – وهذه حقائق في حياتنا – **ولم أراقبك في الملاء** – وإذا كنت في الناس فإني أراقب الناس، عملي لأجل الناس – **أنا صَاحِبُ الدّواهي العُظمَى أَنا الّذي عَلى سَيّده اجترى أَنَا الّذي عَصيتُ جَبّار السّماء أَنا الّذي أعطيتُ عَلى مَعاصي الَجليل الرُشى** – ندفع الأموال وتكون الأموال إلى المعاصي – **أَنا الّذي أّعطيتُ عَلى مَعاصي الَجليل الرُشى أنا الذي حِينَ بُشِرتُ بها خَرِجتُ إليها أسعى أنا الذي أمهلتني فَمَا ارعَويت وسَتَرتَ عَلَيَّ فَمَا استَحييتُ وعَمِلتُ بالمعَاصي فَتَعَدّيتُ واسقطتَني مِن عَينكَ فَمَا بَاليتُ** – هذه وغيرها هل يستطيع الإنسان وهو بهذه الأوصاف أن يتقرَّبَ إلى الله؟ نحتاج إلى وسيلةٍ

إلى واسطة – **مُستَشفِعٌ إلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُم، وَمُتَقَرِّبٌ بِكُم إلَيهِ، وَمُقَدِّمُكُم أَمامَ طَلِبَتي وَحَوائِجي وَإرادَتي في كُلِّ أَحوالي وَأُمُوري** – مُستَشفِعٌ في كل أحوالي وأموري هذا الكلام متعلق بما قبله، مُستَشفِعٌ إلى الله في كل أحوالي وأموري، متقربٌ بكم إليه في كل أحوالي وأموري، مقدمكمٌ أمام طلبتي وحوائجي وإرادتي في كل أحوالي وأموري، في كل أحوالي الأحوال هي الحالات النفسية، وأموري ما يتعلق بجميع ما يرتبط بواقع الحياة الذي يحيط بي، في كل حالاتي النفسية، في كل أفكاري، في كل نيةٍ أنويها، في كل هواجسي، في كل قرارٍ أتخذه، في كُلِّ جانبٍ من جوانب حياتي أربطه بكم سادتي أهل البيت، هل نحن كذلك؟ هذه هي هوية التشيع، وهذه هوية التشيع في درجتها الأولى، هذه هي أقل درجة من درجات التشيع، وحين أقول هذا الكلام أقوله عن علمٍ من خلال متابعةٍ في روايات وأحاديث أهل البيت ولو أردت أن أثبت هذا من خلال الروايات سوف أورد أعداداً هائلة وضخمة من أحاديث أهل البيت لكن الوقت لا يسع لكل هذه التفاصيل.

مُستَشفِعٌ إلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُم، وَمُتَقَرِّبٌ بِكُم إلَيهِ، وَمُقَدِّمُكُم أَمامَ طَلِبَتي وَحَوائِجي وَإرادَتي في كُلِّ أَحوالي وَأُمُوري – مقدمكم أمام طلبتي الطلبة هي الغاية الأولى، والغاية الأولى هو النجاة من النار هو مجاورة مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وشيعتك يا علي وجوههم مُبيضة على منابر من نور وهم جيراني في الجنة، البحث عن هذه المنزلة مجاورة رسول الله في الجنان هذه الطلبة – **وَمُقَدِّمُكُم أَمامَ طَلِبَتي وَحَوائِجي** – حوائجي الأخرى، حوائج الدنيا، حوائج الدين، حوائج الآخرة – **وَإرادَتي** – إرادتي في كل شيءٍ يتعلق به قلبي من أمنيةٍ، من فكرةٍ، من عقيدةٍ، من علمٍ، من فهمٍ، من هاجسٍ، من نيةٍ، من كل شيء – **وَإرادَتي في كُلِّ أَحوالي وَأُمُوري** – إني أربطها بكم، إن لم تكن مربوطة بكم ستكون وبالاً عَلَيّ، الروايات تقول تأتينا بمثال إن الناس وإن الإنسان إذا جلس مجلساً خلياً من ذكر أهل البيت سيكون وبالاً عليه يوم القيامة، أي مجلس يجلسه ويتحدث فيه يكون خلياً من ذكر أهل البيت سيكون وبالاً عليه يوم القيامة، وهذا مثال بقية الأمور أيضاً، بقية الأمور في صغائرها في كبائرها كل جزءٍ من أجزاء الحياة إن لم يكن مرتبطاً بأهل البيت يكون وبالاً على الإنسان، في أحسن الأحوال لن ينتفع منه الإنسان شيئاً سيخرج وهو صِفرُ اليدين.

مُستَشفِعٌ إلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُم، وَمُتَقَرِّبٌ بِكُم – إلى الله – **وَمُتَقَرِّبٌ بِكُم إلَيهِ، وَمُقَدِّمُكُم أَمامَ طَلِبَتي وَحَوائِجي وَإرادَتي في كُلِّ أَحوالي وَأُمُوري** – وتستمر الزيارة – **مُؤمِنٌ بِسِرِّكُم وَعَلانِيَتِكُم وَشاهِدِكُم وَغائِبِكُم وَأَوَّلِكُم وَآخِرِكُم** – بكل ما يرتبط بكم – **مُؤمِنٌ بِسِرِّكُم وَعَلانِيَتِكُم** – بسركم في هذا العالم الدنيوي، بسركم الذي هو سر حقيقتكم، مؤمنٌ بهذا السر الذي لا يحتمله إلا نبيٌّ مرسل أو ملكٌ مقرب أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، بهذا السر الذي لا يحتمله لا نبيٌّ مرسل ولا ملكٌ مقرب، فمن يحتمله؟ قالوا

من شئنا، بهذا السر الذي لا يحتمله لا نبيٌّ مرسل ولا ملكٌ مقرب، فقيل لهم من يحتمله؟ قالوا نحن نحتمله – **مُؤمِنٌ بِسِرِّكُم وَعَلانِيَتِكُم** – أنا عبدكم وكل ما في ذاتي فهو لكم، فهو منكم وإليكم – **مُؤمِنٌ بِسِرِّكُم وَعَلانِيَتِكُم** – علانيتكم أنتم يا آل محَمَّد، في أجسادكم، في إمامتكم الأرضية، علانيتكم التي أراها في كل صقعٍ من أصقاع الوجود، أنتم يا أسماء الله التي أشرقت في كل مخلوق، أنتم يا من بأيديكم أزمة كل الموجودات – **مُؤمِنٌ بِسِرِّكُم وَعَلانِيَتِكُم وَشاهِدِكُم وَغائِبِكُم وَأَوَّلِكُم وَآخِرِكُم، وَمُفَوِّضٌ في ذلِكَ كُلِّهِ إلَيكُم وَمُسَلِّمٌ فيهِ مَعَكُم، وَقَلبي لَكُم مُسَلِّمٌ، وَرَأيي لَكُم تَبَعٌ** – أنا ليس لي رأي، رأيي هو رأيكم، وإذا قلت رأيي فهذه نسبةٌ مجازية، رأيي هو رأيكم، ليس لي من رأي، ما الدين إلا الحُبُّ والبغض والحديث عن الحب والبغض ليس في دائرة العاطفة فقط وإنما في دائرة الفكر والعلم والعقيدة وفي دائرة كل شيءٍ يرتبط بحياة الإنسان – **وَرَأيي لَكُم تَبَعٌ، وَنُصرَتي لَكُم مُعَدَّةٌ حَتّى يُحيِيَ اللهُ تَعالى دينَهُ بِكُم، وَيَرُدَّكُم في أَيّامِهِ** – وأيام الله هي أيام إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه – **مُؤمِنٌ بِسِرِّكُم وَعَلانِيَتِكُم وَشاهِدِكُم وَغائِبِكُم** – وإمام زماننا هو الإمام الشاهد الغائب صلوات الله وسلامه عليه، إذا كان الحديث عن غيبة بهذا المعنى الساذج الذي نفهمه فنحن غائبون وهو الحاضر، إذا كان الغيبة بهذا المعنى الساذج فوالله نحن الغائبون وهو الحاضر، لأننا نجهل أنفسنا ونعمل وننسى أعمالنا أما هو:

﴿ **وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ** ﴾ هو حاضرٌ متى غاب – **مُؤمِنٌ بِسِرِّكُم وَعَلانِيَتِكُم وَشاهِدِكُم وَغائِبِكُم وَأَوَّلِكُم وَآخِرِكُم، وَمُفَوِّضٌ في ذلِكَ كُلِّهِ إلَيكُم** – وأولكم وآخركم هو محَمَّد، أولكم محَمَّد أوسطكم محَمَّد آخركم محَمَّد كلكم محَمَّد – **وَمُفَوِّضٌ في ذلِكَ كُلِّهِ إلَيكُم** – وإنما أطلب ذلك بتوفيقٍ منكم أنا لا أستطيع أن أكون بهذه الأوصاف إلا بتوفيقٍ منكم، أنا أطلب التوفيق منكم سادتي آل محَمَّد حتى أُفَوضَ أمري إليكم – **وَمُفَوِّضٌ في ذلِكَ كُلِّهِ إلَيكُم وَمُسَلِّمٌ فيهِ مَعَكُم** – وكيف لا أسلم وأنا أعرف هذا الفضل من فضلكم، كل هذه المعاني التي مرت في الزيارة الجامعة الكبيرة كيف لا أسلم لكم، أمجنونٌ أنا أم معتوه؟! الذي يعرف هذه المعاني كيف لا يسلم؟ أمجنونٌ أم معتوه؟! أم هو سوء الحظ والخيبة؟!

وَمُسَلِّمٌ فيهِ مَعَكُم، وَقَلبي لَكُم مُسَلِّمٌ، قلبي لكم مسلم، قلبي ورقةٌ بيضاء هكذا أتمنى أنا حينما أتحدث لا أتحدث عن شخصي فمن أنا؟! وإنما هو حديث الزيارة هكذا، الذي يفترض بالشيعي أن يكون هكذا، أنا لا أتحدث عن نفسي، عن نفسي فلان بن فلان، وإنما أتحدث عن الزيارة المعاني الموجودة في الزيارة هذه هي هوية الشيعي ولابد أن يكون الشيعيُّ كذلك – **وَقَلبي لَكُم مُسَلِّمٌ** – إني أجعل من قلبي ورقة، ورقة بيضاء وأنتم أكتبوا فيها ما تشاءون، ما كان فيها من حُسنٍ فهو منكم وما كان فيها من قبحٍ فهو مني – **وَقَلبي لَكُم مُسَلِّمٌ، وَرَأيي لَكُم تَبَعٌ، وَنُصرَتي لَكُم مُعَدَّةٌ حَتّى يُحيِيَ اللهُ تَعالى دينَهُ بِكُم** – الرواية الجميلة

المنقولة عن سلمان وعن أبي ذر حين خرج أبو ذر وسلمان مع سيد الأوصياء، أبو ذر سأل أمير المؤمنين ما الذي فعله سلمان حتى بلغ ما بلغ من هذه المراتب العالية وصل إلى العاشرة ونحن نتحدث هنا في درجة الأولى، قال: يا أبا ذر أرجع وأنظر في آثارنا، فلمَّا رجع أبو ذر ونظر في الآثار وجد آثاراً لرجلين وجد آثار عليٍ وآثار أبي ذر، أين آثار سلمان؟ رجع أبو ذر متحيراً أين آثار سلمان؟ فقال له سيد الأوصياء إن سلمان كان يضع قدمه حيثُ أضعُ قدمي – **وَرَأيي لَكُم تَبَعٌ** – هو هذا المراد، أن لا رأي لي، رأيي هو رأيكم – **وَرَأيي لَكُم تَبَعٌ، وَنُصرَتي لَكُم مُعَدَّةٌ** – نصرتي بكل ما أتمكن بجسدي بصحتي وعافيتي بقوتي وحواسي بنظري وسمعي بلساني وعقلي وفهمي بعواطفي بكل إبداعٍ يكون عندي بكل ما أتمكنُ من قدرةٍ مادية أو معنوية بمالي بسلطتي برعايتي برعيتي بكل ما عندي بكل ما يحيط بي بكل ما أستطيع أن أتصرف فيه، ولذلك قرأنا قبل قليل في زيارة الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه:

فَهَا أنا ذا عَبدكَ المُتَصَرّفُ بَين أَمركَ ونَهيك فَأبذُلُ نَفسي ومَالي ووِلدي وأهلي وجَميعَ مَا خَوّلَني رَبّي بَينَ يديك – والتصرف بين أمرك ونهيك، وما خولني ربي، في الأفق المادي في الأفق المعنوي في جميع الآفاق – **وَنُصرَتي لَكُم مُعَدَّةٌ حَتّى يُحيِيَ اللهُ تَعالى دينَهُ بِكُم، وَيَرُدَّكُم في أَيّامِهِ** – أيام إمام زماننا – **وَيُظهِرَكُم لِعَدلِهِ، وَيُمَكِّنَكُم في أَرضِهِ** – ثم ماذا؟ هذه العبارة تجمع كل ما تقدم – **فَمَعَكُم مَعَكُم لا مَعَ غَيرِكُم** – ومن غيركم حتى أكون معه؟! – **فَمَعَكُم مَعَكُم لا مَعَ غَيرِكُم** – معكم بقلوبنا بعقولنا معكم بوجودنا معكم بكل شيءٍ يتعلق بنا، ولا أجد ألفاظاً تشرح هذه العبارة والله لا أجد ألفاظاً ولا كلاماً أشرح فيه هذه العبارة – **فَمَعَكُم مَعَكُم لا مَعَ غَيرِكُم** – لا أجد ألفاظاً إلا أن أقول بأن أنصار الحسين هم المصداق الواضح لهذه العبارة، ولا أملك شيئاً آخر لشرحها، تبصروا في أحوال أنصار الحسين هم مصداق هذه العبارة – **فَمَعَكُم مَعَكُم لا مَعَ غَيرِكُم** – لا أعلم أصحاباً كما قالها سيد الشهداء، هذه العبارة تنطبق على أصحاب الحسين تمام الإنطباق أما على غيرهم على أمثالنا فإنها لا تنطبق إلا بحدود لقلقة الألفاظ – **فَمَعَكُم مَعَكُم لا مَعَ غَيرِكُم** – هذه العبارة تحتاج إلى أن الإنسان إذا أراد أن يدقق فيها أن يدقق في كل زاويةٍ من زوايا قلبه، هل هو في كل شيءٍ مع أهل البيت؟

القلب يحتوي على أشياء كثيرة على أفكار هواجس نوايا أمنيات تخطيط للمستقبل تفكير بالماضي تفكير بالحاضر اهتمامات دنيوية أخروية حتى الاهتمامات الأخروية إن لم تكن مرتبطة بأهل البيت لا ينطبق عليها هذا المعنى، حتى اهتماماتنا الأخروية واهتماماتنا الدينية لابد أن تكون مرتبطة بهم، وحين أقول مرتبطة بهم مرتبطة بإمام زماننا الحجة بن الحسن – **فَمَعَكُم مَعَكُم لا مَعَ غَيرِكُم** – ومن غيركم؟ – **آمَنتُ بِكُم** – أنا آمنت بكم – **وَتَوَلَّيتُ آخِرَكُم بِما تَوَلَّيتُ بِهِ أَوَّلَكُم** – ما كان لأولكم فهو لآخركم وما كان لآخركم فهو

لأولكم وإن لم تكن العقيدةُ كذلك فهي عقيدةٌ باطلة، هذا هو الفهم الصحيح لمعرفة أهل البيت – **آمَنتُ بِكُم وَتَوَلَّيتُ آخِرَكُم بِما تَوَلَّيتُ بِهِ أَوَّلَكُم، وَبَرِئتُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن أَعدائِكُم** – من كل أعداءكم الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم، من كل ما تريدون، أيُّ معنىً لا تريدونه فإني لا أريده، أعرفه أو لا أعرفه – **وَبَرِئتُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن أَعدائِكُم وَمِنَ الجِبتِ وَالطّاغُوتِ** – والجبت والطاغوت عنوان معروف عند أهل البيت للأول والثاني من أعداء أهل البيت للأرقام الأولى والثانية، والجبت والطاغوت هو كل ما يُعبد من دون الله وهو كل حقيقةٍ شيطانية تَحرِفُ الناس عن طريق الهدى وتقودهم إلى الضلال – **وَبَرِئتُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن أَعدائِكُم وَمِنَ الجِبتِ وَالطّاغُوتِ وَالشَّياطينِ** – الشياطين الذين يدورون حول الجبت والطاغوت، الجبت والطاغوت هم الآلهة المنحرفون، هم الأصنام والعجول التي عبدها أعدائكم – **وَمِنَ الجِبتِ وَالطّاغُوتِ وَالشَّياطينِ** – الشياطين هؤلاء الذين يُنَظّرُون ويشرحون ويكتبون، وسائل الإعلام المعادية لكم، علماء الضلالة وكتب الضلالة هؤلاء هم الشياطين، ولذلك في قنوت أمير المؤمنين حين يلعن أهل السقيفة يلعن أعداء أهل البيت يلعن الناهضين باحتجاجهم، من جملة الملعونين في قنوت أمير المؤمنين هو يلعن الناهضين باحتجاجهم، الذين ينهضون باحتجاجاتهم وبالدفاع عنهم، وهؤلاء هم الشياطين.

وَبَرِئتُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن أَعدائِكُم وَمِنَ الجِبتِ وَالطّاغُوتِ وَالشَّياطينِ – علماء السوء، وسائل الإعلام الناصبي – **وَحِزبِهِمُ الظّالِمينَ لَكُمُ** – أعوانهم – **وَحِزبِهِمُ الظّالِمينَ لَكُمُ، الجاحِدينَ لِحَقِّكُم، وَالمارِقينَ مِن وِلايَتِكُم** – ومر علينا: **فَالرّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ**، هؤلاء هم الذين رغبوا عن أهل البيت – **وَحِزبِهِمُ الظّالِمينَ لَكُمُ، الجاحِدينَ لِحَقِّكُم، وَالمارِقينَ مِن وِلايَتِكُم وَالغاصِبينَ لإِرثِكُمُ الشّاكّينَ فيكُمُ المُنحَرِفينَ عَنكُم، وَمِن كُلِّ وَليجَةٍ دُونَكُم وَكُلِّ مُطاعٍ سِواكُم، وَمِنَ الأَئِمَّةِ الَّذينَ يَدعُونَ إِلَى النّارِ** – هذه مصاديق، هذه مجموعات وأحزاب من أعداء أهل البيت، العنوان الأول الجبت والطاغوت، وعندنا روايات أن من شك في كفرهما فهو كافر – **وَبَرِئتُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن أَعدائِكُم وَمِنَ الجِبتِ وَالطّاغُوتِ وَالشَّياطينِ** – علماء السوء – **وَحِزبِهِمُ الظّالِمينَ لَكُمُ، الجاحِدينَ لِحَقِّكُم، وَالمارِقينَ مِن وِلايَتِكُم، وَالغاصِبينَ لإِرثِكُمُ** – الغاصبين جاءت وصفاً لحزب الجبت والطاغوت، لأنهم على طول التأريخ وإلى يومنا هذا هم غاصبون لإرث أهل البيت.

حين نقرأُ في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية عن إمامنا الصادق والرواية في الكافي الشريف في الجزء الثاني، **الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: لَعنَ اللهُ القَدرية لَعنَ اللهُ الخوارج لَعنَ اللهُ المُرجئة لعن اللهُ المُرجئة**، المُرجئة هم المخالفون لأهل البيت، هم أشياع السقيفة ومن يوالي السقيفة – **قَال: قلتُ: لَعنتَ هَؤلاء مَرّة، مَرّة ولَعنتَ هَؤلاءِ مَرتين** – أي لعنت القدرية، والقدرية

هم بنو أمية، والخوارج لعنتهما مرة مرة ولكنك لعنت المُرجئة مرتين؟ – **قال: إن هؤلاء يقولون** – المُرجئة الذين يتظاهرون بالاحتياط وباتباع سنة النبي وأنهم لا يحيدون عن سنة النبي ولا يعملون إلا بالصحاح من الأخبار بهذه الأساليب العنكبوتية التي يضللون بها الناس – **قال: إن هؤلاء يقولون إن قتلتنا مؤمنونٌ فدماءنا متلطخة بثيابهم إلى يوم القيامة، ثم يشير إلى الآية من سورة آل عمران:** ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ **الإمام يقول: كان بين القاتلين والقائلين خمسمئة عام فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا** – لأن هؤلاء كانوا يتحدثون في زمان النبي صلى الله عليه وآله ومع ذلك القرآن يخاطبهم: فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُم إِن كُنتُم صَادِقِينَ، لذلك إمامنا الصادق يقول إن هؤلاء بخصوص المُرجئة – **يقولون إن قتلتنا مؤمنون فدماءنا متلطخة بثيابهم إلى يوم القيامة** – ولذلك هذا الوصف ينطبق على كل الأجيال وإلى يومنا هذا وإلى ما بعد يومنا هذا.

وَحِزبِهِمُ الظّالِمينَ – إن كان في عصر الظلم الذي وقع وفي العصور الآتية وإلى يومنا هذا – **وَبَرِئتُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن أَعدائِكُم وَمِنَ الجِبتِ وَالطّاغُوتِ وَالشَّياطينِ وَحِزبِهِمُ الظّالِمينَ لَكُمُ، الجاحِدينَ لِحَقِّكُم** – وإلا الذي باشر غصب الخلافة وغصب الإرث والذي ظلم فاطمة هم الأول والثاني وليس الذين كانوا معهم في عصرهم أو الذين جاءوا من بعدهم، وإنما هم في نفس المرتبة في نفس الدرجة والزيارة تشير إلى هذه الحقيقة، نسبت غصب الإرث والإنحراف إلى الأجيال الآتية من بعدهم – **وَبَرِئتُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن أَعدائِكُم وَمِنَ الجِبتِ وَالطّاغُوتِ** – انتهت هذه الفقرة – **وَالشَّياطينِ وَحِزبِهِمُ الظّالِمينَ لَكُمُ، الجاحِدينَ لِحَقِّكُم وَالمارِقينَ مِن وِلايَتِكُم، وَالغاصِبينَ لإِرثِكُمُ الشّاكّينَ فيكُمُ المُنحَرِفينَ عَنكُم، وَمِن كُلِّ وَليجَةٍ دُونَكُم وَكُلِّ مُطاعٍ سِواكُم، وَمِنَ الأَئِمَّةِ الَّذينَ يَدعُونَ إِلَى النّارِ** – كل هذه العناوين إلى أين تؤدي؟ تؤدي إلى النار، لأن في كُلِّ هذه المجموعات هناك أئمة، وهؤلاء أئمة نار أئمة كفر، وهذه العبارة عبارة تطوي كل المعاني المتقدمة – **وَمِنَ الأَئِمَّةِ الَّذينَ يَدعُونَ إِلَى النّارِ** – هذه العبارة تشمل الجبت، الطاغوت، الشياطين، وَحِزبِهِمُ الظّالِمينَ لَكُمُ، الجاحِدينَ لِحَقِّكُم وَالمارِقينَ مِن وِلايَتِكُم، وَالغاصِبينَ لإِرثِكُمُ الشّاكّينَ فيكُمُ المُنحَرِفينَ عَنكُم، وَمِن كُلِّ وَليجَةٍ دُونَكُم وَكُلِّ مُطاعٍ سِواكُم. من كل وليجة كأن الزيارة تريد الإشارة إلى ما جاء في سورة التوبة في الآية السادسة بعد العاشرة ﴿أَم حَسِبتُم أَن تُترَكُوا وَلَمّا يَعلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنكُم وَلَم يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا المُؤمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبيرٌ بِما تَعمَلُونَ﴾.

الرواية في تفسير البرهان ينقلها عن تفسير العياشي: **عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: أتى رجلٌ النبي صلى الله عليه وآله فقال: بايعني يا رسول الله، قال: على أن تقتل أباك، قال: فقبض الرجل يده، ثم قال: بايعني يا رسول الله، قال: على أن تقتل أباك، فقال الرجل نعم على أن أقتل أبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الآن لم تتخذ من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة، إنا لا نأمرك أن تقتل والديك ولكن نأمرك أن تكرمهما** – الوليجة هو أن الإنسان يتخذ باباً وجهةً وإماماً من دون رسول الله ومن دون عليٍّ وآل علي.

عن أبان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: يا معشر الأحداث اتقوا الله – الأحداث يعني الشباب – **ولا تأتوا الرؤساء دعوهم حتى يصيروا أذناباً لا تتخذوا الرجال ولائج من دون الله** – لا تنصبوهم أئمةً فيما بينكم وبين الله – **أنا والله خيرٌ لكم منهم ثُمَّ ضرب بيده إلى صدره.**

الرواية **عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو جعفر** – إمامنا الباقر صلوات الله عليه – **يا أبا الصبّاح إياكم والولائج فإن كل وليجةٍ دوننا فهي طاغوت** – الولائج الأبواب الجهات الأحزاب الجمعيات العناوين الأسماء المسميات الوزراء الحُكّام العلماء الفقهاء أي جهة تُنصَب من دون أهل البيت فهي وليجة – **وَمِن كُلِّ وَليجَةٍ دُونَكُم وَكُلِّ مُطاعٍ سِواكُم** – وكل هذه المعاني تجمع في هذا العنوان: **وَمِنَ الأَئِمَّةِ الَّذينَ يَدعُونَ إِلَى النّارِ** – براءتي من كل هؤلاء، براءتي من كل أعداءكم ومن كل من ينصب العداء لكم – **فَثَبَّتَنِي اللهُ أَبَداً ما حَييتُ عَلى مُوالاتِكُم وَمَحَبَّتِكُم وَدينِكُم** – موالاتكم، محبتكم، دينكم، موالاتهم هي محبتهم ومحبتهم هي دينهم، هذه الألفاظ قد تدل كل عبارة منها كل لفظة منها على جهةٍ من جهات المعنى لكنها بالنتيجة تلتقي في حقيقةٍ واحدة هي حقيقةُ المعية مع أهل البيت معكم معكم لا مع غيركم – **فَثَبَّتَنِي اللهُ أَبَداً ما حَييتُ عَلى مُوالاتِكُم** – أبداً ما حييت يعني إلى آخر لحظةٍ من لحظات الحياة أحيا عليها وأموت عليها – **فَثَبَّتَنِي اللهُ أَبَداً ما حَييتُ عَلى مُوالاتِكُم وَمَحَبَّتِكُم وَدينِكُم، وَوَفَّقَني لِطاعَتِكُم، وَرَزَقَني شَفاعَتَكُم، وَجَعَلَني مِن خِيارِ مَواليكُم التّابِعينَ لِما دَعَوتُم إِلَيهِ** – إلى أي شيءٍ دعوا صلوات الله عليهم؟ دعوا الناس إلى الله، دعوا الناس إلى الوصول إلى الله، وهم الباب الذي من خلاله نصل إلى الله – **وَوَفَّقَني لِطاعَتِكُم، وَرَزَقَني شَفاعَتَكُم، وَجَعَلَني مِن خِيارِ مَواليكُم التّابِعينَ لِما دَعَوتُم إِلَيهِ وَجَعَلَني مِمَّن يَقتَصُّ آثارَكُم** – يقتص آثاركم كقصة سلمان مع سيد الأوصياء، يقتصها يعني يبحث عنها، يبحث عن كل أثرٍ يقوده إليهم، يقتص آثاركم الذي يقتص الأثر الذي يبحث عن الآثار كي يصل إلى المؤثر – **وَجَعَلَني مِمَّن يَقتَصُّ آثارَكُم** – وآثارهم بيننا آثارهم حديثهم، آثارهم هي هذه الزيارة الجامعة الكبيرة.

أن تصرفوا وقتاً يا أشياع عليٍّ في قراءة هذه الزيارة وفي تدبر معانيها وفي تتبع شروحها إن كان من خلال

هذا البرنامج أو من خلال أي برنامجٍ آخر أو من خلال أي كتابٍ ينفعكم في هذا، اقتصوا آثار أهل البيت، أبحثوا عن أقوال أهل البيت، العمر قصير، الحياة قصيرة، لا تصرفوا هذه الحياة في أشياء لا تنفع، خصصوا وقتاً من حياتكم أن تقتصوا آثار أهل البيت، اقتصوا أثارهم، الآثار التي بين أيدينا الآن ونستطيع أن نقتصها حديثهم كلماتهم أيها الشباب أيها المثقفون لا تصرفوا الوقت يميناً وشمالاً أبحثوا عن أئمتكم أعرفوا إمام زمانكم – **وَجعَلَني مِن خِيارِ مَواليكُم التّابِعينَ لِما دَعَوتُم إلَيهِ وَجعَلَني مِمَّن يَقتَصُّ آثارَكُم وَيَسلُكُ سَبيلَكُم، وَيَهتَدي بِهُداكُم وَيُحشَرُ في زُمرَتِكُم، وَيَكِرُّ في رَجعَتِكُم، وَيُمَلَّكُ في دَولَتِكُم، وَيُشَرَّفُ في عافِيَتِكُم، وَيُمَكَّنُ في أَيّامِكُم، وَتَقِرُّ عَينُهُ غَداً بِرُؤيَتِكُم** – ولا تقر العيون إلا برؤيتكم – **وَتَقِرُّ عَينُهُ غَداً بِرُؤيَتِكُم** – نحن تقر عيوننا برؤية حسينٍ وآل حسين.

نحن نقرأ في دعاء الغيبة وهو من الأدعية المهمة جداً التي تُقرأ في زمان الغيبة ماذا نقول فيها؟ – **اللَّهُمَّ لا تَجعَلني مِن خُصماء آل محَمَّد** – هنا الزيارة تقول: **وَتَقِرُّ عَينُهُ غَداً بِرُؤيَتِكُم**، كيف تقر عيوننا برؤيتهم؟ لابد أن نحتجب بذمتهم – **مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم**.

اللَّهُمَّ لا تَجعَلني مِن خُصماء آل محَمَّد عليهم السَّلام ولا تَجعَلني مِن أعدَاءِ آل محَمَّدٍ عليهم السّلام، ولا تَجعَلني مِن أهل الَحَنَق والغَيظ على آل محَمَّدٍ عليهم السَّلام فَإنّي أَعوذُ بِكَ مِن ذَلِكَ فَأعِذني وأَستَجيرُ بِكَ فَأجِرني، اللَّهُمَّ صَلّ عَلى محَمَّدٍ وآل محَمَّد واجعَلني بِهم فَائِزاً عِندَك في الدُّنيا والآخرة ومِنَ المُقَرّبين، اللَّهُمَّ لا تَجعَلني مِن خُصماء آل محَمَّد – خصماء آل محَمَّد أولئك الذين تُحَدِّثُنا عنهم زيارة عاشوراء: **اللَّهُمَّ إنَّ هّذا يّومٌ تَبَرَّكَت به بَنو أُمَيّة** – في أي يوم تبركوا؟ في يومٍ قُطّعت أشلاء الحسين فيه، هذا هو اليوم الذي تبركت به بنو أمية – **اللَّهُمَّ إنَّ هّذا يّومٌ تَبَرَّكَت به بَنو أُمَيّة وابنُ آكِلة الأَكباد اللّعينِ ابن اللّعين عَلى لِسَانِكَ ولِسَانِ نَبيّك صَلّى الله عليه وآله في كُلِّ مَوطِنٍ ومَوقِفٍ وَقَفَ فيهِ نَبيُّكَ صَلّى الله عَليه وآله، وهَذا يَومٌ فَرِحت بهِ آلُ زيادٍ وآلُ مَروان بِقَتلِهم الحُسين صَلَوات الله عليه، اللَّهُمَّ فَضَاعِف عَليهِم اللّعنَ مِنكَ والعَذَابَ الأَليم، اللَّهُمَّ إنَي أَتَقَرّبُ إليكَ في هَذا اليومِ وفي مَوقفي هَذا وأيامَ حَياتي بَالبَراءة مَنهُم واللّعنة عليهم وبِالمولاَة لِنَبيّك وآلِ نَبيّك عَليهِ وعَليهم السّلام** – هؤلاء الذين فرحوا بآلام الحسين وتبركوا بآلام الحسين، هؤلاء الذين فرحوا بعطش الحسين وبغربة الحسين وبسهمٍ نَبَتَ في قلب الحسين حين أخرجه من ظهره أخرج معه ثلث القلب، وبحجرٍ صك جبين الحسين فسال الدم كالميزاب، هؤلاء الذين فرحوا حين نادى بن سعد: يا خيل الله اركبي ودوسي صدر الحسين، فداست الخيول صدر الحسين وظهر الحسين، والقضيةُ مستمرة إلى يومنا هذا.

هناك من يفرحُ ويسر بمظلومية أهل البيت، مرت علينا الرواية قرأتها على مسامعكم في الكافي الشريف:

إيّاكُم وذِكرَ عليٍّ وفاطمة – لا تذكروا عليّاً وفاطمة لماذا؟ – **فإنَّ النّاسَ ليسَ شَيءٌ أَبغَضُ إليهِم مِن ذِكر عَليٍّ وفاطمة** – هذه القضية كانت موجودة في زمان إمامنا الصادق ولازالت موجودة إلى يومنا هذا، والقضية نسبية لربما تجد الكثيرين من هؤلاء أيضاً في وسطنا الشيعي ما ذلك بشيءٍ غريب أبداً والله، الذي يتفحص ويدقق في الوسط الشيعي سيجد نماذج كثيرة، نعم مصبوغة من الخارج بصبغ، لكن إذا أردنا أن ندخل إلى واقع الأمور تتجلى الأمور بشكلٍ آخر.

هذا رجال الكشيّ وهذا مقطعٌ من رسالة الإمام الصادق إلى زرارة، حين لعن الإمام الصادق زرارة بن أعين وهو من خاصة أصحابه وتبرأ منه، الإمام يقول لعبد الله بن زرارة: **أقرأ مِني عَلى وَالِدكَ السّلام وقُل لَه إنّي إنَّما أَعيبكَ دِفاعاً مَني عَنك فإنَّ النّاسَ والعدو يُسارِعونَ إلى كُلّ مَن قَرّبنا وحَمَدنا مَكَانه لإدخالِ الأذى فيمن نُحبّه ونُقَرِّبُه ويَرمونه** – يَرمونه بالسوء – **لمَحَبّتِنا لَه وقُربه ودنوه منا ويرون إدخال الأذى عليه وقتله** – كانوا يريدون قتل زرارة لذلك الإمام تبرأ منه ولعنه، تلاحظون مدى المظلومية، تلاحظون هذه العبارات كيف تنضح ظلماً وأذىً – **أقرأ مِني عَلى وَالِدكَ السّلام وقُل لَه إنّي إنَّما أَعيبكَ دِفاعاً مَني عَنك فإنَّ النّاسَ والعدو يُسارِعونَ إلى كُلّ مَن قَرّبناه وحَمَدنا مَكَانه لإدخالِ الأذى فيمن نُحبّه ونُقَرِّبُه ويَرمونه** – يَرمونه بالسوء – **لمَحَبّتِنا لَه وقُربه ودنوه منا ويرون إدخال الأذى عليه وقتله وَيَحمَدون كُلّ مَن عِبنَاه** – أيُّ شخصٍ نعيبه يحمدونه، وهذا هو منهج أعداء أهل البيت، دققوا في الفضائيات، دققوا في كثير من الكتب، دققوا في ثقافة الكثيرين من المتحدثين ستجدون شيئاً من ذلك واضحاً وصريحاً، هذه ظلامة أهل البيت وهذه مظلومية آل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وَرَزَقَني شَفاعَتَكُم، وَجَعَلَني مِن خِيارِ مَواليكُم التّابِعينَ لِما دَعَوتُم إلَيهِ، وَجَعَلَني مِمَّن يَقتَصُّ آثارَكُم، وَيَسلُكُ سَبيلَكُم، وَيَهتَدي بِهُداكُم وَيُحشَرُ في زُمرَتِكُم، وَيَكِرُّ في رَجعَتِكُم، وَيُمَلَّكُ في دَولَتِكُم، وَيُشَرَّفُ في عافِيَتِكُم، وَيُمَكَّنُ في أَيّامِكُم، وَتَقِرُّ عَينُهُ غَداً بِرُؤيَتِكُم.

أسألكم الدعاء جميعاً تتمة الحديث إن شاء الله تعالى في يوم غد في الحلقة التاسعة والعشرين، وإني وإن كنتُ غير راضٍ عن هذه البيانات المختصرة، بودي أن يطول الحديث ويطول في هذه المعاني المُهمّة التي ترسم لنا صورة التشيّع لأهل البيت، هذه هويتنا نحن شيعة أهل البيت وهذه هوية التشيع كما يرسمها لنا إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه، ألقاكم نفس الموعد نفس القناة نفس الشاشة نفس البرنامج وأنا نفس خادمكم، في أمان الله.

الحلقة التاسعة والعشرون

معنى بِأَبِي أَنتُم وَأُمّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي . . . . .

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركات أحبابَ عليٍّ وآل عليّ أيُّها المُنتَظِرون إمامهم صلوات الله عليه، هذه الحلقة التاسعة والعشرون من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، المَقطَعُ الذي أتناولهُ في هذه الحلقة أتلوه على مسامعكم: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي** . . . . .

المقطع السابق كان قد انتهى في قول الزيارة: **وَجَعَلَنِي مِمَّن يَقتَصُّ آثارَكُم وَيَسلُكُ سَبِيلَكُم وَيَهتَدِي بِهُداكُم وَيُحشَرُ فِي زُمرَتِكُم وَيَكِرُّ فِي رَجعَتِكُم وَيُملَّكُ فِي دَولَتِكُم وَيُشَرَّفُ فِي عافِيَتِكُم وَيُمَكَّنُ فِي أَيّامِكُم وَتَقِرُّ عَينُهُ غَداً بِرُؤيَتِكُم**، ثُمَّ تستمرُ الزيارة في هذا المقطع الذي سأتناوله في هذه الحلقة:

بِأَبِي أَنتُم وَأُمّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي، مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم، مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم وَأَنتُم نُورُ الأَخيارِ وَهُداةُ الأَبرارِ وَحُجَجُ الجَبَّارِ، بِكُم فَتَحَ الله وَبِكُم يَختِمُ وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ وَبِكُم يُمسِكُ السَّماء أن تَقَعَ عَلى الأَرضِ إلاّ بِإذنِهِ وَبِكُم يُنَفِّسُ الهَمَّ وَيكشف الضُّرَّ، وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ وَإِلى جَدِّكُم (وإذا كانت الزيارة نتوجه بها إلى أمير المؤمنين فنقول: **وإلى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِين**) **بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِين آتاكُمُ الله مالَم يُؤتِ أَحَداً مِنَ العالَمِينَ، طَأطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُم وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطاعَتِكُم وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضلِكُم وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم وَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِكُم وَفازَ الفائِزُونَ بِوِلايَتِكُم، بِكُم يُسلَكُ إِلى الرِّضوانِ، وَعَلى مَن جَحَدَ وِلايَتَكُم غَضَبُ الرَّحمنِ بِأَبِي أَنتُم وَأُمّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي، ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ وَأسماؤُكُم فِي الأَسَّماء وَأَجسادُكُم فِي الأَجسادِ وَأَرواحُكُم فِي الأَرواحِ وَأَنفُسُكُم فِي النُّفُوسِ وَآثارُكُم فِي الآثارِ وَقُبُورُكُم فِي القُبُورِ، فَما أَحلى أَسمائكُم وَأَكرَمَ أَنفُسَكُم وَأَعظَمَ شَأنَكُم وَأَجَلَّ خَطَرَكُم وَأَوفى عَهدَكُم وَأَصدَقَ وَعدَكُم، كَلامُكُم نُورٌ وَأَمرُكُم رُشدٌ وَوَصِيَّتُكُم التَّقوى وَفِعلُكُم الخَيرُ وَعادَتُكُم الإِحسانُ وَسَجِيَّتُكُمُ الكَرَمُ وَشَأنُكُمُ الحَقُّ وَالصِّدقُ وَالرِّفقُ وَقَولُكُم حُكمٌ وَحَتمٌ وَرَأيُكُم عِلمٌ وَحِلمٌ وَحَزمٌ، إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأَصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ.**

المقطع المتبقي من الزيارة الجامعة الكبيرة سيكونُ من حصة الحلقة الأخيرة من حلقات هذا البرنامج في يوم غد إن شاء الله تعالى، هذا المقطع، قبل أن أشرعَ بتفاصيلهِ هناكَ ميزتان في هذا المقطع:

الميزة الأولى: أنَّ هذا المقطع أيضاً جاء بحسب قانون الطيِّ والنَشر، المقطع من بدايتهِ بعد التفدية: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي** – من هنا: **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم**، إلى أن وصلنا إلى قول الزيارة الشريفة: **وَرَأيُكُم عِلمٌ وَحِلمٌ وَحَزمٌ**، كُلُّ هذه المعاني هي نشرٌ، نشرٌ في وجهٍ من وجوه المعاني لقانونٍ أو لعبارةٍ طوت كُلَّ هذه المعاني، العبارة التي طوت كُلَّ هذه المعاني آخرُ عبارةٍ في هذا المقطع: **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ**، هذه العبارة طوت كُلَّ المعاني التي جاءت مذكورةً في هذا المقطع بنحوٍ تفصيلي، كُلُّ المقاطع التي تقدَّمت لم تكن قد جاءت بلسان النشر التام، قلتُ هناك طيٌّ وهناك نشر، والنشر على نوعين: نشرٌ تام ونشرٌ ناقص ليس بتام، المقاطع التي تقدمت وما بقيَ من كلامٍ في الزيارة الجامعة الكبيرة جاءت بنحو النشر الناقص، النشر الناقص يعني النشر الجزئي، ليس نشراً كُليَّاً للمعاني، وإلاَّ إذا كانت القضية تقع في هذا الأفق في أفق النشر الكُليِّ فهذا يعني أنَّ الزيارة الجامعة الكبيرة سوف لن تنتهي ألفاظها لن تكون محدودة الألفاظ، حينَ نقرأُ في هذا المقطع – **مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – القضية لا يمكن أن تُحصَرَ بالألفاظ، إذاً ما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة وفقاً لقانون الطي والنشر في الألفاظ والمعاني فما جاء في مقام النشر هو في مقام النشر الجزئي لا في مقام النشر الكُلي، لأنَّ مقام النشر الكُلّي يقتضي أنَّ الزيارة سوف لن تنتهيَ ألفاظها وستدخلُ في دائرة المالا نهايات واللغاتُ لا يمكن أن تتصفَ بهذا الوصف، اللغات اللغة العربية وسائرُ اللغات الأخرى هي واقعة في حيز النهايات لا في حيز المالا نهايات، ولذلك اللغات غيرُ قادرة على الإحاطةِ بتلكم المعاني المحيطة بهذا الكون، المعاني المحيطة بهذا الكون معاني تتجاوز النهايات، اللغات لا تستطيعُ أن تُحيطَ بها، كقضية الإبريق والبحر فإنّ الإبريقَ لن يستطيعَ أن يحيط بالبحر، البحر يُحيطُ بالإبريقِ وبسائر الأوعية الأخرى وبكل الأباريق.

معنى أهل البيت معنىً يُحيطُ بلغة العربِ وبكُلِّ اللغات وبكل الألسنة، كُلُّ الكائنات سبحت بتسبيحهم، لغة الوجود تنتهي عندهم، ولغة الوجود لها نهاية، لغة الموجودات لغة التسبيح لها نهاية، هذه النهاية تقفُ عندَ حدودهم عند أبوابهم، أما حقيقتهم النورية الأولى فهي محيطةٌ بكل تسبيح ومُحيطةٌ بكل الألسنة، لذلك قانون الطيّ والنشر هنا في حدود الألفاظ والمعاني حينما يأتي الكلامُ عن النشر فإنَّما يأتي عن النشر التجزيئي عن النشر الجزئي، العبارة هذه الموجودة في آخر هذا المقطع – **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ** – هذه طيٌّ لكل التفاصيل التي بدأت من قول المقطع – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ**

بِكُم – إلى قولهِ – **وَرَأيُكُم عِلمٌ وَحِلمٌ وَحَزمٌ** – هذه العبارة الموجودة في آخر هذا المقطع – **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ** – إذا جمعناها مع عبارةٍ أخرى أيضاً جاءت بلسان الطي جاءت بطريقة الطي – **وَالحَقُّ مَعكُم وَفِيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم وَأَنتُم أَهلُهُ وَمَعدِنُهُ** – هذان هما المفتاحان الرئيسان في الزيارة الجامعة الكبيرة، هاتان الجملتان، هاتان العبارتان تجمعانِ كُلَّ المعاني الموجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَالحَقُّ مَعكُم وَفِيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم وَأَنتُم أَهلُهُ وَمَعدِنُهُ**، هذا المفتاحُ الأول. المفتاحُ الثاني: **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ**، إذا جمعنا بين هذين المفتاحين فإننا قد جمعنا كُلَّ المعاني التي جاءت في الزيارة الجامعة الكبيرة، كُلُّ المعاني تتفرع عن هذين المفتاحين، هذه النقطة الأولى التي أردتُ الإشارة إليها بخصوص المقطع الذي سأتناولهُ في هذه الحلقة.

النقطة الثانية: هذا المقطع يتحدَّث عن حالة الترقي الفكري والعقائدي لِمن كان قد تلبَّسَ بلباس الدرجة الأولى من درجات الإيمان، المقطع الذي تحدَّثتُ عنه في الحلقة الماضية كما عبَّرتُ عنه هو هوية التشيع، وقلتُ بأنَّ هذه المعاني والحقائق التي ذُكِرت في المقطع المتقدم هي عبارة عن أجزاءٍ إذا ما رُكِّبَت وجُمعت بشكلٍ صحيح ووضِعت هذه الأجزاءُ في مواضعها الصحيحة ارتسمت عندنا وتشكلت عندنا صورة الشيعي في الدرجة الأولى من درجات الإيمان، إذا وصلَ الإنسانُ إلى هذا الحد إلى هذا الأفق، إلى أفق الدرجة الأولى من درجات الإيمان وتَجَمَّعت في نفسهِ في روحهِ في قلبهِ تجمعت هذه الحقائق التي ذكرتها الزيارة الجامعة وفُتِحَ له بابُ التوفيق فإنَّه سيترقى وتَرقي المؤمن وهو في الدرجة الأولى لا يعني أنَّه سينالُ أجزاءً جديدة في صورةٍ جديدة للدرجة الثانية من درجات الإيمان، نفسُ الأوصاف التي جاءت مذكورة في المقطع المتقدم والتي عبرت عنها بهوية التشيع نفسُ هذه الأجزاء ستبقى ثابتة لكنها تتعمق لكنها تترقى، حين نقول: **كلاَمُكم نور**، نورية كلامهم ستكونُ أشد، نورية عقيدتهم ستكون أشد في نفس تلكم الأجزاء في نفس تلكم البيانات التي تقدمَ الكلام عنها، والإيمانُ بكل أجزائهِ يدورُ مدار هذه الأجزاء وهذه الأوصاف وهذه الحالات التي تحدَّثَ عنها المقطع المتقدم من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة.

المقطع هذا الذي نحنُ بصددهِ إنَّما هو تأكيدٌ عميقٌ للترقي الذي ترتقي إليه نفوس المؤمنين في معرفة أهل البيت، لذلك بعد أن اتصف المؤمنُ بالصفات المتقدمة إلى أن قال في دعائهِ – **وَتَقِرُّ عَينُهُ غَداً بِرُؤيَتِكُم** – وقرارُ العين وقُرَّةُ العين إنَّما يكونُ بالاطمئنان لأن النفوس التي لا تحملُ معنى الاطمئنان، الإنسان حينما يكونُ في حالة فَزَع في حالة جَزَع في حالة هَزَع حينما يكون في مثل هذه الحالات فإنَّ عينهُ لن تكونَ مستقرة، إذا ما نظرتَ في عين إنسانٍ خائفٍ أو وجل أو مضطرب إذا نظرت في بؤبؤهِ في بؤبؤ العين ستجد اضطراباً في عينهِ، قرار العين واستقرارها واستقرارُ بؤبؤ العين واستقرارُ إنسان العين وهو سوادها هذا القرار

إنما يأتي من اطمئنان النفس، هذا القرار والاستقرار إنما يأتي من هدوء النفس من سكينتها ومن وقارها، وسكينةُ النفس ووقارُ النفس إنما يأتي من التعلقِ بالله سبحانه وتعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ حينَ تتعلقُ القلوب بذكرِ الله فإنَّها تطمئن ويأتيها الخِطابُ ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ حينَ تتعلق القلوب وترجعُ القلوبُ إلى الله حينئذٍ يكونُ قد حَلَّ فيها الاطمئنان، إذا حَلَّ الاطمئنانُ فيها فإنَّ ذلك يقودُ إلى قُرَّةِ العين – **وَتَقِرُّ عَينُهُ غَداً بِرُؤيَتِكُم** – فيبدأ المقطعُ الجديد:

بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي – هذه التفدية تحدَّثتُ عنها في يوم أمس لكن هذه التفدية تختلف عن التفدية السابقة، التفدية السابقة كيف بدأت؟ – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي** – هذه التفدية تختلف فيها زيادة – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي** – لم يكن قد ذَكَرَ الزائرُ نفسه في المقطع المتقدم، في المقطع المتقدم – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي** – جميع ما يمكن أن يتعلق بالإنسان، وهو قد ذَكَرَ نفسهُ في الجملةِ لأنَّ نفسهُ متعلقة بِكُلِّ هذه الأجزاء – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي** – هذه جميعُ الأجزاءِ المتعلقة بحياتهِ فهي نفسهُ لكنه لتأكيد المعنى ولتعميق المعنى لأن المقطع الآتي مقطع أعمق من المقطع المتقدم، لتعميق الصورة لذكر كُلِّ المظاهر ذكرَ نفسهُ – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي** – لأنَّ أهلي ومالي وأسرتي كُلُّ هذه المعاني منطوية في نفسي أمَّا أبي وأمي فهما الأصل وأنا الفرع لذلك سيأتينا بعد قليل – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي** – تكرار لنفس هذه التفدية لأنها في ضمن هذا المقطع، في ضمن هذا المقطع المعرفي.

لكن بعد أن ينتهي هذا المقطع يأتينا التفدية بشكلٍ آخر – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي** – لأنَّ نفسي هنا هي قد طوت المعاني المتبقية، فنفسي هي التي جمعت المتعلقات الأخرى وأبي وأمي لأنهما هم الأصل – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي، مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – هذه العبارات كُلُّها تشيرُ إلى حقيقةٍ واحدة وإن اختلفت التعابير – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم** – هذا تعبير – **وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم** – هذا تعبيرٌ ثاني – **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – هذا تعبيرٌ ثالث، هذه تعابير مختلفة، لكن كُلُّ هذه التعابير تتحدث عن حقيقةٍ واحدة، تتحدث عن مضمونٍ واحد، المضمون الواحد الذي تتحدث عنه هذه التعابير هو صلتنا بالله سبحانه وتعالى، موقفنا بين يدي الله سبحانه وتعالى، تكليفنا، علاقتنا، عقيدتنا بالله، عَبِّر ما شئت، توحيدنا لله، عبادتنا لله، عقيدتنا بالله، علاقتنا بالله، صلتنا بالله، حُبُّنا لله، قُل ما شئتَ من العبارات، هذه المقاطع القصيرة المختصرة الموجزة وهي من ورائع الحِكَم وتدخل فيما تقدمَ في قولنا ونحن نخاطبهم – **وَفَصلُ الخِطابِ عِندَكُم** – هذه مصاديق من فصل الخطاب، قولٌ فيصل،

قولٌ قاطع – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – كُلُّها تحملُ معنىً واحداً أننا لا نستطيعُ أن نصلَ إلى الله إلاَّ من طريقهم، كُلُّ هذه العبارات، وإنما تتحدثُ عن مقاماتٍ للنفس البشرية – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم** – إذا كانت النفسُ البشرية وإذا كان القلبُ البشري في هذا المقام أنَّه يريدُ الله في مقام الإرادة أنَّ القلبَ بكل نيتهِ، أنَّ القلب بكل محتواه تعلقت إرادتهُ بالوصول إلى الله، كيف يستطيعُ هذا القلب أن يُحَقِقَ هذه الإرادة؟ كيف يستطيع أن يحقق هذا الهدف؟ كيف يستطيع أن يصلَ إلى هذه الغاية؟ – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم** – لماذا من أراد الله بدأ بكم؟ لقانونٍ ثابت.

هذا القانون يذكرهُ شيخنا الكليني رضوان الله تعالى عليه في كتابهِ الكافي الشريف، هذا القانون عن أبان بن تغلب، هذا الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف باب أن الحجة لا تقوم لله على خلقهِ إلا بإمام، أبان بن تغلب ينقل عن إمامنا الصادق، ماذا يقول إمامنا الصادق؟ – **الحُجَّةُ قبلَ الخَلق ومَعَ الخَلق وبَعدَ الخَلق** – يعني أنَّ الموجودَ لا يمكن أن يتحقق وجودهُ إلا بوجود الحُجَّة، فالحُجَّة قبل الخلق قبل وجودهِ قبلَ وجودِ هذا الإنسان، والحجةُ مع الخلق حين تَكوَّن، والحجة بعد الخلق حتى بعد أن يُعدم، لو فرضنا أن يُعدم أو يتحول أو ينتقل من عالمٍ إلى عالم فإنَّ الحُجَّة ثابتة، الكلمة هنا تُشيرُ من وراء ستارٍ رقيق إلى نفس كلمة سيد الأوصياء – **ما رأيتُ شيئاً إلاّ ورأيتُ الله قبلهُ وبعدهُ ومعهُ وفيه** – مضامين عميقة جداً، نفسُ هذه الكلمة كما قلتُ تشيرُ من وراء ستارٍ رقيق إلى نفس هذه الحقيقة – **الحُجَّةُ قبلَ الخَلق ومَعَ الخَلق وبَعدَ الخَلق** – من أرادَ الله بدأ بكم، إذاً الحُجَّةُ مُحيطةُ بنا، فإذا أردنا أن نتوجه إذا أردنا الله سبحانه وتعالى كما قلت إذا كان القلب في هذه الحالة النفسية في حالة إرادة الله سبحانه وتعالى فعليه أن يبدأ بالحُجَّة وإنما يبدأُ بالحُجَّة لأنَّ الحُجَّة كانت وقبلهُ ومعه وبعده القضية أبعد من مسألة الزمانِ والمكان، الحُجَّةُ قبل الخلق، قبلَ الخلق الزمانُ والمكانُ إنما هو من أجزاء الخلق والحُجَّة سابقةٌ على الزمانِ والمكان، الحُجَّة قبل الخلق ومع الخلق، مع الخلق إنَّها مُمَازِجَةٌ للخلق.

نحنُ نقرأُ في صفات التوحيد أنَّهُ سبحانهُ وتعالى داخلٌ في الأشياء لا كشيءٍ في شيء، لا بنحو المُلامسة ولا بنحو المُمَازجة وهذا المعنى يتجلى في أسمائهِ الحُسنى بالنحو الذي يتناسب مع المقام الحدوثي والمقام الخلقي للأسماء الحُسنى، المعنى الذي يتوجهُ به النبي الخاتم إلينا صلى الله عليه وآله فيقول: تَخَلَّقوا بأخلاق الله، نحنُ أيضاً نتخلَّقُ بأخلاق الله نتصفُ بصفات الله تكويناً وتشريعاً، تكويناً صفةُ العلم وصفة السمع وصفةُ البصر من أينَ جئتُ بها أنا أو من أينَ جئتَ بها أنت؟ أليست هذه مجالي لعلم الله ولسمع الله ولبصر الله سبحانه وتعالى؟! هذا في الجانب التكويني، وفي الجانب التشريعي يُطالبنا التشريع بالكرمِ بالصدقِ بالطهارةِ كُلُّ هذه المعاني أليست هي من صفات الله سبحانه وتعالى؟! نحنُ نتصفُ بصفات الله تكويناً

وتشريعاً ولكن بحسبنا، إلهي أنا أنا وأنتَ أنت، أنا أنا في مقامي المحدود الضيق وأنتَ أنت في مقامك الذي لا تُدركهُ العقول، أنتَ الباقي وأنا الفاني، أنت الدائمُ وأنا الزائل، أنتَ الحيُ وأنا الميت، أنتَ الربُّ وأنا المربوب، وأنتَ العظيمُ وأنا الصغير، وأنتَ الكبيرُ وأنا الحقير، هذه المعاني التي تتردُ كثيراً في مناجيات وأدعية أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الحُجَّةُ قبلَ الخلق ومع الخلق وبعد الخلق كما يقولُ إمامنا الصادقُ صلوات الله عليه في رواية الكافي لشيخنا الكليني رضوان الله تعالى عليه.

مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم، البداية منكم والكلام هنا ليسَ عن حديثٍ في جانبِ الفكرِ والعلم، البداية علمياً منهم، نحنُ في كل خطوةٍ من خطواتنا إذا أردنا أن نُدرِكَ الصواب وإذا أردنا أن نفوزَ بالحقيقة فعلينا أن نأخذَ بما قالوا وبما بيّنوا وبما شرحوا وفَصّلوا وشَرّعوا، لكن القضية هنا أعمق من ذلك، القضية هنا قضية حقائق الموجودات، القضية هنا تتحدث عن توجه القلب، القضية هنا تتحدث عن مكنون بواطن الضمير الإنساني وهذه ليست خاصةً بالإنسان فقط، مع كل الموجودات، لكننا لا نريدَ الحديثَ عن غير الإنسان كلامنا عن أنفسنا فهو هذا الذي يتعلقُ فيه مصيرنا وترتبطُ به حياتنا – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم** – البداية مع أهل البيت والنهاية معهم أيضاً، سيأتينا – **بِكُم فَتَحَ الله وَبِكُم يَختِمُ** – القضية لا تقف عند البداية، الحُجَّة قبل الخلق ومعَ الخلق وبعد الخلق – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم** – بدأ بكم لأنَّ الإنسانَ لابد أن يبدأ من نقطةٍ ما، فإذا بدأ من نقطةٍ ما فإن البداية بهم، وهم معهُ وقبلهُ وبعده. فالحُجَّةُ، هذا قانون أحفظوه: **الحُجَّةُ قبلَ الخلق ومع الخلق وبعد الخلق.**

مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم – ومن وَحَّدُه من طلبَ توحيد الله، من أراد أن يعرفَ كيفَ يُوَحِّدُ الله سبحانه وتعالى لابد أن يأخذ عنهم – **وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم** – قَبِلَ عنكم في المستوى العلمي والفكري والعقائدي، وقَبِلَ عنكم في المستوى العبادي والروحاني والنوراني، التوحيدُ لا يمكن أن يصدقَ إلاّ بالاعتقادِ بهم وإلا بالتمسكِ بعروتهم وهذا هو التوحيد، أمَّا أولئك الذين يدّعونَ بأنهم على التوحيد وهم لا يتمسكون بهم إنهم في أظلمِ ظلمات الشرك، أولئك هم الكافرون، أولئك هم المشركون، الذينَ تركوا التمسك بعليٍّ وآل عليّ، التوحيدُ من هنا يبدأ والتوحيدُ هنا ينتهي – **بِكُم فَتَحَ الله وَبِكُم يَختِمُ** – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – العبارات كلها متساوية في الدلالة لكنها تتحدث عن مقاماتٍ وعن حالاتٍ روحانيةٍ ونفسيةٍ لوجدان الإنسان لقلب الإنسان لضمير الإنسان، مرةً يكون القلب في مقام إرادة الله فتقول الزيارة: **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم**، ومرةً يكون القلب في مقام طلب التوحيد تقول الزيارة: **وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم**، والذي يُريدُ الله يُوَحِّدُ الله، والذي يُوَحِّدُ الله يُريدُ الله – **وَمَن قَصَدَهُ** – والذي يقصدُ الله يريد الله ويُوَحِّد الله وكذلك الذي يوَحِّدُ الله يريدهُ ويقصده، والذي يريدهُ يوحِّدهُ

ويقصدهُ، المعاني متداخلة فيما بينها، الفوارق جداً دقيقة في المقامات القلبية وفي المقامات المعنوية لنفس الإنسان – **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – من قصدَ، من نوى، من عَزَمَ، من أرادَ، من تعلق قلبهُ بذلك المقصد فكيف يصل؟ – **تَوَجَّهَ بِكُم** – هذه الباء باءُ السببية – **تَوَجَّهَ بِكُم** – توجه بكم أي أن البوصلة الاتجاه إذا أردنا أن نأخذ البوصلة كمثال، البوصلة هم، والجهة التي تشير إليها البوصلة هم، والسهم المتحرك في داخل البوصلة هُم أيضاً، هذه الباء باءُ السببية – **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – من قصدَ الله سبحانه وتعالى مادة التوجه هم، توجه بهم، من دونهم لا يستطيع الإنسان أن يصلَ إلى الله.

أُقَرِّبُ المعنى، المُصَلي حينُ يقفُ للصلاة تارةً يصلي وهو لا يدري ماذا يصنع يتذكر، قد يتذكر وقد لا يتذكر أنه ابتدأ بتكبيرة الإحرام لا يشعر إلا وهو قد دخل في التسليم وهذا حالُ الكثيرين من أمثالنا، يعني في أحسن أحوالهِ يتذكر أنَّه كَبَّرَ تكبيرة الإحرام ما يشعر إلا وهو قد دخل في التسليم، لأن الصلاة تحريمها التكبير وتحليلها التسليم، بدايتها التكبير ونهايتها السلام، فالمُصَلّي، وفي بعض الأحيان حتى ينسى تكبيرة الإحرام، ينسى أنَّه قد كَبَّرَ حينما يريد أن يستحضر لا يتذكر بأنَّه قد كَبَّرَ أو لم يكن قد كَبَّرَ، هو كَبَّرَ لكنه لا يتذكر لأنه كان في غفلة عميقة في سبات في أثناء الصلاة، تارةً المُصلي هذا حاله يتذكر تكبيرة الإحرام ويلتفت إلى أنَّه الآن في مقام التسليم، ومرةً أخرى في حال أحسن أنَّ المُصلي يلتفت إلى أنَّه يُصلي ويصلي صلاة الظهر مثلاً على طول الصلاة هو يستحضر هذه الفكرة أنَّه الآن هو يصلي وصلاة الظهر فقط هذه الفكرة موجودة عنده، كحال البنَّاء الذي يبني حائط وهو أثناء ما يبني يعلم بأنَّه الآن هو يبني حائطاً، أو كحال النجار حين يصنع كرسياً فهو يعلم في حال صناعتهِ للكرسي هو يصنعُ كرسياً في هذا الحال، وهذا حالهُ أحسن من الأول، وهناك حالة أفضل من هذه الحالة وهو أن يلتفت إلى أنَّه هو يقرأ مثلاً يلتفت إلى أنَّه قرأ الفاتحة قرأ التوحيد وصل إلى الركوع السجود ذكرَ ذِكرَ الركوع وذكر السجود وسائر التفاصيل الأخرى مُلتفت إلى أنَّه يأتي بهذه الأشياء، لكن دون أن يلتفت إلى معانيها، وهناك مرتبة أعلى وهو أنَّه يلتفت إلى ما يقول، وهؤلاء أيضاً على درجات كل واحد بحسبهِ كل شخص يلتفت إلى معاني ما يقول بحسب مداركهِ بحسب فهمه، هناك من يتعلق بالعبارات المحضة وهناك من يذهب إلى ما هو أبعد من العبارات إلى الإشارات إلى المعاني العميقة في هذه الألفاظ، بعبارة أخرى يفكر في أسرار العبادة في أسرار الصلاة، في أسرارها الفعلية وفي أسرارها القولية، وهناك من يكون أعمق من ذلك وهو أنَّه لا يلتفت إلى الألفاظ ولا يلتفت إلى الأفعال وإنما يلتفت إلى المَحضَر الإلهي أنَّه في مَحضر الله، وهذه قضية أعمق، لأن الالتفات إلى الألفاظ سيجعل الإنسان مُعرِضاً عن المحضر الإلهي وإن كان هو في المحضر الإلهي لكنه سيكون مُعرِضاً عن المحضر الإلهي بسبب التفاتهِ إلى الألفاظ وتعلقه بالمعاني المرتبطة بالألفاظ والأقوال وبالأفعال، الحالة الأعمق أنه يكون ملتفتاً إلى المحضر الإلهي.

وهناك حالات أعمق من هذا، وهذه أمور مذكورة في مضانها لا أريد الحديث عن هذا الموضوع لكنني وصلت إلى هنا: وصلت إلى أنَّ المصلي ملتفت إلى نفسهِ وإلى صلاتهِ وهو في المحضر الإلهي، هناك حالات أعمق أنَّهُ لن يلتفتَ إلى نفسهِ وإلى صلاتهِ وإنما لا يجدُ من حولهِ إلا المَحضَر الإلهي هو في محضر الله سبحانه وتعالى، وتلك حالات خاصة للأولياء لأصحاب المراتب العالية في المعرفة والإيمان من خواص خواصِ أصحاب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لكن في هذه الدرجة والإنسانُ ليس ملتفتاً إلى أسرار الألفاظ وإلى أسرار الأفعال وإنما هو ملتفتُ إلى وجوده وإلى صلاتهِ في محضر الله سبحانه وتعالى، هذا الشعور وهذا الإحساس هذه الحالة النفسية المُحيطة به، هي هذه التي يمكن أن نسميها بمعنى الصلاة، هي هذه الصلاة، الصلاة هي هذه، حين يُعَبَّرُ عن الصلاة في كلمات المعصومين بأنَّها معراج المؤمن، معراج المؤمن بهذا المعنى، هذه أولُ درجات المعراج أول درجات العروج حينما يكون العبد ملتفت إلى محضر الله سبحانه وتعالى، ملتفت بعقلهِ بقلبهِ بوجدانهِ بإحساسهِ، في كل عبادة، في كل عملٍ من الأعمال ما لم نستحضر هذا المعنى أننا في جو المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، أننا في دائرة نورية المعصوم فإنَّ الأعمال ستكون ناقصة، هذا المراد: **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – أننا حين نقصدُ الباري سبحانه وتعالى لابد أن نكون في لباسٍ سابغة كما مرَّ علينا في يوم أمس في تعقيباتِ فريضة الفجر والداعي يدعو مستعيذاً بالله سبحانه وتعالى:

مِن شَرِّ كُلِّ غاشِمٍ وطارِق مِن سائرِ من خلقتَ وما خلقتَ من خلقك الصامت والناطق في جُنَّةٍ من كُلَّ مَخوفٍ بلباسٍ سابغة ولاء أهل بيت نبيك، لباس سابغة، اللباس السابغة، اللباس التي تغطي جميع الإنسان، وهنا الحديث عن لباس سابغة ليس لباس كلباس الثياب التي تغطي الأجزاء التي يجب أن تُغطى من البدن، يجب شرعاً أو عُرفاً أو ذوقاً قل ما شئت، الإنسان يغطي أجزاء بدنهِ من هذه الأجزاء ما يجب تغطيتها شرعاً، منها ما يجب تغطيتها عُرفاً، منها ما يجب تغطيتها ذوقاً، ومنها ما يجب تغطيتها تَجَمُّلاً وتَحَسُّناً طلباً للتجمل، لكن الحديث في هذا الدعاء عن لباس سابغة تغطي وجود الإنسان من شر كل غاشمٍ وطارق من جميع ما خلقَ الله سبحانه وتعالى، من شر كل صامتٍ وناطق كما قال الدعاء، نحنُ بحاجة إلى لباسٍ سابغة، مثل ما نحنُ بحاجة إلى لباسٍ سابغة من شر كل غاشمٍ وطارق تغطي كل وجودنا نحنُ بحاجة إلى لباسٍ سابغة، هذه اللباس السابغة، هذا اللباس السابغ الذي يغطينا لأجل أي شيءٍ؟ لأجل أن يغطي نقائصنا، لأجل أن يغطي ظُلمتنا، لأجل أن يغطي جهلنا، نحنُ بحاجة إلى نوريةٍ، هذه النورية تحيط بنا إذا أحاطت بنا هذه النورية بواسطة هذه النورية نستطيع أن نتوجه إلى الله، كما مرَّ علينا مثلاً في سورة الحديد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ نوراً

فُسِّرت في روايات أهل البيت عليّاً صلوات الله عليه، إماماً معصوماً، الحجة بن الحسن ﴿**وَيَجعَل لَّكُم نُوراً تَمشُونَ بِهِ**﴾ هذا المشي ليس المشي الجسدي، هذا المشي مشيُ العقل مشيُ القلب مشيُ الوجدان مشيُ الحقيقة، هذا ليس نوراً للمشي الجسدي حتى يكون هذا النور نوراً جزئياً لابد أن يكون هذا النور نوراً كلياً محيطاً بعقولنا محيطاً بقلوبنا محيطاً بوجودنا حتى نستطيع أن نمشيَ به أن تتحرك حقيقتنا في جادة الله سبحانه وتعالى – **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – لابد أن تتصلَ القلوبُ بهم والعقول بهم حتى نستطيع أن نتوجه إلى الله وهذا هو التوحيد.

لذلك قلتُ قبل قليل الذين لا يتمسكون بهم فإنَّهم ما هم على التوحيد والتوحيدُ براءٌ منهم، التوحيدُ هو هذا، توحيدُ الله لا يكونُ بحسب مزاج ابن تيمية مثلاً أو بحسب ذوق محمد بن عبد الوهاب أو بذوقِ أي شخصٍ آخر في هذا الوجود، لابد أن يكون بحسب موازين مُحَمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وموازين مُحَمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله يبيّنها أوصيائُه وهذا بيانُ أوصيائهِ – **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – التوحيد هو هذا، لابد أن نكون مُحاطينَ بنوريةٍ هي نورية الإمام المعصوم صلوات الله عليه، ولذلك نحن نُخاطب الإمام الحُجَّة في زيارتهِ الشريفة، هذه زيارة من الزيارات التي يُزارُ بها إمام زماننا وهي خرجت من الناحية المقدسة، هذه الزيارة معروفة بزيارة النُدبة غير دعاء النُدبة لا يشتبه عليكم، هذه زيارة النُدبة خرجت من الناحية المقدسة إلى أبي جعفرٍ محمد بن عبد الله الحميري رضوان الله تعالى عليه، ويستحَبُّ أن تُقرأ في السرداب المقدس في سامراء، هذا هو الجزء الثاني بعد المئة من كتاب بحار الأنوار، في هذه الزيارة نُخاطِبُ الإمام الحُجَّة فماذا نقول؟

يا وِقايةَ الله – وقاية، يا وِقاية الله، هذا النور المحيط بنا الذي يقينا من ظُلمَتِنا ومن جهلنا ومن ذنوبنا ومن كل نقصٍ – **يا وِقايةَ الله وَستَرَه** – وهذا السَتر الذي يستر عيوبنا، إذا أردت أن تفوز بوقاية الله توجه إلى الحُجَّة بن الحسن، إذا أردت أن تفوز بسترِ الله تمَسَّك بالحُجَّة بن الحسن – **يا وِقايةَ الله وَستَرَه** – بعد الوقاية والستر – **وَبَرَكَته** – وتأتي البركة هناك، يأتي الفضل والجود والكرم والرحمة والمحبة، فهو أعطفُ علينا وأبرُّ منا وأرأفُ بنا من الأم الرؤوف هكذا تصفهُ الروايات صلوات الله عليه، ماذا نقول له – **يا وِقايةَ الله** – أنت وقايتي – **وستَرَه** – وأنتَ سَتري يا ابن رسول الله – **وبركته** – وأنتَ بركتي – **يا وِقايةَ الله وستره وَبَرَكَته أغنِني** – وفي نسخةٍ أخرى – **أغثني** – أغنني أغثني المعاني متقاربة – **أغثني أدنني** – أدنِني إليك لأنني إن دنوتُ إليك فقد دنوتُ إلى الله: وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم – **أدنني أدركني** – يا ابن رسول الله – **صِلني بِكَ ولا تَقطعني** – لأنَّكَ إن لم تَصِلني بِكَ فإلى أين سأذهب؟ سأذهب إلى توحيد القوم، إلى

أولئك الذين يعبدون شيئاً لا يعرفون ما هو، يعبدون شيئاً صنعتهُ أوهامهم وعقولهم، المصباح المنير في هذا الوجود هُم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد وسفينةُ النجاة هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، سفينة التوحيد هُم، مصباح التوحيد هم، برهان التوحيد هم، قرآن التوحيد هم، حقيقة التوحيد هم – **يا وِقايةَ الله وسَتره وَبَرَكَته أغثني** – يا ابن رسول الله – **أدنني أدركني صِلني بِكَ ولا تَقطعني** – لأنَّك إن لم تَصِلني فأنا مقطوع لا أستطيعُ الوصول إلى الله، لا يمكن أن أصلَ إلى الله إلا بِكَ يا ابن رسول الله، هذه عقيدتي وهكذا تعلمت من آبائك وأجدادك: **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم**، بِكَ صِلني لا تقطعني يا ابن رسول الله، هو هذا: **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم**، هذه العبارات كلها تشير إلى هذا المضمون إلى مضمون حقيقة التوحيد – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – والعبارات بحاجة إلى شرحٍ أكثر من ذلك لكنني أرى الوقت يجري سريعاً وهناك مطالب أخرى عديدة لابد من الإشارة إليها.

مَوالِيَّ: وأنتم أولياء نعمتي، مواليَ يعني سادتي يعني أوليائي، تقدم عندنا في أول الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَقادَةَ الأُمَمِ** – أنتم قادتي – **وَأَولِياءِ النِّعَمِ** – أنتم أوليائي، أنتم أولياء نعمتي – **وَساسَةَ العِبادِ** – وأنتم ساستي – **وَأَبوابَ الإيمانِ** – وأنتم الباب الذي أطرقهُ دائماً وأطوف حوله وأقضي عمري في خدمته، أنتم أبوابُ الإيمان وأنتم أمناء الرحمن وأنتم الأئمة الدُّعاة والقادة الهُداة والسادة الولاة والذادة الحُماة، أنتم ذادتي وحُماتي، وأنتم بقيةُ الله، وأنتم نورهُ وبرهانهُ صلوات الله عليكم – **مَوالِيَّ** – سادتي أوليائي – **لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – لا أحصي ثنائكم، الإحصاء هو العد، والعد بحاجة إلى حواس منتبهة حتى يستطيع الإنسان أن يعد وأن يحصي بحواسهِ وبحاجة إلى عقلٍ متوقد منتبه حتى لا يخطأ في الإحصاء – **لا أُحصِي ثَنائَكُم** – الثناء هو ذكرٌ للجميل، أنا هنا لم أقل لا أحصي جميلكم وجمالكم، أنا لا أحصي ثنائكم لأنَّ جمالكم أصلاً لا يوجد له ثناء وإنما يوجدُ شيءٌ من الثناء لشيءٍ من جمالكم وهذا الشيءُ من الثناء إني لا أستطيعُ أن أُحصيه، الثناء هو مديح هو شكر، والمديح والشكر والثناء لأي شيءٍ؟ يأتي متفرعاً عن وجودِ شيءٍ جميل، فجمالكم لا حدود لهُ، وما يوجدُ من ثناءٍ في العقول في القلوب في الألسنة ما هو إلاّ ثناءٌ لبعضٍ من جمالكم ومع ذلك هذا الثناءُ الذي هو لبعضٍ من جمالكم أنا لا أستطيع أن أحصيه. كما يقول الجواهري:

تعداد مجد المرء منقصةٌ له إذا فاقت مزاياه عن التعدادِ

إذا كانت الكمالات لا حدود لها.

لا أُحصِي ثَنائَكُم – أنا لا أستطيع أن أحصيَ ثنائكم على لسان الخلائق، كُلُّ الخلائق تثني عليكم، كُلُّ جمالٍ في هذا الوجود هو منكم، وكل جمالٍ وكل حياةٍ هي منكم، الحياة جمال وكل حياةٍ هي منكم، كُلُّ

جمالٍ هو منكم، وكُلُّ خيرٍ هو منكم، أعودُ إلى قانون الطي – **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ** – أنا لا أحصي ثنائكم – **وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم** – أما الكُنه فهو حقيقة الشيء وإدراكُ حقيقة الشيء بحاجة إلى عقلٍ مُسَلَّحٍ بمعرفةٍ عميقة، بحاجة إلى بصيرةٍ ثاقبة – **لا أُحصِي ثَنائَكُم** – بحواسي المتقدة وبعقلي المتوقد فإني لا أحصي ثنائكم، وبعقلٍ متعمِّقٍ وبصيرةٍ ثاقبةٍ لو كنتُ أملكها فإني لا أبلغُ من المَدحِ كُنهَكُم، لن أستطيع أن أقولَ ما أقول ولن أستطيعَ أن أرسمَ ما أرسمَ في مُخَيلَتي وفي ذهني من جمال حقيقة كُنهِكُم – **وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – الوصف يكونُ ممكن في الأذهان، يمكن للإنسان أن يَصِفَ الأشياءَ في ذهنهِ لنفسهِ – **وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – ويمكن أن يَصِفَ باللسان ويمكن أن يَصِفَ بالرسم، والإنسان إنما يَصِف معتمداً على خيالهِ، يعني مهما أوتينا من قدرةٍ في الخيالِ فإننا لن نستطيعَ أن نَصِفَ شيئاً من قدركم – **مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم** – هذا استسلامُ العقل واستسلامُ القلب واستسلامُ الخيال كل القدرات تستسلم هنا أمام نورية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وما ذلك بشيءٍ غريب.

الشمس هذه التي هي ليست بشيء نحنُ لا نستطيع أن نملأ عيوننا منها عند الضحى، والشمسُ حتى لا تُعَدُّ بذرةٍ إذا ما قيست بهذا الوجود الواسع، وهذا الوجود الواسع كُلُّ نوريتهِ إنما هي من نوريتهم، إنما هي جزءٌ يسيرٌ من نوريتهم صلوات الله وسلامه عليهم – **مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – كيف أستطيع أن أصِفَكُم؟ أميرُ المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الجزءُ السادس والعشرون في جانبٍ من حديث المعرفة بالنورانية ماذا يقول؟ **يقول: اعلم يا أبا ذر أنا عبد الله عزَّ وجلَّ وخليفتهُ على عباده لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنَّكم لا تبلغونَ كُنه ما فينا** – نفسُ المعنى الموجود هنا: **وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم** – كلام أهل البيت، أحاديثهم، زياراتهم بعضها يشدُ البعض الآخر.

أسفي على تلك العقول التي لا تتلذذُ بهذه المعاني ولا تعرف قيمتها وهم يقولون بأنهم من أشياع عليٍّ وآل عليّ – **مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – وقولوا في فضلنا ما شئتم، الباب مفتوح لِماذا؟ فإنَّكم لا تبلغونَ كُنه ما فينا ولا نهايته فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أعطانا أكبرَ وأعظم مما يصفهُ واصِفُكُم – **لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أعطانا أكبرَ وأعظم مما يصفهُ واصِفُكُم أو يخطر على قلبِ أحدكم، حتى خطور لا يخطر، الخيال يتوقف – **فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون** – إذا عرفتم بأنَّ جميعَ القُدرات الموجودة عند البشرية عند الإنسان هي عاجزة ولذلك نحنُ نصدع بعقولنا بقلوبنا بألسنتنا: **مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ**

المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم، تلاحظون الكلام في حديث المعرفة بالنورانية فيه تفاصيل لكن الزيارة وهي القول البليغ الكامل تختصر المعاني في كلماتٍ قصيرة.

هذا بصائرُ الدرجات رواية جميلة جداً في بصائر الدرجات، وبصائر الدرجات أسمٌ على مسمى كتابٌ لشيخنا أبي جعفر الصفار من أصحاب إمامنا الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه، والرواية عن المفضَّل بن عمر من أبرز عارفي أهل البيت ومن خواص أصحابهم، المُفضّل بن عمر ينقل عن إمامنا الباقر – **قال أبو جعفرٍ عليه السلام: إنَّ حديثنا صَعِبٌ مُستَصعَب ذَكوانٌ أجرَد لا يَحتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نَبيٌ مُرسَل ولا عَبدٌ امتَحَنَ الله قلبهُ لِلإيمان، أمَّا الصَعب فَهو الذي لَم يُرَكَب** – يعني لم يَصِل إليهِ أحد – **أمَّا الصَعب فَهو الذي لَم يُرَكَب بعد** – لم تركبهُ العقول لم تصل إليه العقول شيءٌ بعيد، بعيدُ المنال، هو – **قال: حديثنا صَعِبٌ مُستَصعَب ذَكوانٌ أجرَد لا يَحتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نَبيٌ مُرسَل ولا عَبدٌ امتَحَنَ الله قلبهُ لِلإيمان، أمَّا الصَعب فَهو الذي لَم يُرَكَب بَعد وأمَّا المُستَصعَب فَهوَ الذي يُهرَبُ منه** – هذا الشيء أعمق – **فَهوَ الذي يُهرَبُ منه** – تَختَالُ عِندَهُ العُقُول – **فَهوَ الذي يُهرَبُ منه إذا رُئي وأمَّا الذَكوان فهو ذَكاءُ المؤمنين** – يعني بصيرتهم – **وأمَّا الأجرَد فَهوَ الذي لا يَتَعلَّقُ بهِ شيءٌ مِن بين يديهِ ولا مِن خَلفِه وهو قولُ الله:** ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ﴾ **فأحسن الحديث حَديثُنا لا يحتَمِلُ أحدٌ من الخلائق أمره** – أحسن الحديث الكلام هنا ليس عن ألفاظ، الحديث هنا إشارة إلى حقيقة أهل البيت، وحتى لو صاغهُ أهل البيت بصياغةِ الألفاظ فإنَّ أوصافهُ هي هذه – **فأحسن الحديث حَديثُنا لا يحتَمِلُ أحدٌ من الخلائق أمره بِكمالِهِ** – لا يستطيع مهما أوتيت هذه المخلوقات، الملائكة بعقولها لو دنوتُ أنمُلة لاحترقت، جبرئيل، عقل العقول في عالم الملائكة جبرئيل – **لا يحتَمِلُ أحدٌ من الخلائق أمره بِكمالِهِ** – من ذا الذي يستطيع أن يحتمل أمر مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد بكمالهِ؟!

حتى يَحُدَّهُ – يُحَدَّهُ بحدود عقله لأنه محدود، فإذا حَدَّهُ انقلبَ إلى شيءٍ آخر، إذاً ليس هناك من إدراكٍ لحقيقتهم – **لا يحتَمِلُ أحدٌ من الخلائق أمره بِكمالِهِ حتى يَحُدَّهُ لأنَّهُ من حَدَّ شيئاً فهوَ أكبرُ منه** – العبارة تحتمل الوجهين هو أكبرُ منه يعني العقيدة أكبر منه أو أنَّ الإنسان يكونُ أكبر من الشيء الذي يحدهُ في داخلهِ والمعنى واحد، موطن الشاهد هنا – **حَديثُنا لا يحتَمِلُ أحدٌ من الخلائق أمره بِكمالِهِ حتى يَحُدَّهُ** – إذا أرادَ أن يعرف شيئاً عنا لابد أن يحد أمرنا بحدود عقله، إذا حدَّهُ بحدود عقلهِ فهذه معرفة أطفالية، معرفة في غاية الجهل ستكون حينئذٍ، في غاية الجهل عن حقيقة الحقيقة، معرفة محدودة حينئذٍ ستكون لأننا إذا حددناها تَحوَّل الأمر إلى شيءٍ آخر، كالذي يملأُ إبريقاً من البحر ويقول هو هذا البحر، أهذا هو البحر؟! الإنسان الآن يأتينا بقنينة مثلاً هذه قناني الماء التي نشربها يُكتب على بعضها أنَّهُ جيء

بهذا الماء من جبال سويسرا من جبال فرنسا أو من أي جبلٍ آخر أو من أي مكانٍ آخر، حينما تأخذ هذه القنينة وتجد مكتوب عليها أنَّ هذا الماء جيء به من العيون الفلانية في الدولة الفلانية، هل هذه القنينة تعطيك صورة عن تلك العيون؟!

أبداً، معرفتنا بأهل البيت كمعرفة هذا الذي يشربُ من قنينةٍ كُتِبَ عليها جيء بهذا الماء من جبال سويسرا وهو لم يكن قد رأى جبال سويسرا ولا تلك العيون الجبلية ولا شيئاً من ذلك، معرفتنا بأهل البيت هكذا، هذا الحديث يقول هكذا: **حَديثُنا لا يحتَمِلُ أحدٌ من الخلائق أمره بِكمالِهِ حتى يَحُدَّهُ** – ولذلك الزيارة صريحة وواضحة – **مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم** – من أنا حتى أحصي ثنائكم؟! – **وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – ثم تعود الزيارة فتعطينا أوصافاً تتناسب مع ألفاظنا مع المعاني التي يمكن أن نتحسسها – **وَأنتُم نُورُ الأَخيارِ وَهُداةُ الأَبرارِ وَحُجَجُ الجَبَّارِ** – نورُ الأخيار هو مظهرٌ من مظاهر نوريتهم، الأخيار جمعٌ لخيِّر، ونورُ الأخيار النور الذي نفذ في قلوب الأخيار، نور الأخيار دينهم، قرآنهم، عقيدتهم، بصيرتهم، حقيقتهم، أصلُ التسبيحِ في وجودهم، نورُ وجودهم، كُلُّ ذلك يعودُ إلى أهل البيت، الآن لو نتصفَّح الزيارة من بدايتها لنجد مظاهر النورية متكررة وهكذا في بقية العناوين، تعدد المظاهر، مظاهرُ أهل البيت في كل جانبٍ من جوانب الوجود، وهذه النصوص الصادرة عن أهل البيت إنما هي تتحدث بشكلٍ وبآخر عن صورة التكوين، مثل ما نقول بأنَّ الكتاب التدويني المصحف التدويني هو صورةٌ للمصحف التكويني، هذه النصوص الصادرة عن المعصومين كنص الزيارة الجامعة وهو قولٌ بليغٌ كامل هو صورةٌ عن عالم التكوين أيضاً، من جهةٍ ومن حيثيةٍ تتناسب مع المضمون الذي نُسِجت لأجلهِ هذه الزيارة.

إذا نذهب مع الزيارة من البداية، لنقرأ في المقطع الثاني: **وَمَصابِيحِ الدُّجى**، والمصابيح هي مصادر النور، هذا مقامٌ من مقاماتهم، هذا مظهر من مظاهرهم مصابيحُ الدُّجى.

في موطنٍ آخر في المقطع الخامس، مصابيح الدجى في المقطع الثاني من المقاطع الأولى التي افتُتِحت بها الزيارة، في المقطع الخامس: **وَحُجَّتِهِ وَصِراطِهِ وَنُورِهِ وَبُرهانِهِ**، هم نور الله سبحانه وتعالى، هذا مظهرٌ آخر.

مظهرٌ ثالث: **وَانتَجَبَكُم لِنُورِهِ وَأَيَّدَكُم بِرُوحِهِ**.

مظهرٌ رابع: **وَمَناراً فِي بِلادِهِ**، المنار هي العلائم العالية التي يستنير النور عليها ويستنيرُ بها الناس.

في موطنٍ آخر: **وَآياتُ الله لَدَيكُم وَعَزائِمُهُ فِيكُم وَنُورُهُ وَبُرهانُهُ عِندَكُم** – مرَّ قبل قليل أنتم – **وَصِراطِهِ وَنُورِهِ** – أنتم نور الله، هنا – **وَعَزائِمُهُ فِيكُم وَنُورُهُ وَبُرهانُهُ عِندَكُم** – هذا مظهرٌ آخر.

مظهرٌ آخر من مظاهرهم: **وَأَنَّ أَرواحَكُم وَنُورَكُم وَطِينَتَكُم وَاحِدَةٌ**.

مظهرٌ آخر: **خَلَقَكُمُ الله أَنواراً فَجَعَلَكُم بِعَرشِهِ مُحَدِّقِينَ**، هذه كلها مظاهرٌ لنوريتهم صلوات الله عليهم.

وهنا: **وَأنتُم نُورُ الأَخيارِ**، وبعد ذلك يأتي في الزيارة أيضاً: **وَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِكُم**، ويأتي أيضاً في الزيارة الشريفة: **كَلامُكُم نُورٌ**، كُلُّ هذا مظاهر لهم – **كَلامُكُم نُورٌ** – الكلامُ النوري هو مظهرٌ من مظاهرهم – **وَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِكُم** – إشراق الأرض بنورهم مظهرٌ من مظاهرهم – **وَأنتُم نُورُ الأَخيارِ** – مظهرٌ من مظاهرهم – **وَمَناراً فِي بِلادِهِ** – هو مظهرٌ من مظاهرهم، وبقية المظاهر، وحتى العبارات الأخرى: **وَهُداةُ الأَبرارِ وَحُجَجُ الجَبَّارِ**، إذا أردنا أن نتفحَّصَ الزيارة الجامعة ولكن ضيقُ الوقت يحولُ فيما بيني وبين هذا الأمر، إذا أردنا أن نتصفَّحَ الزيارة الجامعة من أولها إلى آخرها فإننا سنجد مظاهر هداة الأبرار في كل صقعٍ من أصقاع الوجود، ومظاهر حُجج الجبار، يمكنكم أنتم أن تتبعوا من أول الزيارة إلى آخرها ما جاء بلفظ الهداية والهدى وما جاء بلفظ الحُجَّةِ والحُجَج والبراهين والأدلة والآيات، كُلُّ هذه مظاهر: لحُجَج الجبَّار، وَأنتُم نُورُ الأَخيارِ، نور الأخيار النور الذي اهتدى به الأخيار.

نحنُ حينَ نقرأُ في سورة البقرة في الآية السابعةِ والخمسين بعد المئتين ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ ومرَّ علينا في يوم أمس من جملة شرائط هوية التشيع: **وَبَرِئتُ إِلى الله عَزَّ وَجَلَّ مِن أَعدائِكُم، وَمِنَ الجِبتِ وَالطَّاغُوتِ**، الطاغوتُ هذا هو هذا الطاغوت ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الذين يوالون الطاغوت هم كافرون كما قلتُ قبل قليل التوحيد ومن قصدهُ توجهُ بكم، تلاحظون التمازج الواضح والتعانق الواضح بين آيات الكتاب، بين الروايات، بين نص الزيارة الجامعة، بين الكتاب والعترة وهذا هو دليلُ الحق، التوافق التام في كل صغيرةٍ وكبيرة بين الكتابِ والعترة – **وَبَرِئتُ إِلى الله عَزَّ وَجَلَّ مِن أَعدائِكُم، وَمِنَ الجِبتِ وَالطَّاغُوتِ – وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – هذا هو التوحيد، أما أولياء الطاغوت القرآن يقول عنهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هناك مجموعتان: مجموعة الذين آمنوا الله وليّهم يخرجهم من الظلمات إلى النور، الذين كفروا الطاغوت وليّهم يخرجهم من النورِ إلى الظلمات، فهل للذين كفروا من نورٍ حتى يُخرِجُهم الطاغوت ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ أيُّ نورٍ هذا للذين كفروا؟!

هذا هو تفسيرُ البرهان وهذا هو تفسيرُ أهل البيت، هذا هو كلام أهل البيت: **عن عبد الله بن أبي يعفور** – الرواية طويلة أخذ منها موطن الحاجة، الإمام الصادق يُخاطِب عبد الله بن أبي يعفور – **أما تسمع لقول**

الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ **يُخرجهم من ظُلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة** – لِماذا؟ – **لولايتهم كُلَّ إمامٍ عادلٍ من الله** – الإمام العادل هو الإمام المعصوم، غير المعصوم لا يكون عادلاً، لأنَّ العادل الذي لابد أن يكون مستقيماً في كُلِّ شيء وهذه هي صفةُ العصمة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي ظُلمات عند الذين آمنوا؟ – **يُخرجهم من ظُلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كُلَّ إمامٍ عادلٍ من الله، قال الله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ **قال: قُلتُ: أليسَ الله عنى بها الكُفار؟** – يعني الكفار الذين كانوا في الجاهلية حين قال والذين كفروا – **قال: فقال: وأيُّ نورٍ للكافر وهو كافر** – لأن الآية تقول ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ عبد الله بن يعفور يفهم الآية في الذين كفروا مثلاً في الجاهلية أو في الديانات الأخرى الإمام يقول: – **وأيُّ نورٍ للكافر وهو كافر فأخرج منه إلى الظلمات إنما عنى الله بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلمَّا أن تولوا بعد النبي كل إمامٍ جائر ليس من الله فخرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب لهم النار مع الكفار فقال:** ﴿أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾. وهذا هو معنى ارتداد الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله، ارتدت الأمة بعد النبي لأنها تركت عليّاً صلوات الله وسلامه عليه، الآيات واضحة صريحة، الإمام يقول: **وأيُّ نورٍ للكافر وهو كافر فأُخرج منه إلى الظلمات إنما عنى الله بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام** – في زمان النبي – **فلمَّا أن تولوا بعد النبي كل إمامٍ جائر ليس من الله فخرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر** – والقضية مستمرة إلى يومنا هذا – **فأوجب لهم النار مع الكفار فقال:** ﴿أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وَأنتُم نُورُ الأخيارِ – الأخيار هم أولئك الذين تحدث القرآن عنهم ﴿يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الذنوب من ظلمات النقص إلى نور الولاية إلى نور التوبة في الدنيا إلى نور الشفاعة في الآخرة إلى نور مجاورة مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، يا عليّ وشيعتك على منابر من نور مُبيَضة وجوههم وهم جيراني في الجنة، مُبيَضَة وجوههم بأي شيءٍ؟ بنور الولاية لعليٍّ صلوات الله وسلامه عليه – **وَأَنتُم نُورُ الأخيارِ وَهُداةُ الأبرارِ وَحُجَجُ الجَبّارِ** – بقية العناوين يمكن أن تقيسوا المعاني فيها على ما جاء في نور الأخيار – **وَأنتُم نُورُ الأخيارِ وَهُداةُ الأبرارِ وَحُجَجُ الجَبّارِ، بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ، وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ، وَبِكُم**

يُمسِكُ السَّماءَ أن تَقَعَ عَلَى الأرضِ إلاّ بِإذنِهِ، وَبِكُم يُنَفِّسُ الهَمَّ وَيَكشِفُ الضُّرَّ – كل هذه المعاني على سبيل النشر ولكن النشر الجزئي، لأن هذه المعاني لا تعني جميع شؤون الكون وجميع شؤون الكون مرتبطة بهم صلوات الله عليهم – **بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ** – هذا عنوانٌ عام، هذا طيٌّ للمعاني، البدايةُ عندهم والنهايةُ عندهم أيضاً، نفس المعنى الموجود هنا – **إن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأَصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأوَاهُ وَمُنتَهَاهُ – بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ** – في أصل الخلقة، في التكوين، في التشريع، في عوالم الطبيعة، في عوالم الشهادة، في عوالم الغيب، في الملأ الأعلى، في الملأ الأسفل، في كل جزءٍ من أجزاء الوجود – **بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ، وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ** – الغيث هذا شأنٌ جزئيٍ من شؤون العالم الدنيوي – **وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ** – إذا أريد من الغيث المطر وإذا أريدَ من الغيث الفيض سيكون المعنى أوسع من ذلك يعني ما يغاث به الناس، والناس يغاثون بالمطر وبكل نحوٍ من أنحاء الرزق المادي والمعنوي – **وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ.**

الله سبحانه وتعالى مثلما جعل مَلَك الموت سبباً لتفعيل معنى الموت في حياة الناس لا يعترضُ أحدٌ على ذلك لكن حينما يكون الكلام عن أهل البيت تأتي الاعتراضات، الله سبحانه وتعالى لحقائق أهل البيت الأولى النورية، للمخلوق الأول، للكلمة الأولى الله سبحانه وتعالى أعطاها القدرة وأعطاها الإمكانية على أن تتصرف في هذا الوجود، فهي تنزل الغيث وهي تُمسك السماء أن تقع على الأرض، مثلما أعطى لملك الموت القدرة على الإماتة على أن يميت أي مخلوق من الحيوانات من الجن ومن الإنس، بل إن الذين يقومون بدور الإماتة هم أعوانه هم جند ملك الموت، مثل ما الله سبحانه وتعالى أعطانا القدرة على أن نتصرف وأن نصنع وأن نتحرك بأيدينا وبأرجلنا ونحن متمكنون من ذلك ولا نشعر بأن أحداً يتصرف فينا، نحن الآن نستطيع أن نجلس أن نقوم أن ننام أن نأكل أن نشرب أن نصنع ما نريد أن نصنع ولا نشعر بأن أحداً يجبرنا على ذلك ولا نتوجه إلى الله بالدعاء أيضاً يعني الآن حينما نجلس على كرسي ونريد أن نقوم هل ندعو الله سبحانه وتعالى يا ربي مكني بحق مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد بحق أنبياءك أن أقوم؟!

هذه ولاية تكوينية هذا تفويض من الله للعباد، مثل ما أن الله سبحانه وتعالى فوّض هذه القدرة عندي بحسبي وبحدودي الله سبحانه وتعالى فوّض قدرةً أوسع عند الحقيقة المحَمَّدية، فما هو الفارق بين هذا التفويض وهذا التفويض؟ هذا تفويضٌ محكومٌ بحكم الله ولا يكون إلا بإذن الله وذلك تفويضٌ محكومٌ بحكم الله ولا يكون إلا بإذن الله، والقوة عندي في هذا التفويض من الله، والقوة في الحقيقة المحَمَّدية قوةٌ من الله، الفارق في السعة والضيق، مثل ما أن الله سبحانه وتعالى سلطني على بدني وأعطاني قدرات وولاية أستطيع أن أتصرف ببدني، وأعطاني قدرة وولاية على أن أتصرف وأؤثر في كثيرٍ من الأشياء المحيطة بي

لكن بحدودي، الدائرة ضيقة لأن حكمتي ولأن قدرتي وقابليتي وعلمي وفهمي محدود، حينما العلم والفهم والقدرة والحكمة واسعة في الحقيقة المحَمَّدية ستكون الدائرة واسعة، المِلاك الذي حصّلت به على هذه القدرة هو نفس المِلاك الذي حصّلت به الحقيقة المحَمَّدية على قدرتها، لكن ماذا نصنع لهذه العقول البائرة – **بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ، وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ، وَبِكُم يُمسِكُ السَّماءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرضِ** – وهذه مصاديق من الشؤونات الكونية.

كما قلت بأن قانون النشر في الزيارة هو نشرٌ تجزيئي جزئي لأننا لا يمكن أن نحيط بكل شؤونات الكون إنما هي نماذج – **بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ، وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ، وَبِكُم يُمسِكُ السَّماءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأرضِ إلاّ بِإذنِهِ** – هذا في البعد المادي، بكم ينزّل الغيث، بكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه – **وَبِكُم يُنَفِّسُ الهَمَّ** – هذا في البعد المعنوي – **وَبِكُم يَكشِفُ الضُّرَّ** – الضرّ قد يكون مادياً وقد يكون معنوياً، هذه نماذج من كل أشكال وشؤونات الكون – **وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ، وَبِكُم يُمسِكُ السَّماءَ** – ينزل الغيث بخصوص عالم الأرض – **وَبِكُم يُمسِكُ السَّماءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأرضِ إلاّ بِإذنِهِ** – هذا للسماء لِما هو خارج الأرض وكلها مصاديق مادية – **وَبِكُم يُنَفِّسُ الهَمَّ وَيَكشِفُ الضُّرَّ** – الهمَّ للجانب المعنوي، الضُر قد يكون مادياً قد يكون معنوياً وقد يكون برزخياً بين المادة والمعنى وقد يكون خليطاً من المادة والمعنى، الإنسان يصاب بمرض مادي وآثاره نفسيه، هذه مصاديق، نماذج، أمثلة لشؤونات الكون التي لا تتحرك ولا تكون إلا بهم صلوات الله عليهم – **بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ، وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ، وَبِكُم يُمسِكُ السَّماءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأرضِ إلاّ بِإذنِهِ، وَبِكُم يُنَفِّسُ الهَمَّ وَيَكشِفُ الضُّرَّ، وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ** – هبطت به ملائكته من الأوامر من القواعد من السنن، ونزلت به رسله الرسل هم أيضاً ملائكة لكنهم ينزلون بشأنٍ أعلى رتبةً من بقية الملائكة، كنزول جبرئيل أو نزول ميكائيل على الأنبياء – **وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ** – على من؟

على كل الأنبياء، على كل الأوصياء، على كل الأولياء، ما كان بنحوٍ جليّ وما كان بنحوٍ خفيّ، الملائكة تنزل على الأنبياء بنحوٍ جليّ، وقد تنزل على الأوصياء والأولياء بنحوٍ خفيّ بنحوٍ غير واضح غير محسوس – **وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ** – يعني أنكم تحيطون بشئون العالم وبشئون الأرض في الجانب التكويني وفي الجانب التشريعي، نزول الغيث، الإمساك بالسماء أن تقع على الأرض، تنفيس الهمّ، كشف الضر قضايا تقع في الجانب التكويني – **وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ** – في الجانب التشريعي، وأن الديانات كلها بأيديكم كل الأديان التي نزلت من السماء، هو الدين واحد، الدين عند الله هو الإسلام، لا يوجد هناك دينٌ آخر، الدينُ واحد منذ آدم وإلى يوم القيامة، لكن التشريعات

تكون بحسب كل زمانٍ ومكان حتى نزلت الديانة الخاتمة، كل الديانات قائمة على نبوة نبينا وولاية عليٍّ وآل عليّ وهذا المعنى صرّحت به مجموعات كبيرة ووفيرة وعديدة من كلمات النبي وآل النبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ** – في التكوين والتشريع – **وَإلى جَدِّكُم** (وإذا كانت الزيارة لسيد الأوصياء: **وَإلَى أَخِيكَ**) **وَإلى جَدِّكُم بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِينُ** – الروح الأمين اسمٌ معروفٌ لجبرئيل، وقد يقال أنه عنوانٌ لمعنىً آخر إلى الروح الذي ينزل في ليلة القدر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ في الروايات أن هذا الروح خلقٌ أعظم من الملائكة، لَمَّا يسألون الأئمة هل الروح المذكور في سورة القدر هو جبرئيل؟ قالوا لا، جبرئيل من الملائكة، الملائكة تتنزل والروح فيها جبرئيل داخلٌ في الملائكة يتنزل هو أيضاً لكن الروح خلقٌ أعظم من الملائكة فقد يكون هذا العنوان عنوانٌ للروح الأعظم، وعلى أي حالٍ المشهور أن الروح الأمين هو جبرئيل – **وَإلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِينُ** – والحديث عن بعثة ونبوة، هذا المقطع هنا يتحدث عن النبوة، نحن هنا بحاجة لأن نتحدث عن النبوة وعن الإمامة وعن الولاية لكنني سأترك هذا الكلام إلى برنامج ملف العصمة.

بعد أيام قلائل سأشرع في برنامج ملفُّ العصمة سأتحدث عن النبوة والإمامة والولاية، لأن النبوة لها مقامان: هناك مقام الحُبّ وهناك مقام العبودية، النبيُّ عبدٌ وحبيب، هو عبد الله وهو حبيب الله، والإمامة أيضاً لها مقام الحب ومقام العبودية، عليٌّ عليه السلام حبيب الله وعبد الله، الولايةُ هي مقام النور، الولاية أعلى رتبةً من النبوة والإمامة، فالنبوة والإمامة من فروع الولاية، اللهم إلا إذا أردنا أن نطلق النبوة ونقصد منها الولاية فتكون النبوة هي الولاية، أو نطلق الإمامة ونقصد منها الولاية، وحتى الرسالة، الرسالةُ لها مقامان مقام الحب ومقام العبودية، النبيُّ صلى الله عليه وآله رسولٌ حبيب ورسولٌ عبد، مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله في مقام الرسالة تارةً يكون في مقام الحب وأخرى في مقام العبد في مقام العبودية، وفي النبوة كذلك، وفي الإمامة كذلك، النبيُّ صلى الله عليه وآله، مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله نبيٌّ رسولٌ إمام وهو وليٌّ، مقام ولايته أوسع من كل هذه المقامات، وعليٌّ وصيٌّ وإمام ومقام ولايته أوسع من كل هذه المقامات، وهنا يأتي كلام أن الروح الأمين بُعثَ إلى النبي صلى الله عليه وآله فهل كان النبيُّ محتاجاً بذاته إلى الروح الأمين؟ أبداً حاجة النبي إلى جبرئيل كحاجته للطعام وللشراب، النبي صلى الله عليه وآله كان في العالم الدنيوي بحسب الحياة التي كان يحياها بين الناس كان محتاجاً إلى الطعام والشراب، لكن يأتي هنا سؤال هل كان بإمكان النبي بحكم منزلته التكوينية وولايته التكوينية أن يكون مستغنياً عن الطعام والشراب؟

نعم الزيارة تقول: **وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم**، وذلَّ كل شيءٍ لكم أي أنهم لا يحتاجون شيئاً فلا يحتاجون طعاماً ولا شراباً إذا أكلوا وإذا شربوا فإنما هو بحكم وجودهم في هذا الوعاء الدنيوي، ومع ذلك كان النبي صلى

الله عليه وآله يصوم صوم الوصال وإن كانت هذه القضية قضية ظاهرية وأنا أتحدث عن معنىً أعمق ولكن لتوضيح المطلب، كان النبي صلى الله عليه وآله يصوم صوم الوصال وصوم الوصال أن يوصل صيام ليله بنهاره وصيام هذا اليوم باليوم الذي يأتي بعده بدون أكلٍ أو شرب وهو محرمٌ على الأُمَّة، صوم الوصال مُحرمٌ، المراد من حرمة صوم الوصال ليس أنه حرمة عدم الأكل وإنما المراد من حرمة نية صيام الوصال وهذه مسألة فقهية، فكان النبي صلى الله عليه وآله يوصل ليله بنهاره فحينما يقولون له يا رسول الله هل نصوم مثلك صيام الوصال؟

قال: إن معي ربي يطعمني ويسقيني، هناك طعامٌ وسقيٌ للنبي صلى الله عليه وآله، إن معي ربي يطعمني ويسقيني لذلك كان يصوم من دون أن يأكل من دون أن يشرب يريد أن يشير إلينا بأنه لا حاجة له بالطعام والشراب، لا ولاية للطعام على النبي، الطعام له ولايةٌ عليّ، أنا إذا تركت الطعام أموت، إذا تركت الشراب أموت، نحن إذا تركنا الطعام والشراب نموت، نتحمل يوم يومين ثلاثة إلى وقت معين بعد ذلك يصيبنا الهزال ثم المرض والموت، النبي صلى الله عليه وآله، وذَلَّ كل شيءٍ لكم، لا يحتاج إلى الطعام والشراب، حاجته إلى الطعام والشراب بحسب الظرف الوعائي الدنيوي، فهل كان يحتاج جبرئيل؟ أبداً، جبرئيل كان يأتي فيجلس بين يديه جلسة العبد، والملائكة خدامنا وخدام شيعتنا، ما كان محتاجاً لجبرئيل، حاجته لجبرئيل كحاجته للطعام وهو مستغنٍ عن الطعام، لكنه يأكل ويشرب وينام، حاجته للنوم يحتاجه لكنه تنام عيناه ولا ينام قلبه أيُّ نومٍ هذا؟! ومع ذلك حتى هذا النوم هو لا يحتاجه صلى الله عليه وآله، هي هذه إشارة إلينا أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه، أي أنه يستطيع مثل ما يصوم صوم الوصال إن معي ربي يطعمني ويسقيني فهو ينام تنام عيناه ولا ينام قلبه، ولذلك حينما جاء أبو ذر في يوم من الأيام وكان النبي نائماً في بستان في حائط من الحوائط، حائط يعني بستان، في حائط من حوائط المدينة فأبو ذر كان عنده حاجة عند النبي ما أراد أن يوقظ النبي بشكلٍ مباشر، وإنما أخذ عرقاً يابساً ووقف جانباً وبدأ يُكَسِّر حتى يحدث صوت لعل النبي يستيقظ، النبي خاطبه وهو في نومه قال يا أبا ذر لا تفعل ذلك فإنني أسمع وأرى، لَستَ بحاجة إلى أن تفعل هذا الفعل إنني أسمع وأرى يا أبا ذر، النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه وهل هو هذا نوم؟ ليس بنوم، النبي ليس محتاجاً للنوم، ليس محتاجاً للطعام والشراب، إنما ينام يأكل الطعام يشرب الشراب بسبب وجوده في هذا الوعاء الدنيوي.

نحن محكومون بهذا الوعاء الدنيوي، النبي صلى الله عليه وآله كما تقدم في الحديث عن البُعد المجرد للمادة وفي البُعد الإحاطي الذي هو عند أهل البيت هم فوق المادة وهم يتصرفون فيما وراء المادة – **وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم** – حتى وجودهم وكيانهم المادي هو تحت قدرتهم النورية، وذل كل شيءٍ لهم، كل شيءٍ ذل لأهل البيت، ذل لمحَمَّدٍ وآل محَمَّد حتى وجودهم المادي فهم تحت ولايتهم تحت سيطرتهم وبذلك

يستغنون عن هذه المعاني كلها، فالنبي مستغنٍ عن جبرئيل، جبرئيل محتاجٌ للنبي صلى الله عليه وآله، الملائكة سبحت بتسبيحهم، هم علموا الملائكة، جبرئيل تعلم من مُحَمَّدٍ وعليّ والروايات مرت علينا، لكن الحديث هنا عن المقام الدنيوي للنبوة خصوصاً وأن الكلام عن الجانب التكويني في العالم الأرضي – **وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ، وَبِكُم يُمسِكُ السَّماءَ أن تَقَعَ عَلَى الأَرضِ إلاّ بِإذنِهِ** – إلى أن – **وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ وَإلى جَدِّكُم بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِينُ** – العبارة التي تأتي بعد هذه العبارة تشرح المعنى واضحاً – **آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَم يُؤتِ أَحَدا مِنَ العَالَمِينَ** – آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، أنتم متفردون في كل شيء، كل شيءٍ الله سبحانه وتعالى أعطاه لكم فهو خاصٌ بكم – **آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَم يُؤتِ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ** – لأنه أعطاكم القدرة الواسعة، أعطاكم الرحمة الواسعة، أعطاكم الجمال الواسع، أنتم أجمل الجمال، أكمل الكمال، أجلّ الجلال، أنتم القدرة المستطيلة التي استطال بها على كل شيء، أنتم الكلمات الأتم، الرحمة الأوسع، أنتم ... أنتم ... لأنه لا فرق بينكم وبينه إلا أنكم عباده وخلقه كما في دعاء الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه.

آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَم يُؤتِ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ طَأطَأَ كُلُّ شَرِيف لِشَرَفِكُم وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّر لِطَاعَتِكُم وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّار لِفَضلِكُم – هذا هو جمعٌ لما تقدم في الزيارة الجامعة الكبيرة مر علينا – **حَتّى لا يَبقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرسَلٌ، وَلا صِدّيقٌ وَلا شَهيدٌ، وَلا عالِمٌ وَلا جاهِلٌ، وَلا دَنِيٌّ وَلا فاضِلٌ، وَلا مُؤمِنٌ صالِحٌ، وَلا فاجِرٌ طالِحٌ، وَلا جَبّارٌ عَنيدٌ، وَلا شَيطانٌ مَريدٌ، وَلا خَلقٌ فيما بَينَ ذلِكَ شَهيدٌ** – كل المراتب الخلقية الصالحة والطالحة – **إلاّ عَرَّفَهُم جَلالَةَ أَمرِكُم، وَعِظَمَ خَطَرِكُم، وَكِبَرَ شَأنِكُم وَتَمامَ نُورِكُم، وَصِدقَ مَقاعِدِكُم** – إلى آخر ما جاء في الزيارة الشريفة كل هذه الموجودات الله سبحانه وتعالى سَيُعَرِّفها وهذه الموجودات في أصل وجودها تعرف هذه الحقيقة وإلا لـمَا وجدت – **طَأطَأَ كُلُّ شَرِيف لِشَرَفِكُم** – وكل شريفٍ هو خاضعٌ لولايتكم، وكل متكبر هو خاضعٌ لولايتكم، وكل جبارٍ هو خاضعٌ لولايتكم.

ولو أردنا أن نقرأ سيرة المعصومين وما ظهر من المصاديق العملية في ولايتهم التكوينية على الطواغيت الذين عاشوا في أيامهم هناك حوادث كثيرة موجودة مبثوثة في كتب الحديث ليس من مجالٍ لذكرها وتفصيل القول فيها – **طَأطَأَ كُلُّ شَرِيف لِشَرَفِكُم وَبَخَعَ** – بخع أي خضع وذل – **طَأطَأَ كُلُّ شَرِيف لِشَرَفِكُم وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّر لِطَاعَتِكُم وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّار لِفَضلِكُم** – وهذه المعاني لها صور ومقامات، لها مقاماتٌ في أصل الخلقة فكل الخلقة في أصلها خاضعةٌ لهم، ولها مقاماتٌ في يوم القيامة فهم الحاكمون في يوم القيامة، عليٌّ قسيم الجنة والنار هو الذي يدخل أهل الجنان إلى جنانهم وأهل النيران إلى نيرانهم، وهو الذي يغلقُ أبواب الجنان ويغلق أبواب النيران، وهو الذي يزوج أهل الجنان في جنانهم، وهو الذي ينادي في أهل الجنان خلودٌ

خلود وينادي في أهل النيران خلودٌ خلود، وهو صاحب الأعراف صلوات الله وسلامه عليه، لهذا أيضاً مظاهرٌ في العالم الدنيوي عند ظهور إمام زماننا في الرجعة والأوبة والكرات العلوية تتحقق هذه المعاني – **طَأطَأَ كُلُّ شَرِيف لِشَرَفِكُم وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّر لِطَاعَتِكُم وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّار لِفَضلِكُم** – وحتى في زمان الغيبة وفي زمان الهدنة وفي حياة الأئمة هذه المعاني تتحقق بشكلٍ نسبي، هذا الخضوع وهذا البخوع لعلمهم لفضلهم لقدرتهم ولولايتهم التكوينية إن أرادوا تنفيذها وتفعيلها – **طَأطَأَ كُلُّ شَرِيف لِشَرَفِكُم وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّر لِطَاعَتِكُم وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّار لِفَضلِكُم** – وهذا القانون الواضح – **وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم** – كل هذه المعاني تقع تحت هذا القانون، هذه قاعدة القاعدة الأم في الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم**.

هم ذلوا لله فذل كل شيءٍ لهم صلوات الله عليهم، أليس الأحاديث تقول: إذا خاف العبد من الله أخاف الله منه كل شيء؟ إذا خاف العبد من الله وهذه هي الخيفة الحقيقية أخاف الله منه كل شيء، هذا المعنى يطبقونه على بعض مشايخ الصوفية يكون صحيح، لكن حين نطبقه على أهل البيت لن يكون صحيحاً – **وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم** – هم ذلوا لله، هم في أقصى درجات المذلة بين يدي الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى ذلل لهم كل شيء – **وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم** – ذل كل شيءٍ لكم لا بالدعاء، مثل ما نحن تذل لنا الكثير من الأمور في حياتنا وتكون تحت سلطتنا، الكثير من الأمور الآن مثلاً الحشرات الصغيرة أليس بإمكاننا أن نقتلها؟ أليس بإمكاننا أن نتصرف فيها؟ أن نصنع ما نصنع فيها؟! الله سبحانه وتعالى ذللها لقدرتنا، وأشياء كثيرة، الطبيعة الموجودة الآن، الله سبحانه وتعالى ألم يذلل الطبيعة يذلل الأرض لنا؟ ألم يسمي الأرض ذلول لماذا سميت الأرض ذلول؟ لأن الله ذللها كي يستطيع الإنسان أن يتصرف فيها، أن يعمرها، أن يحيا فيها، أن ينشأ فيها، أن يتناسل، أن تتواصل الحياة فيها، فذلل الأرض لنا فكانت ذلولاً.

الله سبحانه وتعالى ذلل كل شيءٍ للحقيقة المُحَمَّدية – **وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم** – من دون دعاء، من دون حاجة إلى التوسل والابتهال، الله سبحانه وتعالى أعطاهم القدرة لأن تذل الأشياء بين أيديهم – **وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم وَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِكُم** – وهذا الإشراق بكل المعاني إن كان المراد بمعنى الإشراق الشمسي أن الشمس تشرق ونور الشمس من نورهم، الروايات تقول هكذا، نور الشمس من نورهم صلوات الله عليهم، نور الشمس من نور الحسن صلوات الله عليه هكذا في الروايات، الشمس والقمر نورهما من نور أبي مُحَمَّدٍ صلوات الله عليه، من نور إمامنا الحسن – **وَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِكُم** – إن كان المراد النور الحسي وهو نور الشمس فهو من نورهم، أو كان المراد من النور هو نور الهداية فالهداية بهم ومنهم صلوات الله عليهم، وإذا كان المراد أن الأرض تشرق بنورهم بنور العدالة حين ظهور إمام زماننا فإمام زماننا منهم وبهم وإليهم، وإن كان المراد من إشراق النور هو نور الوجود الله نور السموات والأرض فهم نوره الذي جاء في هذه الآية في

آية النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرض مَثَلُ نُورِهِ كَمِشكَاةٍ﴾ والمشكاة محَمَّد صلى الله عليه وآله – **وَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِكُم وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُم** – بماذا فازوا؟ فازوا بالمعرفة وبالعلم وبالفضل وبالنقاء وبالطهارة، مر علينا ونحن نقرأ في الزيارة الجامعة: **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيكُم وَما خَصَّنا بِهِ مِن وِلايَتِكُم طيباً لِخَلقِنا، وَطَهارَةً لأنفُسِنا، وَتَزكِيَةً لَنا، وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا.**

حين نقرأ في الكتاب الكريم في سورة الجن الآية السادسة بعد العاشرة ﴿وَأَّلو استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسقَينَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾ ساروا السيرة المستقيمة، قطعاً حينما يسيرون السيرة المستقيمة لابد أن تكون الطريقة طريقةً مستقيمة ﴿وَأَّلو استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ لابد أن تكون الطريقة مستقيمة حتى يستطيع الإنسان أن يستقيم عليها، إذا كانت الطريقةُ معّوجة كيف يستطيع الإنسان أن يستقيم عليها ﴿وَأَّلو استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسقَينَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾ هذا ماء الفيض ﴿مَّاءً غَدَقاً﴾ الماء الغدق الماء المتوافر المتواصل الماء الغيداق، يقال عينٌ غيداقه، العين الغيداقه التي تفور بالماء النقي ﴿وَأَّلو استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسقَينَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾ ماذا يقول أئمتنا؟ في الكافي هذا هو الجزء الأول والرواية عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، أصلاً هناك عنوان أحد أبواب الجزء الأول باب أن الطريقة التي حُثَّ على الاستقامة عليها ولاية عليٍّ عليه السلام، الرواية الأولى في هذا الباب: **عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه في قوله تعالى:** ﴿وَأَّلو استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسقَينَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾ **قال: يعني لو استقاموا على ولاية عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماءً غدقاً** – ما هو هذا الماء؟ يقول – **لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقةُ هي الإيمان بولاية عليٍّ والأوصياء** – وألوا استقاموا على الطريقة، الطريقةُ هي الإيمان بولاية عليٍّ والأوصياء، لَأَسقَينَاهُم مَّاءً غَدَقاً.

هو نفس الكلام الذي مر علينا في الزيارة الرجبية، مر علينا في الزيارة الرجبية بعد أن يزور الزائر أئمته ماذا يقول؟ – **وأن يُرجِعَني مِن حَضرَتِكُم خَيرَ مَرجَع** – إلى أهله يرجع – **إلىَ جَنابٍ مَمرِع وخَفضٍ مُوسِّع ودَعةٍ ومَهل إلى حين الأَجَل وخَير مَصيرٍ ومَحَل في النّعيمِ الأَزَل** – هذا الجناب الممرع الجناب يعني الساحة التي تكثر أشجارها وخمائلها ورياضها النضرة وتفور فيها المياه فوراناً، هذه هي الحياة المعنوية ﴿وَأَّلو استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسقَينَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾ هذا هو الجناب الممرع – **إلىَ جَنابٍ مَمرِع وخَفضٍ مُوسِّع**

ودَعةٍ ومَهل إلى حين الأَجَل – هذا هو العيش المعنوي بكل معانيه مع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

العبارة التي بعدها توضح المعنى بشكلٍ أكثر – **وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُم** – هو هذا الفوز بهذا الماء الغيداق بهذا الماء الطُهر بهذا الإيمان الحقيقي الذي تتشرب به قلوب المؤمنين – **وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُم بِكُم يُسلَكُ إِلَى الرِّضوَانِ** – بكم يسلك إلى الرضوان، إلى الرضوان في العالم الدنيوي وإلى الرضوان في العالم الأخروي – **وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُم، بِكُم يُسلَكُ إِلَى الرِّضوَانِ** – أيُّ رضوانٍ هذا؟ رضوان الباري سبحانه وتعالى الذي لا نستطيع أن نتصور معانيه، في رواياتنا في أحاديثنا عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **عن الحسين بن علي، عن سيد الشهداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألزموا مودّتنا أهل البيت فإنه من لقي الله يوم القيامة وهو يودّنا** – هذا كلام رسول الله ينقله إلينا سيد الشهداء، وهذا هو الجزء الثامن والستون من كتاب بحار الأنوار – **ألزموا مودّتنا أهل البيت فإنه من لقي الله يوم القيامة وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا والذي نفسي بيده** – النبي يقول – **والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا** – **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – من قصده من دون التوجه بكم لا عبادة له ولا عمل ولا توحيد – **والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا.**

عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وهو يخاطب مصقلة الطحّان يقول: مَا يَمنَعُكَم مِن أن تَشهَدوا عَلى مَن مَاتَ مِنكُم عَلى هَذا الأَمر أَنّه مِن أَهلِ الجَنّة – من أن تشهدوا من أن تقطعوا بقطع اليقين، أشهدوا وقروا بذلك بأن من مات منكم يا شيعة علي على ولاء عليٍّ وآل عليّ فإنه من أهل الجنة، الإمام يقول هكذا إمامنا الصادق، الرواية ينقلها الشيخ المجلسي عن تفسير العياشي رضوان الله تعالى عليه – **مَا يَمنَعُكَم مِن أن تَشهَدوا عَلى مَن مَاتَ مِنكُم عَلى هَذا الأَمر أَنّه مِن أَهلِ الجَنّة، إن الله يقول:** ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ **كذلك حقّاً علينا** – ما هو هذا الحقّ؟ – **نجاة المؤمنين** – ونجاة المؤمنين بدخولهم الجنان.

رواية جميلة عن سُماعة أو سِماعة بن مهران – **دخل سُماعة بن مهران على الصادق عليه السلام فقال له: يا سُماعة من شر الناس؟ قال: نحن يا ابن رسول الله** – الإمام الصادق يسأل سُماعة، من شر الناس؟ قال: نحن يا ابن رسول الله، سماعة يريد أن يشير إلى معنى آخر – **قال: فغضب** – الإمام – **حتى احمرّت وجنتاه** – الإمام أيضاً هو يعرف مقصوده لكن أراد أن يبين حقيقة – **فغضب حتى احمرّت وجنتاه ثمَّ استوى جَالِساً وكَان مُتكئاً فقال: يا سُماعة من شَرُّ الناس عند الناس؟ فقلت: والله ما كذبتك يا ابن رسول الله** – الإمام بدل السؤال بطريقة تتناسب فهم ما يريد، هو يعلم بما يريد سُماعة، السؤال بالبداية يا

سُماعة من شر الناس؟ سماعة أراد أن يستغل هذا السؤال وأراد أن يوجه الكلام إلى جهة أخرى، الإمام وجه الكلام إلى هذه الجهة التي أرادها سماعة – **يا سُماعة من شر الناس عند الناس؟ فقلت: والله ما كذبتك يا ابن رسول الله نحن شرُّ الناس عند الناس لأنهم سمونا كفاراً ورافضة، فنظر إليَّ ثمَّ قال: كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنة وسيق بهم إلى النار فينظرون إليكم ويقولون مالنا لا نرى رجالاً كنَّا نعدَّهم من الأشرار، يا سماعة بن مهران إنه من أساء منكم إساءةً مشينا إلى الله تعالى يوم القيامة بأقدامنا فنشفع فيه فَنُشَفّع والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، والله لا يدخل النار منكم خمسة رجال، والله لا يدخل النار منكم ثلاثة رجال، والله لا يدخل النار منكم رجلٌ واحد، فتنافسوا في الدرجات وأكمدوا عدوكم بالورع** – نفس الرواية التي تقدمت قبل قليل أنه أشهدوا على من مات منكم على أنه قد دخل الجنة، أصلاً المعاني تذهب إلى أعمق من ذلك وإلى أبعد من ذلك.

رواية جميلة يرويها البرقي في المحاسن الشيخ المجلسي ينقلها هنا في الجزء الثامن والستين – **عن موسى بن بكر قال: كُنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فقال رجلٌ في المجلس: أسأل الله الجنة** – يدعو يطلب الجنة – **فقال أبو عبد الله: أنتم في الجنة الآن فاسألوا الله أن لا يخرجكم منها فقالوا: جُعلنا فداك نحن في الدنيا! فقال: ألستم تقرون بإمامتنا؟ قالوا: نعم، فقال: هذا معنى الجنة الذي من أقر به كان في الجنة فاسألوا الله أن لا يسلبكم** – أنتم في الجنة، الجنةُ أنتم يا آل محَمَّد، الجنةُ ولايتكم، هو نفس المعنى، نفس المضمون الذي نجده في مناجاة المحبين ونحن نناجي الباري سبحانه وتعالى ومَرَّ قبل قليل في زيارة الإمام الحجة – **بِكَ صِلني عَنكَ لا تَقطَعني** – بك صلني لا تقطعني يا ابن رسول الله – **ولاَ تَقطَعني عَنك** – من وصلهم فقد وصل الله، من والاهم فقد والى الله – **ولاَ تَقطَعني عَنك ولاَ تَبعِدني مِنك يَا نَعيمي وَجَنّتي وَيَا دُنيايَّ وآخِرَتي** – هذا مظهرٌ من مظاهر الجنة ومعنٍ من معانيها – **ولاَ تَقطَعني عَنك ولاَ تَبعِدني مِنك يَا نَعيمي وَجَنّتي وَيَا دُنيايَّ وآخِرَتي** – هذه مناجاة المحبين المنقولة عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه.

ورواية إمامنا الصادق يقول أنتم في الجنة فاسألوا الله أن لا يسلبكم هذه النعمة، نحن في ولاية عليٍّ وآل عليّ نحن في الجنة، أمير المؤمنين كان يقول: جلوسي في المسجد أحبُّ إليَّ من جلوسي في الجنة، لِماذا يا أمير المؤمنين؟ يقول: لأن جلوسي في المسجد فيه رضا ربي وجلوسي في الجنة فيه رضا نفسي، ولايتي لعليٍّ في الدنيا أحبُّ إليّ من الجنة، هو هذا المعنى نفس المعنى الذي يشير إليه إمامنا الصادق، لأننا ونحن في ولاية عليٍّ نحن في أقرب القربات إلى الله – **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – هو هذا التوجه، هذا معنٍ من معاني

الرضوان في العالم الدنيوي، وهذا الرضوان الدنيوي سيتحول إلى رضوانٍ آخر.

هذا هو الجزء السابع والسبعون من بحار الأنوار الرواية عن أمير المؤمنين، الرواية طويلة جداً في مناجاة الباري مع النبي في المعراج ماذا قال له؟ – **يا أحمد إن في الجنة قصراً** – أيّةُ جنة؟ هذه جنةٌ خاصة، فأدخلي في نعيمي وجنتي – **يا أحمد إن في الجنة قصراً من لؤلؤةٍ فوق لؤلؤة** – أيُّ قصرٍ هذا؟ – **من لؤلؤةٍ فوق لؤلؤة** – يعني قصر بكامله مبني من لؤلؤة واحدة وفوقها لؤلؤة، وهذه رموز – **يا أحمد إن في الجنة قصراً من لؤلؤةٍ فوق لؤلؤة، ودرةٍ فوق درة ليس فيها قصمٌ ولا وصل** – يعني لا توجد فيها خطوط لا توجد فيها تقطيع، الآن مثلما ما نبني الجدران من الطابوق من الأحجار من الخشب من الحديد من الزجاج قطع يتصل بعضها بالبعض الآخر وهناك فواصل – **إن في الجنة قصراً من لؤلؤةٍ فوق لؤلؤة ودرةٍ فوق درة ليس فيها قصمٌ ولا وصل، فيها الخواص** – خواص أولياء أهل البيت – **أنظر إليهم** – الله ينظر إليهم – **كل يوم سبعين مرة وأكلمهم، كلما نظرت إليهم أزيد في ملكهم سبعين ضِعفاً وإذا تلذذ أهل الجنة بالطعام والشراب تلذذوا بكلامي وذكري وحديثي** – معي ربي يطعمني ويسقيني هذا مظهر آخر من مظاهر ولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – **وإذا تلذذ أهل الجنة بالطعام والشراب تلذذوا بكلامي وذكري وحديثي قال: يا ربي ما علامة أولئك؟ قال: هم في الدنيا مسجونون** – بأي شيءٍ سجنوا؟ – **قد سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام** – فضول الكلام الذي هو غير هذا الكلام الذي سيأتي ذكره كلامهم نور، فضول الكلام هناك كلامٌ نور وهناك كلامٌ ظلمة وهو كلام أعداء أهل البيت، وهناك فضول الكلام وهو ما بين الكلامين، هؤلاء سجنوا ألسنتهم لا ينطقون لا يتكلمون لا يفكرون كل تفكيرهم لأن الكلام هو صورةٌ عن التفكير، جُعِلَ اللسان على الفؤاد دليلا، اللسان يفصح عمَّا في الجَنان – **سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام** – وماذا؟ – **وبطونهم من فضول الطعام** – الطعام هو العلم هنا.

الرواية جميلة جداً هنا في الجزء الثامن والستين من بحار الأنوار، الرواية عن إمامنا أبي الحسن الثالث، يعني الإمام الهادي عن صاحب الزيارة الجامعة الكبيرة – **قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يخاطب أمير المؤمنين: يا عليّ إن الله عزَّ وجلَّ قد غفر لك ولشيعتك ولمُحبي شيعتك ومُحبي محبي شيعتك فابشر فإنك الأنزع البطين** – يا عليّ إنك الأنزع البطين، موطن الشاهد هنا: منزوعٌ من الشرك بطينٌ من العلم – بطنٌ وعلم، منزوعٌ من الشرك، الأنزع البطين هو المنزوع من الشرك هو البطين من العلم – **قد سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام وبطونهم من فضول الطعام** – لأن الطعام منه ما هو حلالٌ طيب وهو علم أهل البيت ومنه ما هو حرامٌ خبيث وهو فكر وعلم وحديث المخالفين لأهل البيت ومنه ما هو فضولٍ ما هو بينهما، هؤلاء الأولياء الذين ينظر إليهم الباري كل يومٍ سبعين مرة ويكلمهم – **كلمَّا نظرت**

إليهم أزيد في مُلكِهم سبعين ضِعفاً وإذا تلذذ أهل الجنة بالطعام والشراب تلذذوا بكلامي وذكري وحديثي – ما هي علاماتهم؟ – **قد سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام** – كما قلت فضول الكلام ما يقع بين الكلام النور والكلام الظلمة – **وبطونهم من فضول الطعام** – ما يقع بين الطعام الحلال الطيب والطعام الحرام الخبيث، وما أكثر ما ننشغل بمثل هذا، نحن أشياعهم ومحبوهم ما أكثر ما ننشغل بفضول الطعام وبفضول الكلام.

هؤلاء هم الذين يحدثنا إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الجزء الثاني والخمسون من بحار الأنوار هذه رواية مهمة جداً، جداً، جداً، جداً إلإمام يحدث أبا خالدٍ الكابلي، إمامنا السجاد فيقول: **تمتد الغيبةُ بِوَلّي الله الثَاني عَشَر مِن أَوصيَاء رَسول الله صلى الله عليه وآله والأئِمة بعده، يا أبا خالد إن أهل زَمانِ غَيبَتِه القائلون بَإمامته** – نحن نقول بإمامته – **المُنتَظِرون لِظهورِه** – نحن ننتظر ظهوره – **أَفضَلُ أَهل كُل زَمَان** – فهل نحن من هؤلاء؟! هل نحن أفضل أهل كل زمان؟! تبين الرواية – **لأنَّ الله تَعالَى ذِكرُه أَعطَاهُم مِن العُقُولِ والأَفهَامِ والمَعرِفة مَا صَارَت بِهِ الغَيبة عِندَهُم بِمَنزِلة المُشاهَدة** – من هم هؤلاء الذين الله سبحانه وتعالى أعطاهم العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة؟ أولئك الذين سجنوا ألسنتهم عن فضول الكلام، والحديث هنا ليس عن ألفاظ يعني سجنوا عقولهم عن الفكر الزائد ليس عن الفكر المُظلم، عن فضول الكلام شيء زائد عن ما هو الأفضل وما هو الأكمل، وسجنوا بطونهم عن فضول الطعام، هناك علمٌ حلالٌ طيب طعامٌ حلالٌ طيب وطعامٌ حرام وفضولٌ بينهما، وهناك كلامكم نور وكلامهم ظلمة وفضولٌ ما بينهما، الذين سجنوا عقولهم وقلوبهم على هذا العلم النوري وعلى هذا الحديث النوري، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا أن نكون من خدام هؤلاء من الذين سجنوا ألسنتهم وسجنوا عقولهم إلا عن أهل البيت صلوات الله عليهم لعلنا أن نكون في حواشي هؤلاء – **لأنَّ الله تَعالَى ذِكرُه أَعطَاهُم مِن العُقُولِ والأَفهَامِ والمَعرِفة مَا صَارَت بِهِ الغَيبة عِندَهُم بِمَنزِلة المُشاهَدة** – هذا هو التلذذ هذه هي اللذة التي مر الحديث عنها وهذه هي الجنة التي نسأل الله أن لا يسلبها منَّا، هذه جنة أهل البيت، يا نعيمي وجنتي ويا دنياي وآخرتي، تركت للناس دنياهم ودينهم سيدي يا بقية الله:

كـانت لقلبي أهـواءٌ مفـرقـةٌ فاستُجمِعَت مُذ رأتك العين أهوائي

مذ رأتك عين قلبي وعين بصيرتي وعقلي ...

تركت للناس دنياهـم ودينهـم حبّــاً لذكـرك يا دينـي ودنيـائي

لأنَّ الله تَعالَى ذِكرُه أَعطَاهُم مِن العُقُولِ والأَفهَامِ والمَعرِفة مَا صَارَت بِهِ الغَيبة عِندَهُم بِمَنزِلة

المُشاهَدة وَجَعَلهُم في ذَلِكَ الزّمان بِمَنزِلة المُجَاهِدين بينَ يَدي رَسول الله صلى الله عليه وآله بالسّيف أولئِكَ المُخلِصون حَقّاً وشِيعَتنا صِدقاً والدُّعاةِ إلى دِين الله سِرّاً وجَهراً – هؤلاء هذه أوصافهم فهل نحن منهم؟ – **أولئِكَ المُخلِصون حَقّاً وشِيعَتنا صِدقاً والدُّعاةِ إلى دِين الله سِرّاً وجَهراً** – هذا هو الفوز وهذا هو الرضوان – **وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُم** – هذا هو الفوز – **بِكُم يُسلَكُ إلَى الرِّضوَانِ** – وهذا هو الرضوان، رضوان الدنيا والآخرة – **وَعَلَى مَن جَحَدَ وِلايَتَكُم غَضَبُ الرَّحمَنِ** – ومن يجحد ولايتكم فعليه غضب الرحمن، واضح إنما تستبان الأشياء بأضدادها، مثل ما هناك رضوانٌ في الدنيا وجنةٌ في الدنيا مع عليٍّ وآل عليّ مع الحجة بن الحسن هناك كذلك في هذه الدنيا مع الجبت والطاغوت جهنم غضب الباري سبحانه وتعالى.

رواية واحدة ثم أنتقل إلى مطلبٍ آخر هذا هو الجزء الثامن من الكافي الشريف، الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: **لو أن غير وليَّ عَليّ** – الحديث دائماً عن عليّ، عليٌّ هو النقطة نقطة البداية ونقطة النهاية، بكم يفتح الله وبكم يختم، بعليٍّ البداية وبعليٍّ النهاية، إمامنا الصادق يقول: **لو أن غير وليَّ عليٍّ** – يعني شخص مخالف لأهل البيت ناصبي جاحدٌ للولاية، وعلى من جحدكم جحد ولايتكم غضب الرحمن – **لو أن غير وليَّ عليٍّ أتى الفرات** – جاء إلى نهر الفرات – **وقد أَشرَفَ مَاءه عَلى جنبيه** – كاد أن يفيض – **وهو يزخّ زخيخاً** – المياه متدافعه جاريه، هل هناك أطهر من هذا الماء؟ ماءٌ كثيرٌ جاري، هذا هو الماء الذي نسميه بالماء المعتصم، الماء المعتصم الماء الذي لا يتنجس بالملاقاة، هو الماء الطهور الطاهر، ماء كثير جاري – **لو أن غير وليَّ عليٍّ أتىَ الفُرات وقَد أَشرفَ ماءه على جنبيه** – يكاد النهر أن يفيض – **وهو يزخّ زخيخاً** – جاري بسرعة متدافع متدفق – **فتناول بكفّهِ** – هذا الناصبي المخالف لأهل البيت – **وقَالَ بِسمِ الله** – حسب المستحبات – **فلمَّا فرغ قال: الحمدُ لله** – حسب المستحبات، الإمام يقول – **كَانَ دَماً مَسفوحاً أو لحمَ خِنزير** – هذا هو غضب الرحمن، هذه صورة واضحة إذا كان يأتي إلى هذا الفرات الطاهر الطهور ويفتتح بسم الله ويختتم بحمد الله – **كَانَ دَماً مَسفوحاً أو لحمَ خِنزير** – وهذا الكلام ليس مجازياً، فعلاً يكون دماً مسفوحاً ويكون لحم خنزير كما يقول إمامنا الصادق، لأن حقائق الأعمال موجودة في هذه الحياة، ولأن حقائق الجنة والنار موجودة في هذه الحياة، الجنة والنار فاعليتها تأتي من واقع هذه الحياة، ولذلك قال إمامنا الصادق أنتم في الجنة فاسألوا الله أن لا يسلب منكم هذه الجنة.

وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُم بِكُم يُسلَكُ إلَى الرِّضوَانِ وَعَلَى مَن جَحَدَ وِلايَتَكُم غَضَبُ الرَّحمَنِ – ثمَّ تقول الزيارة: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي** – بعد كُلِّ هذه المعاني، أنا ماذا أستطيع أفديّكم بمالي ونفسي وأهلي وأبي وأمي وبكل شيءٍ آخر تصل إليه يدي – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمَالِي** – هذا كل ما عندي ماذا أصنع

سادتي أهل البيت – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمَالِي ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسمَاؤُكُم فِي الأَسمَاءِ وَأَجسَادُكُم فِي الأَجسَادِ وَأَروَاحُكُم فِي الأَروَاحِ وَأَنفُسُكُم فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُم فِي الآثَارِ وَقُبُورُكُم فِي القُبُورِ** – المعنى الأول لهذه العبارة هي تشير إلى خصوصية أهل البيت، أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ذكرهم مميزٌ في الذاكرين لا يشبه ذكرٌ ذكرهم، إن كان في العوالم الأولى أو في هذه العوالم أو في العوالم السفلية في أي جزءٍ من أجزاء الوجود، ذكرهم لا يشابهه ذكر، ذكركم شاخصٌ مميزٌ واضحٌ – **ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ** – وأسماؤكم كذلك، لذلك بعد ذلك تقول الزيارة: **فَمَا أَحلَى أَسمَاءَكُم** – لأنها أحلى الأسماء لأنها أجمل الأسماء لأن ذكركم أجمل الذكر – **فَمَا أَحلَى أَسمَاءَكُم وَأَكرَمَ أَنفُسَكُم** – لأن أنفسكم هي أكرم النفوس – **ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسمَاؤُكُم فِي الأَسمَاءِ وَأَجسَادُكُم فِي الأَجسَادِ** – الأجساد في لغة العرب قد يقصد منها الأجسام في بعض الأحيان وقد يقصد منها الأجسام من دون الأرواح لذلك الروايات تقول أنه خلق الأرواح ثمَّ خلق الأجساد، يعني الأجساد من دون الأرواح.

يقال هذا جسدٌ مُسَجَّى ولا يُقال جسمٌ مُسَجَّى، الجسم إذا كان جسماً حيوانياً لابد أن تكون فيه الحياة، لكن يقال جسد مُسَجَّى ويمكن أن يقال كذلك للجسم الذي فيه روح يمكن أن يقال جسد، الجسد والجسم في جهةٍ بمعنىً واحد وهناك اختلاف في معنى اللفظتين، لا أريد أن أذهب بعيداً في تفصيلات اللغة – **ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسمَاؤُكُم فِي الأَسمَاءِ وَأَجسَادُكُم فِي الأَجسَادِ وَأَروَاحُكُم فِي الأَروَاحِ وَأَنفُسُكُم فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُم فِي الآثَارِ وَقُبُورُكُم فِي القُبُورِ** – وهذا تأكيد للمعنى المتقدم – **زائِرٌ لَكُم، لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُم** – قبوركم تختلف عن قبور غيركم، قبوركم يقال لها قبور هي شمسٌ ساطعة هي معنى الحياة هي معنى الحقيقة، نحن نلوذ ونعوذ بقبوركم، وليخسأ أولئك الذين يقولون ما يقولون بأننا نعبد القبور، نحن لا نعبد القبور، نحن نعبد الله بتوجهنا لهذه القبور، هم طلبوا منّا أن نزورهم، هذه تعاليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، نحن لِماذا نعبأ بكتب المخالفين، لِماذا نعبأ بكتبهم؟!

هذه كتب ضلال، هذه كتب انحراف عن أهل البيت، هذه كتب شرك وكتب كفر، كتب التوحيد هي كتب أهل البيت، كتب المخالفين لأهل البيت كتب ضلال وانحراف وكفر وشرك وبدعة، الحقيقةُ والشريعة والتوحيد والسنةُ والإيمان والهدى عند عليٍّ وآل عليّ، أمَّا عند غير عليٍّ وعند غير آل عليٍّ فليس هناك إلا الضلال – **وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُم بِكُم يُسلَكُ إِلَى الرِّضوَانِ وَعَلَى مَن جَحَدَ وِلايَتَكُم غَضَبُ الرَّحمَنِ بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمَالِي ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسمَاؤُكُم فِي الأَسمَاءِ وَأَجسَادُكُم فِي الأَجسَادِ وَأَروَاحُكُم فِي الأَروَاحِ وَأَنفُسُكُم فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُم فِي الآثَارِ وَقُبُورُكُم فِي القُبُورِ فَمَا أَحلَى أَسمَاءَكُم** – وهذا الكلام يمكن أن يستمر فنقول فما أحلى ذكركم في الذاكرين وما أشرف أجسادكم

وأرواحكم وأنفسكم – **فَمَا أَحلَى أَسمَاءَكُم وَأَكرَمَ أَنفُسَكُم وَأَعظَمَ شَأنَكُم وَأَجَلَّ خَطَرَكُم** – خطركم يعني منزلتكم – **وَأَوفَى عَهدَكُم** – أنتم تفون بالعهود على أتم الوجوه مع الله ومع شيعتكم ومع سائر الخلق – **وَأَصدَقَ وَعدَكُم** – كل هذه المعاني تدور حول هذه الشؤونات، ذكركم في الذاكرين، أسماءكم في الأسماء أجسادكم في الأجساد، أرواحكم في الأرواح، أنفسكم في النفوس، آثاركم في الآثار، قبوركم في القبور – **فَمَا أَحلَى أَسمَاءَكُم وَأَكرَمَ أَنفُسَكُم وَأَعظَمَ شَأنَكُم وَأَجَلَّ خَطَرَكُم وَأَوفَى عَهدَكُم وَأَصدَقَ وَعدَكُم** – هذا المعنى الأول في هذه العبارات.

والمعنى الثاني يكون الحديث فيها عن مظاهر أهل البيت، هناك لأهل البيت مظاهرٌ في عالم الذكر وعالم الذكر هو عالم ما قبل الخلق، كما تشير الآية الأولى بعد البسملة من سورة الإنسان أو من سورة الدهر ﴿ هَل أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهرِ لَم يَكُن شَيئاً مَّذكُوراً ﴾ لم يكن شيئاً مذكوراً: إشارة إلى عالم الذكر الذي هو يسبق عالم الخلق، الآية هنا تتحدث فتقول بأنه لم يكن شيئاً مذكوراً يعني لم يكن في عالم الذكر، هناك عالم الذكر قبل عالم الخلق، وفي البداية تظهر صورة المخلوق في ذلك العالم ثمَّ يُخلق المخلوق – **ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ** – هو تجلي أهل البيت في ذلك العالم – **وَأَسمَاؤُكُم فِي الأَسمَاءِ** – في عالم الأسماء وأولها عالم الأسماء الحسنى هُمّ الأسماء الحسنى هُمّ الصفات العليا صلوات الله عليهم – **وَأَجسَادُكُم فِي الأَجسَادِ** – مظاهرهم في عالم الأجساد – **وَأَروَاحُكُم فِي الأَروَاحِ** – مظاهرهم في عالم الأرواح – **وَأَنفُسُكُم فِي النُّفُوسِ** – مظاهرهم في عالم النفوس – **وَآثَارُكُم فِي الآثَارِ** – مظاهرهم في عالم الآثار في كل ما يصدر عن المخلوقات، في كل ما هو موجود في عالم الطبيعة – **وَقُبُورُكُم فِي القُبُورِ** – وقبوركم في القبور أيضاً مظاهرهم في عالم القبور، أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم في عالم القبور وهو عالم البرزخ لهم مظاهرهم ولهم إمامتهم وولايتهم، عالم القبور ليس هو هذا العالم الذي يتصوره الناس في البناء والطابوق، عالم القبور هو عالم البرزخ وهو عالم وسيع أوسع من عالم الدنيا.

في الكافي الشريف الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: **إنَّ الله خَلَقَنا فَأحسَنَ خَلقَنا وَصَوّرَنا فَأحسَنَ صُورَنا وجَعلنَا عَينهُ في عِبادِه ولِسَانهُ النَاطِق في خَلقِه ويَدَهُ المَبسوطَة عَلى عِبادِه بَالرأفَة والرحمَة وَوَجهُه الّذي يُؤتىَ مِنه وبَابهُ الّذي يَدلُ عَليه وخُزّانه في سَمَائه وأَرضِه بِنا أَثمَرت الأشجَار وأَينَعَت الثِمار وَجَرَت الأَنهَار وبِنا يَنزِلُ غَيثُ السّماء ويَنبُت عُشبُ الأرض وبِعبادَتِنا عُبِدَ الله ولولا نحن ما عُبِدَ الله.**

عن الإمام الباقر عليه السلام: **نحنُ المَثاني الّذي أعطَاهُ الله نَبيّنا محَمَّداً صلى الله عليه وآله ونحنُ وَجه الله نَتَقَلّبُ في الأرضِ بينَ أَظهُرِكُم ونَحنُ عينُ الله في خَلقِه ويَده المَبسوطَة بالرَحمَة عَلى عِبادِه**

عَرَفَنا مَن عَرَفنا وجَهِلَنا مَن جَهِلنا – نحنُ وَجهُ الله نَتَقَلّب في الأرض: كيف يتقلبون في الأرض؟ يتقلبون في الأرض وفي السماء الحديث عن الأرض، الأرض هنا مصداق، مصداق من المصاديق، يتقلبون بمظاهرهم، لهم مظاهر، لهم صور في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، مظاهرهم في عالم التشريع في عالم التكوين، كما أن مظاهرهم لا حصر لها في كتاب الله كذلك مظاهرهم في عالم التكوين لا حصر لها.

نقرأ في روايات أهل البيت الرواية: **عن داوود بن كثير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ وأنت الزكاة وأنتم الحج؟ فقال: يا داوود نحن الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ ونحن الزكاةُ ونحن الصيامُ ونحن الحجُ ونحن الشهرُ الحرام ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله ونحن وجه الله، قال الله تعالى:** ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجهُ اللّهِ﴾ **ونحن الآيات ونحن البينات وعدونا في كتاب الله الفحشاءُ والمنكرُ والبغيُّ والخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ والأصنامُ والأوثانُ والجبتُ والطاغوتُ والميتةُ والدمُ ولحم الخنزير** – قبل قليل قرأنا بأن الذي يشرب ماء الفرات يكون دماً مسفوحاً أو لحم خنزير لأنه يرتبط بهذه الأصول بهذه الجذور المعاني مترابطة – **يا داوود إن الله خلقنا وأكرم خلقنا وفضّلنا وجعلنا أمناءه وحفظته وخزّانه على ما في السماوات وما في الأرض** – كيف يكون خُزّان على ما في السماوات وما في الأرض لابد أن يكون لهم مظهر في كل طبقةٍ من طبقاتها – **وجعل لنا أضداداً وأعداءً فسمَّانا في كتابه وكنَّى عن أسماءنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه تكنيةً عن العدو، وسمى أضدادنا وأعداءنا في كتابه وكنى عن أسماءهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين** – كل هذه إشارات وعناوين إلى مظاهرهم الكثيرة التي لا تُعدُّ ولا تحصى في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، في كل مرحلةٍ من مراحل هذا الخلق.

وأحاديث أهل البيت كثيرةٌ وفيرةٌ في هذا المعنى وفي هذا المضمون وهنا الزيارة تتحدث عن هذه الحقيقة، تتحدث عن مظاهرهم وعن إمامتهم وعن ولايتهم وعن أسماءهم وعن أسماء أسماءهم، حين أتحدث عن أسماءهم لا أتحدث عن ألفاظ، أسماء أهل البيت حقائق نورية موجودة في باطن هذه الكائنات – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمَالِي ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسمَاؤُكُم فِي الأَسمَاءِ وَأَجسَادُكُم فِي الأَجسَادِ وَأَروَاحُكُم فِي الأَروَاحِ وَأَنفُسُكُم فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُم فِي الآثَارِ وَقُبُورُكُم فِي القُبُورِ** – على المعنى الثاني هو عالم البرزخ – **فَمَا أَحلَى أَسمَاءَكُم وَأَكرَمَ أَنفُسَكُم وَأَعظَمَ شَأنَكُم وَأَجَلَّ خَطَرَكُم وَأَوفَى عَهدَكُم وَأَصدَقَ وَعدَكُم** – هذه العبارات بحاجة إلى شرح لكنها تحتاج إلى وقتٍ طويل وأين هو الوقت!

كَلامُكُم نُورٌ وَأَمرُكُم رُشدٌ – كلامكم نور هذه العبارة نقف عندها إن شاء الله في وقتٍ آخر نتحدث عنها بالتفصيل – **كَلامُكُم نُورٌ** – كلامهم نور في أفق العلم، في أفق الصدق، في أفق الهداية، في أفق

البصيرة، وفي أفق التكوين، فإن التكوين من كلمات الله سبحانه وتعالى، والكلمة الأتم هم، ومن الكلمة الأتمّ اشتقت بقية الكلمات، فكلامهم نور – **كَلامُكُم نُورٌ وَأَمرُكُم رُشدٌ** – والرُشد هو مضادٌ للغواية مضادٌ للضلالة – **كَلامُكُم نُورٌ وَأَمرُكُم رُشدٌ وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقوَى** – إذا ما وصيتم فإنكم توصون الناس بالتقوى وتقودون الناس إلى الخير – **وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقوَى وَفِعلُكُمُ الخَيرُ وَعَادَتُكُمُ الإِحسَانُ** – لا يصدر منكم إلا الإحسان، العادة هو الفعل المتكرر الذي يصبح اعتيادياً بحيث لا يعرف الإنسان غيره – **وَعَادَتُكُمُ الإِحسَانُ وَسَجِيَّتُكُمُ الكَرَمُ** – السجية هي الطبيعة وليس التطبع.

هناك من الأخلاق ما هو سجية ما هو طبيعة، وهناك منها ما هو تطبع يحاول الإنسان أن يتكسبه – **وَسَجِيَّتُكُمُ الكَرَمُ وَشَأنُكُمُ الحَقُّ وَالصِّدقُ وَالرِّفقُ وَقَولُكُم حُكمٌ وَحَتمٌ وَرَأيُكُم عِلمٌ وَحِلمٌ وَحَزمٌ إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأَصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأوَاهُ وَمُنتَهَاهُ** – بعض الكلمات بحاجة إلى بيانات لغوية إن شاء الله أبيّنها بشكلٍ موجز في الحلقة القادمة والحلقة القادمة يوم غد هي الحلقة الأخيرة لأن وقت البرنامج وقت هذه الحلقة صار طويلاً جداً، أكتفي بهذا القدر وإن كان في بالي وكان بودي وفي نيتي أن أتحدث عن موضوعات أخرى تلاحظون هناك العديد من المصادر ما فتحتها ولا قرأت فيها لأن هذا المقطع من أهم المقاطع في الزيارة الجامعة الكبيرة وكما قلت في بداية الحديث بأنه يمثل مرحلة الترقي ما بعد وصول الإنسان إلى الدرجة الأولى من درجات التشيع.

الشيعي الحقيقي هو الذي تنطبق عليه المواصفات التي مرت علينا في المقطع السابق من الزيارة الجامعة الكبيرة، هذا المقطع يمثل مرحلة ترقي ما بعد تلكم المرحلة، بقية الكلام إن شاء الله تأتينا في يوم غد في الحلقة الأخيرة من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة وهي الحلقة الثلاثون إن شاء الله تعالى، أعتذر إليكم من الإطالة أسألكم الدعاء وأتمنى لكم التوفيق في معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وألتمسكم الدعاء أن أوفق لمعرفة إمام زماني صلوات الله وسلامه عليه ألقاكم غداً نفس الموعد نفس البرنامج وأنا نفس خادمكم، في أمان الله.

الحلقة الثلاثون والأخيرة

معنى فَما أَحلى أَسمائكُم وأَكرَمَ أَنفُسَكُم وأَعظَمَ شَأنَكُم وأَجَلَّ خَطَرَكُم . . . . .

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركات أحباب عليٍّ وآل عليّ أيُّها الزهرائيون أيُّها المهدويون، هذه الحلقة الثلاثون وهي الحلقة الأخيرة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، كانَ الكلامُ في الحلقة الماضية حيثُ وصلنا إلى أُخريات المقطع الذي أخترتهُ للحلقة التاسعة والعشرين: **فَما أَحلى أَسمائكُم وَأَكرَمَ أَنفُسَكُم وَأَعظَمَ شَأنَكُم وَأَجَلَّ خَطَرَكُم وَأَوفى عَهدَكُم وَأَصدَقَ وَعدَكُم، كَلامُكُم نُورٌ وَأَمرُكُم رُشدٌ** – والرُشدُ هو الهدى، والرشد نقيض الغي، نقيض الجهل، نقيض السَفه، نقيضُ الحَمَق – **وَأَمرُكُم رُشدٌ وَوَصِيَّتُكُم التَّقوى وَفِعلُكُم الخَيرُ وَعادَتُكُم الإِحسانُ وَسَجِيَّتُكُمُ الكَرَمُ وَشَأنُكُمُ الحَقُّ وَالصِّدقُ وَالرِّفقُ** – شأنكم هو ديدنكم في الحياة، سُنَّتُكم اليومية في ليلكم ونهاركم، لا يصدرُ منكم إلا الحق ولا تكونون إلا على الحق والحقُّ معكم وأنتم مع الحق يدور معكم حيثما تكونون، وقد مرَّ علينا في المقاطع المتقدمة: **وَالحَقُّ مَعكُم وَفِيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم وَأَنتُم أَهلُهُ وَمَعدِنُهُ.**

وَشَأنُكُمُ الحَقُّ وَالصِّدقُ – شأنكم الحق في علمكم، شأنكم الحق في فعلكم، شأنكم الحق في قولكم، والحقُّ هو الصِدق ولكنَّ الصِدقَ ما يتحسسهُ الآخرون، ربما لا يتحسسُ الناسُ الحق بسببِ الشبهات، بسبب الأراجيفِ والدعايات، بسبب ما يقوم به الظالمون وما يقوم به أهل الضلالةِ وشياطين الإنس والجن في تضليل الناس إلاَّ أنَّ الصدقَ أمرٌ ملموس، الصدقُ في القول، الصدق في العلم لِمطابقتهِ للحقيقة والواقع، والصدقُ في الأفعالِ وفيما يصدرُ عن الإنسان – **وَشَأنُكُمُ الحَقُّ وَالصِّدقُ وَالرِّفقُ** – أنتم على الحقِّ ومع الحق وفي الحق، وأنتم على الصدقِ دائماً على منهج الصدق ومع الصدقِ وفي الصدق، وفي كُلِّ ذلك يَحوطكم الرفق، والرفقُ هي الرحمةُ، والرِفقُ هو الرأفةُ، والرِفقُ هو السلامةُ والدماثة والحُسنُ، وما كانَ الرِفقُ في شيءٍ كما قالَ صلى الله عليه وآله إلا زَانه، الرفقُ زينةُ الأفعالِ وزينةُ الأعمالِ وزينةُ الأقوال، والرفقُ زينةُ العقولِ وزينةُ الرجالِ وزينةُ النوايا وزينةُ كُلِّ عملٍ وكل حركةٍ يتحركها الإنسانُ إذا كان يرجعُ إلى حكمةٍ وإلى فهمٍ يقودهُ الهدى وتدفعهُ المعرفةُ الواضحة – **وَشَأنُكُمُ الحَقُّ وَالصِّدقُ وَالرِّفقُ وَقَولُكُم حُكمٌ وَحَتمٌ** – الحُكم هو ما كانَ فاصلاً وواضحاً وبيِّناً ولا يكونُ الحكم كذلك ما لم يكن مُستَنِداً إلى وضوحٍ إلى برهانٍ

جلي – **وَقَولُكُم حُكمٌ وَحَتمٌ** – والحَتمُ هو القَطع الذي لا تردد فيه الذي لا شُبهة فيه ولا غبار عليه، حينَ تقولون فإنَّ قولكم حُكم وإنَّما كان قولكم حُكماً لأنَّه قولٌ قاطع، فصلُ الخطاب كما مَرَّ علينا في المقاطع المتقدمة من الزيارة: وَفَصلُ الخِطابِ عِندَكُم – **وَقَولُكُم حُكمٌ وَحَتمٌ وَرَأيُكُم عِلمٌ وَحِلمٌ وَحَزمٌ** – ورأيكم عِلمٌ واضحٌ صريحٌ مَصحُوبٌ بالحلم.

فالعلمُ والحلمُ قرينان في صفات الله سبحانه وتعالى وفي صفات العلماء والأنبياء والأوصياء والأولياء، العِلم قرينٌ للحلم وإلاّ كانَ العلم مَعيباً، العلم يحتاجُ إلى الحِلم، ولذلك في أدعية أهل البيت في مناجياتهم مع الله سبحانه وتعالى وهم يتحدَّثون معه دائماً يقرنونَ صفة حِلمهِ إلى صفة علمهِ جلَّ تعالى شأنه وتقدس – **وَرَأيُكُم عِلمٌ وَحِلمٌ** – والحِلمُ هو الحكمة – **عِلمٌ وَحِلمٌ وَحَزمٌ** – الحزم هو أن تكونَ الأمورُ في غايةِ منافعها وفي غاية ما تكونُ بعيدةً عن مضارها، ربما يسميهِ الناسُ الاحتياط ولكنهُ احتياطٌ ينشأُ على حكمةٍ واضحةٍ جليّة لا على الاحتمالات، علمُ أهل البيت علمٌ قطعي، وحلمهم حِلمٌ مبنيٌ على الوضوح وعلى البصيرة الساطعة فحزمهم كذلك، ما يسميه الناسُ بالاحتياط الاحتياطُ يكونُ مبنياً على الاحتمالات، الاحتياطُ في الحياة في كُلِّ شأنٍ من شؤونات الحياة، أن يكونَ الإنسانُ محتاطاً في قراراتهِ، محتاطاً في تصرفاتهِ، والاحتياطُ هذا مبنيٌ على الاحتمالات على الظنون على الشكوك على الوساوس في بعض الأحيان، أمَّا الحَزمُ هنا الذي ذُكِرَ في رأيهم صلوات الله عليهم فهذا حزمٌ مبنيٌ على البصيرة الواضحة على العلم القطعي – **وَفِعلُكُم الخَيرُ وَعادَتُكُم الإِحسانُ وَسَجِيَّتُكُمُ الكَرَمُ وَشَأنُكُمُ الحَقُّ وَالصِّدقُ وَالرِّفقُ وَقَولُكُم حُكمٌ وَحَتمٌ وَرَأيُكُم عِلمٌ وَحِلمٌ وَحَزمٌ، إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ** – الخيرُ هو أصلُ كُل شيء، الخيرُ يساوي الوجود، الوجودُ يساوي الخير، وكُلُّ شيءٍ هو يسبحُ في بحر الوجود أو بعبارةٍ أخرى كُلُّ شيءٍ مكتوبٌ على صفحة الوجود.

هناك صفحةٌ يمكن أن نسميها بصفحة الوجود، كلنا حروفٌ وكلماتٌ نُقِشت على صفحة الوجود ﴿**ن وَالقَلَمِ وَمَا يَسطُرُونَ**﴾ الخيرُ هو الوجود والوجودُ هو الخير لِذا يقولُ الحُكماء بأنَّ الوجودَ هو مَحضُ الخيرية، بأنَّ حقيقة الوجود هي محض الخيرية ومحضُ الخيرية يعني الجمالَ، يعني الكمالَ، يعني الرحمةَ، يعني النورَ، يعني الهدى، الهدى بكل معانيه بالمعاني التكوينية وبالمعاني الوجودية وبالمعاني الشرعية – **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ** – فأنتم أول الوجود – **كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ** – وأنتم الكلمة الأولى التي تفرعت منها كُلُّ الكلمات، أنتم نور الأنوار الذي أشرقت منه كُلُّ الأنوار، وقد مرَّ علينا في المقطع الأول من الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَعَناصِرَ الأَبرارِ** – والعناصر جمعٌ لعنصر والعنصر هو الأصل والمَحض، وإنما ذُكِرَ الأبرار لخصوصيةٍ فيهم لشرافة منزلتهم وإلاَّ فَمُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد هُم عنصر العناصر، هم عنصر العناصر في هذا

الوجود وهذا هو معنى نور الأنوار، نورهم هو نور الأنوار ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ هذه المشكاة هي نور الأنوار منها سطعت الأنوار هي عنصر العناصر – **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ** – وإنَّما هي مظاهر ومراتب، نورُ الشمس كاشفٌ عن نفسهِ وكاشفٌ عن غيرهِ، كاشفيتهُ عن نفسهِ بدرجة وكاشفيتهُ عن غيرهِ بدرجة، ونورُ هذه المصابيح التي نستنيرُ بها في بيوتنا نورها كاشفٌ عن نفسهِ بدرجة وكاشفٌ عن غيره بدرجةٍ أخرى، ونورُ الشمعة، هذه الشمعة الصغيرة كاشفٌ عن نفسهِ بدرجةٍ ما وكاشفٌ عن غيرهِ بدرجةٍ ما أيضاً، وهكذا كُلُّ نور، هم في مقاماتهم النورية لهم في كل مرتبةٍ، لهم في كل مدرجٍ من مدارج النور كاشفيةٌ عن أنفسهم وكاشفيةٌ عن غيرهم، هم النور وهم حقيقةُ الطهور، حقيقةُ طهوريتهم أنَّهم طاهرون في ذواتهم مُطَهِّرون لغيرهم، طهوريتهم ونوريتهم بمعنىً واحد أنَّهم يُنَوِّرون ذواتهم ويُنَوِّرنَ غيرهم، يُطَهِّرون ذواتهم ويُطَهَّرون غيرهم، نوريتهم هي طهوريتهم، وطهوريتهم هي نوريتهم صلوات الله عليهم.

تلك هي محضُ خيريتهم – **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ** – ومعدنهُ، المعدن: الجهةُ التي تجتمعُ فيها حقيقةُ الشيء – **وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ** – والمأوى والمنتهى الجهةُ التي تعودُ إليها البدايات، نفسُ الكلمة التي مرت: **بِكُم فَتَحَ الله وَبِكُم يَختِمُ** – أنتمُ أولُ الخير وأنتم منتهاه، أنتم الأول والآخرُ والظاهر والباطن، ما جاء في بعض كلمات أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه والتي نقلها شيخنا المُفيد رضوان الله تعالى عليه: أنَا الأوَّلُ والآخِرُ والظَاهِرُ والباطِن – **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ** – وكما قلتُ في الحلقة الماضية هذه الكلمة وكلمةٌ أخرى تقدَّمت: **وَالحَقُّ مَعكُم وَفِيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم وَأَنتُم أَهلُهُ وَمَعدِنُهُ** – هاتان الكلمتان تجمعانِ جميعَ المعاني التي ذُكِرت في الزيارة الجامعة الكبيرة على سبيل قانون الطيِّ والنشر، كُلَّ المعاني التي نُشِرت في الزيارة الجامعة الكبيرة وبنحو النشر التجزيئي لا بنحو النشر التفصيلي الكلي لعجز اللغة عن ذلك، هاتان الكلمتان تطويان كل المعاني وحتى المعاني التي لم تُذكر في الزيارة الجامعة الكبيرة لأن الحديثَ هنا عن محضِ الخيرِ وعن محضِ الحق، ومحضُ الحق هو كُلُّ شيء، ومَحضُ الخيرِ هو كُلُّ شيء، فهم المبتدى وهم المنتهى – **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ** – وبهذا ينتهي المقطعُ الذي شرعتُ فيهِ في الحلقة الماضية وما بقي عندنا إلاَّ المقطعُ الأخير خاتمة الزيارة الجامعة الكبيرة، أقرأُ المقطع المتبقي على مسامعكم:

بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي، كَيفَ أَصِفُ حُسنَ ثَنائِكُم وَأُحصِي جَمِيلَ بَلائِكُم وَبِكُم أَخرَجَنا الله مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنّا غَمَراتِ الكُرُوبِ وَأَنقَذَنا مِن شَفا جُرُفِ الهَلَكاتِ وَمِنَ النَّارِ، بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي بِمُوالاتِكُم عَلَّمَنا اللهُ مَعالِمَ دِينِنا وَأَصلَحَ ما كانَ فَسَدَ مِن دُنيانا وَبِمُوالاتِكُم تَمَّتِ الكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ

النِّعمَةُ وَائتَلَفَتِ الفُرقَةُ، وَبِمُوالاتِكُم تُقبَلُ الطَّاعَةُ المُفتَرَضَةُ، وَلَكم المَوَدَّةُ الواجِبَةُ وَالدَّرَجاتِ الرَّفِيعَةِ وَالمَقامُ المَحمُودُ وَالمَكانُ المَعلُومُ عِندَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَالجاهُ العَظِيمُ وَالشَأنُ الكَبِيرُ وَالشَّفاعَةُ المَقبُولَةُ، رَبَّنا آمَنَّا بِما أَنزَلتَ وَاتَّبَعنا الرَّسُولَ فَاكتُبنا مَعَ الشَّاهِدِينَ، رَبَّنا لا تُزِغ قُلُوبَنا بَعدَ إِذ هَدَيتَنا وَهَب لَنا مِن لَدُنكَ رَحمَةً إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ، سُبحانَ رَبِّنا إِن كانَ وَعدُ رَبِّنا لَمَفعُولاً، يا وَلِيَّ الله – إذا كان الخطاب مع أحدهم صلوات الله عليهم، وإذا كانَ الخطابُ مع الجميع يا أولياءَ الله – **يا أَوْلِيَّاءَ الله إِنَّ بَينِي وَبَينَ الله عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوباً لا يَأتِي عَلَيها إِلاّ رِضاكُم فَبِحَقِّ مَن ائتَمَنَكُم عَلى سِرِّهِ وَاستَرعاكُم أمرَ خَلقِهِ وَقَرَنَ طاعَتَكُم بِطاعَتِهِ، لَمَّا استوهَبتُم ذُنُوبِي وَكُنتُم شُفَعائِي فَإِنِّي لَكُم مُطِيعٌ، مَن أَطاعَكُم فَقَد أَطاعَ الله وَمَن عَصاكُم فَقَد عَصى الله وَمَن أَحَبَّكُم فَقَد أَحَبَّ الله وَمَن أَبغَضَكُم فَقَد أَبغَضَ الله، اللّهُمَّ إِنِّي لَو وَجَدتُ شُفَعاءَ أَقرَبَ إِلَيكَ مِن مُحَمَّدٍ وَأَهلِ بَيتِهِ الأَخيارِ الأَئِمَّةِ الأَبرارِ لَجَعَلتَهُم شُفَعائِي، فَبِحَقِّهِم الَّذِي أَوجَبتَ لَهُم عَلَيكَ أَسأَلُكَ أَن تُدخِلَنِي فِي جُملَةِ العارِفِينَ بِهِم وَبِحَقِّهِم وَفِي زُمرَةِ المَرحُومِينَ بِشَفاعَتِهِم إِنَّكَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى الله عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ تَسلِيماً كَثِيراً وَحَسبُنا الله وَنِعمَ الوَكِيلِ** – وهنا تنتهي الزيارة الجامعة الكبيرة.

هذا المقطع الأخير الذي أتناوله في هذه الحلقة بمثابة جُمَاعٍ وجَمعٍ لِما تقدم من المطالب ومن المعاني ومن المضامين من أول الزيارة الجامعة الكبيرة إلى آخر كلامٍ في آخر مقطعٍ وهو قول الزيارة: **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأَصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ** – من بداية الزيارة إلى هذه الكلمات كُلُّ هذه المعاني جُمِعت في هذا المقطع الأخير الذي هو بمثابة الخاتمة للزيارة الجامعة الكبيرة، يبدأ المقطع: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي** – المقاطع المتقدمة التي ذَكَرَت التفدية ذكرت وأهلي ومالي وأسرتي، الآن هذا المقطع: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي** – التركيز هنا بأبي أنتم وأمي ونفسي كما قلتُ في يوم أمس لأن الأب والأم يُمثِّلان الأصل، أما نفسي فهي الجامع لكل المعاني المتقدمة لأنني حين أفتديكم بنفسي فإنني أفتديكم بكل ما عندي، أفتديكم بمالي وأهلي وأسرتي وبكل شيءٍ، أمَّا ذِكرُ الأب والأم فلأجل الإشارة إلى قضية الأصل، دائماً القرآن يقرن بين التوحيد وبين الإحسان إلى الوالدين والقضيةُ يشيرُ فيها القرآن إلى هذه المسألة إلى مسألة الأصل، التوحيدُ هو عِبادةُ الأصل الرجوعُ إلى الأصل إلى الله سبحانه وتعالى، الإحسانُ إلى الوالدين هو مظهرٌ من مظاهر الرجوعِ إلى الأصل لأنَّ أصلَ الأولاد إلى آبائهم وإلى أمهاتهم، ولذلك القرآن دائماً يَقرِن في آياتهِ بينَ التوحيدِ وبين عبادة الله وبينَ الإحسانِ إلى الوالدين، وهنا بقيَ ذِكرُ الوالدين مع ذِكر النفس لأجل هذه القضية للتأدب بالأدب القرآني على نفس السياق القرآني، لأن الأب والأم يُمثِّلان الأصل وأمَّا ونفسي فهي جَمَعُ ما أملك وكُلُّ شيءٍ من مالي وأهلي وأسرتي هو يتعلق بنفسي – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي كَيفَ أَصِفُ حُسنَ ثَنائِكُم**

وَأُحصِي جَمِيلَ بَلائِكُم – بعد كُلِّ هذا الذي تقدَّم:

مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم – قمة المعاني، قمةُ الجمالية في البُعد العقائدي في هذه الزيارة هو في هذه القواعد في هذه القوانين – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – ولذلك مباشرةً – **مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – ومرَّ الكلامُ في هذا، كأنَّ الزيارة هنا تُقَرِّرُ هذه المعاني، كما قلتُ قبل قليل بأنَّ هذا المقطع هو جُمَاعٌ للمعاني المتقدمة، جمعٌ وتلخيص، كأنَّ هذا المقطع يطوي ما نُشِرَ في المقاطع المتقدمة، كأنَّ المقاطع المتقدمة نشرت فكرها وعلمها وما جاء فيها من مضامين جُمِعت كُلُّها وطُويت في هذا المقطع – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي، كَيفَ أَصِفُ حُسنَ ثَنائِكُم وَأُحصِي جَمِيلَ بَلائِكُم** – الثناءُ هو مديحٌ هو شُكرٌ لِجَمَالٍ في الذي يُمدَحُ أو في الذي يُثنى عليه، هناك جَمالٌ، هناك فضلٌ، هناك كمالٌ يتفرَّعُ عليهِ ثناء، حينما يكون الجمالُ في غاية الغايات سيكون الثناء أيضاً جميلاً، الثناءُ على الجميلِ جميل، حين يكون الجمالُ في أرقى صورهِ فسيكون الثناء أيضاً في أرقى الصورة لأنه تجلٍ عن ذلك الجمال، الزيارة هنا تقول: **كَيفَ أَصِفُ حُسنَ ثَنائِكُم** – ما قالت الزيارة كيف أصِفُ حُسنَكم وإنَّما: **كَيفَ أَصِفُ حُسنَ ثَنائِكُم** – يعني جمالُكُم وبعد الجمالِ يأتي الثناء على جمالكم وبعد الثناءِ يأتي حُسنُ هذا الثناء وأنا متحيرٌ كيف أصِفُ حُسنَ ثنائكم – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي، كَيفَ أَصِفُ حُسنَ ثَنائِكُم** – في المقاطع المتقدمة: **لا أُحصِي ثَنائَكُم** – العبارة هنا أبلغ وأدق وأعمق – **لا أُحصِي ثَنائَكُم** – جَمالٌ فثناءٌ، جمالٌ وسيع فثناءٌ وسيع وإني لا أُحصي هذه السعة أمَّا هنا: **كَيفَ أَصِفُ حُسنَ ثَنائِكُم** – جمالٌ فثناءٌ فَحُسنٌ لثنائكم للثناءِ على جمالكم.

أنا متحيرٌ متردِّدٌ لا أعلمُ كيف أستطيع أن أصِفَ حُسنَ ثنائكم – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي، كَيفَ أَصِفُ حُسنَ ثَنائِكُم وَأُحصِي جَمِيلَ بَلائِكُم** – البلاء كما ذكرتُ في الحلقات الماضية منهُ ما هو مريحٌ حَسَنٌ، ومنهُ ما هو مؤذٍ شاق كما يقول العلماء البلاءُ على نحوين: إما أن يكون مِنحةً وإما أن يكون مِحنةً، البلاءُ في النصوص الدينية تارةً يأتي بمعنى المِنحَة، الهِبة، العطاء، الفيض، وأخرى يأتي بمعنى المحنة والذي يدخلُ تحت عنوان الامتحان وتحت عنوان الفِتنة وتفاصيلُ ذلك موكولٌ إلى مَحَلِّهِ، المرادُ من البلاء هنا الحُسنُ والجَمَال الذي هو مِنحةٌ وعطاءٌ وفيضٌ من الله – **كَيفَ أَصِفُ حُسنَ ثَنائِكُم وَأُحصِي جَمِيلَ بَلائِكُم** – لِماذا عُبِّر هنا عن حُسنِهم عن جمالهم عن عطاء الله لهم بالبلاء، حينما يكونُ العَطاءُ في أعلى درجاتهِ يُقالُ عنه بلاء، حينما يكونُ الفضلُ في أعلى درجاتهِ يُقال عنه بلاء، وهو من الاستعمالات المتضادّة في لغة العرب، عندنا فصلٌ في لغة العرب للمتضادات نفس اللفظة تحمل معاني متضادة.

وهذه الألفاظ في لغة العرب التي تحمل المعاني المتضادة فإنَّها في الطرفين تحمل المعنى في أعلى درجاتهِ،

فحينما يكون البلاءُ مِنحةً فإنَّه في أعلى درجات المِنحة في أعلى درجات العطاء وحينما يكون البلاءُ محنةً فإنَّه يكونُ أيضاً في أعلى درجات المِحنة في أشدِ درجات المِحنة – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي، كَيفَ أَصِفُ حُسنَ ثَنائِكُم وَأُحصِي جَمِيلَ بَلائِكُم** – وَأُحصِي جَمِيلَ بَلائِكُم، وهذا البلاءُ وهو المنحةُ والعطاءُ والفيضُ له جمالٌ وإني عاجزٌ عن إحصاءِ جميل بلائكم – **كَيفَ أَصِفُ حُسنَ ثَنائِكُم وَأُحصِي جَمِيلَ بَلائِكُم** – وهذا هو نفسهُ الذي مرَّ علينا في المقاطع المتقدمة: **فَبَلَغَ الله بِكُم أَشرَفَ مَحَلِّ المُكَرَّمِينَ وَأَعلى مَنازِلَ المُقَرَّبِينَ وَأَرفَعَ دَرَجاتِ المُرسَلِينَ حَيثُ لا يَلحَقُهُ لاحِقٌ وَلا يَفُوقُهُ فائِقٌ وَلا يَسبِقُهُ سابِقٌ وَلا يَطمَعُ فِي إِدراكِهِ طامِعٌ** – إلى آخرِ ما جاء في فقرات الزيارة الجامعة الكبيرة.

بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي، كَيفَ أَصِفُ حُسنَ ثَنائِكُم وَأُحصِي جَمِيلَ بَلائِكُم وَبِكُم أَخرَجَنا الله مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنّا غَمَراتِ الكُرُوبِ وَأَنقَذَنا مِن شَفا جُرُفِ الهَلَكاتِ وَمِنَ النَّارِ – أخرجنا الله من الذل، من أيِّ ذُلٍّ؟ من كل معاني الذل، وأشدُّ معاني الذل في الحياة الدنيوية أشدُّ معاني الذل هو ذل الضلالة والجهل، الضلالة والجهل تقودُ الإنسانَ بعيداً عن الله، تُدخِلهُ في دائرة الشرك في دائرة الكفر في دائرة الإلحاد عبر ما شئت، كما هو شأنُ المخالفين لأهل البيت خرجوا من دائرة التوحيد وهم يحسبونَ أنفسهم أنهم على التوحيد، التوحيدُ مع عليٍّ وآل عليّ – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – هذا هو التوحيد، نحن بهم خرجنا من ذل الشرك ومن ذل الكفرِ ومن ذل الإلحاد ومن ذلك التشكيك ومن ذل الجهلِ بكل معانيه، لذلك ولايتنا لعليٍّ وآلِ عليٍّ هي توحيدنا لله سبحانه وتعالى، وتوحيدنا لله سبحانه وتعالى هو ولايتنا لعليٍّ وآل عليّ، وولايتنا لعليٍّ وآل عليّ هي ولايتنا لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ولا شيءَ وراء ذلك.

في دعاء علقمة المروي عن إمامنا الباقر: **ليسَ لي وَراءَ الله وَوَرَائَكُم يَا سَادتي مُنتَهَى**، هذا هو التوحيد في أوضح صورهِ وفي أوضح معانيه، الدعاء المروي عن إمامنا باب الحوائج موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه موجودٌ في مفاتيح الجنان في أدعية الفرج: **اللَّهُمَّ إنّي أطَعتُكَ في أَحَبِّ الأشياءِ إليكَ وهو التَوحيد ولَم أَعصِكَ في أبغَضِ الأشياء إليكَ وهو الكُفر فَاغفِر لي ما بينهما** – أحَبُّ الأشياءِ إليه هو التوحيد، أبغضُ الأشياء إليه هو الكفر وحين نستمر في الدعاء يتجلى هذا المعنى – **اللَّهُمَّ إنّي أسألُكَ بالوَحدَانية الكُبرى** – هذه الوحدانية الكبرى هل هي معزولةٌ عن المعاني الأخرى؟! أم هناك معانٍ مُلحقةٌ بها؟! – **اللَّهُمَّ إنّي أسألُكَ بالوَحدَانية الكُبرى والمُحَمَّدية البيضاء والعَلوية العُليا وبجميعِ ما احتَججت بهِ على عِبادِك وبالأسم الذي حَجَبتهُ عن خلقِك فَلَم يَخرُج مِنكَ إلاّ إليك** – هذا هو التوحيد، نحنُ حين نُخاطِبُ الباري سبحانه وتعالى: **اللَّهُمَّ إنّي أطَعتُكَ في أَحَبِّ الأشياءِ إليكَ وهو التَوحيد ولَم أَعصِكَ في**

أبغَضِ الأشياء إليكَ وهو الكُفر – الدعاء يأتي بيين لنا معنى هذا التوحيد – **اللَّهُمَّ إنّي أسألُكَ بالوحدانية الكُبرى والمُحَمَّدية البيضاء والعَلوية العُليا وبجميعِ ما احتَججت بهِ على عِبادِك وبالأسم الذي حَجَبتَهُ عن خلقِك فَلَم يَخرُج مِنكَ إلاّ إليك** – ولذلك الرواية في الكافي الشريف عن إمامنا أبي جعفرٍ الباقر صلوات الله وسلامه عليه، الرواية ينقلها أبو حمزة الثُمالي، الإمام يقول: **إنَّما يَعبدُ الله مَن يَعرِفُ الله أَمَّا مَن لا يَعرِفُ الله فَإنَّما يَعبُدُهُ هَكَذا ضَلالاً** – يتصور البعض بأنَّه يعبدُ الله، يعتقد بأنه يعبدُ الله، إنما يعبدُ الله من يعرفُ الله أما من لا يعرف الله فإنما يعبدهُ هكذا ضلالاً – **جُعِلتُ فِداك: ما مَعرِفةُ الله عزَّ وجَلَّ؟** – إمامنا الباقر صلوات الله عليه يبين لنا هذا القانون – **قَالَ: تَصدِيقُ الله عزَّ وجلَّ وتَصدِيقُ رسولهِ صلى الله عليه وآله وَمُوالاةُ عليٍّ والإئتمامُ به وبأئمة الهدى عليهم السلام والبَراءةُ إلى الله عزَّ وجلَّ مِن عَدوِّهم هكذا يُعرفُ الله وهكذا يُعبَدُ الله** – نفس المضمون الموجود هنا في هذا الدعاء الشريف: **اللَّهُمَّ إنّي أسألُكَ بالوحدانية الكُبرى والمُحَمَّدية البيضاء والعَلوية العُليا وبِجَميعِ ما احتَججت بهِ على عِبادِك وبالأسم الذي حجبتهُ عن خلقِك فَلَم يَخرُج مِنكَ إلاّ إليك** – وتلك هي الحقيقة المُحَمَّدية، وكأن الدعاء يشيرُ إلى مظاهر هذه الحقيقة – **وَبِكُم أَخرَجَنا الله مِنَ الذُّلِّ** – من ذُلِّ الشِركِ ومن مهانة الكفرِ ومن ذُلِّ الخروجِ عن دائرة الفطرة وعن ربقة الدينِ الذي يقودُ الإنسان إلى العاقبة الحُسنى – **وَبِكُم أَخرَجَنا الله مِنَ الذُّلِّ** – هذا الذل في الدنيا، وأما الذل الأشد هو ذُلُّ الآخرة في يوم القيامة، هناك ستتضحُ الأمور بنحوٍ أوضح، وهناك العزة الواضحة وهناك المذلة الواضحة.

إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه نحنُ نُناجيه في دعاء النُدبة: **أينَ مُعِزُّ الأَولياء ومُذِلُّ الأَعدَاء**، هذه صورةٌ أخرى من صورةِ عزتنا بأهل البيت ومن صور خروجنا من المذَلَّةِ والمَهانة – **أينَ مُعِزُّ الأولياء ومُذِلُّ الأعداء – وَبِكُم أَخرَجَنا الله مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنّا غَمَراتِ الكُرُوبِ** – أيُّ مَذَلَّةٍ أن نتمسك بِأُناسٍ أمهاتهم معروفة تأريخها أسود بأُناسٍ يغطونَ في جهلٍ لا أول له ولا آخر له بأُناسٍ نشأت لحومهم وأبدانهم من الحرام وعلى الحرام، وُلِدوا حراماً وعاشوا حراماً وماتوا حراماً، أيُّ مَذَلَّةٍ أكثر من أن نتمسكَ بنماذج من أمثال هؤلاء، وأيُّ عِزَّةٍ أوضح وأجلى وأبين من أن نتمسك بعليٍّ وآل عليّ بحقيقة الطُهرِ بِكُلِّ مَعناه وبحقيقة الفخر بِكُلِّ معناه وبحقيقة الشرف والعفة بكل معناها، هذه هي العزةُ والكرامة وتِلكَ الذِلَّةُ والمهانة – **وَبِكُم أَخرَجَنا الله مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنّا غَمَراتِ الكُرُوبِ** – غمرات يعني شدائد، والكروب جمعٌ لكرب والكرب هو الضيق المحنة الغَم الأذى الذي يَحوطُ الإنسان، قد يكونُ مادياً قد يكونُ معنوياً وقد يشترك المعنيان فيه مادي ومعنوي في نفس الوقت – **وَبِكُم أَخرَجَنا الله مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنّا غَمَراتِ الكُرُوبِ وَأَنقَذَنا مِن شَفا جُرُفِ الهَلَكاتِ** – الهلكات جمعٌ لِهَلَكة ولِمَهلَكة، والهلاكُ هو الموت هو الفناء، والهلاكُ هو الضلال،

الهلاكُ هو كُلُّ ما يعودُ بالأذى والضررِ على الإنسان – **وَأَنقَذَنا مِن شَفا جُرُفِ الهَلَكاتِ** – كأنَّ الهلكات كأنها بئر كأنها حفرة عميقة مُظلمة لها جُرف والجُرف هو حافة هذه الحفرة، وشَفا الجُرف هو الحافة الحادة والحافة النهائية – **وَأَنقَذَنا مِن شَفا جُرُفِ الهَلَكاتِ** – شَفا مثل الشِفَة، يُقال شِفَة لأنها نهاية الفم، الشِفة هي نهاية الفم حدود الفم الخارجية، شَفا جُرُف الهَلَكات يعني حدود فتحة البئر، حدود فتحة هذه الحفرة المُظلِمة التي هي حُفرةُ الهَلَكات – **وَأَنقَذَنا مِن شَفا جُرُفِ الهَلَكاتِ وَمِنَ النَّارِ** – الإنقاذُ من النار إن كان ذلك في الحياة الدنيوية فمعناهُ مرت الإشارة إليه.

في الحلقة الماضية ذكرتُ الرواية عن الإمام الصادق حينَ سأل أحدهم في الدعاء: اللَّهُمَّ إنّي أسأَلُكَ الجنَّة، فماذا قال له الإمام الصادق؟ قال أنتَ في الجنَّة، أنتَ على ولايتنا أنتَ في الجنَّة وهذه هي الجنَّة، أنتم سَلوا الله أن لا يسلب منكم هذه النعمة هذه الجنة، الجنة مضمونة لكم، يا نعيمي وجنتي ويا دُنياي وآخرتي، جنتنا في عليٍّ وآل عليّ، وإذا كان في الآخرة فنجاتنا من النارِ بهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه المعاني: **أَخرَجَنا الله مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنّا غَمَراتِ الكُرُوبِ وَأَنقَذَنا مِن شَفا جُرُفِ الهَلَكاتِ وَمِنَ النَّارِ،** تنطبق في الحياة الدنيوية وتنطبق في الحياة الأُخروية، وقد مرت الإشارة إلى ذلكَ في الزيارة الشريفة في المقاطع المتقدمة: **مَن أَتاكُم نَجا وَمَن لَم يَأتِكُم هَلَكَ،** وهنا الزيارة تشير إلى هذا المعنى: بكم أنقذنا الله من شفا جُرف الهلكات – **مَن أَتاكُم نَجا وَمَن لَم يَأتِكُم هَلَكَ** – قلتُ قبلَ قليل بأنَّ هذا المقطع يجمع المعاني المتقدمة: **مَنِ اتَّبَعَكُم فَالجَنَّةُ مَأواهُ وَمَن خالَفَكُم فَالنَّارُ مَثواهُ – وَمَن رَدَّ عَلَيكُم فِي أَسفَلِ دَرَكٍ مِنَ الجَّحِيمِ – أَشهَدُ أَنَّ هذا سابِقٌ لَكُم فِيما مَضى وَجارٍ لَكُم فِيما بَقِيَ – وَبِكُم أَخرَجَنا الله مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنّا غَمَراتِ الكُرُوبِ وَأَنقَذَنا مِن شَفا جُرُفِ الهَلَكاتِ وَمِنَ النَّارِ** – هذه المعاني تصدقُ في الحياة الدنيوية وتتجلى بنحوٍ واضح في الحياة الأخروية، حين ترتفعُ راياتنا عزيزة تأتي الرايات يوم القيامة رايات ورايات، رايات الهدى ورايات الضلال، صوتُ الهدى وناعقُ الضلال أيضاً يأتي يوم القيامة، رايةُ عليٍّ ورايات آخرين، رايةُ عليٍّ تتجهُ إلى الجنان ورايات آخرين تتجهُ إلى النيران، إذا أردنا أن نتصفح الكتاب الكريم ونحنُ ما بين رياض الكتاب والعترة:

في سورة عبس وتولى، الآية الثالثة والثلاثون وما بعدها ﴿**فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ**﴾ والصاخة من أسماء يوم القيامة، اليومُ المَهول اليومُ الشديد ﴿**فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَومَ يَفِرُّ المَرءُ مِن أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ**﴾ صاحبتهِ يعني زوجته ﴿**فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَومَ يَفِرُّ المَرءُ مِن أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امرِئٍ مِّنهُم يَومَئِذٍ شَأنٌ يُغنِيهِ**﴾ في مثل هذه الأهوال ﴿**وُجُوهٌ يَومَئِذٍ مُّسفِرَةٌ**﴾ مُسفِرة مُضيئة، يُقال

أسفرت الشمس أشرقت ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ مُّسفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّستَبشِرَةٌ﴾ مستبشرة بولايتها لعليٍّ وآل عليّ ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ مُّسفِرَةٌ﴾ هذه الوجوه ﴿ضَاحِكَةٌ مُّستَبشِرَةٌ﴾ لأنها قد تعززت بعزّ عليٍّ وآل عليّ ﴿وَوُجُوهٌ يَومَئِذٍ عَلَيهَا غَبَرَةٌ * تَرهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ﴾ هذه الوجوه العزيزة وتلك هي الوجوه الذليلة، هذا هو عزُّ أهل البيت ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ مُّسفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّستَبشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَومَئِذٍ عَلَيهَا غَبَرَةٌ * تَرهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ﴾.

في سورة المُطّففين في الآيةِ الثانية والعشرين وما بعدها ﴿إِنَّ الأَبرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ والأبرار شيعةُ عليٍّ هكذا في رواياتهم ﴿إِنَّ الأَبرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعرِفُ فِي وُجُوهِهِم نَضرَةَ النَّعِيمِ﴾ نظرة النعيم يعني روعة النعيم جمال النعيم حلاوة النعيم ﴿إِنَّ الأَبرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعرِفُ فِي وُجُوهِهِم نَضرَةَ النَّعِيمِ * يُسقَونَ مِن رَّحِيقٍ مَّختُومٍ * خِتَامُهُ مِسك﴾ هذا الرحيق رحيقُ آل مُحَمَّد، هذا هو الرحيق الذي نشربهُ في الدنيا، كما في سورة النحل المباركة، كما في سورة النحل المباركة ﴿شَرَابٌ مُّختَلِفٌ أَلوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ﴾ هذا الشراب المختلفُ الألوان الذي يأتينا من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هذا شرابٌ في الدنيا، هذا الشراب صورتهُ في الآخرة هنا ﴿يُسقَونَ مِن رَّحِيقٍ مَّختُومٍ﴾ أليسَ أصلُ العسل هو الرحيق رحيقُ الأزهار؟!

هذه الصورة الأخروية لرحيق مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ﴿إِنَّ الأَبرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعرِفُ فِي وُجُوهِهِم نَضرَةَ النَّعِيمِ * يُسقَونَ مِن رَّحِيقٍ مَّختُومٍ﴾ مختوم لم يعبث به أحد، أصيل في غاية النقاء في غاية الصفاء في غاية الطُهر ﴿يُسقَونَ مِن رَّحِيقٍ مَّختُومٍ * خِتَامُهُ مِسك﴾ بِماذا خُتِم؟ خُتِمَ بالمسك ﴿وَفِي ذَلِكَ فَليَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِن تَسنِيمٍ﴾ مُزِجَ بالتسنيم وهو شرابٌ إلهيٌّ خاصٌّ بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هذا شرابٌ إلهي خاصٌّ بهم لكنه لشيعتهم يُمزَجُ بشرابهم، التسنيم شرابٌ خاصٌّ بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ولا يستطيع أن يشربهُ أحدٌ غيرهم صلوات الله عليهم، لكنه يُمزَجُ لشيعتهم مع الرحيق المختوم ﴿يُسقَونَ مِن رَّحِيقٍ مَّختُومٍ * خِتَامُهُ مِسك * وَفِي ذَلِكَ فَليَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِن تَسنِيمٍ﴾ هذا التسنيم عينٌ خاصة ﴿عَيناً

﴿يَشرَبُ بِهَا المُقَرَّبُونَ﴾ المُقَرَّبون هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد فقط، أمَّا الكلام السابق كان عن الأبرار والأبرار شيعتهم ﴿إِنَّ الأَبرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿يُسقَونَ مِن رَّحِيقٍ مَّختُومٍ﴾ هذا الرحيق يمزَجُ لهم بشيءٍ من التسنيم لأن التسنيم خاصٌ بعليٍّ وآل عليّ ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسنِيمٍ * عَيناً يَشرَبُ بِهَا المُقَرَّبُونَ﴾ هذه عين خاصة لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وتِلكَ هي العِزَّة، هذا الشرابُ الإلهي سنذوقُ شيئاً منه نحنُ شيعتهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجرَمُوا﴾ تستمر الآيات ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضحَكُونَ﴾ في الدنيا، يضحكون علينا فليضحكوا ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِم يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهلِهِم﴾ هؤلاء المجرمون ﴿انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ لأنَّ الدنيا جاءت مستوسقة معهم ﴿وَإِذَا رَأَوهُم﴾ رأوا أشياع عليٍّ ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ لأن الأمور مستوسقة لهم ويستطيعون أن يقولوا بين الناس فيصدقهم الناس ﴿فَاليَومَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضحَكُونَ﴾ في هذا اليوم ﴿فَاليَومَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضحَكُونَ﴾ ويوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم ﴿فَاليَومَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضحَكُونَ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * هَل ثُوِّبَ الكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفعَلُونَ﴾ ينظرون ماذا يجري على الكفار، يشربون من رحيقٍ مختوم مزاجهُ من تسنيم من تلك العين التي يشرب بها المقرَّبون وهل العِزَّةُ إلاّ ذلك.

حينَ نُخاطِبُ أئمتنا في هذه الزيارة فنقول: **وَبِكُم أَخرَجَنا اللهُ مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنّا غَمَراتِ الكُرُوبِ،** غمرات الكروب مواقف يوم القيامة – **وَأَنقَذَنا مِن شَفا جُرُفِ الهَلَكاتِ** – حينَ المرور على الصراط وتتساقط الأمم في نار جهنم وينجو شيعةُ عليٍّ بصك البراءة بأيديهم – **وَمِنَ النّارِ** – كُلُّ ذلك بفضل ولاية عليٍّ وآل عليّ.

في سورة الغاشية ﴿هَل أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ﴾ وهو من أسماء يوم القيامة، حين يغشى العذاب والخوف والألم يغشى الناسَ في يوم القيامة ﴿هَل أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَومَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ خاشعة ذليلة، هذا هو الذل الذي نجونا منه وسننجو منه بولاية عليٍّ وآل عليّ ﴿هَل أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَومَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ يعني ذليلة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصلَى نَاراً حَامِيَةً * تُسقَى مِن عَينٍ آنِيَةٍ * لَّيسَ لَهُم طَعَامٌ إِلا مِن ضَرِيعٍ

﴿ لا يُسمِنُ وَلَا يُغنِي مِن جُوعٍ * وُجُوهٌ يَومَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ شيعة عليٍّ واضح الكلام ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ نواصب، وجوه النواصب ﴿ وُجُوهٌ يَومَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصلَى نَاراً حَامِيَةً * تُسقَى مِن عَينٍ آنِيَةٍ * لَّيسَ لَهُم طَعَامٌ إِلا مِن ضَرِيعٍ * لا يُسمِنُ وَلَا يُغنِي مِن جُوعٍ * وُجُوهٌ يَومَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ هذا هو العز ﴿ لِسَعيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لا تَسمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ لا تَسمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً: اللغو والسخافات والكلام الفارغ الذي يهذرُ به أعداءُ أهل البيت في الدنيا سيهذرون به أيضاً في يوم القيامة ﴿ لا تَسمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ لأنَّ النيران تسمع فيها اللاغية، وهم هؤلاء الذين يلغون الآن في فضائياتهم وعلى منابرهم في عداء أهل البيت وفي عداء شيعتهم ﴿ وُجُوهٌ يَومَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِسَعيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لا تَسمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَينٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرفُوعَةٌ * وَأَكوَابٌ مَّوضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصفُوفَةٌ ﴾ إلى آخر الآيات الشريفة.

والصورة تتجلى أكثر وضوحاً في سورة الأعراف المباركة لنذهب إلى الآية الثالثة والأربعين وما بعدها ﴿ وَنَزَعنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّن غِلٍّ ﴾ هؤلاء الذينَ يدخلونَ إلى الجنان نزعنا ما في صدورهم من غل، لأن الجنان عالمٌ له شرائطهُ قوانينه، الداخلون لابد أن يُنَقّوا الشوائب الموجودة في النفوس وفي القلوب تُنقّى من قلوب أشياع عليٍّ وآل عليّ ﴿ وَنَزَعنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّن غِلٍّ تَجرِي مِن تَحتِهِمُ الأَنهَارُ وَقَالُوا الحَمدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهتَدِيَ لَولا أَن هَدَانَا اللّهُ لَقَد جَاءت رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ ﴾ هذه الكلمة كما في رواياتنا متى يقولها أشياعُ عليٍّ وآل عليّ؟ في يوم القيامة، حين تُحشرُ الخلائق وترى الناس سُكارى وما هم بسكارى، هذا الذهول حين تذهل المرضعة عما أرضعت، هل يمكن أن تذهل المرضعة عن رضيعها بشكلٍ طبيعي؟! الشيء المنطقي أن المُرضِعة لا يمكن أن تذهل عن رضيعها إلاَّ إذا كانت هناك طامة كبرى، تلك هي القارعة، تلك هي الغاشية، تلك هي الصاخة، تلك هي الجاثية، فحينَ يكونُ الناس سُكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، حين تجتمع الخلائق فيأتي مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد فيُنصَبُ لهم المقام الأعلى المقام المحمود، كما مرَّ علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة:

حَتّى لا يَبقى مَلَكٌ مُقَرَّب وَلا نَبِيٌّ مُرسَل وَلا صِدِّيقٌ وَلا شَهِيد، وَلا عالِمٌ وَلا جاهِل وَلا دَنِيٌّ وَلا فاضِل وَلا مُؤمِنٌ وَلا صالِح وَلا فاجِرٌ طالِح وَلا جَبّارٌ عَنِيد وَلا شَيطانٌ مُرِيد وَلا خَلقٌ فِيما بَينَ ذلِكَ شَهِيدٌ إِلاّ عَرَّفهُم جَلالَةَ أَمرِكُم وَعِظَمَ خَطَرِكُم وَكِبَرَ شَأنِكُم وَتَمامَ نُورِكُم وَصِدقَ مَقاعِدِكُم وَثَباتَ مَقامِكُم وَشَرَفَ

مَحَلِّكُم وَمَنزِلَتِكُم عِندَهُ وَكَرامَتِكُم عَلَيهِ وَخاصَّتِكُم لَدَيهِ وَقُربَ مَنزِلَتِكُم مِنهُ. هذا في يوم القيامة في أجلى معانيه في يوم القيامة، حين يفر المرء من أمه وأبيه، حينَ لا يجد المرء ملاذاً في هذا الوقت تتبين هذه المعاني وتتضح منزلة مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، في تلكم الأجواء يلوذ شيعةُ أهل البيت بأهل البيت، فيقولون حين يرون منزلة أهل البيت يقولون: الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كُنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمدُ لله الذي هدانا لولاية عليٍّ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، يقولها أشياعُ أهل البيت في ذلك الظرف في ذلك الجو حين لا يجد الإنسان نصيراً ولا حامياً ولا شفيعاً ولا مُدافعاً والناس حيارى لا يعرفون إلى أين يلتجئون إلى أي جهةٍ يتجهون، وهناك يُنصَبُ المقام المحمود لِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد فيلتجئ أشياعهم إليهم وهم يقولون الحمد لله الذي هدانا لِهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وحينَ يدخلونَ إلى الجنان يقولون هذا الكلام أيضاً، كما تبين الآية هنا في سورة الأعراف:

﴿ **وَنَزَعنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّن غِلٍّ تَجرِي مِن تَحتِهِمُ الأَنهَارُ وَقَالُوا الحَمدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهتَدِيَ لَولا أَن هَدَانَا اللّهُ لَقَد جَاءت رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلكُمُ الجَنَّةُ أُورِثتُمُوهَا بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ** ﴾ من الذي يناديهم؟ عليٌّ صلوات الله عليه، هو الذي يُدخلهم إلى الجنان، هو الذي يُزوجهم، هو الذي يغلق أبواب الجنان، وهو الذي يُنادي خلودٌ خلود، هو المُؤذِّنُ في الدنيا وهو المُؤذِّنُ في الآخرة ﴿ **وَنُودُوا أَن تِلكُمُ الجَنَّةُ أُورِثتُمُوهَا بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ** ﴾ بما كنتم تعملون بولاية عليٍّ وآل عليّ ﴿ **وَنَادَى أَصحَابُ الجَنَّةِ أَصحَابَ النَّارِ** ﴾ أشياع عليٍّ نادوا أصحاب النار، نادوا أشياع فُلانٍ وفُلان ﴿ **وَنَادَى أَصحَابُ الجَنَّةِ أَصحَابَ النَّارِ أَن قَد وَجَدنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَل وَجَدتُم مَّا وَعَدَ رَبُّكُم حَقّاً قَالُوا نَعَم فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَينَهُم** ﴾ عليٌّ يقول: واللهِ أنا ذلك المُؤذِّن، عليٌّ هو المؤَذِّن.

مثلما مرَّ في سورة براءة في سورة التوبة والتي أولها ﴿ **بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ الآية التي بعد هذه الآية ﴿ **وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ عليٌّ يقول: أنا ذلك الأذان، هو الذي أذَّنَ بسورة براءة، والتأريخ والتفسير معروفٌ وواضح، عليٌّ يقول أنا أذانٌ في الدنيا يشير إلى سورة براءة، وأنا ذلك المؤذن في الآخرة يشير إلى هذه الآية ﴿ **فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَينَهُم أَن لَّعنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ في رواياتنا أن لعنة الله على أعداء عليٍّ وآل عليّ الذين ظلموا عليَّاً وآل عليّ ﴿ **وَنَادَى أَصحَابُ الجَنَّةِ أَصحَابَ النَّارِ أَن قَد وَجَدنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَل وَجَدتُم**

مَّا وَعَدَ رَبُّكُم حَقّاً قَالُوا نَعَم﴾ وجدنا ما وعدنا ربنا ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ فأذَّنَ عليٌّ ﴿بينَهُم أَن لَّعنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد، من هم هؤلاء الظالمون؟ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾ وسبيل الله عليٌّ وآلُ عليّ ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَينَهُم أَن لَّعنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ * وَبَينَهُمَا حِجَاب﴾ يعني بين الجنان وبين أهل النيران ﴿وَبَينَهُمَا حِجَاب وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ﴾ هذا الحجاب بين أصحاب الجنةِ وأصحاب النار وتلك منازل الأعراف ﴿وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُم﴾ على هذه الأعراف رجال يعرفون كُلاًّ: يعرفونَ أهل النار وأهل الجنة، عليٌّ قسيم الجنة والنار، فكيف يكون قسيماً للجنة والنار وهو لا يعرفُ أهل الجنة ولا يعرف أهل النار؟ ﴿وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُم وَنَادَوا أَصحَابَ الجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيكُم﴾ هؤلاء الذينَ على الأعراف نادوا أصحاب الجنة أن سلامٌ عليكم.

هذا جواب لزياراتنا حين نُسَلِّمُ على أهل البيت، الجواب هناك نلقاه، نحنُ نلقى جواباً في الدنيا، نحنُ حينما نزورهم نقول نخاطب المعصوم، حتى من الأمكنة البعيدة من هذا المكان وأنا أقول: **السَّلامُ عليكم يا أهل بيت النبوة، أشهَدُ أنَّكم تسمعونَ كلامي وتردون سلامي وتشهدون مقامي**. هم يسمعون الكلام يردون السلام يشهدون المقام، ولكن هذا ردٌّ لسلامنا الذي تَقَدَّم في الدنيا ﴿وَنُودُوا أَن تِلكُمُ الجَنَّةُ أُورِثتُمُوهَا بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ وأيضاً يأتي السلامُ من أهل البيت على أشياعهم، هؤلاء الرجال الذين على الأعراف ﴿وَنَادَوا أَصحَابَ الجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيكُم﴾ الآية ماذا تقول؟ ﴿لَم يَدخُلُوهَا وَهُم يَطمَعُونَ﴾ الروايات عن أهل البيت ﴿لَم يَدخُلُوهَا وَهُم يَطمَعُونَ﴾ أي لم يدخلوا الجنة بعملهم وهم يطمعون أن يدخلوها بشفاعة أهل البيت، هذه هي عقيدتهم ﴿لَم يَدخُلُوهَا﴾ ما دخلوا الجنة بعملهم وهم يطمعون أن يدخلوا الجنة بشفاعة أهل البيت، هكذا فسرت الروايات عن أهل البيت هذه الآيات.

ولو أردنا أن نعزل الروايات عن تفسير هذه الآيات فإنَّ ما ذكرهُ المفسرون ما هو إلاَّ حشوٌ من الكلام لا معنى له، تَسطير، بعبارة أخرى كما نقول حكي مسطّر ﴿وَنَادَوا أَصحَابَ الجَنَّةِ﴾ هؤلاء الذين على الأعراف نادوا أصحاب الجنة ﴿أَن سَلاَمٌ عَلَيكُم لَم يَدخُلُوهَا﴾ أصحاب الجنة ما دخلوها بأعمالهم ﴿وَهُم

﴿يَطمَعُونَ﴾ يطمعون أن يدخلوا الجنة ودخلوها بشفاعة هؤلاء الذينَ على الأعراف ﴿وَإِذَا صُرِفَت أَبصَارُهُم﴾ أهل الجنة، شيعة عليٍّ ﴿تِلقَاء أَصحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجعَلنَا مَعَ القَومِ الظَّالِمِينَ﴾ ليس الذين على الأعراف الذينَ على الأعراف لا يقولون هذا الكلام، الذينَ على الأعراف هم أصحاب الولاية، المفسرون الآن يفسرون هذا الكلام وكأنَّ الرجال الذين على الأعراف يقولون هذا الكلام، هذا الكلام كما في روايات أهل البيت هو كلام أشياع أهل البيت في يوم القيامة ﴿وإذا صُرِفَت أَبصَارُهُم تِلقَاءَ أَصحَاب النّار﴾ إلى هناك إلى المذلة ﴿قَالوا رَبنا لَا تَجعَلنا مَعَ القَومِ الظّالِمين﴾ نحن أشياع هؤلاء الرجال الذين هم على الأعراف أجعلنا معهم ﴿وَنَادَى أَصحَابُ الأَعرَافِ رِجَالاً يَعرِفُونَهُم بِسِيمَاهُم﴾ هؤلاء أين؟

في جهنم ﴿قَالُوا مَا أَغنَى عَنكُم جَمعُكُم وَمَا كُنتُم تَستَكبِرُونَ * أَهَؤُلَاء الَّذِينَ أَقسَمتُم﴾ كنتم تقولون عن شيعة عليٍّ بأنهم على ضلال ﴿أَهَؤُلَاء الَّذِينَ أَقسَمتُم لَا يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحمَة﴾ ثمَّ يلتفتون إلى أشياعهم يقولون ﴿ادخُلُوا الجَنَّةَ لَا خَوفٌ عَلَيكُم وَلَا أَنتُم تَحزَنُونَ﴾ تلاحظون المشهد مشهد جميل جداً لكن ربما الكثير يقرأونه لا يلتفتون إلى هذه الحوارات الجميلة في هذه الآيات أو يقرأون كتب التفسير التي يحاول المُفَسّرون أن يُدَبّجوا الكلام بأي نحوٍ يلقونه على عواهنه، هكذا فسّر أهل البيت هذه الآيات من سورة الأعراف ﴿وَنَادَى أَصحَابُ الأَعرَافِ رِجَالاً يَعرِفُونَهُم بِسِيمَاهُم﴾ فلان وفلان وفلان ﴿قَالُوا مَا أَغنَى عَنكُم جَمعُكُم وَمَا كُنتُم تَستَكبِرُونَ * أَهَؤُلَاء الَّذِينَ أَقسَمتُم لَا يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحمَة﴾ هؤلاء الذين قلتم بأن أشياع عليٍّ لن تنالهم الرحمة؟! ثمَّ يلتفتون إلى أشياعهم ﴿ادخُلُوا الجَنَّةَ لَا خَوفٌ عَلَيكُم وَلَا أَنتُم تَحزَنُونَ﴾ أنتم في ضمانتنا أدخلوها، الجنةُ جنة محَمَّدٌ وآل محَمَّد ﴿ادخُلُوا الجَنَّةَ لَا خَوفٌ عَلَيكُم وَلَا أَنتُم تَحزَنُونَ * وَنَادَى أَصحَابُ النَّارِ أَصحَابَ الجَنَّةِ﴾ ما نادوا أصحاب الأعراف نادوا أصحاب الجنة.

هذه مذلتهم لأنهم لا يستطيعون أن يكلموا أصحاب الأعراف، ما هو شأنهم ما هي قيمتهم حتى يُكَلّموا أصحاب الأعراف ﴿وَنَادَى أَصحَابُ النَّارِ أَصحَابَ الجَنَّةِ أَن أَفِيضُوا عَلَينَا مِنَ المَاء﴾ هذا الماء الذي مَنعوه عن حُسينٍ وآل حُسين سيعطشون يعطشون ﴿وَنَادَى أَصحَابُ النَّارِ أَصحَابَ الجَنَّةِ أَن أَفِيضُوا عَلَينَا مِنَ المَاء

أَو مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ﴾ فماذا قال أصحاب الجنة؟ ﴿قَالُوا إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الكَافِرِينَ﴾ هذا حرامٌ عليكم ﴿إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الكَافِرِينَ﴾ من هم هؤلاء الكافرون؟ القرآن يبين ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم لَهواً وَلَعِباً﴾ الدين مفسرة في روايات أهل البيت الإمام المعصوم، الدين ولاية عليٍّ الدين هو ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، اليوم أكملت لكم دينكم، بماذا أُكمِلَ الدين؟ بولاية عليٍّ، يعني أن الدين ولاية عليٍّ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم لَهواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنيَا فَاليَومَ نَنسَاهُم كَمَا نَسُوا لِقَاء يَومِهِم هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجحَدُونَ﴾ الآيات هم أهل البيت وهذا المعنى واضحٌ جداً في كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿وَلَقَد جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلمٍ هُدًى وَرَحمَةً لِّقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ لكنهم فسّروا القرآن بحسب ما يشتهون وما رجعوا إلى العترة، وحتى هناك من الشيعة في زماننا هذا من يفسر القرآن برأيه ويجمع حشواً من كتب المخالفين ولا أدري من أين يأتي بالبقية الباقية من الحشو الذي يحشوه ويقول هذا هو تفسير القرآن على منهج أهل البيت ﴿وَلَقَد جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلمٍ هُدًى وَرَحمَةً لِّقَومٍ يُؤمِنُونَ * هَل يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأوِيلَهُ﴾ هل ينتظرون حتى تأتي حقائق القرآن حتى يؤمنوا ﴿هَل يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأوِيلَهُ يَومَ يَأتِي تَأوِيلُهُ﴾ يوم يأتي حقيقة القرآن متى؟ رواياتنا تقول في ظهور المهدي صلوات الله وسلامه عليه ﴿هَل يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون، هم ينتظرون حتى تأتي حقائق القرآن ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴿هَل يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأوِيلَهُ يَومَ يَأتِي تَأوِيلُهُ﴾ حين يظهر إمامنا ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبلُ قَد جَاءت رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشفَعُوا لَنَا أَو نُرَدُّ فَنَعمَلَ غَيرَ الَّذِي كُنَّا نَعمَلُ قَد خَسِرُوا أَنفُسَهُم وَضَلَّ عَنهُم مَّا كَانُوا يَفتَرُونَ﴾ وتلك هي عِزَّةُ أهل البيت وعزتنا بعزة أهل البيت وكرامتنا بكرامة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهل هناك من عزةٍ ومن فرجٍ ومن رحمةٍ إلا هذه المعاني التي يصدع بها قرآننا وتفسرها لنا روايات أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم – **وَبِكُم أَخرَجَنَا اللَّهُ مِنَ الذُّلِّ** – هذه هي العزة – **وَفَرَّجَ عَنَّا غَمَرَاتِ الكُرُوبِ** – في الدنيا والآخرة – **وَأَنقَذَنَا مِن شَفَا جُرُفِ الهَلَكَاتِ** – في الدنيا والآخرة – **وَمِنَ النَّارِ** – الجنةُ في ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي** – هذا التكرار لأنني لا أملك شيئاً أقدمه بين أيديكم أعزُّ شيءٍ أقدمه بين أيديكم وليس له من قيمة يا آل محمَّد، فما أقدمه لكم هو منكم

هو منحةٌ منكم – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي بِمُوَالاتِكُم عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا** – وَمَرَّ علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة: **إلَى اللهِ تَدعُونَ، وَعَلَيهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤمِنُونَ، وَلَهُ تُسَلِّمُونَ، وَبِأمرِهِ تَعمَلُونَ، وَإلى سَبيلِهِ تُرشِدُونَ، وَبِقَولِهِ تَحكُمُونَ** – ومَرَّ علينا قبل قليل – **كَلامُكُم نُورٌ وَأَمرُكُم رُشدٌ وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقوَى** – ومَرَّ علينا – **وَقَولُكُم حُكمٌ وَحَتمٌ وَرَأيُكُم عِلمٌ وَحِلمٌ وَحَزمٌ** – كل هذا يشخّص لنا معالم ديننا – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي بِمُوَالاتِكُم عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا** – معالم الدين هي مشخصات الدين هي الجهات الواضحة هي أصول الدين هي حقائق الدين – **بِمُوَالاتِكُم عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا وَأَصلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِن دُنيَانَا** – إذا فسد دين المرء فسدت دنياه، إنَّما تصلح دنيا المرء بصلاح دينه.

نحن نقرأُ في الكافي الشريف رواية جميلة جداً قصيرة لكنها في غاية الحسن والجمال، هذا الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، **عن إسحاق بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سَمعتُه يَقول إنَّ الأرضَ لاَ تَخلوا إلا وَفيها إمام** – لِماذا؟ الإمام يعطي هذا القانون – **إنَّ الأرضَ لاَ تَخلوا إلاَّ وفيها إمام** – لابد أن يكون هناك من إمام – **كَي مَا إن زَادَ المؤمِنونَ شَيئاً رَدّهُم وإن نَقَصوا شَيئاً أَتَمّه لَهُم** – لأن الإمام هو الذي يُصلح ما أفسد من دنيانا ومن ديننا، ما أفسد الدهرُ والأيامُ والناسُ وشياطين الإنس والجن – **كَي مَا إن زَادَ المؤمِنونَ شَيئاً رَدّهُم وإن نَقَصوا شَيئاً أَتَمّه لَهُم.**

بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي بِمُوَالاتِكُم عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا وَأَصلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِن دُنيَانَا وَبِمُوَالاتِكُم تَمَّتِ الكَلِمَةُ – تمت كلمة الحق، تمت كلمة القرآن، تمت كلمة الإسلام، تمت كلمة الإيمان، تم كل خيرٍ بموالاتكم، تمت كلمة الحقيقة، تمت الحقيقة، بعبارةٍ موجزة: تمت الكلمة أي تمت الحقيقة – **وَتَمَّت كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدقاً وَعَدلاً** – تمت الحقيقة بصدقها وبعدلها وبتمام وجوه كمالها – **وَبِمُوَالاتِكُم تَمَّتِ الكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعمَةُ** – وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي – تمام النعمة في عليٍّ وآل عليّ – **وَبِمُوَالاتِكُم تَمَّتِ الكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعمَةُ** – وأي نعمةٍ أعظم من الوصول إلى الله من أي بابٍ؟! من باب عليّ، عليٌّ هو سفينة النجاة – **وَبِمُوَالاتِكُم تَمَّتِ الكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعمَةُ** – أيُّ نعمةٍ أعظم أن يكون بين أضلعنا قلبٌ يتلهفُ للحجة بن الحسن ويتقطع حزناً لحسينٍ وآل حسين ويذوبُ حسرةً وأسفاً وكَمَداً لِتلكَ التي قتلوها بين الباب والجدار، أيُّ نعمةٍ أعظم من أن نملك قلوباً ووجداناً بين جوانحنا تتأجج فيه ساجرةً جمرةُ ولاء عليٍّ وجمرةُ حبُّ عليٍّ ...

أهواك حتى في حشاشة مهجتي نارٌ تشبُّ على هواك وتلذعُ

وَبِمُوَالاتِكُم تَمَّتِ الكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعمَةُ وَائتَلَفَتِ الفُرقَةُ، أيُّ فرقةٍ ائتلفت بمولاتكم؟ فرقةُ عقولنا، فرقةُ قلوبنا ...

كانت لقلبي أهواءٌ مفرقةٌ فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

قلوبنا المتفرقة، عقولنا المتفرقة، ونحن أشياعُ عليٍّ الذين تفرقنا الدنيا إذا أردنا أن نأتلف لا يؤلّفنا إلا ولاء عليٍّ، إذا نظر بعضنا إلى البعض الآخر للعلائق الدنيوية نختلف ونتصارع ونتفرق، لكن إذا اجتمعنا ونحن ننظر إلى جهةٍ واحدة إلى ولاء عليٍّ فإن هذه الفرقة ستجتمع – **وَائتَلَفَتِ الفُرقَةُ** – ولاء عليٍّ يجمع العقول يجمع القلوب ويجمع الأشخاص ويجمع المتفرقين – **وَائتَلَفَتِ الفُرقَةُ** – بموالاتكم – **وَبِمُوَالاتِكُم تَمَّتِ الكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعمَةُ وَائتَلَفَتِ الفُرقَةُ وَبِمُوَالاتِكُم تُقبَلُ الطَّاعَةُ المُفتَرَضَةُ** – الطاعة الواجبة لن تقبل وإن كانت واجبة ونأتي بها بشرائطها الفقهية والشرعية لكنها لا تقبل من دون إمضاءك يا إمام زماني لن تقبل، الأعمال لابد أن تكون في ساحة وفي فناء إمام زماننا حتى تقبل، تبقى صلواتنا ناقصة، ويبقى صيامنا ناقصاً، ويبقى حجنا ناقصاً، من تمام الحج لقاء الإمام من كمال الحج لقاء الإمام، الصلاةُ هذه التي تلاحقنا منذ أول لحظةٍ للتكليف وحتى آخر لحظةٍ في حياتنا لن تقبل من دون عليٍّ.

الناصب سيان عند الله صلى أم زنا، الصلاة في حقيقتها عليٌّ صلوات الله عليه هو يقول أنا صلاة المؤمنين وصيامهم – **وَبِمُوَالاتِكُم تُقبَلُ الطَّاعَةُ المُفتَرَضَةُ وَلَكُمُ المَوَدَّةُ الوَاجِبَةُ** – هذه المودة يوجبها العقل يوجبها القلب يوجبها الوجدان توجبها الفطرة يوجبها رسول الله هذا هو حق رسول الله، قل لا أسألكم عليه أجراً، هذا الأجر يجب أن يُدفع حين كان يقول رسول الله على المنبر لعن الله من منع الأجير أجره وأنا أجيركم، كان يردد هذه الكلمة: لعن الله من منع الأجير أجره، ودائماً يقول أنا أجيركم، أنا أجيركم يعني أنا أطلبكم أجراً وأجري واضح، لعن الله من منع الأجير أجره يفسرون الحديث في أنك إذا أجّرت عاملاً فاتفقت معه على أجره معينة وما أعطيته أجره فلعن الله من منع الأجير أجره، قطعاً هذا أمرٌ مذموم لكن ما قيمة هذا الأمر إلى هذا الأجر الذي يقصده رسول الله، لعن الله من منع الأجير أجره، ولعن الله من انتسب إلى غير أبيه، لا يقصد أنه الانتساب أن شخصاً ينتسب إلى أبٍّ ثانٍ إلى رجلٍ ثانٍ، الأب هو عليٌّ، يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأُمَّة، لعن الله من انتسب إلى غير عليٍّ، الأب هو الإمام هنا، لعن الله من انتسب إلى غير عليٍّ، لعن الله من منع الأجير أجره هذه هي المودة الواجبة – **وَلَكُمُ المَوَدَّةُ الوَاجِبَةُ وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ** – درجاتٌ رفيعة لا أعلم عددها ولا أعرف علوها – **وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَالمَقَامُ المَحمُودُ** – وحتى ما جاء في رواياتنا في أوصاف المقام المحمود في يوم القيامة إنما هو شيءٍ تقريبي، المقام المحمود ثابتٌ للنبي قبل الدنيا وفي الدنيا وبعد الدنيا، النبي صلى الله عليه وآله ما فارق المقام المحمود حتى يكون المقام المحمود فقط له في يوم القيامة، المقام المحمود هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، النبي صاحب المقام المحمود ولكن المقام المحمود هو النبي صلى الله عليه وآله، فكل فضلٍ في هذا الوجود هو من مظاهر

الحقيقة المحمدية – **وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَالمَقَامُ المَحمُودُ وَالمَكَانُ المَعلُومُ عِندَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** – المكان المعلوم بالنسبة لنا معلوم بالجملة وإلا نحن هل نعرفُ منزلة أهل البيت عند الله؟ لا نعرف منزلتهم لكننا نعرف بأنهم هم الرقم الأول، هذا الذي نعرفه، التفاصيل إنما هي بقدر عقولنا، نحن نعرف بأنهم هم الرقم الأول عند الله سبحانه وتعالى، نحن نعرف بأنهم هم نقطة البداية، النقطة كما قال عليٌّ وأنا النقطة، هم النقطة نقطة البداية ونقطة النهاية كما قالت الزيارة: **وَبِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ – وَالمَكَانُ المَعلُومُ عِندَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** – هم يعلمون مكانتهم، نحن لا نعلم مكانتهم، التفاصيل وما جاء في الزيارة الجامعة مع أنها قولٌ بليغٌ كامل لكن الإمام صلوات الله وسلامه عليه يخاطبنا يخاطب عقولنا، القول البليغ لا يكون بليغاً حتى يكون مناسباً لعقل ولفهم ولإدراك الذي يخاطب بهِ، لا يتصور البعض من أن الزيارة الجامعة الكبيرة تمثل حقيقة مقامات أهل البيت، ما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة وهو قولٌ بليغٌ كامل لكن القول البليغ لا يكون بليغاً حتى يكون مناسباً لعقل المُخَاطَب، فهي مناسبة لعقولنا ولفهمنا.

وَلَكُمُ المَوَدَّةُ الوَاجِبَةُ وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَالمَقَامُ المَحمُودُ وَالمَكَانُ المَعلُومُ عِندَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالجَاهُ العَظِيمُ وَالشَّأنُ الكَبِيرُ – كل هذه أوصافٌ تدورُ من قريبٍ أو من بعيد حول المنزلة الأولى لأهل البيت والتي نحن لا نعرف حقيقتها وما ندركه فهو بقدر عقولنا بقدر مداركنا المحدودة، فأين الثرى وأين الثريا، وأين التراب وأين رب الأرباب، لكن هذه التعابير تتحدث عن علو منزلتهم – **وَلَكُمُ المَوَدَّةُ الوَاجِبَةُ** – وإنما كانت مودتهم واجبة لأنهم قد جمعوا كل كمال هم أكمل الكمال – **وَلَكُمُ المَوَدَّةُ الوَاجِبَةُ وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَالمَقَامُ المَحمُودُ وَالمَكَانُ المَعلُومُ عِندَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالجَاهُ العَظِيمُ وَالشَّأنُ الكَبِيرُ وَالشَّفَاعَةُ المَقبُولَةُ** – شفاعتهم مقبولة شفاعتهم في الدنيا، شفاعتهم عند الاحتضار، شفاعتهم في القبر والبرزخ، شفاعتهم في يوم القيامة، شفاعتهم في الجنان، في كل صقعٍ من أصقاع الوجود.

نماذج من حديث أهل البيت: وهذا هو الجزء الثامن من بحار الأنوار الشريف، الرواية عن معاوية بن وهب يرويها البرقي في المحاسن – **سَأَلتُ أبي عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَن أَذِنَ لَهُ الرحمَنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾ قَالَ: نحنُ واللهِ المأذون لهم في ذلك اليوم والقائلون صوابا. ﴿لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَن أَذِنَ لَهُ الرحمَنُ﴾** لا يتكلمون في يوم القيامة كل الخلائق لا يتكلمون، هذه في الجزء الثلاثين من الكتاب الكريم في سورة النبأ **﴿يَومَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلَائِكَةُ صَفّاً﴾** والروح خلقٌ أعظم من الملائكة أعظم من جبرئيل وميكائيل **﴿يَومَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلَائِكَةُ صَفّاً﴾** الروحُ كما يقول الكثير من العرفاء والأولياء أن الروح هو

التجلي الأول للحقيقة المُحَمَّدية ﴿يَومَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلَائِكَةُ صَفّاً لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الجميع لا يتكلمون لا يؤذن لهم ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَن أَذِنَ لَهُ الرحمَنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾ إمامنا الصادق يقول: **نَحنُ واللهِ المَأذُونُ لَهُم في ذَلِكَ اليوم والقَائِلونَ صَواباً، قُلتُ: جُعِلتُ فِدَاك ومَا تَقولون؟ قَال: نُمَجِّدُ رَبّنا ونُصَلّي على نَبينا ونَشفَعُ لِشيعتِنا فَلا يَردُنا رَبّنا.**

الرواية **عن إمامنا الرضا عن سيد الأوصياء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة وليّنا حِسابَ شيعتنا فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عزَّ وجلَّ حَكَمنا فيها فأجابنا ومن كانت مَظلَمَتُه بينه وفيما بين الناس استوهبناها فوهبت لنا ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحق من عفا وصفح**، والروايات وفيرةٌ.

الرواية عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله صلوات الله عليه إمامنا الصادق: **شيعتنا من نور الله خُلِقوا وإليه يعودون والله إنكم لمُلحَقون بنا يوم القيامة وإنا لنشفع فنشفّع، ووالله إنكم لتشفعون فتشفّعون وما من رجلٍ منكم إلا وَستُرفع له نارٌ عن شماله وجنةٌ عن يمينه ويدخل أحباءه الجنة وأعدائه النار.**

الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: **إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد فتغشاهم ظلمةٌ شديدة فيضجون إلى ربهم ويقولون: يا رب أكشف عنّا هذه الظلمة قال فيقبل قومٌ يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرضَ القيامة فيقول أهل الجمع هؤلاء أنبياء الله؟ فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بأنبياء، فيقول أهل الجمع فهؤلاء ملائكة؟! فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بملائكة، فيقول أهل الجمع: هؤلاء شهداء؟!** – الشهداء المراد ليس الذين قتلوا في المعارك، الشهداء الذين يشهدون على الخلائق – **هؤلاء شهداء؟! فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بشهداء، فيقولون: من هم؟ فيجيئهم النداء يا أهل الجمع سلوهم من أنتم؟ فيقول الجمع: من أنتم؟ فيقولون: نحن العلويون** – الأئمة المعصومون، نحن العلويون، نحن أولاد عليّ – **نحن العلويون نحنُ ذُرَّيةُ مُحَمَّدٍ رسول الله نحنُ أولادُ عليٍّ وليِّ الله نحنُ المخصوصون بكرامة الله نحنُ الآمِنونَ المطمئنون، فيجئهم النداء من عند الله عزَّ وجلَّ اشفعوا في محبيكم وأهل مودتكم وشيعتكم، فيشفعون فيُشَفّعون.**

حديثٌ آخر به أختم الكلام في هذه المجموعة من أحاديث الشفاعة، الرواية عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، أخذ منها هذا المقطع: **ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو محتاجٌ إلى شفاعة محَمَّدٍ صلى الله عليه وآله يوم القيامة** – يعني حتى الأنبياء، حتى الملائكة، حتى الرسل، هذا كلامٌ قاطع واضح – **ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو محتاجٌ إلى شفاعة محَمَّدٍ صلى الله عليه وآله يوم القيامة –**

لأن الشفاعة على مراتب على درجات، والشفاعة لها أنحاء عديدة، الشفاعة ليس فقط الخلاص من النار، هناك شفاعة حتى في الذين يدخلون إلى النار أن يخفف العذاب عليهم، هناك شفاعة حتى في الذين يدخلون إلى النار أن لا يكونون من الخالدين في النار، هناك مجموعة تخرج من أهل النار وتذهب إلى الجنة بعد فترةٍ من العذاب في النار تسميهم الروايات بالجهنميين، الشفاعة تكون حتى في الجنان لرفع الدرجات في الجنان، الشفاعة لها مراتب كثيرة ومعانٍ كثيرة – **ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو محتاجٌ إلى شفاعة محَمَّدٍ صلى الله عليه وآله يوم القيامة، ثم قال أبو جعفرٍ عليه السلام: إن لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة في أمته ولنا شفاعةٌ في شيعتنا ولشيعتنا شفاعةٌ في أهاليهم، ثم قال: وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر وإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه ويقول يا ربي حقُّ خدمتي كان يقيني الحرَّ والبرد** – والروايات في هذه المضامين كثيرةٌ جداً عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وَالشَّأنُ الكَبِيرُ وَالشَّفَاعَةُ المَقبُولَةُ – شفاعتهم مقبولة في كل طبقات الوجود ليس فقط في يوم القيامة ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلتَ وَاتَّبعنَا الرَّسُولَ فَاكتُبنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ كأن الزيارة الشريفة تشير إلى ما جاء في سورة آل عمران في الآية الثالثة والخمسين ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلتَ وَاتَّبعنَا الرَّسُولَ فَاكتُبنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ والآية هذه جاءت في سياق قصة الحواريين ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلتَ وَاتَّبعنَا الرَّسُولَ فَاكتُبنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ من هم الشاهدون؟ من هؤلاء الشاهدون الذين تتحدث عنهم الآية؟ الشاهدون الذين يشهدون على كل الأمم، الذين يشهدون على كل الخلائق. الرواية عن إمامنا الكاظم صلوات الله وسلامه عليه هذا هو تفسير البرهان الرواية ينقلها عن ابن شهر آشور المازندراني رضوان الله تعالى عليه عن إمامنا الكاظم عن باب الحوائج: ﴿فَاكتُبنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ **قال: نحن هُم** – الشاهدون هم محَمَّدٌ وآل محَمَّد – **نَشهدُ للرسل على أُممها.** ﴿فَاكتُبنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ مع محَمَّدٍ وآل محَمَّد، لذلك الزيارة هنا تريد أن تشير إلى هذه الحقيقة ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلتَ﴾ بما أنزلت على محَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿وَاتَّبعنَا الرَّسُولَ فَاكتُبنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أكتبنا مع محَمَّدٍ وآل محَمَّد صلوات الله عليهم.

الآية هنا في سورة آل عمران ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلتَ وَاتَّبعنَا الرَّسُولَ فَاكتُبنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ هي الآية الثالثة والخمسون تتعانق في معناها مع الآية الثالثة والتسعين بعد المئة من سورة آل عمران ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعنَا مُنَادِياً

يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾ والمنادي هو مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، المنادي عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه، المنادي هو الحجة بن الحسن، المنادي مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَن آمِنُوا بِرَبِّكُم فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغفِر لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّر عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبرَارِ﴾ الأبرار هم شيعة عليٍّ ومر علينا الكلام قبل قليل، هؤلاء هم الذين تخاطبهم سورة آل عمران في آخر آية من آياتها ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ هؤلاء الذين قالوا ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَن آمِنُوا بِرَبِّكُم فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغفِر لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّر عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبرَارِ﴾ هؤلاء هم الذين تخاطبهم سورة آل عمران ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصبِرُوا﴾ إذا كنتم تقولون إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا فأنتم اصبروا وصابروا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾ ماذا تقول روايات وأحاديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

الرواية: **عن إمامنا الباقر قال: اصبروا على أداء الفرائض وصابروا عدوكم ورابطوا إمامكم المنتظر** – رابطوه انتظروه، المرابط هو الذي يركب فرسه، يلبس درعه، يده على سيفه، عيونه مفتوحة ويقف على الثغور على الحدود لحماية الثغور والحدود هذا هو المرابط – **اصبروا على أداء الفرائض وصابروا عدوكم ورابطوا إمامكم المنتظر.**

رواية أخرى: **اصبروا على دينكم وصابروا على عدوكم ممن يخالفكم ورابطوا إمامكم واتقوا الله فيما أمركم به وأفترض عليكم** – الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه – **اصبروا على دينكم وصابروا على عدوكم ممن يخالفكم ورابطوا إمامكم واتقوا الله فيما أمركم به وأفترض عليكم.**

وروايةٌ أخرى: **اصبروا على الأذى فينا** – هذا الاختلاف في ألفاظ الروايات لأن الناس تختلف ظروفهم تختلف درجات الناس مختلفة ظروف الناس مختلفة كل واحد تواجهه مجموعة من الامتحانات – **اصبروا على الأذى فينا قلت: وصابروا؟ قال: على عدوكم مع وليكم، قلت: ورابطوا؟ قال: المُقَام مع إمامكم واتقوا الله لعلكم تُفلحون** – والزيارة الجامعة الكبيرة هي زيارة أولئك الذين يصبرون ويصابرون ويرابطون، يرابطون مع إمام زمانهم.

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلتَ وَاتَّبَعنَا الرَّسُولَ فَاكتُبنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ رَبَّنَا لا تُزِغ قُلُوبَنَا بَعدَ إِذ هَدَيتَنَا وَهَب لَنَا مِن لَدُنكَ رَحمَةً إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ، رَبَّنَا لا تُزِغ: الزيغ هو الميل، لا تجعل قلوبنا منحرفة مائلة عن أهل

البيت، بك صلني عنك لا تقطعني يا بقية الله، بك صلني عنك لا تقطعني يا ابن رسول الله، القلوب إذا زاغت مالت – **رَبَّنَا لا تُزِغ قُلُوبَنَا بَعدَ إِذ هَدَيتَنَا** – أنت الذي هديتنا، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ربنا لا تزغ قلوبنا عن عليٍّ وآل علي بعد إذ هديتنا لهم – **وَهَب لَنَا مِن لَدُنكَ رَحمَةً إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ سُبحَانَ رَبِّنَا** – سبحان يعني إنني أُسبحه، أقدسه، أنزهه، أُسبحه تسبيحاً، أسبحه سبحاناً – **سُبحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعدُ رَبِّنَا لَمَفعُولاً** – سبحان بمعنى تسبيحاً مفعول مطلق، أسبحه تسبيحاً – **سُبحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعدُ رَبِّنَا لَمَفعُولاً** – وعده في أي شيءٍ؟ وعده في الاستجابة للدعاء، وعده في نصرة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وعده في ظهور إمام زماننا، وعده في أن أولياء أهل البيت مصيرهم إلى جنانه وإلى خلوده – **سُبحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعدُ رَبِّنَا لَمَفعُولاً** – ثمَّ يتوجه الزائر – **يَا وَلِيَّ اللَّهِ** – إذا كنَّا نزورُ واحداً منهم، وإذا كنّا نزورهم جميعاً: **يا أولياء الله،** هذه العبارة وليُّ الله، وليُّ الله المتلبس بالولاية، والولاية هي كل المعاني المتقدمة.

الآن العبارات التي مرت علينا: الدرجات الرفيعة، المقام المحمود، المكان المعلوم عند الله عزَّ وجلَّ، الجاه العظيم، الشأنُ الكبير، الشفاعة المقبولة، كل هذه المعاني تكون مجموعةً في معنى الولاية، المعاني المتقدمة أيضاً: من أراد الله بدأ بكم، ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم، وذل كل شيءٍ لكم، وأشرقت الأرض بنوركم، وفاز الفائزون بولايتكم، بكم يسلك إلى الرضوان، وعلى من جحد ولايتكم غضبُ الرحمن، كل هذه هي معنى الولاية، يا وليَّ الله يا أولياء الله هم الذين تشرق فيهم هذه المعاني، ما جاء في حديث أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه مع طارق بن شهاب، ماذا قال أمير المؤمنين برواية طارق بن شهاب؟

هذا هو الجزء الخامس والعشرون الكلام طويل ومفصل أخذ جانباً منه – **يا طارق الإمامُ** – والإمام هو وليُّ الله نحن نخاطبه يا وليَّ الله يا أولياء الله – **يا طارق الإمام كلمة الله وحجة الله ووجه الله ونور الله وحجاب الله وآية الله يختاره الله ويجعل فيه ما يشاء** – يجعل فيه ما يشاء أيّ أنه يعطيه ما يشاء، يعطيه إلى المالا نهايات – **ويوجب له بذلك** – بذلك العطاء – **يوجب له الطاعة والولاية على جميع خلقه فهو وليه** – هو وليُّ الله – **فهو وليّه في سماواته وأرضه** – نحن نخاطبه الآن يا وليَّ الله يا أولياء الله هؤلاء هم أولياء الله – **يا طارق الإمام كلمة الله وحجة الله ووجه الله ونور الله وحجاب الله وآية الله يختاره الله ويجعل فيه ما يشاء ويوجب له بذلك الطاعة والولاية على جميع خلقه فهو وليه في سماواته وأرضه أخذ له بذلك العهد على جميع عباده فمن تقدم عليه كفر بالله من فوق عرشه فهو** – أي وليُّ الله – **فهو يفعل ما يشاء وإذا شاء الله شاء** – يعني أن مشيئة الله مشيئته، وأن مشيئته مشيئة الله سبحانه

وتعالى – **فهو يفعل ما يشاء وإذا شاء الله شاء** – الكلام طويل وفي عدة صفحات، كلام عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه في بيان صفات الإمام في بيان صفات أولياء الله – **والإمام يا طارقٌ بشرٌ ملكيٌّ** – نسبةً إلى الملك – **بشرٌ ملكيٌّ** – نفس الشيء في الصديقة الطاهرة حوراء أنسيه، أنسيه حوراء، المعاني واحدة، حين نقول عن الصديقة بأنها حوراء أنسيه، نفس الكلام بشرٌ ملكيّ – **والإمام يا طارقٌ بشرٌ ملكيّ وجسدٌ سماوي** – ومر علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَأَجسَادُكُم فِي الأَجسَادِ** – وتحدثت عن مظاهر أجسادهم في كل العوالم – **وَأَجسَادُكُم فِي الأَجسَادِ – والإمام يا طارقٌ بشرٌ ملكيّ وجسدٌ سماوي وأمرٌ إلهي** – لذلك مر علينا قبل قليل في التسنيم قلت بأنه شرابٌ إلهي، الشراب الإلهي لا يكون إلا للأمر الإلهي – **والإمام يا طارقٌ بشرٌ ملكيّ وجسدٌ سماوي وأمرٌ إلهي وروحٌ قدسي ومقامٌ عَلَيّ ونورٌ جلي وسرٌ خفي فهو مَلَكُ الذات إلهي الصفات زائد الحسنات عالمٌ بالمُغيبات خصَّاً من رب العالمين ونصّاً من الصادق الأمين، ثم يقول: وهذا كله** – كل هذه المعاني – **لآلِ محَمَّدٍ لا يشاركهم فيه مشارك** – خاصٌّ بهم.

نفس الشيء الذي قرأناه في الزيارة الجامعة الكبيرة: **آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَم يُؤتِ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ، وهذا كله لآل محَمَّدٍ لا يشاركهم فيه مشارك** – ويستمر في كلامه إلى أن يقول: – **فهم سر الله المخزون وأوليائه المقربون وأمره بين الكاف والنون لا بل هم الكاف والنون** – الكلام هنا عن مظاهر – **أمره بين الكاف والنون** – هذا مظهرٌ من مظاهر أهل البيت – **لا بل هم الكاف والنون** – هذا مظهرٌ آخر، هذه مظاهر القدرة – **إلى الله يدعون وعنه يقولون وبأمره يعملون** – أليس هذه نفس نصوص الزيارة الجامعة الكبيرة – **إلى الله يدعون وعنه يقولون وبأمره يعملون علم الأنبياء في علمهم وسر الأوصياء في سرهم وعزُّ الأولياء في عزّهم** – وذل كل شيءٍ لهم لماذا؟ لأن عندهم من العزة ما لا يملكها أحد – **علم الأنبياء في علمهم وسر الأوصياء في سرهم وعزُّ الأولياء في عزّهم كالقطرة في البحر والذرة في القفر** – الذرة في لغة العرب تطلق على ذرة التراب حبة التراب الصغيرة، أو تطلق على ذرة الهباء، هذه الذرات التي نراها متحركة في حزمة الضوء الداخلة من النوافذ والكِوى، حينما يدخل ضوء الشمس من النوافذ والكِوى ألا نرى شيء يتحرك في داخله؟ هذه تسمى بالذرة ذرة الهباء لا وجود لها إذا أردت أن تمسك بها لن تمسك بها لا وجود لها مادي لها محسوس، فقط نراها بأعيننا، وفي رواياتنا هذه بقايا الجبل الذي تجلى له النور المُحَمَّدي حينما طلب موسى من الله سبحانه وتعالى أن ينظر إليه، ألم يتجلى نورٌ في الروايات نور كرّوبي من الكروبيين وهم قومٌ من شيعتنا من الخلق الأول، أصلاً لم يكن من نور مَحَمَّدٍ مباشرةً، من نور مجالي مَحَمَّد، تجلى للجبل فخرَّ موسى صعِقاً فمات موسى والجبل تفتت، الروايات تقول بقايا جبل موسى هي

هذه الذرات التي نراها في ضوء الشمس.

على أي حالٍ – **علم الأنبياء في علمهم وسر الأوصياء في سرهم وعزُّ الأولياء في عزّهم كالقطرة في البحر والذرة في القفر** – وهناك من معاني الذرة النملة الصغيرة، النملة الصغيرة جداً يقال لها ذرة أيضاً في لغة العرب – **كالقطرة في البحر والذرة في القفر، والسماوات والأرض عند الإمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها** – يقال كيده من راحته، أو كراحته من يده، هذا الاستعمال يستعمله العرب كيده من راحته أو كراحته من يده – **يعرف ظاهرها من باطنها ويعلم برها من فاجرها ورطبها ويابسها لأن الله علّم نبيهُ علم ما كان وما يكون وورث ذلك السر المَصون الأوصياء المُنتجبون آل محَمَّد، ومن أنكر ذلك فهو شقيٌّ ملعون يلعنه الله ويلعنه اللاعنون** – وفي الروايات اللاعنون الذين ذُكروا في القرآن هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد – **ملعون يلعنه الله ويلعنه اللاعنون، وكيف يفرض الله على عباده طاعة من يحجب عنه ملكوت السماوات والأرض، وإن الكلمة من آل محَمَّدٍ تنصرف إلى سبعين وجهاً وكل ما في الذكر الحكيم والكتاب الكريم والكلام القديم من آيةٍ يذكر فيها العين والوجه واليد والجنب فالمراد منها الولي** – الذي نخاطبه في الزيارة – **يَا وَلِيَّ اللَّهِ** – لأنه جنب الله ووجه الله يعني حق الله وعلم الله وعين الله ويد الله فهم الجنب العلي – **هم أولياءُ الله.**

والوجه الرضي والمنهل الروي – المنهل المكان الذي يقصده الناس كي ينهلون منه كي يشربون الماء العذب – **والمنهل الروي والصراط السوي والوسيلة إلى الله والوصلة إلى عفوه ورضاه** – نحن تحدثنا عنهم بأنهم الرحمة الموصولة – **وَشُفَعاءُ دارِ البَقاءِ، وَالرَّحمَةُ المَوصُولَةُ، وَالايَةُ المخزُونَةُ** – هم الرحمة الموصولة – **والوسيلة إلى الله والوصلة إلى عفوه ورضاه** – ويستمر سيد الأوصياء فيقول: **سر الواحد والأحد** – آل مُحَمَّد، سر الواحد والأحد: يعني أن الواحدية والأحدية تتجلى فيهم – **سِرُّ الواحد والأحد فلا يقاس بهم من الخلق أحد فهم خاصة الله وخالصته وسِرُّ الديان وكلمته وباب الإيمان وكعبته وحُجّة الله ومَحجته وأعلام الهدى ورايته وفضل الله ورحمته وعين اليقين وحقيقته وصراط الحق وعصمته ومبدأ الوجود وغايته** – وهذه عبارة جامعة – **ومبدأ الوجود وغايته وقدرة الرب ومشيته وأم الكتاب وخاتمته وفصل الخطاب ودلالته.**

هذا الكلام كله مرّ في الزيارة الجامعة الكبيرة – **بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ** – هذه العبارة تجمع كل هذه المعاني – **إن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأَصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأوَاهُ وَمُنتَهَاهُ – وَالحَقُّ مَعَكُم وَفيكُم وَمِنكُم وَإلَيكُم وَاَنتُم أَهلُهُ وَمَعدِنُهُ** – كأن هذا الحديث يشرح هذه الفقرات من الزيارة الجامعة الكبيرة – **ومبدأ الوجود وغايته وقدرة الرب ومشيته وأم الكتاب وخاتمته وفصل الخطاب ودلالته وخَزَنة الوحي**

وحَفَظَتُه وآية الذكر وتراجمته – يعني هم آية الذكر وهم تراجمته، هم القرآن بنفسه وهم تراجمة القرآن هذه مظاهرهم – **وآية الذكر وتراجمته ومعدن التنزيل ونهايته** – من هم إذاً؟! – **فهم الكواكب العِلوية والأنوار العَلوية أو فهم الكواكب العَلوية والأنوار العِلوية** – والقراءة واحدة والمعنى واحد – **فهم الكواكب العِلوية والأنوار العَلوية المشرقةُ من شمس العصمة الفاطمية** – هي حجةٌ على الحجج، هي مشرقةٌ على الحجج ومشرقةٌ في الحجج فاطمة – **فهم الكواكب العِلوية والأنوار العَلوية المُشرقةُ من شمس العصمة الفاطمية في سماء العَظَمَة المُحَمَّدية والأغصان النبوية النابتةُ في دوحةِ الأحمدية والأسرار الإلهية المودعةُ في الهياكل البشرية** – هؤلاء آل مُحَمَّد فجئني بمثلهم – **والأسرار الإلهية المودعةُ في الهياكل البشرية والذريةُ الزكية والعترةُ الهاشمية الهادية المهدية أولئك هم خيرُ البرية** – عليٌّ وآل عليّ هنيئاً لنا بهم.

ويستمر سيد الأوصياء – **اسمهم مكتوبٌ على الأحجار** – كتابه تكوينية كتابة التكوين، بكم تسبح الأرض التي تحمل أبدانكم آل مُحَمَّد، بكم تسبح الكائنات – **اسمهم مكتوبٌ على الأحجار وعلى أوراق الأشجار وعلى أجنحة الأطيار وعلى أبواب الجنة والنار وعلى العرش والأفلاك وعلى أجنحة الأملاك وعلى حُجُب الجلال وسُرادقات العِز والجمال وباسمهم تسبح الأطيار وتستغفر لشيعتهم الحيتان في لجج البحار وإن الله** – الحيتان هو اسمٌ لكل الحيوانات البحرية ليس مخصوصاً بنوعٍ معين وفي لغة العرب تطلق الحيتان على الأسماك.

ما نسميه اليوم بالحوت العرب تسميه النون لذلك النبي يونس ما عَبَّر القرآن عنه بذي الحوت، قال بذي النون، عُبِّر عنه بذي النون – **وتستغفر لشيعتهم الحيتان في لجج البحار وإن الله لم يخلق أحداً إلا وأخذ عليه الإقرار بالوحدانية والولاية للذرية الزكية والبراءة من أعداءهم وإن العرش لم يستقر حتى كتب عليه بالنور** – نحن نخاطب الأئمة في الزيارة الجوادية نخاطب الإمام الرضا: وبهم – يعني الأئمة – سكنت السواكن وتحركت المتحركات – **وإن العرش لم يستقر** – لم يسكن، بهم سكنت السواكن وتحركت المتحركات – **وإن العرش لم يستقر حتى كُتِبَ عليه بالنور** – ماذا كتب عليه بالنور؟ – **لا إله إلا الله محَمَّدٌ رسول الله عليٌّ وليُّ الله** – الشهادة الثالثة أشهدُ أن علياً وليُّ الله حقّاً حقّاً وصِدقاً صِدقاً – **وإنَّ العرش لم يستقر حتى كتب عليه بالنور لا إله إلا الله محَمَّدٌ رسول الله عليٌّ وليُّ الله** – هذا هو الوليُّ الذي نخاطبه في الزيارة الجامعة – **يَا وَلِيَّ اللَّهِ** – أيُّ وليٍّ هذا؟!

يَا وَلِيَّ اللَّهِ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوباً لا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلا رِضَاكُم – أنتم إذا رضيتم انتهى، فاطمة يرضى الله لرضاها، إذا رضيت فاطمة الله يرضى – **يَا وَلِيَّ اللَّهِ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوباً لا يَأْتِي**

عَلَيهَا إلا رِضَاكُم فَبِحَقِّ مَنِ ائتَمَنَكُم عَلَى سِرِّهِ – هذا هو السر هذه هي أسرارهم كما في حديث طارق بن شهاب عن سيد الأوصياء عن العليِّ الأعلى أمير المؤمنين – **فَبِحَقِّ مَنِ ائتَمَنَكُم عَلَى سِرِّهِ وَاستَرعَاكُم أَمرَ خَلقِهِ** – هو جعلكم رعاة على خلقه – **وَاستَرعَاكُم أَمرَ خَلقِهِ وَقَرَنَ طَاعَتَكُم بِطَاعَتِهِ لَمَّا استَوهَبتُم ذُنُوبِي وَكُنتُم شُفَعَائِي فَإِنِّي لَكُم مُطِيعٌ** – مطيع بقلبي لا بأعمالي، أعمالي كلها نقائص لكنني مطيع هواي ومودتي لكم مطيع في قبول ولايتكم، كما مر علينا في دعاء الإمام باب الحوائج صلوات الله وسلامه عليه: **اللَّهُمَّ إنّي أطَعتُكَ في أحَبِّ الأشياءِ إليكَ وهوَ التَوحِيد** – يعني ولاية عليٍّ، أنا مطيع لكم من هذه الجهة – **ولم أَعصِكُم في أَبغض الأشياء إليكم** – وهو ولاية أعداءكم – **وهو الكفر** – أنا مطيع من هذه الجهة – **فأغفر لي ما بينهما** – وهناك ذنوبٌ كثيرة عندي بين هذا وذاك.

يَا وَلِيَّ اللَّهِ إِنَّ بَينِي وَبَينَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوباً لا يَأتِي عَلَيهَا إلا رِضَاكُم فَبِحَقِّ مَنِ ائتَمَنَكُم عَلَى سِرِّهِ وَاستَرعَاكُم أَمرَ خَلقِهِ وَقَرَنَ طَاعَتَكُم بِطَاعَتِهِ لَمَّا استَوهَبتُم ذُنُوبِي وَكُنتُم شُفَعَائِي فَإِنِّي لَكُم مُطِيعٌ – سادتي آلَ مُحَمَّد – **مَن أَطَاعَكُم فَقَد أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن عَصَاكُم فَقَد عَصَى اللَّهَ وَمَن أَحَبَّكُم فَقَد أَحَبَّ اللَّهَ وَمَن أَبغَضَكُم فَقَد أَبغَضَ اللَّهَ** – قلتُ قبل قليل هذا المقطع يجمل المعاني المتقدمة، وهذه المعاني تقدمت مر علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة – **مَن والاكُم فَقَد والَى اللهَ، وَمَن عاداكُم فَقَد عادَ اللهَ** – إلى أخر ما جاء فيها – **فَإِنِّي لَكُم مُطِيعٌ** – مطيعٌ في هذه الجهة مطيعٌ في ولايتكم وإلا فذنوبي كثيرة – **فَإِنِّي لَكُم مُطِيعٌ مَن أَطَاعَكُم فَقَد أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن عَصَاكُم فَقَد عَصَى اللَّهَ وَمَن أَحَبَّكُم** – يا آل مُحَمَّد – **فَقَد أَحَبَّ اللَّهَ وَمَن أَبغَضَكُم فَقَد أَبغَضَ اللَّهَ اللَّهُمَّ إِنِّي لَو وَجَدتُ شُفَعَاءَ أَقرَبَ إِلَيكَ مِن مُحَمَّد وَأَهلِ بَيتِهِ الأَخيَارِ الأَئِمَّةِ الأَبرَارِ** – إني ما وجدت غيرهم والزيارة هنا أشارت إلى هذا المعنى – **حَتّى لا يَبقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرسَلٌ** – كل الكائنات مُقرةٌ وستقر بأنه لا فضل كفضل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، الفضل كله مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد كما قال سيد الأوصياء المعاني التي مرت في حديث طارق بن شهاب كل ذلك لهم لا يشاركهم أحدٌ في ذلك، هو خاصٌ بمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – **اللَّهُمَّ إِنِّي لَو وَجَدتُ شُفَعَاءَ أَقرَبَ إِلَيكَ** – هذا هو التوحيد، نحن نتوسل بمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد لأن الله جعلهم كذلك، غايتنا الله، غايتنا ليس مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد، غايتنا مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد لأنهم يوصلونا إلى الله، هذا هو التوحيد الحقيقي.

كل هذه المعاني التي مرت في منازل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وكل هذه العقيدة الصارخة بمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد لأنها باب التوحيد من أراد الله بدأ بكم، غايتي هو الله سبحانه وتعالى لكنني لم أجد أحداً يوصلني إليه إلا هم – **اللَّهُمَّ إِنِّي لَو وَجَدتُ شُفَعَاءَ أَقرَبَ إِلَيكَ مِن مُحَمَّد وَأَهلِ بَيتِهِ الأَخيَارِ الأَئِمَّةِ الأَبرَارِ لَجَعَلتُهُم شُفَعَائِي فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوجَبتَ لَهُم عَلَيكَ** – هو أوجب لهم هذا الحق وإلا ليس لهم حقٌّ على الله، لا مُحَمَّد ولا

آل مُحَمَّد ولا أي مخلوق له حقٌّ على الله، الله سبحانه وتعالى من فضله من كرمه من جوده، كما يخاطبنا فمن ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً، هو أعطانا وهو منحنا هو أوجدنا وأعطانا كل شيء بعد ذلك يأتي فيستقرض منا، من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً، الله يستقرض، يستقرض مني ومنك، من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً، هو فرض هذه الفريضة من جوده وسخاءه وكرمه وإلا حتى مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ليس لهم حقٌّ على الله، حقهم العظيم هذا الكلام الذي قرأناه قبل قليل: **وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَالمَقَامُ المَحمُودُ وَالمَكَانُ المَعلُومُ عِندَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالجَاهُ العَظِيمُ وَالشَّأنُ الكَبِيرُ** – كل هذا الحق هو فضلٌ من الله عليهم، وهذا هو توحيدنا، كل شيءٍ عائدٌ وراجعٌ إلى الله سبحانه وتعالى – **فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوجَبتَ لَهُم عَلَيكَ** – أنت أوجبت هذا الحق من فضلك ومن جودك – **أَسأَلُكَ أَن تُدخِلَنِي** – هذه هي الغاية من الزيارة الجامعة الكبيرة – **أَن تُدخِلَنِي فِي جُملَةِ العَارِفِينَ بحَقِّهِمُ.**

أَسأَلُكَ أَن تُدخِلَنِي فِي جُملَةِ العَارِفِينَ بِهِم وَبِحَقِّهِم وَفِي زُمرَةِ المَرحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِم – هذا هو النصّ المعرفي، هنا تتبين حقيقة هذا النصّ، هذا النصّ نصٌّ معرفي ونصٌّ تعريفي وتعليمي، نصّ هدايةٍ وإنارةٍ وإشراق لبيان منازل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد بحسب مداركنا لا بحسبهم هم – **فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوجَبتَ لَهُم عَلَيكَ أَسأَلُكَ أَن تُدخِلَنِي فِي جُملَةِ العَارِفِينَ بِهِم وَبِحَقِّهِم** – العارفين بهم منزلة أعلى من العارفين بحقهم، لأن من يدخل في دائرة معرفتهم هم يكون أعلى رتبةً من دائرة، من يدخل في دائرة معرفة حقهم، هناك معرفةٌ لحقهم وهناك معرفةٌ لهم، وكل ما نعرفه هو نزرٌ يسير من معرفة حقهم – **أَسأَلُكَ أَن تُدخِلَنِي فِي جُملَةِ العَارِفِينَ بِهِم وَبِحَقِّهِم وَفِي زُمرَةِ المَرحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِم** – في الدنيا والآخرة نحن مُحتاجون لشفاعتهم في كُلِّ آن مع كل نفس من أنفاسنا – **وَفِي زُمرَةِ المَرحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِم إِنَّكَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ** – كل شيءٍ يعود إلى هذا الاسم الشريف أرحم الراحمين، كل هذه المعاني منطوية في رحمته الواسعة – **إِنَّكَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ تَسلِيماً كَثِيراً وَحَسبُنَا اللَّهُ وَنِعمَ الوَكِيلُ** – النهاية والبداية مع الله نبتدئ بالله وننتهي إلى الله سبحانه وتعالى، إنا لله وإنا إليه راجعون – **وَحَسبُنَا اللَّهُ وَنِعمَ الوَكِيل** – حسبنا الله ونعم الوكيل كفايتنا هو الله سبحانه وتعالى.

نحن نقرأ في أدعية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في تعقيبات صلاة الصبح – **حَسبيَ الرَبُّ مِنَ المَربوبين حَسبيَ الخَالِقُ مِنَ المَخلوقِين حَسبيَ الرَازِقُ مِنَ المَرزُوقين حَسبيَ الله رَبُّ العَالَمين حَسبيَ مَن هُو حَسبي، حَسبيَ مَن لم يَزَل حَسبي، حَسبيَ مِن كَانَ مُذ كُنتَ لم يَزَل حَسبي، حَسبيَ الله لا إله إلاَّ هُوَ عَليهِ تَوَكّلتُ وهوَ رَبُّ العَرش العَظيم** – بهذا نأتي على ختام هذه الحلقة وهي الحلقة الثلاثون من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، كان بودي أن تكون الحلقات أكثر وأن تكون الأحاديث أكثر

تفصيلاً وأكثر عمقاً لكن الظروف والأسباب المُحيطة بي شخصياً، الظروف الحياتية، الإلتزامات، الملابسات اليومية، والمشاغل والمشاكل هي التي دفعتني إلى أن أحصر الحديث في هذه الحلقات الثلاثين التي تجاوزت الستين ساعة، ستون ساعة وشيئاً قليلاً أكثر منها ليست بالشيء الكثير على من يريد أن يعرف أهل البيت، هذه الحلقات الثلاثون مشحونةٌ ليس بحديثي ما قيمتي وما قيمة حديثي، مشحونةٌ بحديث أهل البيت، ثلاثون حلقة أكثر من ستين ساعة مشحونة بحديث أهل البيت، أمنيتي لا لمصلحةٍ شخصية أن ينتفع أبنائي وبناتي من مُحبّي أهل البيت وإخواني وأخواتي من أولياء أهل البيت أن ينتفعوا منها وأن تكون باباً لهم لمعرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فإن معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد لا تقتصر على هذا الحد المحدود والضيق من الحديث ولا تقتصر على معرفة شخصٍ مثلي معرفته محدودة بأهل البيت لا تساوي شيئاً، معرفتي والله معرفةٌ محدودة وما ذكرته كان محدوداً في جميع الاتجاهات، في الاتجاه المعنوي، في الاتجاه اللفظي، ومن جهة العمق ومن جهة الحقيقة لكنه ما لا يُدرك كله لا يترك كله.

إن شاء الله ألقاكم في مناسبات أخرى في برامج أخرى وفي أحاديث أخرى عن أهل بيت العصمة، وقريباً برنامج ملفُّ العصمة عصمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، أتمنى لكم التوفيق في معرفة إمام زمانكم وألتمسكم الدعاء أن أوفق لمعرفة إمام زماني الحُجَّة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، ألقاكم على خير، ألقاكم على مَحبَّة وولاء ومعرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، في أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ

الفهرست

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة : القسم الثالث 1

يا زهـراء 3

الحلقة الحادية والعشرون: معنى السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إِلى الله

وَالأَدِلاء عَلى مَرضاةِ الله وَالمُستَقِرِّينَ فِي أَمرِ الله 5

الحلقة الثانية والعشرون: معنى والمُخلَصِينَ فِي تَوحِيدِ الله

والمُظهِرِينَ لأَمرِ الله وَنَهيِهِ وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ 27

الحلقة الثالثة والعشرون: معنى السَّلامُ عَلى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ وَالقادَةِ الهُداةِ

وَالسَّادَةِ الوُلاةِ..... وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ 49

الحلقة الرابعة والعشرون: معنى اَشْهَدُ اَنْ لا اِلهَ اِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ...

وَاَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ... وَاَشْهَدُ اَنَّكُمُ الاَئِمَّةُ الرّاشِدُونَ... 72

الحلقة الخامسة والعشرون: معنى اَشْهَدُ اَنْ لا اِلهَ اِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ...

وَاَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ... وَاَشْهَدُ اَنَّكُمُ الاَئِمَّةُ الرّاشِدُونَ... 94

الحلقة السادسة والعشرون: معنى فَالرّاغِبُ عَنْكُمْ مارِقٌ وَاللاّزِمُ لَكُمْ لاحِقٌ 119

الحلقة السابعة والعشرون: معنى مَنْ اَتاكُمْ نَجا وَمَنْ لَمْ يَأتِكُمْ هَلَكَ 148

الحلقة الثامنة والعشرون: معنى بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي 171

الحلقة التاسعة والعشرون: معنى بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي 199

الحلقة الثلاثون والأخيرة: معنى فَما أَحلى أَسمائكُم وَأَكرَمَ أَنفُسَكُم 230

الختام 258

الفهرست 259